قاضی حاشیه‌سی نسخه‌سیدر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه

قوله اصله عن ما على ان عن الجارة دخلت على ما الاستفهامية فقلب النون ميما وادغمت الميم بناء على ان التقارب الحرفين المتجانسين او المتقاربين في الكلمة يوجب ضربا في الثقل نحوا ولو ادفعه بطريق من الطرق والادغام احد طرقه لانه يورث ضربا في الخفة واصل المتقاربين لا يدغم في الاخر الا بعد قلبه بالاخر تحقيقا للمماثلة الموجبة للادغام قوله لما مر من ان حروف الجر اذا دخلت على ما الاستفهامية يحذف الفها تخفيفا للفظ الكثير التداول وفرقا بين ما الاستفهامية والخبرية وتنبيها على شدة اتصال ما بحرف الجر حتى صار كالجزء منه نحو لم وبم وفيم والام وعم وعلام فان قلت الميم حرف شفوي مخرجه ما بين الشفتين والنون مخرجه ما بين طرف اللسان وفوق الثنايا العليا والثنايا جمع ثنية وهي مقدم الاسنان وهي اربعة اسنان اثنان منها في اعلى الفم واثنان اخران منها في اسفله يطلق على كل واحد منها لفظ الثنية ويجمع الاربعة ثنايا فاذا تقرر هذا ظهر انه لا تقارب بين الميم والنون في المخرج وهو سبب الادغام قلنا نعم الا ان فيهما غنة والغنة قد جعلهما كالمتقاربين في المخرج قال ابن الحاجب وادغمت النون في الميم وان لم يتقاربا بالغنتيهما الغنة مدة حرف في الخيشوم كما ان حروف العلة مدة حرف في الفم وقيل الغنة صوت في الخيشوم والاغن الذي يتكلم من الخيشوم قوله كانه لفخامة شفى حنبه فيسئل عنه يريد ان كلمة ما سواء كانت لشرح الاسم او لطلب حقيقة المعنية اداة الطلب والسؤال والطلب بها شرح مفهوم الاسم او كشف حقيقة الشيء المعلوم الوجود والمطلوب بدوا ان يكون مجهولا عند الطالب لئلا يلزم تحصيل الحاصل هذا اصل في الكلمة ثم انها قد تطلق على الشيء العظيم الشان المفخم القدر وان لم يكن مجهولا عند المتكلم على طريق الاستعارة

تشبيها

فشبهها بالمجهول المسؤول عنه من حيث انه لنفي منه وعظم شانه صار كانه يعجز
العقل عن ان يحيط بكنهه فيسئل عنه كالاشياء التي جهلت مفهوماتها وحقايقها
فطلبت بما فلاجل هذه الملابسة استعملت فيه كلمة ما ايضا مجازا حيث جردت
عن معنى الاستفهام ولم يستعمل فيه ومنه قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة
وما القارعة وما سجين وما العقبة ونحوها فان كلمة ما فيها لمجرد التفخيم قوله
او يتسألون اي يجوز ان يكون صيغة التفاعل على اصلها من كون اصل الفعل بين كثيرين
بان يكون كل بعض منهم جاعلا له بالبعض الاخر وان يكون بمعنى الفعل الثلاثي مثل
يتداعونهم بمعنى يدعونهم قال الامام وقد يستعمل التساؤل ايضا في ان يتحدثوا به
وان لم يكن من بعضهم لبعض سؤال قال تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين فهذا على معنى
التحدث فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفراء انتهى كلامه
ولم يتعرض لكونه بمعنى يتساءلون قوله او النبي عطف على لاهل مكة والظاهر
ان المراد بالناس ما يعم اهل ذلك العصر من المؤمنين والكفار اما المؤمنون
فيسئلونه ويسئلون عنه ليزدادوا ايقانا في دينهم واما الكفار فعلى سبيل
السخرية والاستهزاء او على سبيل ايراد الشكوك والشبهات الا ان قول المص
فيما بعد كلا سيعلمون ردع لهم ووعيد عليهم يقتضي ان يكون المراد بالناس
ما يعم اهل مكة وغيرهم من الكفرة فقط قوله بيان الشان المفخم يعني ان قوله
عم يتساءلون كلام تام اورد على طريق السؤال وقوله عن النبأ العظيم جواب
بيان لشان المفخم بالسؤال السابق بناء عظيم وتقدير الكلام يتساءلون
عن النبأ العظيم الا انه حذف يتساءلون من الاية الثانية لدلالة الاولى عليه
فيكون عم متعلقا بيتساءلون المذكور قوله عن النبأ العظيم متعلق

بالمحذوف فقوله عم يتساءلون سؤال تفخيم وتعظيم للمسؤل عنه وقوله عن النبأ العظيم
جواب وبيان له وان كان المجيب هو الله تعالى والفائدة في ان يذكر السؤال ثم ان يذكر
الجواب معه ان هذا الاسلوب اقرب الى الفهم والايضاح ونظيره قوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار او صلة يتساءلون يريد ان قوله عن النبأ العظيم يجوز
ان يتعلق بيتساءلون المذكور فيكون عم متعلقا بيتساءلون المضمر والمذكور
يفسر ذلك المضمر فيتم الكلام بقوله عم ويكون قوله يتساءلون عن النبأ بيانا
لشأن المفخم ويدل عليه قراءة من قرأه عمه بهاء السكت والظاهر انه وقف على عمه
وابتداء يتساءلون عن النبأ فيكون متعلق عم مضمرا مفسرا بما بعده
لانه لما وقف عليها صار منقطعا عما بعده فيكون ما بعده كلاما مبتداء وانما وقف
بهاء السكت لان الالف ما الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة الميم دليلا
على الالف المحذوفة فوقف عليها بالهاء حفظا لتلك الفتحة عن السقوط حالة
الوقف وهي الفائدة في الوقف بالهاء في جميع المواد التي وقف بها والحاصل انه اتى بهاء السكت
حال الوقف لئلا تخلو الكلمة عن احد حروفها الاصلية وعما يدل ووقف عليها اكثر القراء بالاسكان
اتباعا للرسم وقيل يجوز ان يكون قوله عن النبأ استفهاما اخر متصلا بما قبله بتقدير
الالف الاستفهام فيه والتقدير عم يتساءلون اعن النبأ العظيم الا انه حذف حرف
الاستفهام بدلالة الاستفهام المذكور عليه ونظيره قوله تعالى افان مت فهم الخالدون
اي افهم الخالدون وقيل يجوز ان يكون عم بمعنى لاي شيء وقوله يتساءلون عن النبأ العظيم
متصل به على تقدير لاي شيء يتساءلون عن النبأ العظيم ونسب هذا القول الى الفراء
والذي في الاية يحتمل ان يكون مجرورا على انه نعت للنبأ او ان يكون مستأنفا مرفوعا
بتقدير هو او منصوبا بتقدير اعني بجزم النفي عنه ان كان فيما يكون ضمير يتساءلون
لاهل مكة فانهم ليسوا متفقين في انكار الحشر الجسماني لان منهم من ينكره ويجزم

بانتفائه

بإنكاره ويقول ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ومنهم من كان
شاكا فيه قائلا وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
او بالاقرار والانكار وهذا على تقدير ان يكون ضمير يتساءلون لمطلق الناس من المؤمنين
والكفار فانهم مختلفون فيه يقر به المؤمنون وينكره الكفار ردع ووعيد
الردع مستفاد من كلا اي ليس امر البعث مما يشك فيه او ينكر بحيث يسال عنه
والوعيد مستفاد من سيعلمون ما يتساءلون عنه حق دافع له واقع لا ريب فيه مقطوع
الشك فيه تكرير اي تكرير للردع بتكرير كلمة كلا وللوعيد بتكرير سيعلمون للمبالغة
فيهما والتشديد وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد بيان لفظة ثم موضوعة
للتراخي الزماني وقد تستعمل مجازا في التراخي الرتبي اي التباعد ما بين المعطوفين
في الشرف والفضيلة وذلك لتشبيه التباعد الرتبي بالتراخي الزماني في الاشتمال
على مطلق التباعد بين الامرين وبمعنى المجازي هو المراد ههنا لان المقام مقام
التهديد والتشديد وذلك انما يكون اكد بالحمل عليه والاظهر في العبارة ان
يقال وثم للاشعار بان الردع الثاني والوعيد الثاني اشد وقيل الاول
عند النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء فيكون ثم محمولا
على معناه الحقيقي وهو التراخي الزماني فان المعنى سيعلمون حقيقة عند النزع
ثم في القيمة ولا شك ان القيمة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع
او المعنى سيعلمون حقية البعث حين ان تبعثوا من قبوركم ثم حقية
ان يجازى كل احد على حسب طاعته وعصيانه حين ان تجازوا على كفركم
وانكاركم ولا شك ان وقت الجزاء متراخ عن وقت البعث وعلى تقدير ان يكون
ضمير يتساءلون لمطلق الناس من الكفار والمؤمنين يحتمل ان يكون ضمير احد
لفظي سيعلمون للمؤمنين وضمير سيعلمون الاخر للكفار والمعنى سيعلم المؤمنون

عاقبة تصديقهم وسيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم فيكون احدهما وعدا للمؤمنين
والاخر وعيدا للكفار وهم لتفاوت ما بين الوعد والوعيد في المرتبة ويحتمل
ان يكون كلاهما وعيدا للكفار بان يكون المعنى سيعلم الكفار احوالهم ثم سيعلمون
احوال المؤمنين وكل منهما وعيد للكفار اما الاول فظ واما الثاني
فلان المؤمنين اعداؤهم وعلمهم بكون اعدائهم في النعيم المقيم واللذات
الصافية عذاب روحاني اشد من الجسماني ليستدلوا بذلك يعني
انه تعالى لما حكى عنهم انكار البعث والحشر واراد اقامة الحجة على صحته اورد
ما يدل على كونه قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات لانه اذا ثبت
هذان الاصلان ثبت القول بصحة البعث فاثبت هذين الاصلين بان
عدد انواعا من مخلوقاته المحكمة المتقنة فان هذه الاشياء من جهة حدوثها تدل
على القدرة ومن جهة اتقانها واحكامها تدل على العلم ومن كان في العلم و
القدرة بهذه المثابة صح منه ان يكون قادرا على تخريب الدنيا بسمائها وارضها
وايجاد عالم الاخرة بخواصها واحكامها لانه قد تقرر ان الاجسام متماثلة في الاقسام
في قبول الصفات والاعراض ولما فسر النبأ العظيم بالبعث ظهر اتصال
هذه الاية بما قبلها ولما بعدها ايضا وهو قوله ان يوم الفصل كان ميقاتا
لج ولذلك اختار المص تفسيره به ولو فسر بالقران او بالنبوة كما فسره البعض
بتكلفات انتظام هذه الاية بما قبلها وان انتظمت بما بعدها كما لا يخفى ومن
فسر النبأ العظيم بالقران قال انه نبأ عظيم في فصاحته وبلاغته واحتوائه
على العلوم الكثيرة وانهم اختلفوا فيه وذهبوا انواعا فجعله بعضهم سحرا وبعضهم
شعرا وبعضهم قالوا اساطير الاولين قال تفسير النبأ بالقران اولى من تفسيره
بالبعث والنبوة لان النبأ اسم للخبر لا المخبر عنه والبعث والنبوة ليسا بخبرين

بعض

بل

بل هما مخبر عنهما فكان هو اسم النبأ اليق بالقران منه بالبعث والنبوة والجواب
ان اسم النبأ وان كان اليق بالقران الا ان اسم العظيم اليق بالبعث والقيمة
لان منتهى خوف الخلق وخوفهم منه وهو اعظم الاشياء في قلوبهم ولان ما بعده
في الاية لما كانت مسوقة لاثبات صحة البعث واقامة القيمة ظهر بذلك
ان المراد بالنبأ العظيم وهو نبأ البعث مصدر سمي به الجوهري المهد
مهد الصبي والمهاد الفراش وقد مهدت الفراش مهدا بسطته ووطاته وتمهيد
الامور تسويتها واصلاحها انتهى فالمهد في الاصل مصدر بمعنى البسط سمي
مهد الصبي تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير وكذا المهاد مصدر ماهدت
بمعنى مهدت كسوفت بمعنى سوفت اطلق على الارض الممهودة المعنى المصدري
اما على تقدير المضاف اي ذات مهد واما على وصف الارض بالمصدر للمبالغة
كما تقول رجل عدل من حيث انه لكماله في تلك الصفة صار كانه عين تلك
الصفة وجهة مبالغة لانها اذا صارت عينه يستغنى عما عداها في صدور اثارها عنه واما
اذا كان موصوفا بها فلا اقل من ان يحتاج فيه الى تلك الصفة ومهادا مفعول ثان لنجعل
ان كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق واوتادا ايضا كذلك
ومعنى جعل الجبال اوتادا للارض ارساؤها بالجبال لتسكن ولا تميل باهلها كما
يرسى البيت بالاوتاد وهو من باب التشبيه البليغ ذكرا وانثى كما قال الله تعالى وانه خلق
الزوجين الذكر والانثى وفيه قول اخر وهو ان تحمل الازواج على معنى الاصناف او
على معنيا ما خلقناكم حال كونكم معروضا لاوصاف متقابلة لكل واحد منها فرد وزوج
بما يقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة
والانوثة والطول والقصر الى غير ذلك فيكون كل واحد منكم بحسب ما فيه من الاوصاف
زوجا بما هو موصوف بما يقابله وصفه كالحسن بالقبح والطويل بالقصر الى غير ذلك

في كل زوجين متقابلين كما قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين وهذا دليل على كمال
القدرة ونهاية الحكمة حتى يصح الابتلاء والامتحان فيتعبد الفاضل بالشكر والمفضول
بالصبر ويعرف حقيقة كل شيء بضده فان الانسان انما يعرف قدر الشبا عند المشيب
وانما يعرف قدر الامن عند الخوف فيكون ذلك ابلغ في تعريف النعم   قطعا عن الاحساس
والحركة لما طعن بعض الملاحدة في هذه الاية بان قالوا السبات هو النوم فا
فالمعنى وجعلنا نومكم نوما فاي فائدة في هذا الكلام اجاب عنه بوجهين الاول
ان السبت في اللغة القطع يقال سبت شعره سبتا اي قطعه وحلقه وسمي النوم قطعا
من حيث ان النائم منقطع عن الاحساس والحركة وان النوم يقطع التعب والكلال
فكان نعمة عظيمة تحسن ذكرها في اثناء تعداد النعم الجليلة والثاني انا لا نسلم ان
السبات هو النوم بل هو الموت والمسبوت الميت فاستدل على صحة اطلاق الموت
على النوم بقوله لانه اصل التوفيين المشار اليهما في قوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها اي ويتوفى التي لم تمت في منامها ويدل
عليه ايضا انه لما جعل النوم موتا جعل اليقظة التي تكون عنها بالنهار معاشا
اي حيوة حيث قال وجعلنا النهار معاشا قال الامام وهذا القول عندي
ضعيف لان الاشياء المذكورة في هذه الاية من جلائل النعم فلا يليق ذكر
الموت بهذا المقام وايضا ليس المراد بكونه موتا انه موت حقيقة اذ لا ينقطع
به الروح عن البدن بل المراد به انقطاع اثر الحيوة الحيوانية الظاهرة عن البدن وهذا
هو النوم فكان المعنى انا جعلنا نومكم نوما فعاد الاشكال انتهى كلامه ويمكن
ان يجاب عنه بان التنوين في سباتا للنوعية كما في قوله وجعل على بصره غشوة
فالمعنى وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو الموت الذي ينقطع ولا يدوم فان
النوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة من انفع الاشياء واما دوامه فمن اضر الاشياء للانسان

ولما كان

والماكان انقطاعا نعمة عظيمة لاجرم ذكره الله تعالى في موضع ذكر الانعام ويكون المعنى وجعلنا نومكم موتا خفيفا يمكنكم رفعه وقطعه وجعلنا غشيا متواليا عليكم فان ذلك مرض لا يكاد يمكنكم ... عطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء اي اختفاء نفسه او غيره من الانفس والاموال عمن يجب الاطلاع عليها فوجه شبه بين الليل واللباس كونهما سببا للاستتار عما لا يريد المرء ظهوره ووجه النعمة في ذلك ان الانسان قد يريد الاستتار عن العيون اذا اراد هرب من عدو او اراد ان يفعل فعلا لا يرضى ان يطلع عليه غيره ويأمن بظلمة الليل من بيات العدو ايضا قوله وقت معاش يحتمل ان يكون مراده ان لفظ معاش يجوز ان يكون مصدرا يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة فعلى هذا لا بد من تقدير المضاف وهو لفظ الوقت ليكون الثاني عين الاول وهو النهار والمعنى وجعلنا النهار وقت معاش ويحتمل ان يكون مراده الاشارة الى ان لفظ المعاش اسم زمان على صيغة اسم زمان مفعل فلا حاجة الى تقدير المضاف وقوله وقت معاش ابلاغ بمعنى صيغته اسم زمان وتفصيل لمفهومها وقوله يتقلبون فيه لتحصيل ما يعيشون به في مقابلة تفسير السبات بالقطع عن الحس والحركة لان التقلب لا يكون الا بالاحساس والحركة واشارة الى ان المعاش في قوله وقت معاش بمعنى التعيش وهو التقلب والتكلف في تحصيل اسباب المعيشة والدنيا معاش لانه مكان التعيش و النهار معاش لانه زمانه وقوله او حيوة يتنفسون فيها عن نومكم في مقابلة تفسير السبات بالموت رعاية للمطابقة بينهما وقضية المطابقة انما تتم ان لو قيل و جعلنا يقظتكم حيوة الا انه عبر عنها بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا الجوهري العيش الحيوة ويقال عاش فلان مدة كذا قوله سبع سموات وقربات الاشارة الى ان شدادا صفة لمحذوف هو مميز سبع وشدتها احكام خلقها بحيث لا يؤثر فيها مرور الازمان لا فطور فيها ولا فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا

محفوظا فان قيل لفظ البناء يستعمل في اسفل البيت والسقف في اعلاه فكيف قال
وبنينا فوقكم قلنا لان البناء يكون بعيدا عن الآفة والانحلال من السقف قوله
وبنينا اشارة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الانحلال كالبناء والمراد
بجعل السراج خلقه فلذلك تعدى الى مفعول واحد والجعل فيما نحن بمعنى
التصيير فتعدى الى مفعولين قوله او بالغا في الحرارة لعل كلمة او لمنع الخلو
لان منهم من قال الوهج يجمع النور والحرارة ومنهم من قال الوهج النور ومنهم
من قال الوهج حر النار او الشمس فيكون الوهاج للمبالغة في احد هذه المعاني
على سبيل منع الخلو قوله السحائب ان فسرت المعصرات بالسحائب يكون
اسم فاعل من اعصرت السحاب اذا حان لها ان تعصرها الرياح فتمطر ولم
يعصرها بعد وهمزة اعصرت للحينونة كالهمزة في احصد الزرع اذا حان ان
يحصد واعصرت الجارية اي حانت ان تعطلها الطبيعة بطمثها فتحيض والا لكان
ينبغي ان يقرا المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها
وهي السحاب مبدا لانزال الماء ظ وان فسرت المعصرات بالرياح يكون
ايضا اسم فاعل من اعصرت الرياح اذا حان لها ان تعصر السحاب فتمطر وهمزة اعصر
للحينونة ايضا واما اذا اريد بها الرياح ذوات الاعصار فهمزة افعل يكون
للصيرورة فهي اسم فاعل من اعصرت الرياح اي صارت ذات اعصار كما يقال
ابقلت الارض اذا صارت ذات بقل والاعاصير جمع الاعصار وهي الريح التي تستدير
في الارض ثم ترتفع الى السماء كالعمود وقيل هي ريح تثير سحابا فيه رعد و
برق والسحاب اذا اعصرته ريح ذات اعصار لا بد ان ينزل منه المطر
قوله وانما جعلت مبدا للانزال الخ جواب عما قيل ما وجه تفسير المعصرات
بالرياح مع ان المطر لا ينزل من الرياح بل ينزل من السحاب وتقرير الجواب ان ماهو
مبدا

مبدأ بالذات لنزول المطر هو السحاب لا الرياح لكن السحاب انما تنشأ وتتكون وتمتلئ
اضافة بالمطر بهبوب الرياح فصح ان تجعل الرياح مبدأ للانزال باعتبار كونها آلة
وسببا لتكون مبدائه الذي هو السحاب وقيل في جوابه كلمة من في قوله من المعصرات
بمعنى الباء اي وانزلنا بالرياح المبشرة للسحاب قوله ويؤيده اي يؤيد كون المعصرات
بمعنى الرياح قراءة من قرأ بالمعصرات بدل من المعصرات وذلك لان الباء للسببية
والسببية في المبدأ الاول الذي هو الرياح اظهر منها في المبدأ المادي وهو السحاب
قوله يقال ثجه وثج بنفسه يريد ان ثج يكون لازما بمعنى انصب بنفسه وقد يكون متعديا
بمعنى صب غيره كما في الحديث فان معناه افضل اعمال الحج رفع الصوت بالتلبية وصب
دم الهدي واختار المصنف كون ثجاجا في الاية مبالغة اسم الفاعل من ثج اللازم ولهذا
قال في تفسيره منصبا بكثرة واختار الزجاج كونه من المتعدي حيث قال معناه الصباب
كانه يثج نفسه اي يصبه وبالجملة فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به قوله
وقرئ ثجاحا بالحاء المهملة بعد الجيم ولم اجده في الصحاح وفي حواشي الكشاف
ويفهم من قولهم وثجح الماء مصابه ان ثجح بمعنى صب لا بمعنى انصب فهو مرادف
لثجاج المأخوذ من المتعدي كما اختاره الزجاج قوله وما يقتات به العرب
بالضم ما يقوم به بدن الانسان كالحنطة والشعير ونحوها اي لنخرج به حبا يكون
قوتا للانسان كالحنطة ونحوها ونباتا يكون علفا للحيوان كالتبن والحشيش
وجنات الفافا ليتفكه بها الانسان واعلم ان كل شيء ينبت من الارض فاما ان يكون
له ساق او لا يكون فان لم يكن له ساق فاما ان يكون له كمام فهو الحب واما ان لا يكون
له كمام فهو الحشيش وهو المراد ههنا بقوله ونباتا والى هذين القسمين
وقعت الاشارة بقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم واما الذي له ساق فهو الشجر
فاذا اجتمع من الاشجار شيء كثير سميت جنة وظهر بما ذكر انحصار ما نبت من الارض في

هذه الاقسام الثلثة وقدم ذلك الحب لانه هو الاصل في الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج سائر
الحيوانات واخرت الجنات في الذكر لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه جمع لف
اختلفوا في الالفاف وذهب صاحب الكشاف الى انه لا واحد كالاوزاع والاخياف
الاوزاع الجماعات المتفرقة كالاخياف فانها ايضا بمعنى الجماعات المتفرقة المختلطة ومنه
الاخياف للاخوة من اباء شتى وام واحد وكثير من اهل اللغة اثبتوا له واحدا
ثم اختلفوا في واحده قال الاخفش والكسائي واحدها لف بالكسر كجذع واجذاع
وقيل لف بالضم وانكر المبرد الضم وقال بل واحدها لفاء وجمعها لف وجمع لف
الفاف فيكون الفاف جمع الجمع وذلك لان الاصل لف في المذكر ولفاء في المؤنث
كاحمر وحمراء ثم جمعا على لف كحمر ثم جمع لف على الالفاف لان لف لما صار على زنة
فعل المفرد جمع جمعه كما نقول قفل واقفال نقل الزمخشري هذا القول عن ابي
قتيبة ثم قال وما اظنه واجدا له نظيرا في نحو خضر واخضار وحمر واحمار كانه لا
يستبعد هذا القول من حيث ان نظائره لا تجمع على افعال فانه لا يجمع خضر على اخضار
ولا حمر على احمار مع انهما جمعا لاحمر وحمراء واخضر وخضراء فمنع هذا الاستبعاد نظر
بالقياس صح
لان الجمع لا يحتاج بالقياس الى نظائره من الجموع بل يكفي ان يكون له نظير في المفردات
فلفظ لف لما كان نظير القفل وقفل في حيث الوزن صح ان يجمع على افعال ولا يضره
عدم استعمال احمار واخضار ولهذا امتنعوا من تكسير مفاعل ومفاعيل لعدم نظيرهما
في المفرد حتى يحملا عليه ثم قال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتف بتقدير حذف
الزوائد لكان قولا وجيها وليس هذا بوجه مما نقل عن ابي قتيبة لان بناء الجمع
بتقدير حذف الزوائد لا نظير له ايضا وكانه قاس الجمع على تصغير الترخيم وهو ان
يحذف الزوائد كلها في الاسم ثم تصغر على ما بقي نحو ان يقال حميد في احمد ومحمد
ومحمود ولا يتاتى بالالتباس ثقة بالقرائن سويد في اسود وخريج في مخرج ومنه

هذا التصغير يسمى تصغير الترخيم لما فيه من الحذف للتخفيف فشبهوه بالترخيم المصطلح
وهو يسمع من النحاة ان يحذف زوائد الاسم ثم يجمع ما بقي منه وهذا الذي ذكرنا توضيح
لما اورده صاحب الكشف على جعل الفاف جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد بقوله وفيه
انه لا نظير له ايضا لان تصغير الترخيم ثابت واما جمعه فلا انتهى ايراده وقيل
يحتمل ان يكون جمع لفيف كشريف واشراف   جنة لف وعيش معرق ونداى
كلهم بيض زهر يقال عيش مغدق اى ناعم والغدق الماء الكثير وبناء اغدق
للصيرورة والندامى جمع ندمان يقال نادمني فلان على الشراب فهو نديمي وندماني
اى جليسي في مجلس الشراب وبيض اى حسان وزهر جمع ازهر اى ابيض مشرق اللون
والاصل زهر بسكون الهاء نقلت حركة الراء الى الهاء قبلها في الوقف يصف
الشاعر طيب الزمان والمكان وكرم الاخوان   في علم الله تعالى او في حكمه لما
كان الاصل في كان الناقصة الدالة على ثبوت خبرها لفاعلها في الزمان الذي
يدل عليه الفعل بصيغته ماضيا كان او حالا او استقبالا فان كان للماضي ويكون
للحال او الاستقبال وكلمني للاستقبال ومعلوم ان ثبوت الميقاتية ليوم الفصل
غير مقيد بزمان الماضي لانه امر مقرر قبل حدوث الزمان ايضا فلذلك قيده
بعلم الله تعالى او حكمه ولعل المراد بالحكم القضاء والتقدير الازلي وهو غير
العلم عند الاشاعرة لانه عبارة عن الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على
ما هي عليه فيما لا يزال   حدا توقت به الدنيا اى تعين به بقاء عالم
الدنيا بان ينتهي بقاؤه عند الانتهاء اليه ولتوصيف الحد بما ذكر اشارة
الى ان الميقات اخص من الموقت حيث قيد بكونه حدا ينتهي عنده بقاء
الدنيا او بكونه حدا ينتهي اليه الخلايق من الانس والجن كالميعاد والميلاد فان
كل واحد منهما اخص من مطلق الوقت لتقييد الاول بكونه زمان الوعد والثاني

يكون زمان الولادة وقبل الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله تعالى من الثواب و
العقاب او بكونه وقتا لاجتماع الخلائق موقف الحج **قوله** او بيان ليوم الفصل يحتمل
ان يكون مراده انه عطف وانه منصوب باضمار اعني وافواجا حال فاعل تاتون وهذا النفخ
هي النفخة الاخيرة التي عندها يكون الحشر والنفخ في الصور اما بمعنى نفخ الارواح في اجساد
الاموات فيكون الصور جمع صورة كبسرة وبسر واما بمعنى نفخ اسرافيل في البوق
فالصور مفرد ومعناه القرن الذي ينفخ فيه للبعث **قوله** يحشر عشرة اصناف
من امتي ان قيل لم يذكر هيئة حشر المتقين من امته حتى يكون الاصناف المحشورين
احد عشر صنفا قلت لعل الوجه فيه انه لا يخفى على احد ان الذين رضي الله عنهم من
المتقين يحشرون على الصور الحسنة ثم انهم ان كانوا اصنافا كثيرة على حسب اختلاف
الاعمال الحسنة والاخلاق المرضية الا ان اهتمام النبي عليه السلام لا يتعلق ببيان تفصيلهم
بحسب صورهم الحسنة وتفصيل ما ادى الى ان يحشروا عليها من الاعمال والاخلاق الصالحة
بل مطمح نظره ونهاية قصده واهتمامه معرفة هيئات القبيحة في المحشر ومعرفة ما
كان سببا لان يحشروا عليها لان ذلك حصل هيئات اهل المعاصي من الكسبيات المودية اليها
فلم يتعرض لبيان هيئات الصالحين تفصيلا بل اكتفى بالاشارة الاجمالية اليها بقوله من
امتي بمن التبعيضية والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بان يجعل الرجل اعلى
والراس اسفل ثم فسر بالقتات جمع قات وهو النمام وهو تفسير للذين يحشرون
على صورة قردة والثاني للثاني والثالث للثالث وهكذا على ترتيب اللف
والنشر وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التي يحشرون عليها يفضي
الى تطويل الكلام فليطلب من علم التعبير وشققت اي صدعت بعد ان كان شدادا
لا فطور فيها فيكون قوله تعالى وفتحت السماء ههنا بمعنى اذا السماء انشقت واذا السماء
انفطرت بناء على ان الفتح والتشقيق والتفطير متقاربة المعنى قال الامام هذا ليس

بقوي

بقوى لان المفهوم من فتح الباب غير المفهوم من التشقيق والتفطير وربما كانت للسماء ابواب
ثم يفتح تلك الابواب مع انه لا يحصل في جرم السماء تشقق ولا تفطر بل الدلائل السمعية
دلت على ان عند حصول فتح هذه الابواب يحصل التشقق والتفطر والنفاد بالكلية انتهى
ويمكن توجيه ما ذهب اليه المحشي بان الفاء في قوله فكانت ابوابا يدل على ان الفتح سبب
لصيرورة الكل كانه ابواب او ذوات ابواب فلو كان الفتح بمعنى التشقق لا يصح
معنى هذه السببية واما لو كان مستعملا في معناه الحقيقي لكان الابواب حاصلة قبل
الفتح الا انها كانت مغلقة فلا يصح ان يقال فكانت ابوابا الا بتاويل بعيد
وهو ان الابواب قبل الفتح كانها معدومة ثم وجدت بالفتح وقرئ الكوفيون
وهم ثلثة شيوخ من القراء السبعة عاصم وحمزة والكسائي فانهم قرؤا لفظ فتحت
بتخفيف التاء والباقون بتثقيلها للتكثير ولما ورد ان قوله تعالى وفتحت السماء
فكانت ابوابا يفيد ان نفس السماء بكليتها تصير ابوابا فكيف يكون ذلك
وان تلك الابواب في اي حافظه اشار الى توضيح المعنى بوجهين الاول ان قوله
فكانت ابوابا محمول على المبالغة في شان تلك الابواب لما كثرت صار اجزاء
السماء كانها صارت عيونا والثاني انه مبني على حذف المضاف اي
فكانت ذات ابواب وقيل ضمير كانت ليس للسماء بل هو راجع الى مضمر والتقدير
فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا لنزول الملائكة الى المحشر كما قال وجاء ربك
والملك صفا صفا قوله تعالى وفتحت السماء معطوف على قوله فتاتون افواجا
فان قيل فينبغي ان يقال وتفتح السماء ليوافق المعطوف المعطوف عليه فما فائدة
العدول الى الماضي في المعطوف مع ان المعطوف عليه مضارع قلنا فائدة التنبيه على
والاول في المعطوف والمعطوف في معنى الاخر فان في كون المعطوف ماضيا دلالة على انها
واقعة ان التعبير في المعطوف عليه مضارع للاشعار بانهم حكاية حال الآتية تصويرا

لتلك الحالة التي تفوت ادراك السامع ولو جعل حالا على معنى فتاتون افواجا وقد فتحت
السماء لكان وجها **قوله** مثل سرابا حمله على التشبيه البليغ ووجه الشبه ما اشار اليه
من ان يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فاذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئا فكذلك
الجبال اذا سيرت اي نسفت وقلعت من اصولها وقيل اذا سيرت اي ذهبت عن وجه الارض
بحيث ترى الارض تحتها بارزة وذلك بان ترسل الرياح فتطيرها في الهواء غبارا يحسبها
لتكاثفها اجراما جامدة وهي في الحقيقة مارة بسبب مرور الرياح بها فان الجبال
في هذه الحالة وان كانت شيئا موجودا الا انها لما لم يبق على حقيقتها صارت مثل السراب
الذي هو ليس بشيء والهباء الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس
والهباء ايضا دقاق التراب كذا في الصحاح وتسيير الجبال من جملة احوالها عند
قيام الساعة ولها احوال اخر غيرها ذكرها الله تعالى في ايات متفرقة فاول احوالها
الانفكاك والاندكاك ذكره في قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة
وحالتها الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وحالتها الثالثة ان تصير هباء وذلك ان تتقطع
وتتبدد بعد ان كانت كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالتها الرابعة
ان تنسف وتقلع من اصولها لانها مع الاحوال المتقدمة تارة في مواضعها والارض
تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها والمراد من قوله فقل ينسفها ربي نسفا
وحالتها الخامسة ان الرياح ترفعها عن وجه الارض فتطيرها في الهواء كانها غبار وهو
المراد بقوله وهي تمر مر السحاب وبين ان تلك الحركة والمرور حصلت بقهره وتسخيره
اياها فقال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة والحالة السادسة ان تصير سرابا
يعني لا شيء مثله واعلم ان الاحوال المذكورة الى ههنا هي احوال عامة القيامة ومن
ههنا شرع في وصف احوال جهنم واهوالها فقال ان جهنم كانت مرصادا وفي لفظ
كانت اشارة الى ان اهل النار منتظر ومطلوب لجهنم من قديم الزمان على تقدير ان

المرصاد

المرصاد بالمجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد واما على تقدير تفسيره بموضع
رصد ففيه اشارة الى ان اهل النار منتظر ومطلوب من قديم الزمان لخزنة الجنة
يستقبلونهم عند جهنم ويرصدونهم عندها ليحرسوهم من فيحها لان مجاز المؤمنين
كان على جهنم لقوله تعالى وان منكم الا واردها وقيل معناه كانت مرصادا في علم الله تعالى وفيه
مبالغة لا تخفى   كالمضمار استشهاد لكون المرصاد كاسما للمكان الذي يرصد فيه
والضمر والضمور للهزال وخفة اللحم وتضمير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده
الى القوة وذلك في اربعين يوما وهذه المدة تسمى المضمار وكموضع الذي
تضمر فيه الخيل ايضا مضمار وذكر المفتي في المرصاد وجهين الاول ان يكون اسما
لمكان الترقب فان الرصد هو الترقب والثاني انه ابنية المبالغة كالمعطاد
والمطعان والمعمار بمعنى ان جهنم تكثر وتبالغ وتجد في رصد اعداء الله تعالى وتشتاق
عليهم كما قال تكاد تميز من الغيظ فقوله او مجدة يحتمل ان يكون بالجاد المهملة من
احدد النظر اذا توجهت بالشدة والاهتمام فيجوز المرصاد بمعنى المبالغ في
النظر الى الكفار لئلا يشذ واحد منهم   على التعليل بقيام الساعة المدلول عليه
بقوله يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا ومعنى قامت القيمة لان جهنم كانت
مرصاد الاقامة الجزاء لاهل النار بالتعذيب ولاهل الجنة بتنعيمها بعد حراستهم من فيح
جهنم فترصد جهنم بالجد والمبالغة او ترصد الخزنة فيها   علة لقيام الساعة
لان الترقب لا يكون الا لقيامها ثم ان كان المرصاد بناء المبالغة على معنى
ان جهنم كانت تبالغ في ترصد الكفرة يكون للطاغين متعلقا بالمرصاد ويكون
قوله مآبا بدلا من قوله مرصادا وكذا ان كان المرصاد اسما لمكان رصد خزنة النار يكون
للطاغين متعلقا بما قبله ايضا ويكون مآبا بدلا وان كان اسما لمكان ترصد خزنة
الجنة لاهل الجنة او كان اسما لمكان الترصد مطلقا سواء كان الراصدون خزنة الجنة

او خزنة النار يرصد للطاغين متعلقا بقوله مآبا كأنه قيل ان جهنم كانت مرصادا
للمؤمنين او مرصادا للكل ومآبا للطاغين خاصة فيلزم قوله ان جهنم كانت
مرصادا كلاما تاما فيصح الوقف عليه ويكون للطاغين مآبا كلاما مستبدا ثم انه تعالى
لما بين ان جهنم كانت مآبا للطاغين بين كمية استقرارهم هناك فقال لابثين فيها
احقابا فلابثين حال مقدرة من المنوي في قوله للطاغين اي مقدرين اللبث
فيها واحقابا ظرف زمان لقوله لابثين ومعمول له والحقب الدهر وجمعه احقاب
واصل الحقب الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة و
احقبه واحتقبه بمعنى احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كأنه جمعه واحتقبه
من خلفه والمحقب الردف فلذلك فسر المص احقابا بقوله دهورا مترادفة يتبع
بعضها بعضا   وهو ابلغ لان الصفة المشبهة تدل على الثبوت واسم
الفاعل على الحدوث فاللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شأنه
اللبث وهو الاستقرار في المكان ولا يكاد ينفك منه   وليس فيه ما يدل
على خروجهم منها جواب عما قيل ان الاحقاب وان طالت الا انها متناهية وعذاب
اهل النار غير متناهية بالنص نعم لو قيل الاحقاب لم يرد   هذا السؤال لدلالة
اللام على استغراق جميع الاحقاب اجاب المص عنه بوجوه تقرير الاول ان احقابا المنكر
لا تدل على التناهي وانقطاع العذاب اذ لو صح ان الحقب الواحد بضع وثمانون
سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم الف سنة من ايام الدنيا كما روي
كذلك عن ابن عباس رضه وابن عمر رضي الله عنهم وكذا لو صح ان الحقب الواحد سبعون
الف سنة اليوم منها الف سنة مما تعدون كما روي عن الحسن انه قال الاحقاب لا عدد
لا يدري احدنا ما هي ولكن الحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة
مما تعدون فليس فيها ما يدل على تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد لابثين

فيها

فيها احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب اخر هكذا الى الابد ونقول الثاني

انه لو كان فيه ما يدل على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق

الدال على خلود الكفار كقوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها

ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه ونقول الثالث

سلمنا احقابا المنكر يدل على التناهي وعدم التتابع لا الى نهاية لكن تناهي

الاحقاب انما يستلزم تناهي اللبث المقيد لا يستلزم تناهي مطلق اللبث

وذلك ان تناهي الاحقاب يستلزم ما تناهي اللبث المقيد مبني على ان لا يكون

لا يذوقون كلاما مستانفا خبر بذلك عنهم بل يكون حالا من المنوي في لابثين

اي لابثين احقابا غير ذائقين فيها شيئا سوا هما فيكون حالا متداخلة و

يكون قوله احقابا ظرف لابثين المقيد بمضمون لا يذوقون وانتهاء هذا القيد

لا يستلزم انتهاء مطلق اللبث ونقول الرابع ان ما ذكرتم من ان تناهي الاحقاب

يدل على تناهي اللبث فيها المستلزم لخروجهم عنها موقوف على ان لا يكون احقابا

ظرفا لقوله لابثين وهو غير مسلم لجواز ان يكون ظرفا منصوبا بقوله لا يذوقون

على قول من يرى تقديم معمول ما بعد لا عليها فح لا يكون فيه دلالة على تناهي اللبث

والخروج حيث لم يكن احقابا ظرفا للبث ونقول الخامس ان ما ذكرتم مبني

على كون احقابا ظرف لابثين وهو غير مسلم فانه ليس بظرف اصلا بل هو حال

من الضمير المستكن في لابثين بمعنى حقبين اي نكدين وقوله لا يذوقون فيها بردا

تفسير لتكذيبهم ولا يتوهم من تناهي مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه

والمراد بالبرد جهنم وتنفس عنهم حر النار كانه اشارة الى جواب ما يقال

انهم يذوقون فيها برد الزمهرير فكيف قيل انهم لا يذوقون فيها بردا ونقول

الجواب ان تنكير بردا للنوعية اي بردا ينتفعون به ويميلون اليه قال الزجاج

لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شيء له راحة
فيكون قوله ولا شرابا بمعنى ولا ماء باردا تخصيصا بعد التعميم لكماله في الترويح و
يكون قوله ولا حميما وكذا غساقا استثناء منقطعا في البرد والشراب بمعنى
الموضح بمعنى ولكن يذوقون حميما وغساقا والحميم الماء الحار الذي انتهى حره
والغساق صديد اهل النار وان فسر بالزمهرير فاستثناؤه في البرد فقط
دون الشراب لان الزمهرير ليس مما يشرب   او النوم انما سمي النوم بردا
لانه يبرد صاحبه الا يرى ان العطشان اذا نام سكن عطشه وفي امثال العرب
منع البُرُّ البَرد ويكون المراد في البرد الثاني النوم وبالبرد الاول معناه الاصلي
اي اصابني في البرد ما منعني من النوم قال الامام انه فسر الغساق بالبارد كان
التقدير لا يذوقون بردا الا غساقا ولا شرابا الا حميما الا انهما جمعا لاجل
انتظام الاي ومثله في الشعر قول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي   والمعنى كان قلوب الطير رطبا العناب
ويابسا الحشف البالي وجعل المصنف قوله جزاء مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف
وجعل وفاقا صفة لجزاء بتقدير المضاف اي جزاء ذا وفاق او بان يوصف
جزاء بالمصدر مبالغة في موافقتها لاعمالهم اي جزاء موافقا او بان يكون
وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف لجزاء فيكون الجملة صفة جزاء والتقدير
جزوا بذلك جزاء وافق اعمالهم وفاقا ووجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية
عظيمة وهي الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار وكما انه لا ذنب
اعظم من الشرك فكذا الاجزاء اقوى من التعذيب بالنار فتوافقا وقيل انه
وفاقا حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه واعلم انه تعالى بين اجمالا
انهم جوزوا على حسب اعمالهم وجزائهم ثم شرع في انواع جزائهم فبين اولا قوله

قوله

قوتهم العملية بقوله انهم كانوا لا يرجون حسابا اى ينكرون القيمة ولا يخافون
محاسبة يوم الحساب وهو عبارة عن اقدامهم على جميع القبائح والمنكرات وعدم رغبتهم
في شيء من الطاعات والخيرات فان رغبة الانسان في فعل الخيرات وفي ترك المنكرات انما يكون
بسبب ان ينتفع به في الاخرة فمن انكر الاخرة ويوم العرض لا يأتي بالخيرات ولا يمتنع
عن المنكرات فلما كان انكارها منبع كل فساد اكتفى بذكره عن تفصيل ما يتعلق
بباب العمل ولما كان الرجاء من اشق الامور واصعبها على الانسان والشيء الصعب الشاق
لا يقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخشى ويخاف قال مقاتل وكثير من المفسرين ان
قوله تعالى لا يرجون معناه لا يخافون ونظيره قولهم في تفسير قوله تعالى ما لكم لا ترجون
الله وقارا ثم بين فساد قوتهم النظرية بقوله وكذبوا باياتنا اى كانوا
منكرين بقلوبهم للحق مصرين على الباطل فظهر بذلك انهم كانوا قد بلغوا
في البراءة والفساد الى حيث يستحيل عقلا وجود ما هو ازيد منه فلذلك عوقبوا
باهوال العقاب جزاء وفاقا تعالى وكذبوا باياتنا يدل على انهم كذبوا
بجميع دلائل الله تعالى في التوحيد والنبوة والمعاد وحقيقة القرآن وسائر الاحكام
الشرعية وهذا غاية البراءة ونهاية الفساد بحسب القوة النظرية مصدر كذاب
مثل كلم كلاما وخرق خراقا قال صاحب الكشاف وكنت في اعرابية فقال بعضهم
لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله كقوله صدقت وكذبته والمراد ينفعه
كذابة استدل به على ان الكذاب مصدر كذب بالتثقيل في معناه الكذب ووجه
الاستدلال ان كذابا فيه مذكور بعد ذكر الفعل الثلاثي فيدل ذلك على انه
مصدر لذلك الفعل الثلاثي ويحتمل ان يكون الكذاب فيه مصدر الذي باب المفاعلة
للمبالغة من غير النظر الى المشاركة فيكون مصدر كاذب بمعنى كذب كذابا عظيما بالغا
فانه قد يكون الفعل الواقع من واحد في زنة المفاعلة تنبيها على قوة الفعل وكماله

ووجه التنبيه ان المفاعلة للمبالغة والفعل للمبالغة اقوى وابلغ فان الفعل متى
غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالبة فيه لزيادة
ما يكون ثمة من الاهتمام به فانه تع يجازي الله بمعنى يجزيه جزاء عظيما ولفظ المفاعلة
في مثله مجاز شبه الفاعل الذي لا مشارك له في الفعل بمن له مشارك فيه
كونه مبالغا في مباشرة الفعل بالجد والاهتمام فاسند اليه الفعل بصيغة
المفاعلة الموضوعة لان يسند الى احد الشريكين بالنسبة الى الاخر فان
الفعل الصادر من احد المشاركين فيه يكون صدوره منه على جد وقوة لصدوره
منه على قصد الغلبة على المشارك الاخر فان لم يفعل فيمن لا مشارك له فيه
يقصد فيه المبالغة في الباقي قيل كون كذابا المخفف مصدر كذب بالثلاثي
في لغة اهل اليمن فانهم يقولون كذب كذابا مثل كتب كتابا فانه قرئ كذابا
في الاية بالتخفيف يكون انتصابه بكذبوا المشددة على انه مفعول مطلق
من غير لفظ الفعل لكون الفعل بمعناه لان كذبا بالمشددة يتضمن معنى كذبوا
المخفف لان كل مكذب للحق كاذب ويحتمل ان يكون انتصابه بفعل مقدر من لفظه
اي فكذبوا كذابا او المكاذبة عطف على الكذب في قوله بمعنى الكذب اي يجوز
ان يكون كذابا المخفف مصدر كاذب الذي هو للمشاركة او للمبالغة من غير النظر
الى المشاركة ويؤيده اي ويؤيد انتصاب كذابا المخفف على الحالية اي
على المعنيين اي سواء كان بمعنى الكذب والمكاذبة قراءة من قرأ كذابا بضم
الكاف وتشديد الذال فانه جمع كاذب كنصار جمع ناصر وانتصابه على الحال
وجوز ان يكون كذابا في هذه القراءة صيغة مبالغة للفاعل الواحد لا جمعا
مثل رجل كبار ووضاء وحسان فيكون كذابا صفة واحد بالغ في الكذب
وذلك الواحد هو مصدر كذبوا والمعنى وكذبوا باياتنا تكذيبا كذابا اي تكذيبا

مخرجا كذبه ويجوز ان يكون انتصاب كذبا المخفف على تقدير كونه بمعنى المكاذبة
على مصدرية لفعل المقدر وبمعنى وكذبوا باياتنا فكانوا لهم مكاذبة او للكذبوا
المذكور لاستلزامه معنى كاذبوا وقيل في جعله مصدر المفاعلة بناء على ان كلام من
المسلمين والكافرين كاذبوا عند الاخرين نظر لان كل واحد من الشركين
في باب المفاعلة يريد ان يغلب على غيره ذلك الفعل وهذا انما يتصور اذا
اتصف كل منهما بذلك الفعل كخوصم وحال المسلمين مع الكافرين ليس
كذلك لان كلا منهما ينزه نفسه عن الكذب وينسبه الى الاخر انتهى كلامه
فتامل في جوابه وقرئ بالرفع والجمهور على نصب كل شيء بالاضمار
على شريطة التفسير وهو الراجح لتقدم جملة فعلية والمعنى واحصينا كل شيء لما
بين الله تعالى ان قدر احوالهم بحسب قوتهم العملية والنظرية تبلغ الى اقصى
الغاية بين ان تفاصيل تلك الاحوال في كميتها وكيفيتها معلومة له وكذا
ان قدر ما يستحقونه بسببها من العقاب معلوم له فبلوغ المنتهى مقرر لما
ادعاه في قوله جزاء وفاقا مصدر احصينا اما بتأويل احصيناه
بمعنى كتبناه واما بتأويل كتابا بمعنى احصاء بناء على ان الاحصاء و
الكتابة يتشاركان في معنى الضبط عبر عن الاحصاء بالكتابة للدلالة
على قوة علمه وتقرره وتمكنه بحيث لا يتطرق الزوال فان الكتابة هي
النهاية في قوة العلم وتقرره ولهذا قال ع م قيدوا العلم بالكتابة فكانه
قال وكل شيء احصيناه احصاء مساويا في القوة والثبات بالعلم
المقيد بالكتابة فقوله كتابا بقيد تأكيد لذلك الاحصاء بحسب افهامهم
اطلق والا فالعلم المكتوب يقبل الزوال وعلم الله تعالى لا يقبله اصلا
لانه واجب لذاته الواجب او الفعله عطف على احصيناه وقوله او حال

عطف مصدر لاحصيناه فان قيل ان احصاء الله تعالى كل شيء ازلي والكتابة
في اللوح والصحف حادثة فكيف يجعل حالا من مفعول احصيناه مع ان
المقارنة بين الحال وصاحبها كالشرط في تلبس الفعل بها قلنا الازلية لا تنافي
مقارنة الحادثة في بعض الازمان اي في زمان وجوده او نقول معناه
مقدرين الكتابة في اللوح او الصحف وتقديره الكتابة او الحال احصاء
مسببة عن كفرهم بالحساب يريد ان هذا الفاء جزائية دالة على ان الامر
بالذوق مسبب ومعلل بما تقدم من كفرهم وتكذيبهم فيكون قوله وكل شيء
احصيناه جملة معترضة بين السبب ومسببه تؤكد كل واحد من الطرفين لانه
كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل على ان ما يتفرع عليها من العذاب
كائن لا محالة مقدر على حسب استحقاقهم به فان قيل هذه الزيادة ان كانت
غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها في اول الاحوال احسانا والكريم
لا يليق به الرجوع في احسانه فالجواب انها مستحقة وترك المستحق في بعض الاوقات
لا يوجب الابراء والاسقاط حتى يكون ايقاعه بعده رجوعا في الاحسان وجيء
على طريق الالتفات حيث ذكرهم اولا بطريق المغايبة في قوله انهم كانوا لا يرجون
حسابا وفي قوله فذوقوا ذكرهم على سبيل الخطاب ومشافهة وهذا يدل على كمال
الغضب فان قيل قوله تعالى فذوقوا الخ تكرار لانه ذكر بقاءهم لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا الاية قلنا انه تكرار لزيادة المبالغة في تقرير الدعوى فانه لما
شرح اولا احوال العقاب ثم ادعى كونه جزاء وفاقا ثم بين تفاصيل افعالهم
القبيحة ظهر صحة ما ادعاه اولا من ان ذلك العقاب كان جزاء وفاقا فلا جرم لما
ذكر العقاب قال فذوقوا وهذا كما يقال في اثبات حدوث العالم العالم حادث
لانه متغير وكل متغير حادث فالعالم حادث فكذا ههنا ادعى اولا واقام الدليل ثم ادعاه

ثانيا

تلك الفتوى بعينها مبالغة في التقرير   وفي هذا الحديث هذه الآية أشد
ما في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه فيكون
كل مرتبة منه متناهية في الشدة وإن كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة
كما أشار إليه سابقا   فوزا على أن يكون المفاز مصدرا ميميا ثم الفوز قد يطلق
على الظفر بالنجاة من المكروه ولذلك يقال للفلاة إذا قل ماؤها مفازة تفؤلا
بالخلاص منها وقد يطلق على الظفر بالمجموع الأخروي فالظاهر أن المراد بالفوز
في الآية الظفر بالمطلوب لأنه قد فسره بما بعده وهو قوله تعالى حدائق وأعنابا
فوجب أن يكون المراد من المفاز هذا القدر فإن قيل الخلاص من الهلاك أهم من الظفر
باللذات فلم أهمل الأهم وذكر غير الأهم قلنا لأن الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز
بالنعيم لكونه حاصلا لأصحاب الأعراف مع أنهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز
فإنه يستلزم الخلاص من الهلاك فكان ذكره أولى   بدل الاشتمال أو
البعض بدل الاشتمال ظ على تقدير كون مفازا مصدرا ميميا لأن الفوز
يدل على الحدائق والأعناب والكاشي دلالة الالتزامية ولا معنى للاشتمال إلا دلالة
المبدل منه على البدل بتلك الدلالة لأنه حينئذ يكون المبدل منه كالمشتمل على
البدل وقد يبقى في موضعه وكذا التقدير من مفازا اسم موضع يصح كون أعنابا
وكذا بدل الاشتمال منه ولا يصح ذلك في حدائق لأنها بعض المفاز فلا يكون بدل
الاشتمال منه وأما بدل البعض فلا يصح على تقدير كون مفازا مصدرا وهو ظ و
على تقدير كونه اسم موضع يصح في الحدائق لأنها بعضه ولا يصح في الأعناب
والكل لأنها ليست بعضا منه والحق أنه يجوز أن يكون الشيء بدل البعض والمعطوف
على ذلك الشيء بدل الاشتمال أو غيره وبالعكس فكان قوله بدل الاشتمال أو البعض
مانعة الخلو أي لا يخرج عنهما سواء كان المفاز مصدرا ميميا أو اسم موضع

فلكت ثدييهن اى استدار وصار كالكعب في النتوء يقال فلك ثدي الجارية
تفليكا استدار كفلكة المغزل   لدات جمع لدة ولدة الرجل تربه وقرينه
في السن والهاء في لدة عوض من الواو الذاهبة من اوله من الولادة   ملآنة
فوقها مصدر على وزن فعال بمعنى مدهقة اى مملوءة وصف به الكاس
للمبالغة في امتلائها اللغو في الكلام ما يلغى ويطرح لعدم الفائدة لا يسمعون
فيها اى في الجنة وقيل في الكاس وهو الخمر في غالب الاستعمال والمراد به هنا القدح
الذي فيه الخمر بقرينة وصفه بالدهاق واهل الشرب في الدنيا تتغير عقولهم
فيجري بينهم لغو في الكلام التي يشربونها بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا
لا تتغير عقولهم فلا يتكلمون باللغو من الهذيان والصياح والعدوان ويكذب
بعضهم بعضا حين يسمعوا شيئا من ذلك   بمقتضى وعده اشارة الى جواب
ما قيل انه تعالى جعل الشيء الواحد جزاء وعطاء وهو غلط لان كونه جزاء يستدعي
عدم الاستحقاق والجمع بينهما جمع بين المتنافيين وتقرير الجواب ان ذلك
الاستحقاق انما ثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الطاعة توجب الثواب على الله
تعالى فذلك الثواب بالنظر الى وعده تعالى اياه بمقابلة الطاعة يكون جزاء وبالنظر
الى انه لا يجب على الله تعالى لاحد شيء يكون تفضلا وعطاء وانتصاب جزاء على
انه مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بقوله ان للمتقين مفازا كانه قيل
جازى المتقين بمفاز جزاء   وهو بدل اى قوله عطاء بدل من قوله جزاء
بدل الكل من الكل لان العطاء والجزاء متحدان ذاتا وان تغايرا في المفهوم
فمن جعله بدل في نكتة لطيفة وهي ان بيان كونه عطاء وتفضلا منه تعالى
هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة اليه فان حق البدل ان يكون مقصودا
بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة اليه   منتصب به المفعول به يعني

انه

انه قيل ان عطاء منصوب على انه مفعول به لجزاء بمعنى جزاهم عطاء على ان
العطاء بمعنى المعطى من الاعيان قيل عليه انتصاب جزاء على انه مصدر مؤكد
لمضمون الجملة التي هي قوله ان للمتقين مفازا والمصدر انما يعمل اذا كان
بمعنى ان مع الفعل والمفعول المطلق لا يكون كذلك اذ يقال ضربت ان ضربت
اذ لا يؤكد الفعل بان مع الفعل بل بالمصدر الصريح قال سيبويه في كتابه
ويعمل عمل فعله ماضيا كان او غيره اذا لم يكن مفعولا مطلقا واجيب عنه
بانه لا يلزم من عدم جواز تاكيد الفعل بان مع الفعل لفظا عدم كون المفعول
المطلق بمعنى ان مع الفعل معنى لجواز ان يكون حكم صريح ان مع الفعل متحدا
مع حكم ما هو بمعنى صريح ان مع الفعل لجواز ان يؤكد الفعل بالمصدر الذي
هو بمعنى صريح ان مع الفعل مع انه لا يجوز ان يؤكد بصريح ان مع الفعل فاذا
جاز ان يكون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل جاز ان يكون عاملا
كافيا اشارة الى حسابا صفة لعطاء فهو مصدر اقيم مقام محسبا اي
كافيا من قولهم اعطاني فاحسبني اي ما كفاني ومنه قول ابراهيم حسبي من سؤالي
علمه بحالي اي كفاني من سؤالي ويقول احسبت فلانا اذا اعطيته ما يكفيه
حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم والتقدير على هذا عطاء بحساب
فحذف الجار ونصب الاسم وفي الصحاح حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا
اذا عددته وقدرته وتفسير حسابا بقوله على حسب اعمالهم اي عطاء كائنا على قدرها
وعددها مبني على تلك اللغة والتفسير الاول مبني على كونه من قول الجوهري احسبه
الشيء اي كفاني واحسبه وحسبه بالتشديد بمعنى اي اعطيته ما يرضيه وتحسبه اي
تعطيه حتى يقول حسبي وحسبك درهم اي كفاك والله اعلم انتهى والظاهر
ان يقال على حسبها وعدله من الاصناف في مقابلة اعماله فانه قدر الجزاء

على ثلثة اوجه وجه منها على عشرة اصناف كما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ووجه على سبعمائة ضعف كما فى اية السنبلة ووجه على ما لا نهاية له كما قال
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فان قول المص على حسب اعمالهم يفهم منه
كون الجزاء مثل العمل وذلك انما يكون فى السيئة لا فى الحسنة والكلام فى جزاء
المتقين وجزاؤهم لا يكون مماثلا لاعمالهم البتة فلا بد ان يكون مراد المص
نوع الاصناف الموعودة من الجزاء على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له
من الاصناف   وقرئ حسابا بالفتح وتشديد السين بمعنى عطاء محسبا
اى كافيا على انه صيغة المبالغة من اعطاه ما احسبه اى كفاه تدل على
المبالغة فى الكفاية وقيل فعال ان بنى من الثلاثى وان يكون مبالغة
فاعل وحسابا هنا فعال من افعل مبالغة مفعل كما يقال اجبره فهو جبار
اى مجبور وادرك فهو دراك اى مدرك واحصى الشئ فهو حصار
اى مقصر   وقد رفعه الحجازيان وهما نافع المدنى وعبد الله بن كثير المكى
انما قال على الابتداء رجح لعدم احتياجه الى الحذف   الرحمن بالجر
صفة لربك او اسم الرب والرحمن ثلثة اقوال رفع الاسمين لابن كثير ونافع وابى عمرو
وخفضهما لابن عامر وعاصم وخفض الاول ورفع الثانى لحمزة والكسائى اما
رفعهما فبان يكون كل واحد منهما خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو رب السموات
هو الرحمن او بان يكون الاول مبتدأ والثانى خبر عنه فيكون قوله لا يملكون ~~استينافا~~
استينافا او بان يكون الاول مبتدأ والثانى صفة ولا يملكون خبره واما جرهما
فلما ذكره المص من كون رب السموات بدلا من ربك والرحمن صفته واما جر
الاول فلكونه بدلا من ربك ورفع الثانى فلكونه مبتدأ ولا يملكون خبره او
لكونه خبر مبتدأ محذوف ولا يملكون استينافا وخبر بعد خبر   لا يملكون

خطابه

خطابه يدل على ان في منه زيادة والظاهر انه متعلق بيملكون والمعنى لا يملكون
من جهته تعالى خطابا واحدا اى لا يمكنهم الله تعالى ان يخاطبوه كما تقول
ملكت منه درهما خفيفون من لابتداء الغاية الا ان هذا الوجه وان كان ظاهرا
بحسب العبارة الا انه بعيد بحسب المعنى اذ المعنى انهم لا يستمعون من عند انفسهم
في حضرة الله تعالى ومكالمته من حيث انهم في انفسهم مملوكون والمملوك لا يستحق
على مالكه شيئا الا انه تعالى لا يمكنهم من ان يخاطبوه كيف وانه ينبغي ان يشفعوا
عنده باذنه بخلاف ما لو جعل من زائدة فان الكلام ح يدل على نفي ان يملكوا
خطابه وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه لانها من حيث انها تحصل بفضله
واحسانه غير مملوكة لهم بحسب انفسهم والاعتراض على احد عبارة عن ان يتكلم في
اثناء كلامه وحكمه من لا تعلق له بما فيه من المصلحة والمراد من ايراد لفظ
الاعتراض ههنا الاحتراز عن حصول الشفاعة باذنه من الخطاب وانما قيد
بقوله في ثوابا وعقابا كالاشارة الى وجه ارتباط هذه الاية بما قبلها
من وعيد الكفار ووعد المؤمنين فالمعنى لا يملكون ان يخاطبوه فيما سبق
من الثواب والعقاب فاذا هؤلاء الذين هم افضل الخلائق اشارة
الى ان في هذه الاية دلالة على ان الملائكة افضل من البشر وذلك لان المراد
من الاية ان الملائكة والروح مع كونهم افضل المخلوقات واكثرهم لما لم يقدروا
ان يتكلموا في موقف القيمة اجلالا لربهم وخوفا منه وخضوعا له فكيف يكون
حال غيرهم اى عدم قدرة غيرهم عليه اولى ومعلوم ان الاستدلال لا يتم الا اذا
كانوا افضل الخلائق وتقرير المص محل بحث لان المستفاد من نظم الاية ٨
انحصار قدرة التكلم بالصواب في الاذن به فلا مطابقة بين الاية وبين
تقرير المص من وجهين احدهما ان المفهوم من الاية انحصار قدرة التكلم المطلق

وفي تقرير المص انحصار قدرة التكلم المقيد وثانيهما ان المفهوم في الاية
انحصار القدرة فيمن اذن له وقال صوابا وفي تقرير المص انحصارها فيمن
اذن له فقط وجوابه انه لما استفيد في الاية انه لا يبقى القدرة على التكلم
المطلق عنده في اجتماع ان يكون المتكلم ماذونا منه تعالى وان يكون ذلك الكلام
الذي تكلم به صوابا حقا استفيد منها انه لا يبقى القدرة على التكلم بالمطلوب
في كون المتكلم به ماذونا منه تعالى فيه فتقرير المص بيان لمحصول معنى الاية لا
مطابق لها يوم ظرف لا يملكون قبله ولا يتكلمون اما حال في فاعل
يقوم اي ساكتين غير ناطقين واما مستانف لبيان حال الروح و
الملائكة وعلى تقدير كونه مستانفا يكون قوله الا من تقرير وتوكيد لقوله
تعالى ولا يتكلمون وعلى تقدير كونه حالا يكون قوله لا يملكون الى قوله صوابا
كلاما واحدا والتقدير يستدعي ان يتحقق كلامان يقرر احدهما مضمون الاخر
وذلك انما يظهر اذا كان يوم ظرفا لقوله لا يتكلمون وكانت الجملة مستانفة لبيان
حال الروح والملائكة فكل من لا يخفى اضطرابه اختلفوا في الروح في هذه الاية
فعن ابن مسعود رضه انه ملك اعظم من السموات والجبال وعن ابن عباس رضه
انه ملك من اعظم الملائكة خلقا وعن مجاهد انه خلق على صورة بني ادم ياكلون
ويشربون وليسوا بناس وعن الحسن وقتادة هم بنو ادم وعلى هذا معناه
ذوو الروح وعن الضحاك والشعبي هو جبريل عم قيل هذا القول هو المختار
لان القران يدل على ان هذا الاسم اسم جبريل عم واثبت ان القيام صحيح من جبريل
ويصح ان يتكلم ويؤذن له فيه فكيف يصرف هذا الاسم عنه الى خلق لا نعرفه
صفقا حال فيحتمل ان الروح على اختلاف المذكور وجميع الملائكة يقومون صفا
واحدا ومجموعا ان يكون المعنى يقومون صفين على ما روى ان الروح ملك ما خلق

الله

الله بعد العرش اعظم منه ولا اعظم خلقه مثل صفوفهم فاذا كان يوم القيمة قام وحده
صفا وقام الملائكة كلهم صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفوفا اي
مصطفين لان الصف في الاصل مصدر فيطلق على الواحد والجمع فان قوله تعالى
وجاء ربك والملك صفا صفا يدل على انهم يقومون صفوفا وقوله تعالى الا من
اذن له الرحمن يجوز ان يكون في موضع الرفع على البدلية من واو لا يتكلمون وهو الارجح لكونه
غير موجب ومستثنى منه مذكور فهو مثله مختار البدل وان يكون منصوبا على اصل
الاستثناء والمعنى لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال ذلك الشفيع
المأذون له بالشفاعة كلاما يناسب ذو قيل المعنى لا يتكلمون بالشفاعة لاحد الا لمن
اذن له الرحمن اي الا في حق شخص اذن الرحمن لهم في شفاعته وكان ذلك الشخص
ممن قال صوابا يعني حقا بان يقر بالتوحيد والرسالة وحقيقة جميع ما جاء به
الرسول عم قال ابن عباس رضه يشفعون لمن قال لا اله الا الله فعلى هذا
يكون من اذن له الرحمن في موضع الجر على جار محذوف اي لمن اذن له وضمير قال
راجع الى من الذي اريد بالمشفوع له والخطاب في قوله انا انذرناكم لمشركي
العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث ويوم ظرف لمحذوف اي انا
انذرناكم عذابا كائنا يوم ينظر المرء عمله الذي قدمه والمرء عام للمؤمن والكافر
لان كل احد يرى عمله في ذلك اليوم مثبتا في صحيفته خيرا كان او شرا فيرجو المؤمن
ثواب الله تعالى على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئه واما الكافر فيقول
يا ليتني كنت ترابا قال ابو الزناد لما اقتص من الخلائق حتى للجماعة من
القرناء يقال لسائر الامم من البهائم والطيور ولمؤمني الجن عودوا ترابا
فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا
حيث لا يتوقع العفو ويبقى بالخلود في العذاب الاليم وقال ليث ابي

ويليه اجودهما اولها الافتتاح بالنبأ العظيم
انه من يبعثنا وهو والاختتام بذكره
في قوله يوم ينظر المرء الى اخره

ابي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي و
مجاهد مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها وهذا اصح فانهم مكلفون
مثابون ومعاقبون كبني ادم كذا في اللباب والمنادى في قوله يا ليتني محذوف
اي يا قوم وكنت ترابا في محل الرفع على انه خبر ليت

وهي نازعة الواقعة صفة لطائفة من الملئكة انثت صفة الملئكة باعتبار
كونهم طائفة ثم جمعت تلك الصفة فقيل نازعات وناشطات كما في والمرسلات النزع
جذب الشيء بشدة والنشط برفق ولين والاغراق في النزع التوغل فيه والبلوغ
الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى
الى النصل ذكره المحلي ولا احتمال ان يكون هذه الصفات كلها لموصوف واحد
وهو طوائف ملائكة الموت والعطف لتغاير الصفات وقد فسر قوله غرقا
بتفسيرين الاول انه مصدر بمعنى الاغراق فالاسم الغرق والاغراق في اللغة
بمعنى واحد فيكون انتصابه على انه مفعول مطلق للنازعات لان الشرط
اتفاق المصدر مع عامله في المعنى وهو حاصل ههنا لان الغرق نوع من النزع
قال ابو البقاء غرقا مصدر محذوف الزوائد اي اغراقا في النزع والثاني انه
مصدر بمعنى الصفة المشبهة او هو مخفف غرقا بكسر الراء حذف موصوفها
وهو النفوس وتذكير صفتها باعتبار الجنس فيكون انتصابه على انه صفة لمفعول به
محذوف لفعل النزع او نفوسا غرقة عطف على قوله اغراقا فان قيل على تقدير
ان يكون غرقا صفة للنفوس هل يكون المراد بالنفوس ما يعم نفس المؤمن والكافر
او خاصا بالكافر قلنا خاص بالكافر بقرينة النزع والنشط لان قوله تعالى و
النازعات غرقا والناشطات قسم بملئكة الموت واعوانه الا ان الاول

انه

اشارة الى كيفية قبض ارواح الكفار والثانية الى كيفية قبض ارواح المؤمنين
ووجه التخصيص ما قررنا من الفرق بين النزع والنشط وان نزع الشيء جذبه
بشدة والنشط جذبه برفق فالملائكة تنشط ارواح المؤمنين كما ينشط
الدلو من البئر وتنزع ارواح الكفرة كما تنزع الاشجار المتفرقة العروق في
اطراف الارض وكما يسلخ جلد الحيوان وهي حي ولان نفوس المؤمنين ليست
بمغرقة في اجسادهم من حيث انها تطير الى عالم القدس في اوقات توجهاتهم وخلواتهم
ويسبحون في اخراجها سبح الغواص اشارة الى ان قوله والسابحات سبحا استعارة
تبعية شبه ملابسة ملائكة الموت اياه في نزع الارواح ونشطها بسبح الغواص لاخراج
الشيء من اعماق البحر فانه يتحرك برفق ولطافة لئلا يغرق فكذا الملائكة يرفقون في
ذلك الاخراج لئلا يصل اليه الم وشدة ثم استعمل لفظ السبح في تلك الملابسة ثم
اشتق منه السابحات قال القرطبي السابحات الملائكة تقبض ارواح المؤمنين
يسلونها سلا رويدا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يسلونها سلا رفيقا ثم
يدعونها تستريح كذا قاله الكلبي والسابح في الماء كذلك كذا في التيسير
فيسبقون بارواح الكفار الى النار ان قيل السبق لا بد له من المسبوق فاين المسبوق
هاهنا قلنا السبق هنا كناية عن الاسراع في ايصال كل واحد من الارواح
الى منزله لان السبق من لوازم الاسراع وايضا ارواح الكفار تسبق الارواح
عصاة المؤمنين في دخول النار وايضا ان ارواح المؤمنين تسبق ارواح
الكفار بمعنى انهم يدخلون الجنة قبل دخول اهل النار النار بمقتضى قوله تعالى
سبقت رحمتي غضبي والله اعلم والفاء في قوله فالسابقات وقوله فالمدبرات
للدلالة على ان السبق يعقب الصفات السابقة وكذا تدبير الثواب والعقاب
يعقب الادخال في الجنة والنار واعلم ان هذه الصفات الخمس للموصوف

واحد

يقتضي ان يكون ملائكة الموت غير ملائكة الرحمة والعذاب حيث ذكروا ان ملائكة
الموت بعد قبض الارواح فلهم للجنة او النار وبعد الادخال يدبرون امر عقابها
وثوابها ولعل قول المحشي بان يبعثوها اشارة الى دفعه فليتامل
او الاولياء لهم عطف على قوله هذه صفات ملائكة يعني ان الاولياء في الكلمات
الخمس وهما قوله والنازعات غرقا والناشطات نشطا صفتا ملائكة الموت والثلث
الباقية لطوائف الغزاة فيكون قوله والسابحات سبحا ثانيا والواو فيها للقسم والكلمات
اللتان بعدها عطف عليها على طريق عطف الصفة على الصفة كما ان قوله والنازعات
قسم ابتدائي وقوله والناشطات عطف عليه ففي الكلام قسمان اقسم اولا بطوائف
ملائكة الموت وثانيا بطوائف الغزاة ينزلون من السماء مسرعين شبههم في سرعة
نزولهم بمن يسبح في الماء واستعارة السبح للاسراع شايع كما يقال للفرس
الجواد انه السابح او صفات النجوم عطف على قوله صفات ملائكة الموت
فالنازعات على هذا بمعنى الذاهبات في ديوان الادب نزع اليه اي ذهب فانها تطلع
وتغرب بالنزوع والشوق غرقا حال من المنوي في النازعات اي وطوائف النجوم
الذاهبات من المشرق مغرقات اي متوغلات في الذهاب بالغات الى اقصى
درجاتها وغرقات اي غائبات في افق المغرب فعلى هذا يكون النازعات اشارة
الى طلوعها وغرقا اشارة الى غروبها وقوله تقطع الفلك اشعر بان النجوم
يتحرك بنفسها في الفلك بحيث يكون الفلك فيه لحركتها مثل كون الارض
فانه للحركة الاينية الواقعة عليها والظاهر ان الامر ليس كذلك بل ان النجوم
مركوزة في الافلاك تتحرك بحركتها وانما قال تقطع الفلك نظرا الى انا نراها
انها تتحرك فيه حركة اينية وكذا الكلام في السابحات وقوله وتنشط من برج
الى برج نقل الامام بهذا المعنى عن صاحب الكشاف ثم قال واقول رجع

حصر

كلفنا والفعل الا ما صح الوجه
حيث مع سه

حصل بهذا الكلام ان قوله والنازعات عن اشارة الى حركتها اليومية
والناشطات نشطا اشارة الى انتقالها من برج وهو حركتها المخصوصة بها في
افلاكها الخاصة والجبلي ان حركتها اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست
قسرية بل ملايمة لذواتها فلاجرم عبّر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط
فتامل بهذا المسلك في هذا الاسرار فالمدبرات امرا ينطق بها ان قيل قال الله
ان الامر كله لله فكيف اثبت التدبير في الامور هنا لغيره والجواب انه تعالى
لما خلق الاشياء بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها كان الامر كله لله وصح
اسناد التدبير اليها من حيث كونها مخلوقة على الوجه المذكور فان قيل لم قال فالمدبرات
امرا ولم يقل امورا مع ان المصالح المترتبة عليها امور كثيرة والجواب المراد به
الجنس فيقوم مقام الجمع لذلك او صفات النفوس الفاضلة فانها تنزع
على صيغة المجهول لان تلك النفوس منزوعة عن الابدان فاطلاق النازعات عليها
كاطلاق تامر ولابن بمعنى ذات تمر ولبن او ذي تمر فان تلك النفوس اذا كانت
منزوعة كانت ذوات نزع فيصح ان يقال انها نازعة على قياس اللابن والتامر
وانما قيد النفوس بالفاضلة لان النشاط الى عالم الملكوت والسباحة فيه والسبق
الى حظاير القدس وتدبير النفوس الناقصة انما يتصور في النفوس الفاضلة فان
النفوس البشرية الخالية عن العلايق الجسمانية المشوقة الى الاتصال بالعالم
العلوي بعد خروجها من ظلمة الاجساد تذهب اليه على اسرع الوجوه في روح
وريحان فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة ثم لاشك ان مراتب النفوس
الفاضلة في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال بعالم الملكوت مختلفة فكلما كانت
اتم في هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك العالم اسبق وكلما كانت اضعف كان سيرها
اثقل ولاشك ان الارواح التي هي اليه اشرف فلاجرم وقع القسم بها حيث قال

وان تفاوتت سبقا ثم ان هذه النفوس الشريفة لا يبعد ان يظهر منها آثار فيها وقوتها
اثاره هذا العالم فتكون مدبرات الامر في الانسان فقد يرى في المنام ان بعض الاموات
يرشده الى مطلوبه   او حال سلوكها عطف على حال المفارقة اي انها صفات
نفوس حال سلوكها   اقسم الله بها على قيام الساعة يريد ان جواب القسم
محذوف تقديره ان القيامة واقعة يدل عليه قوله تعالى والذاريات ذروا ثم قال
انما توعدون لصادق وقوله تعالى والمرسلات عرفا انما توعدون لواقع فكذا
ههنا فان القرآن كالسورة الواحدة وقوله يوم ترجف الراجفة منصوب
بالجواب المحذوف فان قيل كيف يصح هذا مع ان القيامة لا تقع يوم الراجفة وهي
النفخة الاولى التي يموت فيها الاحياء بل انما تقع عند النفخة الثانية وبينهما
اربعون سنة قلنا المراد بيوم ترجف الراجفة الوقت الواسع الذي يحصل
فيه النفختان ولا شك انها تقع في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة
الثانية ويدل على ما قلنا ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة فانه
يستلزم كون رجفان الراجفة واقعا في حال كون الرادفة تابعة لها وان يكونا في
زمان واحد لان الحال يجب ان يكون حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها و
ذلك لا يتصور الا بان يكون المراد باليوم الوقت الواسع والرجفة والرجف الحركة
والاضطراب لقوله تعالى يوم ترجف الارض وترجف بكونه فعلا مسندا الى [illegible]
كونه قائما بها على وجه الحدوث والحركة انما تحدث في الاجرام الكثيفة
فكذلك تفسير الراجفة بالاجرام الكثيفة التي تعرض لها الحركة   او الواقعة
التي ترجف عندها الاجرام وهي النفخة الاولى اسند اليها الرجف مجازا على اسناد
الفعل الى سببه فان حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الاجرام الكثيفة لان
فسر الراجفة بنحو الارض والجبال من الاجرام الكثيفة يكون اسناد الرجف

اليها

الى حقيقة ويكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة كالسماء والكواكب لان انشقاق
وانتثار كواكبها يحصل اثر حركة الراجفة   او النفخة الثانية هذا على تقدير ان
تفسير الراجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل ما جاء بعد شيء انه يقال ردفه اي
جاء بعده كالنفخة الثانية تجيء بعد الاولى وكتغير احوال الاجرام المتحركة كانفطار
السماء وانتثار الكواكب فانه يردف ويجيء اثر تحرك السواكن وتزلزلها
وهي صفة القلوب اشارة الى وجه صحة الابتداء بقلوب وهو نكرة
يعني انه وان كان نكرة لكنه موصوفة بقوله واجفة والنكرة الموصوفة يجوز
ان يكون مبتدا و يومئذ منصوب بواجفة وابصارها مبتدا ثان وخاشعة
خبره وهو مع خبره خبر الاول واضيف الابصار الى ضمير القلوب مع ان القلوب
لا ابصار لها بتقدير المضاف واشار المص بقوله اي ابصار اصحابها او يرد
على تقدير الاصحاب ايضا   يقولون قال الامام خصص القلوب بالراجفة
ولم يعرفها بلام الاستغراق بان يقول القلوب يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل
ان اهل الايمان لا يخافون بل المراد به قلوب الكفرة ومما يؤكد ذلك انه تعالى
حكى عنهم انهم يقولون ائنا لمردودون في الحافرة وهذا كلام الكفار لا كلام
المؤمنين   ولذلك اي ولاجل ان ذلة ابصارهم من الخوف بحيث يترقبون
اي شيء ينزل عليهم من الامور العظام اضاف الابصار الى القلوب لانها محل
الخوف وهو من صفاتها واضافة الابصار لما كانت في معنى توصيفها بتلك
الاضافة اشعرت بكونها علة للحكم بالذلة وان سبب ذلتها ما في القلوب من الخوف
ثم انه تعالى حكى عن منكر القيامة والبعث اقوال ثلثة اولها قولهم ائنا لمردودون
في الحافرة وثانيها قولهم ائذا كنا عظاما نخرة وثالثها قولهم تلك اذا كرة
خاسرة وهذه الاقوال صدرت عنهم في الدنيا استبعادا للبعث وتعجبا منها

روعي طريق اللف والنشر المرتب فانه هو النفخة في الرجفة عند النفخة الدنيا تضطرب منه الاولى

والمعنى ان الاجرام المتحركة بتغير احوالها تتبع اجرام الساكنة في رجفانها منه

نظر

تحفرها اى اثرفيها بمشيه فالحافر فى الحقيقة هو الماشى فى تلك الطريقة وان
الطريق محفورة الا انها سميت حافرة لما قيل عيشة راضية وماء دافق فان
حق هذه الالفاظ ان يبنى لفاعل لكنها اسندت الى المفعول على النسبة اى منسوبة
الى الحفر والرضى والدفق او تشبيها للقابل بالفاعل فى ان وجود الفعل يتوقف
على وجود كل واحد من القابل والفاعل كما يقال صيام نهاره تشبيها للزمان
بالفاعل والحصر ان الرجوع فى الحافرة على الاصل عبارة عن الرجوع الى الطريقة الفصل
التى سلكها اولا واثرفيها بمشيه عليها ثم اطلق على الرجوع فى الاحوال
من اخر الحال الى اولها قال الواحدى الحافرة عند العرب اسم لاول الشيء و
ابتداء الامر قال الشاعر احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه
وعار يقول ارجع الى ما كنت عليه فى شبابى من الغزل والتصابى بعد ان
شبت وصلعت ثم قال معاذ الله هذا سفه ظاهر وعار شديد فظاهر
ان معنى الاية انرد الى اول امرنا ونرد الى ابتداء امرنا فنصير احياء كما كنا
يقال حفرت اسنانه اى اثر   فى اصولها الحفر حفرا اى فصارت
ذوات حفر فى ظاهرها وباطنها والحفر والحفر سلاق فى اصول الاسنان وكون
الحفرة فى هذه القراءة الارض التى تغيرت وانتنت باحيائها او باجسام الموتى
والمعنى ائنا لمردودون ونحن فى الارض المتغيرة بموتاها واجسادهم فقوله
فى الحافرة على هذا فى موضع الحال من فاعل المردودون وقيل الحافرة بمعنى المحفورة
ومفصورة منها قال بعضهم الحافرة وجه الارض التى تحفر فيها قبورهم
سميت حافرة بمعنى المحفورة كعيشة راضية بمعنى مرضية فيكون فى الحافرة
حالا   وقرا نافع وابن عامر اذا مفعول لقوله لمردودون على قراءة
من قرا ائنا على الخبر واما من قرا ائنا على الاستفهام فعامله محذوف يدل عليه

لمردودون

لمردودون والتقرير انرد اذا كنا عظاما نخرة وفيه زيادة لاستبعاد للبعث
وانما قلنا ان العامل محذوف لان حرف الاستفهام يمنع من ان يكون ما بعدها معمولا لما
لما قبلها وهي ابلغ لان فعلا من صيغ المبالغة اولانه صفة مشبهة دالة
على الثبوت فان لفظ فاعل انما يطلق على من صدر الفعل ولفظ فعل يطلق
على من كان الفعل فيه غريزة وكان الغريزة فالنخرة والناخرة لغتان بمعنى واحدة
كالطمع والطامع واللبث واللابث وفعل ابلغ والنخرة البلي يقال نخر
العظم او الخشب بكسر العين اذا بلي وتفتت وصار بحيث لو مس لتفتت
وقيل النخرة غير الناخرة اذ النخرة بمعنى البالية واما الناخرة فهي العظام
الفارغة المجوفة التي يحصل فيها صوت من هبوب الريح كنخير النائم والمجنون
لا من النخر التي هي البلى واعلم ان اصل شبهة من احتج على انكار البعث بقوله
البعث بقوله انذا كنا عظاما نخرة اي ما يشير اليه كل احد بقوله انا هو هذا الجسم
والهيكل المخصوص فاذا مات فسدت تركيبه فيمتنع اعادته لان اصل كل جسم عنصري
منه باصله فيتميز تلك الاجزاء من اصل ذلك العنصر وكذا تميز بعضها عن بعض محال
ولان الاجزاء الترابية باردة يابسة فيمتنع تولد الانسان منها لانه حار
رطب في مزاجه ولان اعادة عين ما عدم او لا محال لان الذي عدم لم يبق له
عين ولا ذات ولا خصوصية فان اختص كل شيء اخرج الوجود استحال ان يقال
بان هذا العائد هو عين ما فني اولا والجواب انا لا نم ان ما يشير اليه كل احد
بقوله انا هو هذا الجسم والهيكل المخصوص فما الدليل عليه بل يجوز ان يكون
امرا مجردا ليس بجسم ولا جسماني كما ذهب اليه طائفة عظيمة من المسلمين
والفلاسفة او يكون جسما مخالفا بالماهية للاجسام القابلة للكون والفساد
ساريا فيها كماء الورد في الورد وكالنار في الفحم والدهن في السمسم

فان اريد بهو الهيكل بقي ذلك الجسم حيا مدركا عاقلا اما في السعادة او الشقاوة
او يكون جسما ساويا لهذا الجسم في الماهية ان الله تعالى خصهما بالبقاء وا
والاستمرار فراول عمره الى الابد وعن هذه الاحتمالات لا يلزم من فساد البدن وتفرق
اجزائه فساد ماهو الانسان حقيقة ولئن سلمنا ان الانسان هو هذا الهيكل فلا نم
امتناع اعادة المعدوم اختلط اجزاؤه العنصرية لعناصر فلا تتميز
قلنا علمه تعالى محيط بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وانه تعالى قادر على
الممكنات فيقدر على جميعها باعيانها واعادة الحيوة اليها لانها متميزة على علمه
وقوله الاجزاء الترابية باردة يابسة قلنا السمندر يعيش في النار والنعامة
تبتلع الحديد المحماة فبطل الاعتماد على الاستقراء وقوله المعدوم لم يبق له عين
فلا يصح الحكم بان العائد عين الفاني قلنا بقاء الاعيان المتغيرة في علم المحيط
كاف في صحة الحكم بان الاول في الوجود هو عين ما في اولا ذات حسرة
او خاسر اصحابها يعني ان اسناد الخسران الى الكرة والحال انهم هم الخاسرون
والكرة تحتويها اما على ارادة النسبة هي اسم الفاعل كلابن وتامر بمعنى
ذات لبن وتمر ومنسوب اليها واما الاسناد المجازي على طريق اسناد الفعل
الى ما يقارنه في الوجود كقولك تجارة لن تبور رابحة والربح فعل اصحاب
التجارة والربح والتجارة متقاربان في الوجود تلك مبتدا والخبر ما لا
الى المردودة والرجعة في الحافرة وكرة نخرجها والمعنى ان كان بعثنا بعد الموت حقا فتلك
الرجعة خاسرة وهو المعنى افادة كلمة اذن فانها حرف جواب وجزاء عند الجمهور ور
الكرة الرجوع يقال كرة وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى كما يقال رجع بنفسه و
رجعه غيره والكرة المرة في الرجوع والجمع كرات وقولهم هذا استهزاء منهم بالجنو
حيث ابرزوا ما قطعوا باستحالته واستحالته في صورة المشكوك المحتمل الوقوع

متعلق

قوله متعلق لمحذوف يريد بالتعلق التعلق بحسب المعنى وهو العطف والتقدير لا تحسبوا
تلك الكرة صعبة على الله تعالى فانها سهلة هينة في قدرة الله تعالى فما هي الا صيحة النفخة
الثانية وهي صيحة اسرافيل دم قال المفسرون يحييهم الله في بطون الارض فيسمعونها
فيقومون فاذا هم احياء على وجه الارض فسر الساهرة بوجه الارض موافقا التفسير
الصحاح وذلك يدل على ان المراد بها ارض الدنيا قال الامام واختلفوا فيها فقال
بعضهم هي ارض الدنيا وقال اخرون هي ارض الاخرة لانهم عند الزجرة والصيحة
ينقلون افواجا الى ارض الاخرة ولعل هذا الوجه اقرب انتهى وفي التيسير قال
الخليل بالساهرة اي بوجه الارض بعد ان كانوا في بطنها وهو قول الاخفش وابي عبيدة
وقطرب وجميع اهل اللغة وقال الفراء سميت بها لان فيها نوم الحيوان وسهرهم فيها و
وصفت الارض بصفة اهلها من النوم والسهر غاية انه اكتفى بذكر احد الوصفين
وذلك غير بعيد ونظيره قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد وهذا توضيح ما في
التيسير وانظر ان بياض الارض عبارة عن خلوها عن الماء والكلاء والاشجار ويشبه
جريان السراب فيها بجريان الماء عليها فقيل لها ساهرة بمعنى جارية الماء قال
ابن عمرو ساهرة يغشى السراب مجللا لاقطارها قد صيتها مستلئما مجللا اي مغطيا
ومنه جل الدابة لاقطارها اي جوانبها يقول رب ساهرة قد غطى السراب وجوانبها
وقت الصبح قد قطعتها مستلئما اي وانا لابس اللامة على فرسي وانني في خوف هبوب
السموم والحر القاتل يقال اضحى فلان يفعل كذا اذا كان يفعله بالضحى كما يقال
ظل يفعل كذا اذا كان يفعله بالنهار دون الليل   او لان سالكها يسهر خوفا
فوصفت الارض بصفة من يسلك فيها وهي السهر لاجل الخوف قال الامام فتلك
الارض يجتمع الكفار فيها موقف القيمة يكونون فيها في كمال الخوف فسميت تلك الارض
ساهرة لهذا السبب وقال قتادة هي جهنم والمعنى فاذا هؤلاء الكفار في جهنم واما قيل

هذا الفعل يشعر بان ذلك مفاجأة فانها لما دلت على انهم فاجاوا به هذا الوقت دلت على انهم كانوا قبل بخلافه منه

يقال

ساهرة لان اهلها لا يناموا فيها قوله اليس قد اتاك حديثه اشارة الى ان هل بمعنى قد وان همزة الاستفهام قبلها محذوفة لكثرة وقوع هل في الاستفهام بحيث صارت كانها على الاستفهام بنفسها فاستغني بها عن الهمزة واقيمت مقامها فكانت هل متضمنة معنى استفهام التقرير ومعنى تقريب الحكم المثبت من الحال فلذلك كان في الاستفهام تفسير هل اتيك بهمزة الاستفهام وقد اي اقد جاءك وبلغك حديثه على تقريب على ان يكون الاستفهام بحمل المخاطب على ان يقر بامر يعرفه قيل ذلك كما في الم نشرح لك صدرك والم يجدك والـيس الله بكاف عبده وهذا المعنى مبني على ان يكون قد اتاه ذلك الحديث قبل هذا الكلام واما ان لم يكن قد اتاه فقد يجوز ان يقال هل اتاك حديث موسى ام انا اخبرك به فان فيه عبرة لمن يخشى فلا يكون الاستفهام مع حمل المخاطب على الاقرار بل لحمله على طلب الاخبار والمص حمله على الاحتمال الاول وتقدير كلمة ليس يدل عليه اذ لا وجه لتقديرها سوى تبيين ان الاستفهام استفهام تقرير وذلك ان الكفار لما اصروا على انكار البعث حتى انتهوا في ذلك الى الاستهزاء بقولهم تلك اذا كرة خاسرة وشق ذلك على رسول الله عليه السلام وحزن بسبب جهل قومه كانه لم يعلم حديث موسى عم وانه لم يات بعد والامكان يحزن به بل يتسلى بذلك الحديث المنبئ عن تحمل موسى م مشاق عظيم في دعوة فرعون فحسبان يدخل اداة الاستفهام على كلمة النفي ولهذا فسر قوله هل اتيك بقوله اليس قد اتاك والا فلا يطابق التفسير للمفسر بحسب اللفظ وظهر بما ذكرنا وجه تفريع قوله فيكفي على تكذيب قومك على التفسير المذكور وظهر ايضا ان عطف قوله بعد ذلك فيكفيك المستلزم للكون التهديد المذكور ايضا متفرعا على التفسير المذكور محل بحث لان التهديد المذكور لا يظهر تفرعه على التفسير المذكور بل الظاهر انه متفرع على ان يكون الاستفهام في هل اتيك لحمل المخاطب على طلب الاخبار بان يكون المعنى هل اتيك حديث موسى ام اخبرك به

فهل ادبه

فهدد به المشركين ووجه التهديد ان فرعون كان اقوى من كفار قريش واكثر جمعا واشد شوكة فلما تمرد على موسى اخذه الله نكال الآخرة والاولى فكذلك هولاء المشركون في تمردهم عليك ان اصروا اخذهم الله وجعلهم نكالا وعبرة للعالمين
قوله بيانه اي بيان قوله طوى وهو ان طوى بالضم اسم للوادي فيكون عطف بيان للوادي المقدس وقيل ان طوى بالضم مثل طوى بالكسر في انه اسم بكسر الثاء وهو الشيء المثنى في الصحاح الشيء مقصور الامر يعاد مرتين يقال ناديته طوى وثنى اي مرتين وعلى هذا الحمل ان يتعلق بنودي اي نودي نداءين وان يتعلق بالمقدس اي تقدس مرتين وثنيت فيه البركة والتقديس
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو طوى بضم الطاء غير منون وقرا ابن عامر و الكوفيون بالتنوين وضم الطاء وروي عن ابي عمرو وطوى بكسر الطاء قال وطوى مثل ثنى في انها اسمان هي المثنى والطوى بمعنى الثني اي ثنيت فيه البركة والتقديس وقال الفراء طوى واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال ليس فيه الا العلمية لانه اسم للمكان وهو مذكر ومن لم يصرفه جعله معدولا عن جهته كعمر وزفر ثم قال والصرف احب الي اذ لم اجد له في المعدول نظيرا اي لم اجد اسما للوادي معدولا عن فاعله غير طوى وقيل طوى بمعنى يا رجل بالعبرانية فكانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون وهو قول ابن عباس رضه واذ في قوله اذ ناداه ربه فقال اذهب والطغيان مجاوزة الحد ثم انه لم يبين انه بماذا طغى في اي شيء ولهذا قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله وكفر به وقال آخرون انه طغى على بني اسرائيل بان استعبدهم بكمال التذليل والتحقير والاولى ان يحمل على الاطلاق ويكون المعنى انه طغى على الخالق بان كفر به وطغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم فكان ان كمال العبودية لا يكون الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع

فلما كان الطغيان يؤذن بسوء المعاملة معهما وتهديدا وجه في الحمل على احدهما
هل لك ميل اشارة الى ان لك خبر مبتدا محذوف الى ان متعلق بذلك المبتدا المقدر
وقراءة تزكى بتشديد الزاد مبني على ادغام تاء التفعل في الزاد لتقاربهما والتخفيف
من حيث اجتماع المتقاربين كاجتماع المثلين وفي قراءة بالتخفيف حذف احد التائين
وهو من طرق التخفيف الثقل الحاصل من اجتماع المثلين والمتزكي المتطهر من العيوب
بالسعي والاجتهاد وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه اليه لان المراد هل لك ميل الى
ان تفعل ما تصير به زاكيا من كل ما لا ينبغي وذلك يجمع كل ما يتعلق بالاعتقاد و
العمل ثم فصل الفعل الذي يصير به زاكيا بان ذكر اول ما يجب على المكلف في باب
الاعتقاد وهو معرفة الله ثم فرع عليه ما هو ملاك الخيرات ومنبع السعادات كلها وهو
خشية فان في خشية الله عز وجل اتيانا منه كل خير وفي امنه اجتراء على كل شر كما قال عم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا ساروا من اول
الليل وادلجوا اذا ساروا آخر الليل فعدا ادلجوا بتشديد الدال ان الخشية انما تكون
بعد المعرفة تعليل لكون المضاف المقدر في قوله واهديك الى ربك هو معرفته تعالى كانه
قال واهديك الى معرفته وذلك انه لما فرع الخشية على ما قبله وهي لا تكون
الا بعد المعرفة كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء بالله علم ان ذلك
بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لما ينبغي ان يعمل به في موضع من كتابه الحكيم انه
حين ارسل موسى وهرون عليهما السلام الى دعوة فرعون امرهما بان يقولا له قولا لينا
ويبين ههنا انه امر موسى عم ان يقول له هل لك الى ان تزكى الا انه يظهر به ان المذكور في
كل موضع بعضها وهي به للكل فكانه قال لهما فقولا له قولا لينا وبين لهما هذا الكلام
اللين لما الرفيق تفصيلا وبيانا لصورة القول اللين المامور به فانه قول لين
مشتمل على بعض التفصيل اما كونه لينا فلانه ابتدا في خطابه بالاستفهام الذي معناه

العرض

الوعظ على اسلوب الترغيب في كونه زكيا عما لا يليق به ومتطهرا بطهارة الايمان من غير ان
يأمره به صريحا ومن غير ان يذكر ما يتعلق بالتزكي حيث لم يقل الى ان تتزكى من الشرك والجهل
وكفران النعمة من الى نعم الرازق واقبل ما ادعوك اليه حتى تخرج من الضلالة والطغيان
ونحو ذلك مما فيه عنف وغلظ وانما اقتصر على بعض التفصيل خطه وظهر من هذا انه لا بد
في الدعوة الى الله تعالى من اللين والرفق وترك الغلظة والعنف ولهذا قال تعالى
لخاتم النبيين محمد عليه السلام ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
فكل من سلك في دعوة الخلق اليه تعالى سبيل الخشونة والعنف فهو على منهج اعدائه
رسله وانبيائه   اي فذهب وبلغ اشارة الى ان الفاء في قوله فاراه للعطف
على محذوف يدل عليه قوله اذهب اليه وقل كذا وكذا وهذا كقوله فاضرب بعصاك الحجر
فانفجرت اي فضربت وامثال هذا الايجاز كثير في القرآن   فانه كان المقدم والاصل
اعلم انهم اختلفوا في الاية الكبرى على ثلثة اقوال الاول انها اليد البيضاء لقوله في
سورة طه وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى لنريك من اياتنا
الكبرى قاله مقاتل والكلبي وقال عطاء هو قلب العصا حية وقال مجاهد هو مجموع
اليد والعصا وذلك لان سياق الايات دلت على ان اول ما اظهر موسى عم لفرعون
هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب ان يكون المراد مجموعهما واختار المصنف القول الثاني ثم ذكرا
القول الثالث وكل المصنف على ما اختاره وهو ان يكون المراد بها قلب العصا حية بانها كانت
متقدمة في الارادة وحينئذ يتم استدلال موسى عم بها وهذه دعت الى الاخرى فان العصا
لما انقلبت حية اوجس موسى عم في نفسه خيفة من ان يقصدوا فاتقى الحية بيده فقيل له حين
رفع يده واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى بحيث تبرق كالشمس
من غير سوء اية اخرى لنريك ذلك الصنيع من حيث انه تعالى لم يرض ان يخاف مما اظهره الله تعالى
على يده معجزة له فلما كانت الاية الاولى من الواهبة كانت الاخرى احدهما الثانية تابعة

لها فسميت الاولى لذلك كبرى ولانه ليس في اليد الا انقلاب لونها الى لون اخر و
هذا المعنى كان حاصلا في العصا ثم حصل في العصا امور اخر ازيد في ذلك منها حصول الحيوة
في الجرم الجمادي وتزايد اجزائه وكبر حجمه ومنها حصول القدرة الكبرى والقوة الشديدة
ومنها ابتلاعها الاشياء الكثيرة بحيث حيث فيها ولم يزد به عظم بطنها ومنها زوال
ذلك اللون والشكل الذي صارت العصا بها حية وزوال تلك الحيوة والقدرة
عنها وعودها عصا كما كانت وكل واحدة من هذه الوجوه كانت معجزا مستقلا في
نفسه فعلمنا ان الاية الكبرى هي العصا   او مجموع معجزاته وجعلها اية واحدة
لاشتراك الجميع في معجزة دالة على صدقه في ظهورها على يده فصارت للجميع باعتبار
وحدة القدرة المشتركة بينها كالاية الواحدة وجعلها كبرى بالاضافة الى سائر
الايات التي اعطيها النبيون قبل موسى عليهم السلام   وعطف عليه بعد ظهور
الايات وتحقق امر نبوة موسى ع م ووجوب طاعته عليه وهو اشارة الى انه انما عطف
قوله عصى على كذب للدلالة على ان المراد بالتكذيب هاهنا تحميليه وهو التكذيب باللسان
مع حصول الجزم بان كذب من يجب تصديقه والايمان بجميع ما جاء به فان التكذيب
انما يكون معصية لله تعالى اذا كان بهذا المعنى وللتكذيب قسم اخر غير هذا وهو تكذيب
من لا يجب تصديقه والتكذيب بهذا المعنى لا يكون عصيانا لله تعالى فافاد العطف
ان الذي ترتب على رؤية الاية الكبرى هو التكذيب الذي لا يكون عصيانا لله
فان قيل قوله تعالى بعده فحشر فنادى يدل على ان فرعون ما اعتقد بان ما اظهره
موسى ع م في المعجزة فعل الله تعالى خلقه في يده ع م ليستدل به على صدقه في دعواه و
ذلك لانه اعتقده بامكان المعارضة حيث جمع السحرة وامرهم بمعارضته فكيف
يكون تكذيبه في القسم الذي يكون عصيانا لله تعالى قلنا يجوز ان يكون حشره اي جمعه و
نداؤه في الجمع تمردا وعنادا لا اعتقادا بانه يمكن معارضته بل هو تعلل بالباطل

وقعا في المجلس هو عو باسرعا حالا ان فرعا علا د برات ربه الا ان يسعى في النظم
حال منه بمعنى مسرعا في مشيه قال فمن كان في مصر رجلا ضعيفا سخيفا
اعلى من كل من يلي امركم يريد انه لم يرد بقوله انا ربكم انه خالق السموات
والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بفساد ذلك ضروري ومن شك
فيه كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله تعالى بعثة الرسول اليه بل الوجه كان دهريا
منكرا للصانع للحشر والنشر وكان يقول ليس للعالم اله حتى يجوز امره ونهيه
عليكم ويبعث اليكم رسولا بل المربي لكم والمحسن اليكم انا لا غيري لا بمعنى انه خالق
العالم وقال القاضي الباقلاني كان الاليق به عند ظهور خزيه عند انقلاب
العصى حية وظهور ذلته وعجزه ان لا يقول ذلك القول الدال على تربية الخلق
وعلو شانه مع ظهور كونه من جملة اهل الارض في الذل والهوان فكان صار
الرجل في ذلك الوقت كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول اخذا منكلا اشارة
الى ان نكالا مصدر بمعنى منكلا لان النكال بمعنى التنكيل كالكلام بمعنى التكليم و
السلام بمعنى التسليم والتنكيل بمعنى المنكل على طريق رجل عدل وانه منصوب
على انه صفة لمصدر محذوف منصوب باخذه الله وان اضافته الى الآخرة والاولى
بمعنى في كمكر اليوم فان قيل معنى الاخذ المنكل هو ان يعاقب المسيء على ذنبه بان
يفعل به فعل يمنع غيره عن الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاودة الى ذلك
الذنب وهذا المعنى انما يتصور بالتنكيل في الدنيا بالاغراق واما بالتنكيل في
الآخرة فلا قلنا بل يتصور فان من سمع في الدنيا بما عوقب به في الآخرة وصدق
بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذي ادى اليه فيكون العقاب في الآخرة
تنكيلا ومنعا لمن سمعه وصدقه في الدنيا وان لم يكن تنكيلا لمن رآه في الآخرة ولهذا
قال لمن رآه وسمعه فان قوله لمن رآه مخصوص بالتنكيل في الدنيا وقوله او سمعه

متناول للتنكيل في الدنيا والاخرة والكلمة تجب اصل اللغة تنبئ عن الامتناع
عن الشيء هو عدم الاقدام عليه ومنه نكل اليمين اي امتنع عن ان يحلف ونكل عن الواو
امتنع عن معارضته ومحاربته جبنا ويقال نكل به على ذنبه تنكيلا اي عاقبه على ذنبه
عقابا يحمل للمعاقب على الامتناع عن معاودة الى ذلك الذنب ويحمل غيره ايضا على
الامتناع عن اتيان مثل ذنبه لان المعاقب لما عوقب على ذلك الذنب كان ذلك عبرة
لغيره يعتبر بحاله فيمتنع عن اتيان مثل ما اتى به وقيل نكال الاخرة مصدر مؤكد
للفعل المذكور وهو اخذه الله حملا على المعنى لان الاخذ ههنا عقوبة فكانه قيل
نكل به نكال الاخرة اي تنكيلها فان قيل ما وجه قوله نكال الاخرة والاولى بالعطف
بالواو الجامعة فان اخذه بصيغة الماضي ان كان حقيقة مستعملة في الاخذ الماضي
لا يتناول الاخذ في الاولى وعلى التقديرين يحتمل لا مجال للجمع بينهما قلنا يجوز ان يستعمل
في معنى مجازي بصيغة الماضي يعم كلا الاخذين ويحتمل ان يقدر اخذه الاخرة في معطوف
فيكون تقدير الكلام فاخذه الله نكال الاخرة واخذه الله نكال الاولى فيكون اخذ الاولى
المذكور مجازا واخذه الله الثاني المقدر حقيقة او على كلمة الاخرة عطف
على قوله في الاخرة بالاحراق فان اضافة النكال على ذلك التفسير بمعنى في الاخرة عطف
والاولى صفتان للدار المحذوفة اي اخذه في الدار الاخرة وهي النار وفي الدار الاولى وهي
الدنيا والاضافة على هذا التفسير من اضافة المسبب الى السبب والاخرة والاولى صفتان
لكلمتي فرعون اولاهما قوله ما علمت لكم من اله غيري والاخرة قوله انا ربكم الاعلى
قالوا كان بينهما اربعون سنة وقيل عشرون سنة والمراد التنبيه على انه ما اخذه بكلمة الاولى
في الحال بل امهله اربعين سنة فلما ذكر الثانية اخذه بها وهذا تنبيه على انه تعالى لا يهمل كذا
قال الامام بعبارته يعني ان كلمة الفاء في قوله فاخذه الله انما يدل على ترتيب الاخذ
ووقوعه على التكذيب والعصيان المؤديان الى تلك الكلمة الحمقاء وبدلالتها على وقوعه

على كلمته الاولى فلما لم تذكر الكلمة الاولى في هذه السورة اولا الا ان الملحق بكلمة
الفاء الدالة على تنوع الاخذ على ما ذكر في هذه السورة وبذكر ان الاخذ المذكور بسبب مجموع
الكلمتين التنبيه على انه ما اخذه بكلمته الاولى في الحال الى اخره وقيل كلمته الاخرة هي قوله
انا ربكم الاعلى وكلمته الاولى هي تكذيبه بموسى عم حين اراه الاية التي يجري معارضتها
قال القفال وهذا كانه هو الاظهر لانه تعالى قال فاراه الاية الكبرى فكذب وعصى
ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فذكر المعصيتين ثم قال فاخذه الله
نكال الاخرة والاولى فظهر ان المراد انه عاقبه على الامرين فان قيل قول المصنف وعلى كلمته
الاخرة يشعر بان اضافة النكال الى الاخرة بمعنى على وكونها بمعنى على غير مذكور في النحو بل
المذكور فيه ان الاضافة تنحصر في ثلثة اقسام الاضافة بمعنى اللام فيما عدا جنس المضاف
وظرفه مثل غلام زيد وبمعنى من في جنسه كخاتم فضة وبمعنى في في ظرفه كمكر اليوم قلنا
الاضافة ههنا ايضا بمعنى اللام لان كلمته الاولى والاخرى ليستا من جنس النكال
وظرفه انما عبر بعلى للاشعار بالمقابلة والسببية ويدل عليه قوله لانه في قوة التنكيل
ايضا كالسلام بمعنى التسليم والجواز ان يكون انتصابه على انه مفعول له لاخذه اي اخذه
الله للتنكيل في الدارين او لاجل الكلمتين والخطيئتين ويجوز ان يكون مصدرا
مؤكدا بفعله كوعد الله وصبغة الله فكانه قيل نكل الله نكال الاخرة والاولى ثم انه تع
ختم هذه القصة بقوله ان في ذلك لعبرة اي فيما قصصنا عليك من قصة موسى عم وخزي
فرعون لعبرة لمن شانه الخشية فانه جرئ التمرد على الله تع والتكذيب لانبيائه خوفا من
ان ينزل عليه مثل ما نزل لمنكري نبوة موسى عم وعلما بانه تع ينصر رسله وانبياءه كما نصر
موسى عم فاعتبروا يا معاشر المكذبين بمحمد عليه السلام بما ذكرنا لكم واعلموا انكم ان شاركتموهم
في الفعل الموجب للعقاب شاركتموهم في العذاب طول العقاب لكم ثم انه تع لما ختم هذه القصة رجع
الى مخاطبة منكري البعث فقال ءانتم اشد خلقا خاطبهم اولا بالقسم بان اقسم بالملائكة

الموكلين بقبض الارواح على قيام الساعة وبين مقولهم تلك الحالة وقولهم الكرة فيها ثم التفت
على خطابهم الى ان حكى عنهم بطريق الغيبة مقالاتهم المتعلقة بانكار البعث ثم اجابهم بقوله
فانما هي زجرة واحدة اي لا تستصعبوها فانها سهلة هينة في قدرته فالآن شرع
في بيان سهولته فقال ءانتم اشد خلقا فسر المحشي الشدة بالصعوبة لا بالصلابة
لانه لا يلائم المقام اي اخلقكم بعد الموت اصعب ام خلق السموات بلا مادة مع
صغر جثتكم وضعف تاليفكم مع عظم جثتها وقوة تاليفها وهو استفهام تقرير ليقروا
بان خلق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب
الاعظم كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهي ايسر واسهل لخلقكم على وجه الاعادة
اولى ان تكون مقدورا لله تعالى فكيف تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون
احدهما اصعب من الاخر انما هو عند المخاطبين وفي زعمهم وتقديرهم فان كلا الامرين
بالنسبة الى قدرته تعالى واحد ولما كان الجواب نظرا فيه متضمنا لتسلية الرسول عم من
استهزائهم وتهديدا للكافرين لانكارهم اوقع قصة موسى عم معترضة في البين لتاكيد
امر التسلية والتهديد قوله تعالى ءانتم مبتدأ واشد خبره وخلقا تمييز والسماء عطف
على انتم وخبره محذوف لدلالة خبر انتم عليه ام السماء اشد خلقا وبناها استئناف لبيان
كيفية خلقها فتم الكلام عند قوله ام السماء وينبغي ان في قوله بناها استعمل لفظ
البناء في موضع السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل في سافل البيت
لا في الاعالي للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء
فان البناء بعيد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف فلهذه الدقيقة اختير
لفظ البناء في هذا الموضع ثم بين البناء اي لما بين كيفية خلق السماء بقوله بناها
بين كيفية البناء بوجوه اربعة الاول ما يتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها اعلم
ان امتداد الشيء اذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمي سمكا واذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمي عمقا

فالمراد

فالمراد برفع سمكها هو جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا حتى
ذكروا ان ما بين الارض وبينها مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد منها كذلك والثاني
من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله فسواها وفسره المص بوجوه ثلثة ولا خفاء في الفرق
بين الوجه الثالث والاولين لكن بين الوجه الاول والثاني خفاء فلعله اراد بتعديلها
خلقها متعادلة الاجزاء اي متشابهة الاجزاء في جميع الجهات والاوصاف وفي سلامتها
من العيوب بما نرى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور واراد بجعلها مستوية
عدم الاختلاف والتفاوت بين اجزائها بان يكون بعضها اقرب الى المركز بالنسبة الى
البعض الآخر بل يكون جميعها في درجة البعد بالنسبة الى المركز فيكون بذلك اشارة
الى كونها كرة قالوا لما ثبت انها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فاي ضرر في الدين
يثبت من كونها كرة ويحتمل ان يريد باستوائها كونها مسطحة ما ثبت بان لا تفاوت
اجزاؤها بالارتفاع والانخفاض والثالث من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله
واغطش ليلها واغطش قد يجيء لازما يقال اغطش الليل اذا صار مظلما ويجيء
متعديا يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما والغطش الظلمة والمراد ههنا
المتعدي فان قيل كلهم يعرفون ان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله واغطش
ليلها يرجع معناه الى انه جعل المظلم مظلما وهو بعيد والجواب معناه ان الظلمة
الحاصلة في ذلك الوقت انما حصلت بتدبير الله وتقديره فلا اشكال

وانما اضافه اليها اي اضاف الليل الى ضمير السماء للملابسة بينهما من حيث ان الليل يحدث
بسبب غروب الشمس وغروبها انما يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة يكفيها
ادنى ملابسة المضاف بالمضاف اليه والوجه الرابع من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله و
اخرج ضحيها فسر المص الاخراج بالابراز وهو ظ والضحى بالضوء وحمل الكلام على
تقدير مضاف اي واخرج ضحى شمسها لان الضحى هو ضوء الشمس لقوله والشمس

وضحيها واضاف الى الضمير عليها يريد بها النهار اي يريد بضحى الشمس ضوئها
النهار وانما عبر عن النهار بضوء الشمس تسمية للمحل باسم اشرف ما حل فيه لان النهار
اسم لزمان حصل فيه ضوء الشمس على وجه الارض وان خص النهار على الليل انما هو
لاشتماله على نور الشمس وضوئها فهو اشرف ما فيه فسمي النهار به لذلك ولما بين الله
كيفية خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض فقال والارض بعد ذلك دحاها
على نصب الارض بالجبال على اضمار فعل يفسره ما بعده اي ودحى الارض اي بسطها
بعد خلق السماء ومهدها ليسكن فيها وليستقر عليها والنصب هو المختار لان الجملة
المتقدمة المعطوفة هي عليها فعلية وكلمة بعد على اصل معناه وهو التأخير ولا معارضة
بينها وبين آية فصلت وهي قوله ثم استوى الى السماء بعد قوله خلق الارض في
يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام
لان خلق الارض اولا غير مدحوة بل كانت كالكرة المجتمعة ثم خلق السماء
ثانيا ثم دحى الارض اي بسطها ثالثا وفيه ان الدلائل دلت على ان الارض الآن كرة
ايضا وايضا ان الجسم العظيم يكون ظاهره كالسطح المستوي فيستحيل ان يكون هذا الجسم
العظيم مخلوقا ولا يكون ظاهره مدحوا مبسوطا وقيل ان بعد ههنا في موضع
مع كانه قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم وكما يقال
انت احمق وانت بعد هذا سيء الخلق وقيل بعد ههنا بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر اي من قبل الفرقان ومرعيها اي كلاءها فان الرعي
بكسر الراء الكلاء وبالفتح المصدر والمرعى في الاصل يطلق على موضع الرعي بفتح
الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدري وليس هو في بعض هذه المعاني اصلا بالنسبة
الى الباقي بحيث يكون استعماله في الباقي على طريق النقل منه بل هو بحسب الوضع اللغوي مشترك
بينها ولغة اصلية في جميعها ويطلق ايضا على الرعي بكسر الراء وهو الكلاء ولكنه ليست

لغة

لغة اصلية في هذا المعنى بل هو مجاز فيه على طريق تشبيه الكلأ بموضع الرعي فيه تعلق المرعى
بفتح الواو بكل واحد منهما ويجوز ان يكون المرعى مصدرا بمعنى المفعول اذا اطلق على الكلأ
باضمار قد والماضي المثبت اذا وقع حالا لا بد له من قد ظاهرة او مقدرة للتنافي
بحسب الظاهر بين لفظ الماضي والحالية واذا اضمر قد جعل الماضي قريبا الى الحال فيرتفع التنافي و
المباعدة وفي مثله يجوز ترك الواو فلذلك لم يجئ قوله اخرج منها ماءها عن العاطف او لان الجملة
مستأنفة لبيان دحو الارض وتمهيدها للسكنى فان دحوها للسكنى للحيوان لا يكون الا
باشتمالها على ما لا بد منه في تأتي السكنى عليها من تهيئة امر المأكل والمشرب باخراج الماء
وفي ارساء الجبال عليها اوتادا لها لتستقر فيتأتى السكنى والقرار عليها والكلام المستأنف
لا يعطف على ما قبلها فلذلك جرد عن العاطف ويظهر بكون هذه الجملة حالا او مستأنفا الجواب
عما يتوهم من التعارض بين هذه الآية وآية فصلت في بيان ان هذه الآية تقتضي تأخر
خلق السماء بعد خلق الارض وتقرير الجواب ان قوله اخرج منها ماءها ومرعاها ان جعل
حالا لم يكن المراد بقوله دحاها بسطها مطلقا بل البسط المقيد باخراج ماءها ومرعاها
وارساء الجبال عليها فكأنه قيل دحى الارض بعد خلق السماء دحوا تترتب عليه انتظام
احوال من يسكن عليها بان جعلها مستقرة بارساء الجبال عليها ومشتملة على ما لا بد منه لمعاش
اهلها فيها ومستعدة لنبات اقواتهم وحصول ارزاقهم فيها ولا دحوا على الوجه المذكور
متأخر عن خلق السماء لان الارض كالام والسماء كالاب وما لم يحصل الاب لم تكن الام
على الاولاد ومستعدة لحصولها وكذا اذا كانت جملة اخرج منها ماءها استئنافا فالبيان
كيفية دحوها وتمهيدها للسكنى يكون البعدية موضعا للدحو على الوجه المبين وتأخره
لا ينافي ان خلق نفس الارض متقدما على خلق السماء كما يدل عليه قوله في سورة فصلت
ثم استوى الى السماء وقد ذكرنا في تلك السورة ما هو الجواب بعد عدم التفات المصنف اليه
وان المختار عنده ان خلق الارض كان بعد خلق السماء كما يدل عليه قوله تعالى والارض بعد ذلك

خلق الارض بعد خلق السماء
وما في حم سجده تقتضي كون ح

دحيها ودفع التناقض بين الآيتين بان ثم في حم سجدة على تفاوت ما بين الخلقين لا
للتراخي في الزمان حتى يلزم التناقض كانه قيل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض وفعل
كذا وكذا واعظم من ذلك انه استوى اي قصد الى خلق السماء وهو شيء صغير ظلماني كالدخان
متاعا لكم اشارة الى ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وانتصابه اما
على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف المدلول عليه بسياق الكلام اي متعناكم بها تمتيعا واما
على انه مفعول له اي فعلنا ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم اي منفعة لكم وظهر به ان المراد با
بالمرعى ما ياكله الناس والانعام واستعير المرعى لما ياكل الانسان كما استعير الرتوع لاكل و
تنعم وهو في الاصل اكل الماشية ما شاءت قال الجوهري ورتعت الماشية ترتع رتوعا اي اكلت
ما شاءت يقال خرجنا نرتع ونلعب اي ننعم ونلهو وكما استعير المرسن للانف ومشفر
للشفة ونكتة الاستعارة التوبيخ للمخاطبين والحاقهم بالبهائم من حيث ان الكلام مع للشفة
منكري الحشر كما مر كانه قيل ايها المعاندون الداخلون في زمرة البهائم في تمتعكم بالدنيا
وذهولكم عن الآخرة كيف تستصعبون البعث ممن قدر على هذه الامور العظام ولما
بين امكان البعث والحشر ببيان كيفية خلق السماء والارض اخبر بعد ذلك عن وقوعه
وفصل احوال كل واحد من اهل الطغيان والطاعة وبين مآلهما حيث قال فاذا جاءت
الطامة والطامة اسم لكل داهية عظيمة ينسى ما قبلها في جنبها وقيل اصل الطم الدفن
والعلو فكل ما غلب شيئا وقهره واخفاه فقد طمه ويقال جاء السيل فطم الركية اي
دفنها وسواها ثم سميت القيمة او النفخة الثانية طامة لانها تغلب على كل شيء تحتها فانه
يشاهد يوم القيمة من الآيات الهائلة الخارجة من العادة ما ينسى معه كل هائل وعند
النفخة الثانية تحشر الخلائق الى موقف القيمة   لكل راء هنا العموم مستفاد من لفظ
لانها من الفاظ العموم ولا دخل لحذف المفعول به في افادة العموم لان المستفاد من حذف
المفعول عموم المفعول لا عموم الفاعل والمقصود هنا عموم الفاعل اما عدم خفائها على المؤمنين

فلانهم

فلا نهم يمرون عليها حين مجاوزة الصراط لقوله تعالى وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجي
الذين اتقوا فان قيل انه تعالى قال في سورة الشعراء وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم
للغاوين فخص الغاوين بتبريزها لهم قلنا انها برزت للغاوين ويكون منون يرونها
ايضا في المحشر لا منافاة بين الامرين وجواب فاذا جاءت محذوف اي او اصل جواب
الشرط ما يدل عليه قوله يوم يتذكر كان تقدير الكلام فاذا جاءت الطامة الكبرى اذن الكفار
على سعيه او يوم كل واحد ما قدمت يداه او يعرف كل نفس ما يستحقه ونحو ذلك واما
بعده من التفصيل فيحتمل ان يكون معطوفا على قوله يوم يتذكر اي و دل على الجواب المحذوف ما بعد
قوله يوم يتذكر من التفصيل وتقدير الكلام فاذا جاءت دخل الطائعون الجنة والطاغون
النار فان قيل اي ضرورة دعت الى ارتكاب الحذف هلا قلت ان الجواب هو الجملة الشرطية
المصدرة باما التفصيلية الدالة على تفصيل ما اجمل سابقا قلنا على تقدير كون جواب
تلك الجملة الشرطية يلزم ان يكون كلمة اما لغوا خاليا عن الفائدة اذ لا يتصور تفصيل المجمل
ويحتمل ان يكون معطوفا على قوله نخره فاي دليل المحذوف بل هو التفصيل المذكور بعده
كما ذهب اليه صاحب الكشف فحيث قال فاما جواب فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك
فان قوله فاما مبتدأ و قوله جواب فاذا خبره وقال صاحب الكشف نحو ذكر العلامة في
الواو وجها اخر وهو ان يكون جواب فاذا المحذوف فكانه قيل فاذا جاءت وقعها لا يدخل تحت
الوصف و قوله فاما تفصيل لذلك المحذوف والذي ذكره في الملتقى فانه هو الجواب فيه
غموض ثم قال لا غموض بعد تحقق لسنقامة ان يقال فاذا جاءت فان الطاغي الجحيم ماواه
وان خاف الجنة ماواه وزيادتها ما لم تعد الا زيادة المبالغة وتحقيق الترتب والثبوت
على كل تقدير انتهى الكلام ولعل قوله وتحقيق الترتب عطف تفسير لبيان زيادة المبالغة
ومعنى لا غموض فيه بناء على ان اما ليست للتفصيل بل هي حرف جيء بها لتأكيد ترتب الجواب
على الشرط وبيان ان الحكم ثابت على تقدير حيث ان معنى نحو اما زيد فمنطلق مهما يكن من شيء فزيد

منطلق بمعنى ان يقع في الدنيا شيء يقع انطلاق زيد والحق القطع بوقوع الانطلاق حيث
جعله قوله لان ما الوقوع شيء في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شيء فيها
في شرح الرضي جواز السكون على مثل قولك اما زيد فمنطلق برفع دعوى لزوم التفصيل فيها
واللام فيه سادة مسد الاضافة يعني انه لا بد للخبر من رابط يربطه بالمبتدا اذا كان
جملة وفي قوله من طغى موصولة في موضع الرفع بالابتداء وقوله طغى صلتها وقوله فان الجحيم
هي المأوى خبره والضمير فيه يعود الى المبتدا فتقديره البصريون وقالوا تقدير الكلام فان
الجحيم هي المأوى له وانما حذف لطول الكلام وذهب الكوفيون الى ان التقدير فان الجحيم هي
مأواه فسد الالف واللام مسد العائد لعدم الالتباس اي ترك التعريف بالاضافة لعدم الاحتياج
اليه لان كل احد يعلم ان صاحب المأوى هو الطاغي وعرف المأوى بلام الجنس حقيقة لكون
الجنس معهودا عند كل احد وقيل الكلام فيه لام العهد الخارجي لانه لحاجة الى توقيف الحقيقة
المعينة فكيف حرف التعريف سادا مسد الاضافة ومعناه ترك العائد باضافة الاسم اليه بان
جعل موضع الاضافة ما ينافيها ولا يجتمع معها وهو حرف التعريف لا انه يترك الاضافة
واقيم حرف التعريف مقامها في حيثية تعريف العهد يعني عند الاضافة الى الضمير في افادة
الربط وذلك انه لما كان ترك العائد بناء على عدم الاحتياج الى الرابط لعدم الالتباس
لم يحتج الى جنس ما يدل فلا يكون لاقامة اللام مقام العائد معنى وبهذا المعنى يؤول اي ارادة
صاحب الكشاف بقوله وليس الالف واللام بدلا من الاضافة بل دالا ينافي قول المصنف انه سادة
مسد الاضافة اذ ليس مراده انه اقيم مقام العائد في افادة الربط اراد انه ترك طريق الاضا
بالسلوك الى طريق ينافي لعدم الاحتياج الى ما يدل على الربط لعلمه بالمبتدأ
المعاد اشارة الى ان الخوف في القيام بين يديه للحساب لا بد ان يكون مسبوقا بالعلم به كما قال
انما يخشى الله من عباده العلماء ليس هواه مأوى ان رجالا ان نهى النفس عن
الهوى معناه نهيها عن جميع الهوى على ان اللام للاستغراق والا فلا معنى للحصر لان المؤمن العاشق

قد يدخل النار اولا ثم يخرج منها ويدخل الجنة فلا يصح في حقه قوله فان الجنة هي المأوى بالحصر
الا ان يقال معنى حصر ان الجنة هي المقام الذي لا يخرج عنه من دخل فيه   متى ارساؤها
اشارة الى ان ايان ظرف بمعنى متى وهو مبني لتضمنه معنى حرف الاستفهام وان المرسى مصدر بمعنى
الارساء وهو الاثبات وهو مبتدأ وايان خبره ويحتاج الى تقدير المضاف اذ لا يخبر بالزمان
عن الحدث والتقدير متى وقت ارسائها اي متى يقيمها الله تعالى ويوقعها ويجوز ان يكون
المرسى اسم الزمان الارساء فلا حذف على هذا ومنتهاها ومستقرها اشارة الى انه اسم المكان
ينتهي اليه المتحرك ويستقر فيه كمرسى السفينة كان الساعة لشيء يتحرك ويجري الى جانب
الوقوع وانما مثل جريان السفينة الى مستقرها ولهذا قيل سمي الساعة لسعيها الى
جانب الوقوع وما فيها الا تعلمي وكان المشركون يسمعون اخبار القيمة واوصافها الهائلة
مثل انها طامة الكبرى وقارعة فيقولون على سبيل الاستهزاء ايان مرسيها قوله فيم انت
من ذكريها اشارة الى ان قوله فيم ذكريها فيه مضاف محذوف هو الوقت وصلة
المحذوف فهم وتوبيخ الدالة عليها ذكر في مقابلة حكاية سؤال الكفار عن وقت اتيانها
فان ايان مرسيها سؤال عن وقت اتيانها فحكاية سؤالهم هذا دلت على ذلك المحذوف ومعنى
وان المعنى ما انت في شيء من تبيين وقتها لهم على ان ما يعطي الاستفهام في فيم انت للانكار وقوله
هذا انت مبتدأ وفيم خبره تقدم عليه وذكريها متعلق بما تعلق به الخبر   وقيل فيم
انكار لسؤالهم على انه مبتدأ لمحذوف فاي فيم هذا السؤال الواقع منهم وقوله انت من ذكريها ها
كلام تام مستأنف مبتدأ وخبره وجواب بان ما قوته لا بعيدة لانك خاتم الانبياء فكفاهم بذلك
دليلا على دنوها والاتمام على تحصيل الاستعداد لها فلا معنى لسؤالهم عنها وجوابه على الوجه الاول
هو مجموع قوله فيم انت من ذكريها ان العلم بوقت اتيانها مما تفرد به الله عز وجل وطوى علمه عنك
وعن سائر البشر وعلى الوجه الثالث هو قوله الى ربك منتهاها وانما قوله فيم انت من ذكريها
متصل بسؤالهم ومعنى يسئلونك عنها كانك حفي عنها متى وقت ارسائها ولم لا تذكرها وتبين وقتها

لما خفي لكن في جوابهم الى ربك منتهى علمها   وهو لا يناسب تعيين الوقت الى البعث
للانذار خاصة انما يناسبه تبيين ما يكون حالا للمبعوث اليهم على الخشية وتحصيل الاستعداد
للنجاة عن شدائدها واهوالها والاولى لتعيين وقت قيامها فلذلك فان تحصيل الانذار لا
يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها فلم يكن تعيينه مناسبا له لذلك لم يبين له وقت
قيامها للمبعوث بل قال له فيم انت من ذكراها   وتخصيص من يخشى مع انه
مبعوث الى من يخشى ومن لا يخشى والجمهور على ان قوله منذر من يخشاها من اضافة الصفة الى
معمولها للتخفيف على الاصل لان الاصل في اسم الفاعل الاضافة لا العمل فيها انما هو بالشبه ومن
قرأ بالتنوين اعتبر ان الاصل فيها الاعمال والاضافة انما هي للتخفيف   تعالى
كانهم يوم يرونها كناية عن شدة ما انكروه بحيث انهم اذا راوه يحسبون انهم ابدا كانوا
فيه ويستقلون مدة لبثهم في الدنيا الفناء لذاتها وبقاء تبعاتها ويزعمون انهم لم يلبثوا
فيها الا آخر يوم او اوله ويوم ظرف لما في كان من معنى التشبيه فلما ورد ان يقال ما وجه
اضافة الضحى الى ضمير العشية والعشية لا ضحى لها اجاب عنه بان تنوين عشية عوض عن
المضاف اليه وهو يوم منكر ومعنى قوله او ضحاها او ضحى ذلك اليوم الذي اضيف اليه
العشية الا ان الضحى والعشية لما كانتا في يوم واحد تحقق بينهما ملابسة مصححة لاضافة
احديهما الى الاخرى فلذلك اضيف الضحى الى العشية والمراد اضافتها الى يوم تلك العشية ومثله
كثير في كلامهم يضيفون الغداة الى العشي وبالعكس يقولون اتيتك الغداة او عشيتها او اتيتك
العشية او غداتها يريدون اتيتك غداة نهار او عشية النهار الذي تلك الغداة اوله
فحذف ما اضيف للاختصار فان قيل لم لم يقل الا عشية او ضحى احتمل ان يكون العشية
في يوم والضحى في يوم آخر فيتوهم تكرار اللبث في ذلك الزمان من اليوم الاول الى الثاني من
اليوم الآخر واما اذا قيل الا عشية او ضحاها لم يحتمل ذلك البتة   ختمه الله بعبارة
عن استقصار بوقت اللبث بما يليق بالبشرى والكرامة في البرزخ والموقف

تعالى

يقال عبس اي قطب بوجهه وتولى اي اعرض بوجهه والصناديد جمع صنديد وهو السيد
الشجاع وكان عم يدعوهم الى الاسلام تبليغا لهم ورجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة
الناس انه اذا تبدل اكابرهم الى امر مال اليه غيرهم كما قيل الناس على دين ملوكهم
على اختلاف المذهبين اي في تنازع الفعلين فان الفعلين المذكورين تنازعا وتعدى
كل واحد منهما ان ينصب قوله ان جاءه الاعمى على انه مفعول له واعمل البصريون الثاني لقربه منه
اي تولى لان جاءه الاعمى والكوفيون اعملوا الفعل الاول   وقرئ آن جاءه بهمزتين
وبالالف بينهما للفصل على الاستفهام الذي معناه الانكار فيوقف على عبس وتولى
على هذه القراءة لا على قراءة الجمهور ثم يبتدأ بقوله آن جاءه على معنى الان جاءه الاعمى
فعل ذلك فقوله آن جاءه على هذه القراءة متعلق بمحذوف يدل عليه عبس وتولى
لا بالمذكور لان ما بعد حرف الاستفهام لا يتعلق بما قبلها   وذكر الاعمى للاشعار
لما ورد ان يقال انه تع لما عاتبه على مجرد انه عبس في وجه ابن ام مكتوم لان ذلك تعظيما
عظيما من الله تع لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره
باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضي تحقير شانه فاشار رحمه الله الى جوابه
بان يقول ان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شانه بل للاشعار بعذره في الاقدام على ما فعل
وللزيادة في الانكار على عبوسه وتوليه كانه يقول انه بسبب عماه يستحق مزيد الرفق والرأفة
فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة كان وجه الالتفات في الغيبة الى الخطاب ذلك
اي زيادة الانكار فان قيل ان ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر فكيف عاتب
الله تع رسوله على تاديبه والحال انه انما بعث ليؤدب المؤمنين ويعلمهم محاسن الاداب
وانما قلنا انه كان يستحق التاديب لانه وان كان لا يرى القوم لعماه لكنه لصحة سمعه كان
يسمع مخاطبة الرسول عم مع اولئك الكفار ويعرف بواسطته اهتمامه عم بشانهم فيكون
اقدامه على قطع كلامه عم ايذاء له عم وايذاء النبي عم معصية عظيمة وايضا الاهم مقدم

على المهم وابن ام مكتوم كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من الدين واما اولئك الكفار فما كانوا
قد اسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكلامه في البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم
لغرض قليل وذلك محرم فثبت بهذا ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذي فعله
النبي عليه السلام كان واجبا فكيف عاتبه الله تعالى على ذلك اجيب عنه بوجهين احدهما ان الامر
وان كان كما ذكرتم الا ان الظاهر ما فعله الرسول عم يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة
المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة لانه تذكر الاغضاء فلذلك
عاتبه الله تعالى وثانيهما ان يقال لعل هذا العتاب لم يقع على ما صدر منه من الفعل الظاهر
بل على ما كان منه في قلبه من الميل اليهم بسبب قرابتهم وعلو منصبهم وشرفهم ومن تنفر
طبعه عن الاعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه فلما وقع التعبيس والتولي لهذه
الداعية لا لاجل تاديبه على ما ارتكبه من الذنب عوتب على ذلك التعبيس والتولي
لذلك   او لزيادة الانكار اصل الانكار يستفاد من قوله عبس وتولى واسناد
الفعلين الى الرسول عم بصيغة الغيبة فانه يدل على ان وقوعهما منه عم
منكر لا يليق بمنصب خلقه العظيم كيف وانه ما ارسل الا رحمة للعالمين فكيف يليق به
ان يعرض عمن جاءه يسعى طالبا للتزكي والتعاطي ووجه دلالته على ذلك
ان خطاب المعاتبة يقتضي ان يقال عبست وتوليت عمن جاءك للتزكي و
السلوك الى طريق الغيبة بان العبس والتولي من غير المخاطب وانه يشكو الى المخاطب
من فعله فذلك يدل على ان ذلك الفعل منكر لا يتصور وقوعه من المخاطب وانما يتصور
ان يقع من غيره ثم يشكي الى المخاطب منه وهو انكار عظيم لو وقوعه عنه ثم انه التفت
بقوله وما يدريك كان فيه مزيد الانكار لذلك كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم
يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها اياه بالتوبيخ والزام الحجة وكذا ذكر ذلك
المستدل بوصف الاعمى يفيد زيادة الانكار على ذلك كانه قيل تحقق ذلك المسكين

عنزلي

عند كل العبوس والاعراض عنه لحسبانه تنزيهه لمكان القطع والاهتمام بامره   وما يدريك
يجعلك داريا بحاله اي بحال هذا الاعمى فقد يعلق فعل الدراية مفعولا ثانيا على ان قوله لعله
يزكى ليس مفعولا له بل تم الكلام عند قوله وما يدريك فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده على معنى
وما يطلعك على امره وعاقبة حاله على ان الاستفهام بمعنى النفي اي لا يدريك شيء ثم ابتداء
فقال لعله يزكى على ان ضمير لعله للاعمى وان لعل في اسمه مجاز بان يستعمله كلمة الترجي للقطع
للقطع والتحقيق فان لعل في كلام العظماء يراد به ذلك وان كان الظاهر النظم يدل على
ان المراد تسليط فعل الدراية على الترجي وان المعنى انك لا تدري انه مترجى منه التزكي
او التذكر والا التعاطي والترجي راجع الى الاعمى او غيره فالمعنى ان رجاء تزكيه وكونه ممن
يرجى منه ذلك كان ينبغي الامتناع عن العبوس والاعراض   بما يتلقفه منك يتلقف
تناوله بسرعة والمراد به ههنا التعلم والتزكي بالنسبة الى الجهل والتذكر بالنسبة الى
فعل الخيرات وبالجملة فلعل ذلك العلم الذي يتلقفه عنك يطهره عن بعض ما لا ينبغي وهو
الجهل والمعصية او الثغر ببعض ما ينبغي وهو الطاعة   وفيما يتلقاه بازاء اعراضه كان التزكية
غيره عما لا ينبغي من الجهل والمعصية والاتعاظ بفعل ما ينبغي من الطاعة ولم يتعرض لجانب الاتعاظ
اكتفاء بذكر التزكية فان قوله لعله يزكى اذا كان مومياً الى ذلك قوله او يذكر مومياً بان
الاعراض المذكور كان لاجل الامرين   وقيل الضمير في لعله للكافر فمعنى هذا لعل الاعمى
الى ابيه [illegible] فلذلك قال انك طمعت في اسلامه   وقرأ عاصم فتنفعه الذكرى
بالنصب والباقون بالرفع فمن رفعه جعله معطوفا على يذكر ومن نصبه نصبه على انه جواب لعل
بالفاء فان الفعل المضارع ينتصب بان مقدرة بعد الفاء بشرطين احدهما السببية والثاني
ان يكون قبلها احد الاشياء الستة الامر او النهي او الاستفهام او النفي او التمني او العرض
والشرط الاول ههنا متحقق بلا شبهة واما الثاني فغير متحقق بحسب الظاهر الا انه حمل الترجي
على التمني والاستفهام من حيث انهما غير موجب بل مطموع الحصول لعبد فقدر ان بعده كما قدر بعد

بعد الاشياء الستة ليكون الفعل معها في تاويل المصدر فيعطف المصدر على المصدر المتوهم
فتقدير الاية لعله يتذكر فانتفاع قال تعالى لعلي ابلغ الاسباب ثم قال فاطلع بالنصب
على قراءة حفص والمعنى لعله يكون في بلوغ الاسباب والاطلاع الى اله موسى ويحتمل ان يكون لعل
هنا للتمني على ما يدل عليه عبارة الكواشي حيث قال ونصب على جواب التمني وقال
صاحب المفتاح وبسبب توليد لعل معنى التمني في قولهم لعلي ساحج فازورك بالنصب
هو بعد الموجود في المصون قوله تعالى اما من استغنى اى عن طلب الخير مطلقا او عن الايمان
والتزكي وقول المص في تفسير قوله يسعى يسرع طالبا للخير يؤيد الاول قوله تتعرض له
بالاقبال عليه التصدي للشيء التعرض والتقيد به والاهتمام بشانه وضده التلهي عن
عنه وقرئ تصدى بتخفيف الصاد وتشديدها والتخفيف مبني على حذف تاء التفعل
والتشديد مبني على ادغامه في الصاد بعد قلبها صادا وقرئ تصدى بضم التاء وتخفيف
الصاد اي تحمل وتدعى الى التعرض والتصدي اي يدعوك داع الى التصدي له من الحرص
والتهالك على اسلامه   وليس عليك يكن اشارة الى ان ما في وما عليك نافية
وان قوله ان لا يتزكى مبتدا وما عليك خبره والجملة في موضع النصب على انها حال من فاعل
تصدى مقررة لجهة الانكار ويجوز ان يكون استفهامية على معنى اي شيء عليك في ان لا
يتزكى بالاسلام فيبلغه الى الاسلام اي لا شيء عليك فيه فيدل المعنى الى كونها نافية و
يسعى حال من فاعل جاءك قوله وهو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى فهو حال
من حال واصل تلهى تتلهى حذف احدى التائين تخفيفا ومعناه على الشيخ بكسر الهاء يلهى
لهيا اي اعرض عنه لا من لهوت بالشيء بالفتح الهو لهوا اذ المستلزم لان الفعل مسند الى
ضمير النبي صلى الله عليه وسلم لا يليق بشانه الرفيع ان ينسب اليه التشاغل عن الله بخلاف الاشتغال
عن الشيء لمصلحة   ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام
قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير لا على مجرد تعبيس الوجه والتولي به ووجه الاشعار ان التصدي

هو التعرض

هو التعرض للشيء بالقلب والقالب والتلهي التغافل عنه بان يميل القلب الى غيره وفي تبيان
الزبير انه سمع صوت الرعد لهى عن حديثه اي تركه واعرض عنه ومال الى التفكر في عظمة الله
وقدرته وذلك يكون بالقلب والقالب والمراد بالشيء المستغني عما لديه من التزكي بالايمان
والطاعة وبالفقير الطالب المحتاج الى ذلك لانه هو المناسب للمقام   ردع عن المعاتب عليه
وهو الاعراض عن طالب الخير واقباله على من يستغني عنه فكان زاجرا عن طلبه فان قيل معنى الردع يمنع
ولا يتصور يمنع عن نفس المعاتب عليه لانه كائن ولا يتصور المنع عن الكائن وانما يتصور عن
معاودة مثله قلنا معنى الردع عن المعاتب عليه منعه عليه السلام عن ذلك بقلبه واعتقاد انه لا يليق
بمنصبه وخلقه ولا يكون الحال كذلك حين لما تلي عليه هذه الاية عن النبي م عاد وجهه كانما كسف اسف
فيه الرماد ينتظر ماذا الحكم الله عليه فلما قال كلا سري عنه اي لا تفعل مثل ذلك فانه غير لائق
بك   والضمير في انها للقرآن او العتاب المذكور اي ضمير انه وضمير ذكره فان كان للقرآن يكون
وجه ارتباط هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر التغافل عن هؤلاء الكفرة عن قبول ما دعاهم اليه
وصف شان القرآن وعظمته في كونه موعظة وهدى للمتقين وقال كيف قطر شدة حرصهم والرغبة
في قبول هؤلاء الكفار سواء قبلوا وان لم يقبلوا فلا يتفاوت شان القرآن في علو قدره فمن
شاء اتعظ به فلا تلتفت اليهم ولا تشتغل قلبك بهم واياك ان تعرض عمن امن به تطييبا
لقلوب المستغنين عنه وان كان الضمير للعتاب يكون وجه الارتباط انه لما عاتب نبيه عليه السلام
على ما وقع منه من الاهتمام باسلام الصناديد لتقتضي قلة المبالاة في ضعفاء المسلمين مع جلالة
قدره الشريف عنده عقبه بقوله ان هذه المعاتبة تذكرة اي موعظة للسامعين فاتعظوا بها
بان تكونوا في طلب تحلية النفس بالاخلاق الحميدة والاداب المرضية ولازموا اجلال الفقراء
الطالبين تزكية نفوسهم عن قبائح تحليتها بالطاعات ولا تعرضوا عنهم بسبب الاشتغال لا
لاصلاح احوال من يظهر الاستغناء عن الخير ولا يسعى في تحصيله واعلموا ان هذا التاديب والعتاب
مثبت في اللوح المحفوظ الذي وكل بحفظه اكابر الملائكة   صحف لتذكرة فيكون

قوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الصفة وموصوفها واما ان في صحف خبرا ثانيا لقوله انها
انها تذكرة للجملة معترضة بين الخبرين نقل عن الزمخشري انه انكر كونها اعتراضا وقال شرط الاعتراض
ان يكون بالواو او بدونها واما بالفاء فلا واجيب بان هذا ينافي ما صرح به الزمخشري في قوله
تعالى فلا تستعجلوه في اول سورة النحل فانه جعله اعتراضا على بعض الوجوه وقيل انه استطراد للحث
على التذكر وان تعاظمه لما قال ان تلك المعاتبة تذكرة للمعاتب من حيث انه عم
اذا عوتب بما صح جلاله فوزره عنه تعالى فبالغير كان بعده فمن شاء ذكره حثا على التذكر
فكأنه قال فتذكر بها ايها السامع وكان الظاهر ان يقول فمن شاء ذكره في وصف التذكرة
الا انه قدم عليه لشدة العناية به   مكرمة نعت لصحف اي صحف مكرمة عند الله كذا
مرفوعة مطهرة نعت بعد نعت للصحف وكذا بايدي سفرة في موضع الصفة لصحف مرفوعة
القدر او مرفوعة بجلب المكان لكونها في السماء دار بعد   منزهة عن ايدي الشياطين
او المراد انها مطهرة بسبب انه لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة والسفرة الكتبة لفظ
ومعنى جمع سافر وهو الكاتب يقال سفرا اكتبه السفر بالكسر يعني الكتاب وجمعه اسفار والمراد
بالكتبة هم الملائكة لانهم ينتسخون الكتب من اللوح او المراد بهم الانبياء لانهم ينتسخون ما في
الوحي وقيل ان السفرة جمع سافر بمعنى سفير والسفير هو الرسول والمصلح بين القوم من
السفارة وهي الصلح الى المستبين كذا المص بقوله جمع سافر السفراء والسفارة وهي
الرسالة من الله تعالى الى الرسول فيكون السفراء الملائكة او من الله تعالى الى الامة فالسفراء بهذا المعنى
هم الرسل من البشر فقوله او سفراء عطف على قوله كتبة يريد ان السفرة بمعنى الكتبة او بمعنى السفراء
الذين شانهم السفارة فالسفرة كان بمعنى السفراء بين الله ورسله يكون المراد بالصحف
الكائنة بايديهم الصحف التي ينزلها الملائكة الى الرسل وان كان بمعنى السفراء بين الله والامة
فالصحف الكائنة بايديهم هي التي   بها الملائكة اليهم او التي انتسخوها من الوحي قال
الامام واختار الواحدي ان السفرة ههنا الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله ورسله

واحدها سافر والعرب تقول سفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم فجعلت الملائكة اذا نزلت
بوحي الله وتأديبه كالسفير الذي يصلح به بين القوم قال الشاعر وما ادع السفارة بين
قومي ولا امشي بغش ان مشيت انتهى والتركيب للكشف اي تركيب حروف السفر سواء كان من
السفر بمعنى الكتابة او من السفارة بمعنى الاصلاح ينبئ عن معنى الكشف والتبيين اما اذا
كان من السفر بمعنى الكتابة فلان في الكتابة معنى الكشف والتوضيح ويقال للكاتب سفر وللكاتب
سافر لان كل واحد منهما يبين الشيء ويوضحه واما اذا كان من السفارة بمعنى الاصلاح
فلان الاصلاح بين القوم يكون بالابانة والتوضيح ويقال للرسول سافر وسفير لانه يعبر عن
مرسله ويكشف عن حكمه وامره لما ذكر السفرة اثنى عليهم بوجهين الاول انهم كرام اي
مكرمون عند الله وقال عطاء يريد انهم يتكرمون ان يكونوا مع ابن ادم اذا خلى مع زوجته
للجماع وعند قضاء الحاجة والوصف الثاني انهم بررة قال مقاتل مطيعين وهو جمع بار
نحو كافر وفاجر فانهما يجمعان على كفرة وفجرة قال الامام قوله مطهرة بايدي سفرة
يقتضي ان يكون طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هؤلاء السفرة فقال القفال
في وجهه انها لما كانت لا يمسها الا المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها
انتهى كلامه والقصر في قوله لا يمسها الا ايدي ملائكة مطهرين قصر غير حقيقي بل هو اضافي
والمراد تنزيهها عن ايدي الشياطين وهو مبني على قول الامام ان يكون الباء في قوله بايدي سفرة
متعلقة بمطهرة وليس بلازم لجواز تعلقها بمحذوف كما اشرنا اليه بقولنا انها في
محل الجر على انها صفة لصحف اي في صحف كائنة بايدي سفرة ويجوز تعلقها ايضا بما
تعلق به كلمة في في قوله في صحف اي انها مثبتة في صحف كذا بايدي سفرة كذا دعاء
عليه باشنع الدعوات فان القتل غاية شدائد الدنيا فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز
والقادر على الكل كيف يليق به ذلك اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب يقولون
اذا انكروا فعل احد قاتله الله وتحقيقه انهم استحقوا اعظم انواع العقاب حيث اتوا باشنع القبائح

وقوله ما أكفره تعجب من إفراطه في كفران نعم الله أي على صورته فإن حقيقة التعجب إنما يتصور من
الجاهل بسبب ما خفي سببه والذي أحاط علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو في الحقيقة
تعجيب الله تعالى للخلق أي اعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه ويحتمل أن يكون
ما أكفره استفهامية ويكون ما أكفره استفهاما بمعنى التوبيخ والتوبيخ أي أي شيء يحمله على الكفر
قيل المراد بالإنسان هم الذين أقبل الرسول عليهم وترك ابن أم مكتوم بسببهم وقيل بل المراد
ذم كل كافر ترفع بسبب غناهم على الفقراء لفقرهم لأنه تعالى إنما ذمهم لترفعهم فوجب أن يعم
الحكم بسبب عموم العلة ولأنه تعالى ذكر في طريقهم بسبب حقارة حال الإنسان في الابتداء ولو انتهاء
على ما قال من نطفة ثم أماته فأقبره وعموم هذا الزجر يقتضي عموم الحكمة وارتباط هذه الآية
بما قبلها يؤيد الأول فإنه تعالى لما ذكر القصة المشتملة على استغناء صناديد قريش على
طلب دعاء عليهم بقوله قتل الإنسان وتعجب عباده من كونه مبينين عن ذلك بقوله ما أكفره فكأنه
قيل أي سبب حمله على هذا الترفع والاستغناء مع أن أول مراتبه نطفة

وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ يعني
أن هذا الدعاء ليس من قبيل دعاء من يعجز عن انتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس
على حقيقته لأنه تعالى منزه عن العجز والجهل بل المراد إيراد ما هو في صورة الدعاء الدالة
على سخط عظيم والتنبيه على أنه مستحق أهول العقوبات وأشدها بإيراد صيغة التعجب
الذم البليغ له من حيث ارتكابه أقبح القبائح والإشكال أن السخط والذم يستفيح كفران
ما لله تعالى ونحوه يجوز في الله تعالى بيان لما أنعم عليه خصوصا جعل نفس الاستفهام بيانا
مع أن البيان إنما يحصل بجواب الاستفهام من حيث أن الاستفهام غير مقصود في نفسه لأن حقيقة
الاستفهام لا يتصور منه تعالى بل المقصود منه تقرير حقارة أصله ليتضح أن ما أنعم الله به عليه في
مبدأ حدوثه نعمة جليلة فإنه لم يخرج ذلك الأصل المهين صورة الإنسان المكرم من جانب
النعم ولما كان ذلك الاستفهام طريقا للتقرير والبيان المتفرع عليه جعل بيانا دونه خصوصا

قيد

فيه لما انعم عليه من النعم اي بيان النعم المخصوصة التي انعم بها عليه من مبدا حدوثه الى
وقت نشوره لا جميع النعم   والاستفهام للتحقير اي لتحقير اصله لاشعاره بان من كان
اصله مثل هذا الشيء الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران لحق المنعم الذي كسى ذلك
الاصل الحقير بمثل هذه الصورة البهية قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين
فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال لما كان خلق الشيء تقديره وايجاده
بمقدار معلوم في الكمية والكيفية وكان عطف قوله فقدره على خلقه يستلزم التكرار و
عطف الشيء على نفسه فسر التقدير المعطوف بالتهيئة فانه يقال قدره تقديرا بمعنى هيأه
تهيئة والمعنى احدثه بمقدار معلوم في الاعضاء والاشكال والكمية والكيفية فجعله مستعدا
لان ينتهي فيها الى القدر اللائق بمصلحته   او فقدره اطوارا يعني ان التقدير
المتفرع على الخلق ماخوذ من القدر بمعنى الطور وبمعنى انه اوجده على وفق التقدير
الازلي ثم جعله اطوارا من علقة ومضغة الى ان خلقه ذكرا او انثى شقيا او سعيدا
ذكره الكبير قال الفراء قدره اطوارا نطفة ثم علقة الى ان خلقه ذكرا او انثى شقيا او سعيدا
وقال الزجاج المعنى قدره على الاستواء كما قال اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم
من نطفة ثم سواك رجلا انتهى   والحمل ان ينعكس اي ينقلب عن الهيئة التي
كان المولود عليها في بطن امه فان فم الرحم كان منضما مغلوقا قبل وقت الولادة وان راس
المولود وهو في بطن امه كان من فوق ورجله من تحت فاذا جاء وقت الخروج انفتح فوهة
الرحم وانعكس المولود بان ينقلب ويصير رجله من فوق وراسه من تحت فيخرج راسه اولا ولا
ان الذي فتح الفوهة والهمه الانتكاس هو الله تعالى وفعله تسهيلا للخروج الموجود
من بطن امه   او ذلك سبيل الخير والشر والدليل اي التمييز من جملتها الاقرار والتمييز
والعقل وبعثة الانبياء وانزال الكتب قال ابو مسلم المراد من هذه الاية ما هو
المراد من قوله وهديناه النجدين فهو تبيان دل التمييز كل خير وشر يتعلق بالدنيا والدين كل

خير كثير يتعلق بالدين اي جعلناه متمكنا من سلوك سبيل الخير والشر وتعريفه باللام دون
الاضافة اما لو قال ثم سبيله يسره باضافة السبيل الى الانسان لفهم اختصاص
السبيل به مع انه سبيل عام للانس والجن على المعنى الثاني وللحيوانات ايضا على المعنى
الاول   وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها وهو الاخرة
ووجه الايماء انه لما فسرت الاية بانه يسر سبيل المكلفين في دار التكليف اشعر
ذلك بان هذه الدار معبر تنتهي ما الى الخير او الشر وان اهلها اهل السبيل لا اهل
القرار والسكون ولا يخفى ان هذا الايماء مبني على ان يكون المراد من الخير والشر ما
يتعلق بالدين منهما فان ما يتعلق بالدين منهما هو الذي حسنه الشرع وقبحه بان
وعد عليه ثواب الاخرة او عقابها والمصنف اشار بقوله هذا الى ان التعميم الذي ذهب
اليه ابو مسلم خال عن هذه النكتة وان ما ذهب اليه من تخصيص السبيل بما يؤدي
الى نعمة الاخرة وتقييدها بانه يخل انتظام ما بعد هذه الاية بها بخلاف ما اذا
ابقي على عمومه كما ذهب اليه ابو مسلم   وعد الاماتة والاقبار في النعم لما جعل قوله
من اي شيء خلقه الى قوله كلا مسوقا لبيان ما انعم الله به عليه وكفرانه بذلك وخفي
وجه كون الاماتة والاقبار نعمة بين وجه ذلك وانما قال وصلة في الجملة لان كونها
وصلة ولذة خالصة انما هو بالنسبة الى المؤمن لا الى الكافر لا يقال الكلام ههنا
في الكافر بقرينة قوله قتل الانسان ما اكفره فكيف تعد الاماتة نعمة في حقه مع ان
الموت في حقه مفتاح كل الم ووحشة لانا نقول الاماتة في نفسها نعمة لانها ان
يكن تحفة للميت يتخلص بها من سجن الدنيا الى سعة عالم الاخرة وكونها نقمة في حق
الكافر انما هو من سوء اعتقاده وسيئات عمله   والامر بالقبر تكرمة وصيانة
عن السباع فانه لو لم يقبر بل بقي على وجه الارض كسائر الحيوانات لاكله الطير والسبع
فان قيل من اي شيء استفيد الامر بالقبر والحال انه ليس صيغة الامر قلنا هو مستفاد من

قوله

قوله فاقبره فانه يقال قبر الحي الميت يقبره من باب نصر اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن بيده
ولا يقال اقبر الميت الا اذا امر غيره بان يجعله في القبر فالمقبر هو الله تعالى لانه هو الامر بان
يدفن اموات بني ادم في القبور اكراما لهم عن ان يلقوه للطير والسباع ويراد بالانشار
الاحياء والبعث   وقت النشور غير متعين في نفسه لعدم وجدان تعيين الوقت في نفسه
متفرع على بقاء الافلاك وحركاتها وتكون الليل والنهار على حالهما والنشور انما يتحقق
بعد خراب العالم فلا سبيل للانسان الى الحكم بان وقت النشور متعين في نفسه وان لم يعلم بخصوصه
بان يكون في راس الف سنة او اقل او اكثر لخراب ما به تقدير الاوقات حين تحققها بخلاف الاحوال
المذكورة قبل الانشار فان الانسان يعلم اوقاتها من بعد الولادة كالموت فان الانسان
وان لم يعلم وقت وقوعه بخصوصه الا انه متعين في نفسه يعلم الانسان ان الموت له قد يتعين
في نفسه بان يكون مثلا في راس ستين سنة او سبعين سنة ونحو ذلك حيث يكون   الحجره
قشيه تعى   لم يقض بالاشارة الى ما في لفظ لما من معنى التوقع وهذا التفسير مبني على ان
يراد بضمير لما يقض الانسان المحمول على الاستغراق كما روي عن مجاهد وقتادة من ان معنى الاية
لا يقضي احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وان فيها اشارة الى ان الانسان لا يخلو عن تقصير البتة
وكذلك الامام هذا التفسير عندي فيه نظر لان قوله لما يقض الضمير فيه راجع الى المذكور السابق
وهو الانسان في قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان فيه جميع الناس بل الانسان الكافر فقوله
لما يقض كيف يمكن حمله على جميع الناس ثم ذكر وجها اخر وهو ان يكون المعنى ان ذلك الانسان المتكبر
لم يقض ما امره به من ترك التكبر او المعنى ان ذلك الانسان الكافر لم يقض ما امره به من التامل في
دلائل الله تعالى والتدبر في عجائب خلقه واثار قدرته انتهى كلامه ويمكن ان يقال ارجاع
ضمير لما يقض الى جميع الناس لا يستلزم حمل الانسان المذكور سابقا على الاستغراق بل المراد به الانسان
المعهود الا انه اريد بضمير لما يقض جميع الانسان على طريق الاستخدام لقصد المبالغة فانه اذا
لم يخل احد من المؤمنين عن تقصير ما قدم فلو الكافر بالطريق الاولى وما في قوله ما امره موصولة

وعائده يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امر به فحذف الجار اولا فبقي ما امره ثم حذف الهاء العائد
ثانيا ويجوز ان يكون باقيا على ان المحذوف من الاثنين هو العائد الى الانسان والباقي هو العائد الى
الموصول فاعرفه وقس عليه امثاله   اتباع للنعم الذاتية فان عادته تعالى جارية
في القرآن العظيم بانه كلما ذكر الدلائل الموجودة في الانفس فانه يذكر عقيبها الدلائل الموجودة في
الافاق فههنا لما ذكر من نعمه الموجبة للشكر ما هو داخل موجود في نفس الانسان من خلقه بانزال
النطفة من صلب الاباء الى ارحام الامهات وما يتعاقب عليه من الاحوال الى ان ينتهي الى دار
الابد عقبه ببيان ما انعم به عليه من النعم الخارجة عنه ويراد بما يحتاج اليه الانسان في معاشه
وبنى على انه كيف دبر في خلق طعامه الذي هو قوام حياته واقوى اسباب معيشته التي
يستعد بها للمعاد وذكر ان ذاته كما تكون بنزول ماء الرجل الى رحم المراة كذلك طعامه
انما يحصل بنزول الماء من السماء الى الارض وبما يتبعه من التدبيرات المتعلقة بتولده
من الارض وبلوغه الى اقصى كماله   على البدل منه اي من الطعام والتقدير فلينظر
الانسان الى كيف صببنا الماء صبا لان موضع النظر والاعتبار هو كيفية تكون
الطعام وحدوثه من الارض وجعله من بدل الاشتمال لان انصباب الماء واشتقاق
الارض سبب لحصول الطعام فيكون الثاني مشتملا على الاول فان الواجب في بدل
الاشتمال ان يكون بينه وبين المبدل منه مشتملا علاقة غير الكلية والبعضية وقد حصل
ولا يلزم فيهما ان يكون المبدل منه مشتملا على البدل   ولهذا شق الى نفسه اسناد
الفعل الى السبب حصل اسناده الى نفسه من قبيل الاسناد المجازي لانه الى غير ما هو له لان المراد
بما هو له ما يكون محل الفعل قائما به وصفا له وحقه ان يسند اليه سواء كان مخلوقا او لغيره
سواء كان صادرا عنه باختيار كضرب او لا كمرض ومات فاسناد نحو الضرب الى ما قام به حقيقة
والى موجده الذي هو الله تعالى مجاز ولهذا اشتق اسم الفاعل لمن قام به وان لم يكن موجدا
للفعل نحو الآكل والراسب والنائم والقاعد وكذلك لان شق الارض قائم بمحل كونها

اي قلبها

اي قلبها الحرث وحقه ان يسند اليه كاسناده الى الله تعالى مجاز وهذا المخصوص باشق بالكرات
واما شق بالنبات فاسناده الى الله تعالى حقيقة لا مجاز واسناده الى النبات في انلاء النبات
بمنزلة الآلة مثل اسناد الفتح الى المفتاح والقطع الى السكين في قولك فتح المفتاح الباب
وقطع السكين اللحم لانها تعقب مرة بعد اخرى فصارت لكثرة قطعها كانها
على القطع فسميت قطعا للمبالغة فيه غلبا الغلب جمع اغلب او غلبا
كحمر فجمع احمر وحمراء واصلها وصفا للرقاب يقال رجل اغلب وكذا اغلب اي غليظ
العنق وامراة غلباء اي غليظة العنق وجماعة غلب غلاظ الاعناق وذكر المص في
توصيف الحدائق بالغلب قولين الاول ان يقال لكل حديقة انها غلباء اي عظيمة
غليظة توصيفا لها بوصف مجموع اشجارها المتكثرة الملتفة المتقاربة بحيث
صار كانها شيء واحد ضخم عظيم فلفظ الغلبا مستعار للدلالة على الحدائق اولا مجموع الاشجار
المتداخلة الاغصان مستعار من الحيوان الغليظ الرقبة تشبيها لها به في مطلق الغلظ
فكل حديقة لما وصفت بالغلباء بهذا الوجه وصفت الحدائق بالغلب والقول
الثاني ان يوصف كل حديقة بالغلباء توصيفا لكل واحدة منها بوصف كل واحد من اشجار ها
من الغلظ والعظم فيقال حديقة غلباء باعتبار ان كل شجرة من اشجارها غلباء اي عظيمة
غليظة فتوصف الحدائق بالغلب بمعنى غلبة الاشجار فالغلبة وصف الحدائق و
الاشجار في هذا القول ايضا مستعار مما هو وصف للاعناق قال الامام قوله تعالى
وحدائق غلبا فيه قولان الاول ان يكون المراد وصف كل حديقة بان اشجارها متكاثفة
متقاربة وهذا قول مجاهد ومقاتل قال الغلب الملتفة الشجر بعضه ببعض يقال
اغلولب العشب واغلولبت الارض اذا التفت عشبها والثاني ان يكون المراد وصف
كل واحدة من الاشجار بالغلظ والعظم قال علي ابي علي رحمه الله يريد الشجر العظام و
قال الفراء الغلب ما غلظ من النخل انتهى وفاكهة قال الامام استدل بعضهم بان

الله تعالى لما ذكر الفاكهة معطوفة على العنب والزيتون والنخل وجب ان لا يدخل هذه
الاشياء في الفاكهة لان المعطوف مغاير للمعطوف عليه انتهى العنب والرطب والرمان
من الفواكه عند ابي يوسف ومحمد لان الفاكهة اسم لما يؤكل على سبيل التفكه اي التنعم بعد
الطعام وقبله وهذا المعنى ثابت فيها وهي اعزها واكملها وليست بفاكهة عند ابي ح رد لقوله
فيهما فاكهة ونخل ورمان وقوله تعالى قضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة بعطف
الفاكهة عليها مرة وعطفها على الفاكهة اخرى والشيء لا يعطف على نفسه هكذا في كتب
الفقه والظاهر ان مراد ابي ح ان نحو العنب والرطب لكونه مما يؤكل غذاء لا يتحقق القصور
في معنى التفكه به فلا يتناوله اسم الفاكهة على الاطلاق حتى لو حلف لا ياكل فاكهة
لا يحنث باكله لكونه غذاء من وجه وان كان فاكهة من وجه اخر وعطف الفاكهة عليها لا ينافي
كونه فاكهة من وجه لان المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو فاكهة من كل وجه فلا يخفى مغايرتها لما
هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه   لانه يؤم وينتجع اي يقصد جزءا لاجل
الرواب والنجعة بالضم طلب الكلا في موضعه   لانه يؤتب للشتاء اي
نفعنا متاعا لكم يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا لفعله المقدر اي متعناكم بها امتاعا
اي تمتيعا على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وان يكون في موضع الحال
من فاعل انبتنا اي ممتعين لكم وان يكون مفعولا له اي فعلنا ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم
وصفها بها مجاز مبني على ان يكون صخ يصخ من صخ لها بمعنى استمع فهو مستمع
والنفخة ليست بمستمعة بل الناس هم الذين يستمعون لها فاسند الاستماع الى المسموع
مجاز مثل عيشة راضية وحكى الامام عن الزجاج ان اصل الصخ في اللغة الطعن و
الصك يقال صخ راسه بحجر اي شدخه والشدخ كسر الشيء الاجوف ويقال ايضا صخ
الغراب بمنقاره في دبر البعير اي يطعن فمعنى الصاخة الصاكة بشدة صوتها للاذن
الجوهري الصاخة الصيحة تصم لشدتها سميت القيامة صاخة لان فيها الصيحة فهو

صاخ

صاخ واصاخها بشدة صوتها اي تقرعها يقال صخ الصوت الاذن يصخها صخا فهو
صاخ واصاخها يصيخها اصاخة فهو مصيخ بمعنى فعلى هذا يكون الصاخة حقيقة في النفخة
ووجه ارتباط هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر ما انعم به على الانسان من النعم الكائنة
في الانفس وفي الافاق وكان المقصود بذكرها التوبيخ والتقريع على من كفر بها وجحد عن
طائفة من النعم بلا تفكر وقوله فانه يستدل بها على وحدانيته وقدرته على البعث و
الحشر عقبه بما يكون مؤكدا لهذه الاغراض وهو شرح احوال القيامة فان الانسان اذا
سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التفكر في الدلائل والايمان بوحدة من انعم بها و
قدرته على ما يشاء والاعراض عن الكفران والميل الى الطاعة والتواضع والانقياد للحق
فلاجرم ذكر القيامة فقال فاذا جاءت الصاخة وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله
يوم يفر المرء من اخيه الى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه والتقدير فاذا
جاءت الصاخة اشتغل كل بنفسه وقوله يوم يفر بدل من اذا ولا يجوز ان يكون يغنيه
عاملا في اذا ولا في يوم لانه صفة شان ومعمول الصفة لا يتقدم على موصوفها و
قراءة العامة يغنيه من الاغناء على معنى ان ذلك   الذي حصل له قد ملأ صدره
فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيها بالغني في انه ملك شيئا كثيرا وقرئ يعنيه بفتح
الياء وبالعين المهملة من قولهم عناه الامر اي قصده

والصاحبة تقول اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت و
البنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم
عم ومن صاحبته نوح ولوط عليهم السلام ومن ابنه نوح   وتأخير الاحب فالاحب
للمبالغة يعني ان فائدة الترتيب المبالغة في بيان كون ذلك اليوم يوم الفرار كانه قيل
يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه فانهما اقرب منه الاخ بل من صاحبته واولاده لتعلق القلب
بهم اكثر من تعلقه بالابوين. لما ذكر الله تعالى احوال يوم القيامة واهوالها بين ان المكلفين

فيه على قسمين ومنه احدهما عن النجم بما يوهن وجودهما يومئذ بطلان لعلو الصبح اذا اضاء

قال المبرد الغبرة الغبار والقترة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة

والسواد في الوجه كما اذا اغبرت وجه الزنجي فكانه تعالى جمع في وجوههم بين السواد و

الغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور وفي الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم

القيمة حول ذلك التراب في وجوه الكفار

تكوير الشيء يستعمل في المعنيين الاول تلفيفه وطيه بازالة انبساطه وانتشاره وضم

بعض اجزائه ببعض على جهة الاستدارة كتكوير العمامة وفي الحديث نعوذ بالله

من الحور بعد الكور اي من التشتت بعد الالفة والثاني القاؤه وسقاطه مجتمعا

يقال كورته فتكور اي سقطته فسقط وفسر ما في الاية بكل واحد من المعنيين

ثم كان بمعنى التلفيف يحتمل ان يكون المراد تلفيف نفسها وضم اجزائها وتلفيف

ضوئها بازالة انبساطه في الافاق بان يكون التقدير اذا ضوء الشمس كور و

تلفيفها على الوجهين كناية عن اذهاب نفسها وازالة عينها عن فلكها فان

لف الشيء وطيه من لوازم دفعه لانه لا يرفع مبسوطا منتشرا فاطلق تكوير نفسها

واريد ملزومها الذي هو رفعها واذهابها وكذا لف ضوئها لازم لرفع نفسها

فان نفسها مادامت باقية كان ضوئها باقيا منبسطا في الافاق غير ملفوف فتفسيره بالتلفيف

يؤل الى تفسيره بالالقاء فالاتحاد قال الكلبي رحمه الله يكور الله عز وجل الشمس والقمر والنجوم

يوم القيمة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا كذا في البغوي وعن ابي هريرة

انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيمة

ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن قال وما ذنبهما وقال الامام سؤال الحسن ساقط لان

الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يصير سببا

لازدياد الحر في جهنم فلا يكون هذا الخبر على خلاف العقل   وارتفاع الشمس بعض

يغرق

يفسره ما بعده اشارة الى ان النحاة اختلفوا في اعراب الاسماء التي بعدها افعال مشتغلة
عنها بضمائرها انها هل هي مرفوعة بالابتداء كما هو قول الكوفيين والاخفش فانهم قالوا
هذه الاسماء الواقعة بعد اذا مرفوعة بالابتداء وما بعدها من الافعال اخبارها او هي معمولة
للفعل المقدر المفسر بما بعده كما هو عند البصريين وعلى المذهبين الجملة في محل الجر باضافة
اذا اليها وانما الحق قول البصريين لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل
انقضت اي تساقطت وتناثرت كما قال الله واذا الكواكب كما قال واذا الكواكب
انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب فاذا السماء تمطر يومئذ نجومها فلا يبقى في السماء نجم
الا وقع على وجه الارض كذا روي عن النبي قال عطاء وذلك انها في قناديل معلقة بين
السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في
السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدي الملائكة لانه مات من يمسكها
ابصر خربان فضاء فانكدر وقبله اذا الكرام ابتدروا الباع بدر تقضي البازي
اذا البازي كسر والذي صاحبه في المطرود قم ابصر خربان والباع يستعمل في الكرم يقال فلان
اهل الباع ونحوه يقول اذا الكرام ابتدروا اي دعوا الى فعل المكارم بدرتهم اي
اسرع اليهم كانقضاض البازي على الحبارى وخربان جمع خرب بفتحتين وهو الذكر من
جنس طائر يقال له الحبارى كانه ابصر البازي حباريات صحراء فانقض من
كدرت الماء فانكدر والكدر خلاف الصفوة يقال كدر الماء يكدر كدرا فهو كدر من
باب علم وكدر يكدر كدورة بضم العين فيها مثل الاول في المعنى وكدره غيره فانكدار النجوم
عبارة عن زوال نوره وضوئه واذا الجبال سيرت اي قلعت عن وجه الارض هباء منبثا كذا
في المعالم او سيرت في الجو كالسحاب كقوله وهي تمر مر السحاب كذا في الكواشي وقيل سيرها
تحول عن صفة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا اي رملا سائلا وتكون كالعهن وتكون هباء منبثا وتكون
مثل السراب الذي ليس بشيء وعادت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا والعشار

جمع عشراء كالنفاس في نفساء والعشراء الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها
الى ان تضع وفي تمام السنة وقيل هو اسمها بعد ما وضعت ايضا ومن عادة العرب ان يسموا
الشيء باسم المتقدم وان كان قد جاوز ذلك الحد وخص العشار بالذكر لانها اعز الاموال
عند العرب وانها معظم اسباب معاشهم وتعطيلها اهمالها عند مجيء مقدمات قيام الساعة عبارة
عن ان الناس يتركون الاموال والاملاك ويشتغلون بانفسهم كما قال يوم لا ينفع مال
ولا بنون وقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة او السحاب اي
يحتمل ان يراد بالعشار السحاب تشبيها لها بها اي العشار وان كان مجازا في هذا المعنى
الا ان حمله عليه يوجب كثرة مناسبة هذه الاية لما قبلها وشاع عند العرب تشبيه السحاب
بالحامل قال الله تعالى فالحاملات وقرا كما مر في سورة الذاريات والتعطيل الاهمال ومنه
قيل للمرأة عاطل اذا لم يكن عليها حلي الوحوش كل ما لا يستأنس من حيوان البر وفي
حشرها ثلثة اوجه الاول ان يجمعها هول ذلك اليوم من كل ناحية بحيث يختلط
بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن بعض وعن الناس ايضا وتفرقها في الصحاري
والقفار والثاني ان يبعثها للقصاص اظهارا للعدل فانه قد ثبت انه تعالى يحشر
الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت وعن قتادة انه يحشر
كل شيء حتى الذباب للقصاص والثالث ان حشر الوحوش عبارة عن موتها وهذا الوجه
رواه عكرمة عن ابن عباس رضي اجحف بهم الدهر لما استأصلهم واجحفهم فلان اي كلفهم
ما لا يطاق وسنة مجحفة اي مهلكة مميتة واجحف بالشيء ذهب به استيصالا وسيل
جحاف بالضم اي جارف كل شيء ويذهب به والجحاف ايضا الموت يقال موت جحاف
يذهب بكل شيء والسنة القحط والتشديد في مثل هذه الافعال قد يكون لتكثير المحل
وقد يكون لتكثير الفعل وتكريره والتخفيف يحتمل القليل والكثير والتعرض لحشر الو
الوحوش على الوجه الاول للدلالة على ذلك اليوم فان اجتماعها في موقف القيمة مع الناس

بشرة

مع شدة نفرتها عنهم في الدنيا وتفرقها في الصحاري يدل على ان الهول ذلك حملها على الاجتماع
وعلى اختلاط بعضها ببعض حشر المكلفين فان الحيوانات تبعث للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل
فكيف يجوز مع هذا ان لا يحشر المكلفون من الانس والجن   احميت او ملئت فان
التسجير في اللغة يكون بمعنى الملء قال تعالى والبحر المسجور اي المملوء وبمعنى الاحماء يقال سجرت التنور
اي احميته ثم قيل في وجه احماء البحار انه يحتمل ان يكون جهنم في قعور البحار الا انها الآن مطبقة
لا يفضل اثر حرارتها الى ما فوقها من البحار ليتيسر انتفاع اهل الارض بها فاذا انتهت
مدة الدنيا يرفع طبق جهنم فيصل تاثير تلك النيران الى البحار فتشتعل فيصير جميعها [illegible]
النار وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا كان يوم القيمة كور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر
ثم بعث ريحا دبورا فتنفخه فتصير نارا وهو قوله تعالى واذا البحار سجرت اي احميت
كذا في تفسير ابي الليث نور الله مرقده ويسر لنا شفاعته وقيل في وجه امتلائها انه تعالى
خلق الآن بين البحار حاجزا لا يصل بعضها الى بعض على ما قال مرج البحرين
يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان اي لا يتجاوز ان احدهما باغراق ما بينهما فاذا رفع
الله تعالى ذلك الحاجز فالتقى البعض في البعض فصارت البحور كلها بحرا واحدا فعمت
الارض كلها ثم انه يحتمل ان يكون كيفية ارتفاع الحاجز الكائن بينهما بان اندكت الجبال
وتفرقت اجزاؤها وصارت كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها ها
في اسافلها فيمتلئ المواضع الغائرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا مع البحار
ويصير الكل بحرا واحدا مسجورا اي ممتلئا وهذه الاحوال الست تكون في مبادي قيام الساعة
على ما روي عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه قال ست آيات قبل القيمة بينا الناس في اسواقهم
اذ ذهب ضوء الشمس فبينا هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينا هم كذلك اذ وقعت
الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن
واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم في بعض فيقول الجن للانس نحن

نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هي نار تأجج قال فبينا هم كذلك اذ انصدعت
الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينا هم
كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم والله اعلم كذا في المعالم ثم شرع في ذكر الاحوال
التي تكون بعد قيام الساعة فقال واذا النفوس زوجت بالابدان بان ردت اليها او
بالاشكال والامثال بان يضم كل واحد من الرجال والنساء الى من كان في طبقته في الشر
فيقرن اي يقرن الصالح الى مثله والمتوسط منهما الى مثله واهل المعصية الى مثله
قال اي على حد ذلك حين يكون الناس ازواجا ثلثة اي اصنافا ثلثة السابقون
زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال والشكل بالفتح المشكل
وكانت كندة تئد البنات وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ممن منع
الوأد فافتخر الفرزدق به في قوله ومنا الذي منع الوائدات فاحيا الوئيد فلم
يوءد وقيل وأد يئد مقلوب آد يؤد اودا اي اثقل يقال آدني الحمل اي
اثقلني قال تعالى ولا يؤده حفظهما لان الوائد اثقلها بالتراب
تبكيتا لوائدها جواب عما يقال ما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي
قتلت به مع ان الظاهر ان يسأل الوائد عن موجب قتله اياها فاجاب عنه بان
هذه الطريقة ابلغ في ظهور جناية الوائد والزام الحجة عليه فانه اذا قيل لموود
للموؤدة ان القتل لا يصح الا بذنب عظيم فيفتضح الوائد فيصير مبهوتا وهذا
كقوله تعالى لعيسى عم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
فانه عم لما اجاب بقوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما قلت
لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم كان ذلك ابلغ في تبكيت النصارى
وتوبيخهم   وقرئ سألت بفتح السين والهمزة على البناء للفاعل على
ان الموؤدة هي التي تسأل قاتلها باي ذنب قتلت فعلى هذه القراءة

قوله قتلت

قتلت على بناء المفعول من الماضي المسند الى ضمير المتكلم وحده كما هو الظاهر
لان الموؤدة لما كانت سائلة كان المناسب ان تحكي بعد الاخبار عن سؤالها كلامها حين سئلت
وذلك قولها باي ذنب قتلت بضم تاء المتكلم وحده كما اشار اليه المصنف بقوله وقرئ
قتلت على الحكاية اي على الاخبار عن الواحدة الغائبة   وانما قيل قتلت على الاخبار
جواب عما يقال ان قراءة الجمهور سئلت وقتلت بكسر تاء الواحدة الحاضرة لانه لما اخبر
عن كونها مسؤولة كان المناسب ان تحكى بعد ذلك الاخبار الكلام الذي خوطبت به فيقال
باي ذنب قتلت على خطاب الواحدة الحاضرة فما وجه قراءة قتلت على صيغة المؤنثة
الغائبة وحاصل الجواب انه ليس المقصود حكاية ما خوطبت به بل المقصود الاخبار عن
الموؤدة بمضمون مجموع قوله واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت والاخبار
عن الشيء يستلزم ان يعبر عنه بصيغة الغائب وانما يرد ما ذكر ان لو كان المقصود حكاية ما
خوطبت به بعد الاخبار عنها بمجرد انها كانت مسؤولة وليس كذلك   وتنشر
وقت الحساب اي تفتح لها بعد ما كانت مطوية فيعطاها التي منشورة بايمانهم وشمائلهم
فيقف الانسان على ما فيها ويحصى عليه جميع اعماله فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها   للمبالغة في النشر يريد ان التشديد لتكثير الفعل وتكريره او
لتكثير محله او للمبالغة في سرعة تفرقه وشدة تطايرها والحصر فان النشر ان كان
بمعنى الفتح يصح ان يكون التشديد لتكثير نفس الفعل بحسب الكمية والتكرر وان يكون لتكثير محله
وهو الصحف وان كان بمعنى التفريق يصح ان يكون التشديد لتكثير محله وهو الصحف واصحابها
وان يكون للمبالغة في كثرة نفس الفعل وتكرره فبعيد لان نشر جميع الصحف وتفريقه
بين جميع المكلفين فعل واحد والكثرة انما هي في متعلقه وهو الصحف واصحابها فلا وجه
لكون التشديد للدلالة على كثرة نفس الفعل فقول المصنف للمبالغة في النشر مبني على ان يراد بالنشر
الفتح وبالمبالغة فيه المبالغة في النشر مبني على ان يراد بالنشر الفتح وبالمبالغة فيه المبالغة تجب

الكمية وقوله او شدة التطاير مبني على ان يراد بالنشر التفريق بين الاصحاب وان يكون التشديد
للمبالغة فيه بحسب الكيفية وقوله او لكثرة الصحف مشترك بين المعنيين   قلعت
وازيلت اي بحيث ظهر ما وراءها كما يقلع السقف فينكشف ما كان مستورا ومعنى
الكشط رفعك شيئا عن شيء قد غطاه قال الامام اي كشفت وازيلت عما فوقها وهو
الجنة وعرش الله كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء   اوقدت ايقادا
شديدا قيل سعرتها النار ولهب يهيجها والهيجها لا شعر والمسعار الخشب الذي
تسعر به النار فظهر ان سعرها النار ازديادها والتهابها لا وجودها ابتداء قيل سعرها
غضب الله تعالى وخطايا بني آدم قال الامام واحتج بهذه الآية من قال النار غير مخلوقة الآن
لانها تدل على ان تسعيرها معلق بيوم القيامة انتهى ولعل قيد الازدياد لدفع الاستدلال
في مفهوم التسعير فعلى هذا الاحتجاج قوله علمت نفس جواب اذا فانه تعالى ذكر في اول
السورة الى ههنا اثني عشر شيئا وقال اذا وقعت هذه الاشياء فهنالك علمت نفس
ما احضرت فعلم النفس بما احضرت مرتب على الشرط الذي هو وقوع مجموع هذه الاشياء
ولما ورد ان يقال وقوع الاشياء الستة الاولى من هذه الاشياء قبل فناء الدنيا حين تقرب
الساعة على القيام وعلم النفوس بما احضرته من الاعمال الصالحة والفاسدة لا يحصل في زمان
وقوع هذه الخصال الست فكيف يصح ان يكون اذا للخصال الى هذه الخصال الست المتقدمة
معمول لعلمت منصوبة به اشار المصنف الى جوابه بقوله وانما صح لان المراد بما هو
المعمول لعلمت هو الزمان المتسع المحيط لتلك الخصال الاثني عشر ومجازاة النفوس على
اعمالها وابتداء ذلك الزمان النفخة الاولى وهي زمان التكوير وما يتبعه الى ان
يتم موقف الحساب والعلم الاجمالي يحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة و
العاصي يرى آثار الشقاوة في اول الامر فيعرف بذلك كل واحد منهما ما احضره من الاعمال اجمالا
واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب في موقف المحاسبة الا ان المصنف يقوله

والمجازاة

والمجازات النفوس على اعمالها الى ان العلم بالاعمال كناية عن المجازات عليها من حيث ان العلم
لازم للمجازات   في معنى العموم جواب عما يقال من ان النكرة في سياق الاثبات للافراد
او النوعية لا للاستغراق والعموم والموضع موضع الاستغراق لان العلم بما احضرت حاصل
لكل نفس لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها
وبينه امدا بعيدا فما معنى قوله علمت نفس بالتنكير في موضع الاثبات ومحصول الجواب ان ما
اكثري لا كلي مطرد لان النكرة في سياق الاثبات قد يقصد بها العموم ايضا كما في قولهم تمرة
خير من جرادة ونفس في الاية من هذا القبيل   فلا اقسم كلمة لا يجوز ان صلة فالمعنى فاقسم
وان يكون ردا للكلام السابق اي ليس الامر كما تزعمون ان هذا الكلام من القرآن سحر او شعر او اساطير
الاولين ثم ابتدا جل ذكره فقال اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل عطف على الخنس وكذا
والصبح عطف ايضا والعامل في اذا معنى القسم واذا وما بعدها في موضع الحال اي اقسم
بالليل مدبرا او مقبلا وبالصبح مضيئا وجواب القسم قوله انه لقول رسول كريم والضمير
في انه للقرآن وان لم يجر له ذكر للعلم به وقد وصف هذا الرسول باوصاف شتى الى قوله امين
وثم ظرف مكان وهو معمول لمطاع اي مطاع هناك والخنس جمع خانس وهو المتأخر بالخفاء
والخنوس الانقباض والاستخفاء يقال خنس الرجل من بين القوم خنوسا اذا تأخر واختفى
والخناس الشيطان لانه يخنس اذا ذكر الله تعالى واذا غفل العبد عن ذكره تعالى يعود ويوسوس
واصل الخنوس الرجوع الى الخلف والكنس جمع كانس وهو الداخل في الكناس المستتر به
والكناس بيت الوحش وموضعه الذي يأوي اليه ويستتر فيه يقال كنس الظبي يكنس من باب
ضرب وتكنس ايضا اذا دخل فيه واصل الكنوس الاستتار والجواري جمع جارية والمراد
بالكل النجوم التي تجري في افلاكها غير القمرين فانهما لا يكنسان فان المراد بكنوس الكواكب
استتارها واختفاؤها تحت ضوء الشمس كما يختفي المستتر بالكناس ولا كنوس لهما بهذا
المعنى واما ما عداهما وهو الكواكب الخمس من السيارات زحل ومشتري والمريخ والزهرة وعطارد

فانها جوار كنس وهو ظ وخنس ايضا من حيث انها ترجع وتستقيم فانها بينها ترى في اخر
البرج اذ كر راجعا الى اوله فهو كونها من اخر البرج الى اوله هو خنوسها كما ان كنوسها
هو اختفاؤها تحت ضوء الشمس ذكر اهل اللغة ان عسعس من الاضداد يقال
عسعس الليل اذا اقبل وعسعس اذا ادبر وذكر شارح الرمز البطليوسي ان عسعس
رقة الظلام وذلك في طرفي الليل انتهى وفي التيسير قال محمد بن جرير عسعس
الليل وسعسع اذا ادبر فلم يبق منه الا اليسير واختلف المفسرون في ان المراد
منه في الاية اي المعنيين فمنهم من قال ان المراد ههنا اقبل الليل لانه على هذا التقدير
يكون القسم واقعا باقبال الليل وهو قوله تعالى اذا عسعس وبادباره ايضا
وهو قوله تعالى والصبح اذا تنفس فان تنفسه يكون بادبار الليل وذهابه كذا
قاله الامام والاولى ان يقال لان القسم ح يكون باقبال الليل وباقبال النهار لا
بادبار الليل واقبال النهار وكما اذا فسر بمعنى ادبر لقوله والصبح اذا تنفس
بمعنى ان طلوع الصبح لما كان متصلا بادبار الليل اي اضاء به عبر به عن
اقبال روح ونسيم وكلاهما يصح ههنا وجعل تنفس الصبح عبارة عن
طلوعه وانبساط منوره بحيث زال معه غسعة الليل وهي الغبرة الحاصلة
في اخره والتنفس في الاصل ريح مخصوص يروح القلب يخرج عنه يا ليوبه
عليه شبه ما يقبل باقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى
بالتنفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفسا بذلك ثم كنى بتنفسه بذلك عن اقبال
الصبح وطلوعه واضاءته غبرته لان التنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية
متفرعة على الاستعارة وفي بعض النسخ اذا تنفس اي اضاء عبر عن اقبال روح
ونسيم ولا معنى له كما لا يخفى لان تنفس الصبح ليس عبارة عن اقبال الروح
بل هو عبارة عن طلوعه لاذهابه ظلمة الليل الا ان يقال انه تجوز عبر عن اقبال

روح ونسيم بيان يكون تنفس الصبح مستعارا لاقبال الروح والنسيم الواقع عند
طلوع الصبح وقوله اذا اضاء بيان يكون التنفس بذلك المعنى المجازي كناية عن طلوع
الصبح في كلام النحاة نوع من المعنى بعني جبريل وصف جبريل ههنا بصفات
ست اولها انه رسول ولا شك انه رسول من الله تعالى الى الانبياء وثانيها انه كريم على
ربه ومن كرمه انه يعطي افضل العطايا وهو المعرفة والهداية وثالثها قوله ذي قوة
اي ذي قدرة على ما يكلف به لا عجز له ولا ضعف روي انه عم قال لجبريل ذكر الله
قوتك فاخبرني بشيء من اثارها فقال رفعت قريات قوم لوط الاربع بقوادم جناحي
حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب واصوات الدجاج ثم قلبتها وروي ان شيطانا يقال
له الابيض صاحب الانبياء قصد النبي عم ان يتعرض فدفعه جبريل دفعة دفيعة دفعه بها
من مكة الى اقصى الهند ومنهم من حمله على القوة في اداء طاعة الله وترك الاخلال بها من
اول الخلق الى اخر زمان التكليف وعلى القوة في معرفة الله تعالى وفي مطالعة جماله وجلاله
ورابعها عند ذي العرش مكين اي ذو منزلة ومكانة عند الله وهي مكانته عند الله تعالى
جعله ثاني نفسه في قوله فان الله هو موليه وجبريل وهذه العندية ليست عندية الجهة
وهو ظ بل كناية عن الاكرام والتشريف والتعظيم وخامسها قوله مطاع اي ملائكة دار
السموات يطيعونه لعلمهم بمنزلته عند الله وسادسها قوله امين على وحي الله تعالى ورسالاته قد عصمه الله
من الخيانة والزلل وقوله ثم بفتح الثاء اشارة الى الظرف المذكور وهو عند ذي العرش
ثم انما تعلق بما قبله يكون المعنى انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن امره ويرجعون
الى رأيه انه مؤتمن عند الله على وحيه ورسالاته الى الانبياء وان قرئ ثم بضم الثاء يكون
للتراخي الرتبي على طريق الترقي من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة
وما صاحبكم بمجنون عطف على جواب القسم وكذا قوله ولقد راه بالافق المبين
اقسم الله تعالى على ان القران كلام نزل به رسول امين وعلى ان محمدا عليه السلام ليس بمجنون وعلى انه

قوله ذي العرش تقديم الظرف ... رتبة وهي عشرة
في كل ضابط الواحدة فاعدة م

فقد رأى جبريل بالافق المبين   واستدل اي استدل بهذه الاية على فضل جبريل عم
على نبينا عم بالموازنة بين المذكورين حيث وصف جبريل عم بست خصائل كل واحدة منها
تدل على كمال الشرف ونباهة الشان واقتصر في ذكر رسول الله عم بنفي المجنون عنه وبين
الذكرين تفاوت عظيم وهذا الاستدلال ضعيف لانه انما تدل على ما يستدل ان لو كان
المق من سوق الاية تعداد فضلهما ليتضح ان من جمع الصفات الكمال فهو افضل وليس المقصود
منه ذلك بل الغرض المسوق له الاية ان يثبت ان القران لكيا بهذه السورة المصدرة
بما يدل على مقدمات القيامة واهوالها وحقية البعث والجزاء وحي الهي نزل به الملك
المقرب بل هو ذي القوة الامين على وحيه نفيا لقول الكفرة انما يعلمه بشر وان يثبت ان
نبينا عم رسول الله عم ارسله بالهدى ودين الحق وليس كما يقوله الكفرة انه المجنون
ليطمئن انفس المؤمنين الى استماع القران واتباع الرسول عم ويرغبوا فيهما اشد الرغبة
وهذا المقام يستدعي ان يوصف الملك المتوسط بين الله تعالى ورسوله عم بما يوصف به من
صفات الشرف والفضل وذلك لا يستلزم كونه افضل من رسول البشر فان افراد احد
الشخصين بالذكر واجراء صفاته عليه لا يدل على انتفاء تلك الصفات عن الاخر بل الظاهر
ان توصيف جبريل عم بهذه الصفات وبما هو ازيد منها وافضل انما هو لبيان شرف سيد
المرسلين بالنسبة اليه من حيث ان جبريل عم مع هذه الصفات هو الذي يؤديه في تبليغ الرسالة
اليه فاي مرتبة اعلى من رتبته بعد ما ثبت ان السفير بينه وبين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب
بمطلع الشمس الاعلى افق السماء ذا حيتها واما افاق النواحي اجمع المقرون
على ان المراد من الافق ههنا حيث مطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين فان نفس
الافق لا مدخل له في تبيين الاشياء وظهورها وانما يكون له مدخل في ذلك من حيث مطلعا
للكوكب بعد تبيين الاشياء بضيائه والكوكب المبين هو الشمس واسند الابانة الى مطلعها مجازا
باعتبار سببية لها في الجملة فان الابانة في الحقيقة للضياء الطالع منه ثم حصل من بين الطالع

ما هو اعلى المطالع الذي اذا طلعت الشمس منه تكون في غاية الارتفاع والنهار في غاية
الطول والامتداد وذلك عندما يكون الشمس عند راس السرطان قبيل تحولها الى برج الاسد
وتوجه النهار الى الانتقاص وانما قيل ذلك حملا للمبين على الكمال فانه كلما كان الكوكب
الطالع ارفع واعلى كان وكان النهار اطول كان البيان والاظهار اتم واكمل روي ان رسول الله
صلعم سأل جبرئيل عم ان يتراءى له في صورته التي خلقه الله تعالى عليها فقال ما اقدر على ذلك
وما ذاك الا فاذن له فاتيه عليها فراه رسول الله صلعم قد ملا الافق بكلكله رجلاه في الارض
وراسه في السماء جناح له في المشرق وجناح له في المغرب فغشي عليه فتحول جبرئيل في صورة
بني ادم الى الكلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع ما رايناك منذ بعثت احسن
منك اليوم فقال صلعم جاءني جبرئيل في صورته فعلقني هذا من حسنه   من الظنة وهي التهمة
اي ليس من الظن الذي يتعدى الى مفعولين اي هو ثقة في جميع ما يخبره لا يتوهم فيه انه ينطق
بشيء من عند الهوى قراه ابن كثير وابو عمرو والكسائي بظنين بالظاء بمعنى متهم فان الظنين
الرجل المتهم يقال اتهمت فلانا بكذا اذا نسبته به اي توهمت فيه بذلك قراه نافع وحمزة
وعاصم وابن عامر بضنين بالضاد اي بخيل يقال ضننت بالشيء بكسر النون اضن
ضنا وضنانة فانا ضنين اي بخيل فهو من باب علم يقول يأتيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم
بل يعلمكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا واختار ابو
عبيد قراءة الظاء لوجهين احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي اولى من نفي
اولى من نفي البخل والاخر قوله على الغيب ولو كان المراد البخل يقال بالغيب لانه يقال فلان ضنين
على كذا وحافة ان جانبه اشنا بها من الاسنان جمع ثنية وهي اربعة اسنان في مقدم الفم
اثنتان منها عليا واثنتان سفلى ورا الثنايا اسنان اربع يقال لها رباعية اثنتان
من فوق واثنتان من تحت وورائها الاضراس   يقول بعض المسترقة للسمع فستر
المسترقة بقوله بتوصيفه بالرجم وكان اهل مكة يقولون ان هذا القرآن يجي به الشيطان

كلكلة بمعنى سينه

فيلقيه عليه ثم نفى الله تعالى ذلك بهذه الآية وقيل المراد بالشيطان الأبيض الذي كان
يأتي الأنبياء في صورة جبريل عليه السلام يريد أن يفتنهم فإن قيل القول بصحة النبوة موقوف
على نفي هذا الاحتمال فكيف يمكن نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي قلنا دلائل صحة
النبوة وكون القرآن وحيا إلهيا كثيرة غير منحصرة فلا جرم أمكن نفي هذا الاحتمال بالدليل
السمعي استضلال لهم فيما يسلكونه شبهت حالهم بحال من يترك الجادة وهي معظم
الطريق ويسلك إلى غير المسلك فإنه يقال له إلى أين تذهب استضلالا له وإنكارا عليه
تعسفه فقيل لمن ترك الذي عدل عنه إلى الباطل ذلك القول والمعنى أي طريق تسلكون
أبين من هذه الطريقة التي ظهرت حقيته ووضحت استقامته وأين ظرف مكان
مبهم منصوب بتذهبون قال أبو البقاء التقدير إلى أين فحذف حرف الجر كقولك
ذهبت الشام أي إلى الشام وقال الفراء العرب تقول إلى أين تذهب وأين تذهب
وذهبت الشام وانطلقت السوق وإلى الشام وإلى السوق ويجوز أن لا يصار إلى
الحذف بل الطريق التضمين فكأنه قيل أين تؤمون وإن في قوله إن هو نافية بمعنى ما
والذكر بمعنى التذكير والعظة وخص من العالمين من بحاجة إلى التذكر والموعظة
وهو يعم من الإنس والجن والمخصص هو العقل كما في قوله تعالى الله خالق كل شيء أي
شيء ممكن لضرورة أنه ليس بخالق نفسه مع أنه ينطلق عليه اسم الشيء وسمى الله شيئا
لا كالأشياء دون ذاته عن جهات الست وإن انتهى إلى ما ذكر بقوله تذكير لمن يعلم
لمن شاء بدل من العالمين بإعادة الجار بدل البعض من الكل وأن يستقيم
مفعول شاء فكأنه قال ما هو إلا بيان وهداية للخلق أجمعين ما هو إلا
هداية لمن شاء الاستقامة منكم بتحري الحق وملازمته وإبداله من العالمين مع أنه
ذكر شرعي لجميع المكلفين لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم فكأنه مختص بهم ولم يوعظ
به غيرهم ثم بين أن مشيئة الاستقامة موقوفة على أن يشاء الله أن يعطيه تلك المشيئة لأن

تلك

تلك المشية صفة محدثة فلا بد في حدوثها من مشية اخرى فظهر من مجموع هذه الآيات ان فعل
الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة على ان يريد الله
ان يعطيه تلك الارادة والموقوف على الموقوف موقوف على ذلك الشيء فافعال العباد
ثبوتا ونفيا موقوفة على مشية الله وهذا هو قول اصحابنا وقول المعتزلة ان هذه
مخصوصة بمشية القهر والالجاء ضعيف لانا بينا ان المشية الاختيارية شيء حادث
فلا بد له من محدث فيتوقف حدوثها على ان يشاء محدثها ايجادها وحينئذ يعود
الالزام كذا قال الامام في الكبير   ما من شيء ذهابا اشارة الى ان الخطاب في قوله
وما تشاؤن ليس للمخاطبين في قوله فاين تذهبون بل للبعض منهم فان قوله لمن شاء
منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومنهم من لا يشاؤها ويخطأ لمن يشاؤها منهم
وجعل المصنف الا ان يشاء الله من اقامة المصدر موقع الزمان كما في اتيتك خفوق
النجم قال وهب بن منبه قرأت في كتب كثيرة مما انزل الله تعالى على الانبياء انه
من جعل الى نفسه شيئا من المشية فقد كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة و
كلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقال تعالى
وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله والآي في هذا كثيرة وكذا الاخبار   ذكر الله
تعالى في اول السورة اربعة اشياء من اشراط الساعة اثنان منها يتعلق بالعلويات واثنان
اخران يتعلق بالسفليات وقال اذا وقعت هذه الاشياء علمت كل نفس ما قدمت ثم
ذكر وقوعها عبارة عن خراب العالم وفناء الدنيا والسماء في هذا العالم كالسقف
والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه يبدأ اولا بتخريب السقف وذلك هو قوله
اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم انه تعالى بعد تخريب السماء
والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض بان يفجر بعض البحار في بعض بان يرفع الحاجز
الذي جعله الله تعالى برزخا فيصير الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل الارض

وبعثرتها انه تعالى اخبر باخر الامور بعثر الارض التي هي النبات بان يقلبها ظهرا لبطن
وبطنا لظهر يقال بعثرت المتاع وبحثرته اذا جعلت اسفله اعلاه فقولك بعثرت
القبور اي قلبتها بان جعلت اسفلها اعلاها وذلك انما يكون باخراج موتاها وقولك
بعثرت ما في القبور اذا استخرجت ما فيه وكشفته وقيل ان بعثر مركب من بعث
وراء ماخوذة من الاثارة كبسمل فانه مركب من بسم ولامه ماخوذة من لفظ الله
ويعضده قول ابي عبيدة في قوله تعالى اذا بعثر ما في القبور اي اثير واخرج كما نقله
الجوهري عنه والفلاسفة ينكرون امكان الخرق والالتيام على الافلاك ودليلنا على امكان
ذلك ان الاجسام متماثلة في كونها اجساما والمتماثلات يتحد حكمها فيصح على
العلويات ما يصح على السفليات وانما قلنا انها متماثلات لانه يصح تقسيمها الى السماوية
والارضية ومورد القسمة مشترك بين الاقسام فالعلويات والسفليات مشتركة في
انها اجسام فلا تتخالف فيما هو من لوازم الجسمية   من عمل او صدقة حمل كل
واحد من التقديم والتاخير اولا على معناهما الحقيقي ثم جوز ان يكون المراد بهما معناهما المجازي
بان يكون تقديم الوظائف بمعنى تكميلها والاتيان بها على حسب ما كلف بها بان يراعي جميع
شروطها وادابها من الاخلاص وحضور القلب والخشوع وتاخيرها تضييعها وان
لا ياتي بها تاما كاملا فان الافراد الكاملة تتقدم في الاعتداد الى درجات الاعتبار
والقبول والافراد الناقصة تتاخر فيه وعلى تقدير ان يراد بهما معناهما الحقيقي
ذكر فيما تقدم واخر وجهين الاول ان يكون المراد بما قدمه ما عمله بنفسه من الاعمال
الصالحة والسيئة مقدما على موته وبما اخره ما عمله بعد موته بالسببية بان سن
لمن بعده سنة حسنة كانت او سيئة فان الاعمال الحاصلة بمباشرة من بعده يصدق عليها
انها اعمال الميت اخرها عن موته لكونه سببا لها واسناد الفعل الى السبب شائع كثير
مثل بنى الامير ويراد بما قدمه الاموال التي تصدق بها قبل موته لتكون ذخيرة له

في الثانية

في النشأة الآخرة وبما اخرته الاموال التي اخرته لورثته وقد مر ان تنكير نفس
في الاثبات لا ينافي ارادة العموم بل هو عموم ما الموصولة فيعلم العلم الحقيقي كناية
كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة فان
قيل في اي موقف من مواقف القيامة يحصل له هذا العلم قلنا اما العلم الاجمالي
فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصي يرى آثار
الشقاوة في اول الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة
اي شيء خدعك وجراك على عصيانه اشارة الى ان ما في قوله ما غرك استفهامية
في موضع الابتداء وغرك خبره وغرك بمعنى خدعك وخطاب بنفي قوله يا ايها الانسان يتناول
جميع العصاة ونزول الاية في الوليد بن المغيرة اذ هو خبره في الكفرة على ما روي لا ينافي
ارادة العموم لما تقرر ان خصوص السبب لا يقدح في ابقاء اللفظ العام على عمومه و
ان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب واشار المص الى ارادة العموم بقوله وجراك
على عصيانه وقيل المراد بالانسان الكافر المنكر بالبعث بقوله بعد ذلك كلا بل تكذبون بالدين
يقال غره فلان اذا جراه عليه وامنه المحذور من جهته مع انه غير مامون وهو كقوله ولا يغرنكم
بالله الغرور فالمعنى ما الذي خدعك وسول لك معصية ربك وامنك من عقابه والاستفهام
بمعنى الانكار والاستجهال والتوبيخ ولما ورد ان يقال الاعتقاد بكرم الرب تعالى وجوده يقتضي
ان يغتر الانسان به لان الكرم والجود هو افادة حاجة المحتاج لا لعوض فاذا لم يكن الكريم
مستفيضا فيما فعله يستوي عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب في الاحسان اليهما وهذا
يوجب الاغترار به وقد روي ان عليا رضه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب
فقال له لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه
ولولا ان كرم الكريم لم يوجب الاغترار لما استحسن جواب الغلام واذا ثبت ان الكرم
يقتضي الاغترار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاغترار به اشار المص الى جوابه بقوله

وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار به اي لا نسلم ان الكرم يقتضي الاغترار به بل هو يقتضي
الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم ينافي كونه كريما بالنسبة
الى المظلوم وكذا التسوية بين المطيع والعاصي وبين الموالي والمعادي اساءة للمولي
والمطيع فتبين ان محض الكرم لا يقتضي الاغترار به خصوصا اذا انضم اليه صفة القهر ثم اشار
الى فائدتين اخريين لذكر الكريم بقوله والاشعار وبقوله والدلالة فانهما معطوفان
على المبالغة في قوله للمبالغة فالمعنى على هاتين الفائدتين ثم نعتهم بما به يغرك الشيطان
في كثرة كرمه مع انها تستدعي الجد في الطاعة قضاء لحق شكره وفيه اشارة الى ان سبب
اغترار ابن آدم تسويل الشيطان بقوله افعل ما شئت فربك كريم كما روي عن قتادة
قال الحسن حمقه وجهله قال مقاتل غره عفو الله عنه حيث لم يعاقبه اول امره
وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله تعالى يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك
الكريم ماذا تقول قال اقول غرتني ستورك المرخاة اي انك رأيت فسترت
وقدرت فامهلت فلما رأيت كثرة ما منحتك اغتررت بها قال بعض اهل
الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه اي مجيب
بان يقول غرني كرم الكريم وقيل لابي بكر الوراق لو قيل لك يوم القيامة ما غرك بربك
الكريم ما تقول قال اقول غرني كرمك ثم قال ولو قال ما غرك بربك الجبار
القهار لكان فيه اضطرار فلما قال بربك الكريم كان ذلك تلقينا للجواب وقيل في هذا
المعنى بقول مولاي اما تستحي مما ارى من سوء افعالك فقلت يا مولي دفعا
فقد جرأني كثرة افضالك ولما وصف الله تعالى نفسه بالربوبية والكرم اتبعه بقوله
الذي خلقك فسواك فعدلك ليكون كالدليل على ربوبيته وكرمه ودلالته على ربوبيته
ظاهر لانه يتحقق بهذه الامور الثلثة في المخلوق فلا جرم يكون ربا مالكا له وكذا دلالته على
الكرم لانه لا شك ان الخلق كرم وجود لان الوجود خير من العدم وكذا تسوية الاعضاء وتعديل

البنية

البنية معدة لمنافعها حال من المستوى منه سواه وحال مع عامله كالبيان لجعل
الاعضاء سليمة عما يخل بمنافعها فقوله فسويك اى جعلك بشرا سويا اى تام الخلق
سالما من النقصان في خلقته بان خلقه مشتملا على جميع ما يحتاج اليه في مقاصده من
الآلات والاعضاء وبحيث يترتب على كل عضو منها منفعة التي خلق ذلك العضو
لاجلها ونظيره قوله تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا
فتمثل لها بشرا سويا والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء الظاهر
انه اراد باعتدال البنية اعتدال كيفياتها المتضادة بكون كل واحدة منها منكسرة من سورتها
عن صرافتها لحصول الفعل والانفعال بينها وبتناسب الاعضاء كون كل عضو منها معادلا دلا
للآخر بان لا يتفاوت بعضها عن بعض مثل ان يكون احد اليدين او الرجلين او الاذنين
مثلا اطول من الاخر او يكون احد العينين اوسع من الاخر قال العلماء التشريح ان الله تعالى
ركب جانبي بدنه على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام
ولا في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعضاء النافذة فيها والخارجة منها
فكل ما في احد الجانبين مساو لما في الجانب الآخر كانه عدل له او معتدلة بما
تستعد من القوى عطف على قوله معتدلة او تمكنوى من تستعد ضمير البنية بل
بتقدير المضاف وهو الاعضاء والبارز المنصوب راجع الى ما وانث العائد اليه
باعتبار كونه عبارة عن القوى والمقصود او التعديل جعل كل عضو من اعضاء
البنية معدا لاستعمال مخصوص له من القوة كاليد للبطش والرجل للمشي واللسان
للتكلم والعين للابصار الى غير ذلك فالتعديل على هذا بين الاعضاء ومنافعها التي
هي القوة المودعة فيها وذكر لفراده على ذلك بالتخفيف وجهين الاول انه بمعنى
التسديد اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني انه من العدول اى
فصرفك عن الخلقة المكروهة التي لسائر الحيوانات الى احسن تقويم والغاء في فسواك

وفي فعدلك لافادة ان ما بعدها كلام مرتب على ما قبلها في الذكر لانها عاطفة لتفصيل
المجمل على المجمل وموضع ذكر التفصيل بعد الاجمال كما تقول احببته فقلت لبيك والتسوية
في الاية تفصيل للخلق والتعديل للتسوية   اي ركبك في اي شيء صورة ما
شاء وهي في موضع جر على انه صفة لصورة فلذلك قدر الضمير بعد شاء ليربط جملة الصفة
بالموصوف ولم يعطف جملة ركبك على ما قبلها لانها بيان لقوله فعدلك اي فعدلك
ركبك في اي صورة تقتضيها مشيته وحكمته في الصور المختلفة مما يشبه الاب او الام
او اقارب الام وفي الطويل والقصير والحسن والقبيح وصورة الذكر والانثى ويحتمل
ان يكون في اي صورة متعلقا بمحذوف هو حال من مفعول ركبك اي ركبك حاصلا
اي في اي صورة شاءها وقيل انه متعلق بعدلك وفيه ان اي اسم الاستفهام
فلها صدر الكلام فكيف يعمل فيها ما تقدمها وكان الزمخشري استشعر هذا
فقال فيكون في اي بمعنى التعجب على معنى فعدلك في صورة عجيبة ثم ابتدا جل ذكره
فقال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب على ان ما في ما شاء اما موصولة
او موصوفة وهي عبارة عن التركيب فيكون مفعولا مطلقا اي ركبك تركيبا
حسنا شاءه التركيب وتوصيفه بالحسن ليوافق معنى التعجب المستفاد من قوله في اي صورة
وبهذا الحمل امكن تجويز التقدم العامل على اسم الاستفهام وان دخله معنى التعجب
الا يرى ان كيف واين وان دخلهما معنى التعجب لا يتقدم عاملهما عليهما
وقيل ما شرطية وشاء فعل الشرط وركبك جزاء الشرط فيكونان في موضع الجزم
والمعنى وما شاء من الصور ركبك عليها والجملة الشرطية في موضع الجر على انها
صفة لصورة ايضا والعائد محذوف وهو عليها   والظرف صلة عدلك
يعني ان قوله في اي صورة على تقدير ان يكون ما شرطية متعلقا بعدلك ولا يجوز
ان يكون متعلقا بركبك لانه لما كان في حيز الشرط لا يتقدم عليه الا يرى انك اذا

قلت

قلت ان تضرب زيدا اضربه عمرو الا يجوز تقديم عمرو على ان تضرب وقد قررنا انه لا يجوز
يكون في صلة عدلك لانه استفهام والاستفهام لا يعمل فيه ان يكون متعلقا بمحذوف يدل
عليه ركبك وفي جعله متعلقا بعدلك يجعل في اي بمعنى التعجب على معنى فعدلك في صورة
عجيبة ويجعل قوله ما شاء ركبك كلاما مستبدا على معنى ما شاء في الصور ركبك عليها قال
الامام لما اخبر في الآية الاولى عن وقوع الحشرات وبعثرتها ذكر يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
الآية اي ما يدل عقلا على امكانه وعلى وقوعه وذلك لان القادر الذي خلق هذه البنية
الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يقال انه خلقها لا لحكمة او لحكمة فان خلقها لا لحكمة
كان ذلك عبثا وهو غير جائز على الحكيم وان خلقها لحكمة فتلك الحكمة اما ان تكون عائدة
الى الله تعالى او الى العبد والاول باطل لانه تعالى متعال عن الاستكمال والانتفاع فتعين
الثاني وهو انه خلق الخلق لحكمة عائدة الى العبد وتلك الحكمة اما ان يظهر في الدنيا
او في دار سوى الدنيا والاول باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار الانتفاع
والجزاء ولما بطل كل ذلك ثبت انه لا بد بعد هذه الدار دار اخرى فثبت ان الاعتراف
بوجود الاله الكريم الذي يقدر على التخليق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل
ان يقطع بانه سبحانه يبعث الاموات ويحشرهم وهذا الاستدلال هو الذي ذكره بعينه
في سورة والتين حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم الى ان قال فما يكذبك
بعد بالدين اضراب النهي عن غرورهم بما يجاب بالارتداع فان كلمة بل لنفي ما تقدم
وتحقيق غيره وهو معنى الاضراب والشيء المتقدم ههنا ايجاب الارتداع عن الاغترار
بكرم الله تعالى عليهم فنفى بكلمة بل ارتداعهم عنه وتبين ما هو السبب في اغترارهم عليه
كأنه قال انهم لا يرتدعون عن الاغترار بالكرم اي عما يكون ذلك الاغترار وسيلة اليه وهو
الاصرار على الكفر والمعاصي بل يصرون عليه على ان يكون المراد بالاغترار بالكرم لازمه وكيف
لا يصرون عليه وعندهم ما هو السبب الاصلي لذلك الاصرار وهو تكذيب يوم الحساب والجزاء

على ان يراد بالدين الجزاء والمكافاة يقال دانه دينا اي جازاه ويقال كما تدين تدان
اي كما تجازي تجازى ومنه الديان في صفة الله وان اريد بالدين الاسلام كما في قوله
ان الدين عند الله الاسلام يكون المعنى انكم تكذبون بالجزاء على الدين الذي هو الاسلام
ليظهر وجه الاضراب وان عليكم لحافظين يجوز ان يكون الجملة حالا من فاعل تكذبون
اي تكذبون في حالة هذه ويجوز ان يكون مستانفة اخبرهم بذلك لينزجروا عن تكذيب ما كذبوه
والمعنى انكم تكذبون بالجزاء والحال ان الكاتبين يكتبون عليكم اعمالكم لتجازوا
بها فظهر ان الحق تحقيق ما كذبوه ورد ما توهموه لتعظيم الجزاء اي
لبيان انه عند الله تعالى من عظائم الامور فانه لولا ذلك لما وكل بضبط ما يجازى
به الملائكة الكرام عنده لحافظين في تقدير الملائكة حافظين وكراما
نعت وكذا كاتبين ويعلمون يجوز ان يكون صفة ايضا وان يكون حالا من ضمير
كاتبين وان يكون مستانفا وصفهم الله تعالى بكونهم حافظين لحفظهم الاعمال
وبكونهم كراما لكرامتهم على الله تعالى لجدهم في طاعته وبكونهم كاتبين لانهم يكتبون
اعمال بني آدم على علم منهم بجميع افعالهم فان قيل قوله ما تفعلون يعم افعال
وهي غير مرئية ولا محسوسة فيكون هي من المغيبات والغيب لا يعلمه الا الله تعالى
على ما قال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو واذا لم تكن هذه الافعال
معلومة للملائكة استحال ان يكتبوها والاية تقتضي كتابتهم كل ما تفعلونه
سواء كان ذلك من افعال القلوب ام لا اجيب بان ما تفعلون عام مخصوص با
بافعال الجوارح وتخصيص العام كثير شايع وقيل فيه كيف يعلم الملائكة ان العبد
قد هم بمعصية او حسنة قال اذا هم العبد بحسنة وجدوا ريح المسك واذا هم بسيئة
وجدوا منه ريح النتن وقوله تعالى وان عليكم وان كان خطابا مشافهة الا ان الامة
اجمعوا على ان هذا الحكم عام في حق كل المكلفين ثم انه تعالى بعد ان وصف الكرام الكاتبين

الاعمال

لاعمال العباد ذكر احوال العاملين فقال ان الابرار لفي نعيم وهو نعيم الجنة والجحيم النار
ويصلونها صفة لجحيم او حال من المنوي في الخبر ويوم الدين ظرف له تعجيب
وتفخيم شان اليوم وهذا المعنى يستفاد بذكره اولا والثاني تاكيد للاول فصح ان المجموع
من قبيل التعجب والتفخيم وعن ابن عباس رضه كل ما في القران من قوله وما ادريك فقد دراه
وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه لا يدركه دراية دار اشارة الى
ان ما ادريك خطاب عام وقال الاكثرون انه خطاب للرسول عليه السلام وانما خاطبه
بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحي وقيل الحكم كذلك في على وجه الزجر له
تقرير شدة هول احوال من حيث انه عرفهم انه لا يغني عنهم الا البر والطاعة يومئذ دون
سائر ما كان قد يغني عنهم في الدنيا من مال وولد واعوان وشفعاء فان اهل الدنيا لما
يتغلبون على الملك ويعين بعضهم بعضا في امور ويحمي بعضهم بعضا فاذا كان يوم القيمة
بطل ذلك كله لان الله تعالى لم يملك في ذلك اليوم احدا شيئا من الامور كما ملكهم في دار الدنيا
فكيف يكون حال من خالفه وعصاه او الخبر المحذوف وذلك انه لما قال وما ادريك
ما يوم الدين قال يوم لا تملك اي هو يوم لا تملك وقرا الباقون بالفتح ثم اختلفوا
في انها فتحة اعراب او بناء ومن قال انها حركة اعراب ذكروا النصب وجوها احدها
ان يكون بدلا من يوم الدين في قوله يصلونها يوم الدين وثانيها ان يكون ظرفا لفعل محذوف
يدل عليه الدين اي يدانون ويجازون في ذلك اليوم وثالثها ان يكون منصوبا باضمار اذكر
او اعني فيكون مفعولا به ومن قال انه فتحة بناء قال انما بني لاضافته الى قوله لا تملك
وما اضيف الى غير المتمكن قد يبنى على الفتح وانه في موضع الرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اي الجزاء يوم لا تملك يدل عليه الدين قال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم
لو ارسلت فيها الجبال لذابت من حرها وقال المفسرون هو شدة من العذاب وقال
ابن كيسان هو كلمة لكل مكروب فقوله ويل كناية عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء

والحجة عليه الموصلة أن يقول وا ويلاه ونحوه وهو مبتدأ وللمطففين خبره وجاز الابتداء
به لأنه اسم علم للواد مخصوص به أو لأنه في الأصل مصدر منصوب بإضمار فعله لأن لفظه فإن
أصله أهلكه الله إهلاكا وأهلك هو هلاكا والويل بمعنى الهلاك أو الإهلاك فلما حذف
الفعل وأسند الويل إليه عدل إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه
كما في سلام عليك فلما كان الويل في الأصل مصدرا سادا مسد الفعل المختص بصدوره
عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل في الابتداء بها لذلك
لأن ما يختلس طفيف علة تسمية من يخون في الكيل والوزن بأن لا يعطي المشتري
حقه تاما كاملا مطففا يعني أن الطفيف هو الشيء الحقير القليل والتطفيف في
المكيال والميزان نقص شيء طفيف من حق المشتري بأن لا يملأ المكيال إلى جوانبه و
بأن لا يسوي عمود الميزان فينقص شيء قليل من حقه على سبيل الخفية وذلك لأن نقص
الكثير يظهر فيمنع منه فالمطفف لا يقدر أن ينقص من حقهم إلا شيئا طفيفا فسمي
مطففا لذلك يقال بخس حقه يبخسه بخسا إذا نقصه   إذا اكتالوا على الناس
يريد أن الاكتيال الأخذ بالكيل كما أن الاتزان الأخذ بالميزان وأن اللغة الشائعة
أن يقال اكتلت من فلان ولا يقال على فلان إلا أنه في الآية أقيمت كلمة على مقام
من لوجهين الأول للدلالة على أن المأخوذ ما على الناس من الحق فإنه إذا قيل ا
اكتلت منه يراد الحقوق فيه وأخذت منه بالكيل والثاني للدلالة على أن اكتيالهم
من الناس اكتيال فيه إضرارهم وتحامل عليهم فإن كلمة على تدل على الإضرار والظلم
يقال تحامل عليه ظلمه فقولهم اكتال عليه بمعنى أخذ منه أخذا متضمنا للتحامل و
الظلم عليه وفيه أن هذا الوجه يأبى قوله تعالى يستوفون لأن معناه يستكملون ويقبضون
حقهم تاما وافيا فكيف يتصور الظلم والإضرار فيتعين الوجه الأول أظهر وأقرب
أي إذا كالوا الناس أو وزنوا لهم يريد أن اللغة الشائعة أن يقال كالوا لهم أو

أو وزنوهم

او وزنوهم ولا يقال كلتوا او وزنتوا وان الآية من قبيل الحذف والايصال كما في
جنيتك بمعنى جنيت لاجلك والاصل كالوا لهم البيع فحذف المفعول به للعلم به
للعلم به ثم حذف اي رواوصل الفعل فلفظ هم منصوب المحل متصل في التقدير عائد
الى الناس واما من قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير كالوا مكيلهم
ولا يخفى ان يكون لفظ هم ضميرا مرفوعا منفصلا مؤكدا للضمير الفاعل المتصل با
بالفعل بوجهين الاول انه يفوت ارتباط احد الكلامين بالاخر وذلك لان الكلام
الاول وهو قوله اذا اكتالوا على الناس يستوفون في حال المطففين في الاخذ ولا يرتبط
الكلام الثاني به الا بان نبين ان حالهم في الدفع تخالف حالهم في الاخذ وهو يقتضي
اتحاد مباشر الاخذ والدفع وفاعلهما فلو جعل المنفصل تأكيدا للمرفوع المتصل لفهم
ان الحق بيان اختلاف الحال بين مباشرتهم ومباشرة غيرهم ولكن عمقصود ولا يطابق
ما قبله ايضا لان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل او الوزن
هم بخصوصهم اخسروا ونقصوا حق صاحب الحق ولا يخفى انه كلام متنافر المعنى خال
عن الانتظام والالتيام والثاني انه لو كان مرفوعا مؤكدا لوجب ان يكتب الالف
بعد واو الجمع في امام المصحف كما هو الاصل في مثاله ولقد جنيتك ولقد اكموا
وعاقل اخوه ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والعسقول ضرب من الكمادة الواحدة
عسقول وهي الكمادة الكبار البيض يقال لها شحمة الارض والكمادة واحدها كم
على غير القياس وهو من النوادر تقول هذه كماة وهذان كمآن وهولاء ثلثة فاذا كثرت
فهي الكمادات الكماة وبنات الاوبر كماة صغار مزغبة على لون التراب يقال جنيت
الثمرة اجنيها حتى لى اذا اخذتها من منابتها تقول للكماة لاجلك لنوعين من الكمء اجودها
ونهيتك عن النوع الاخر الذي هو ارادا انواعها وفيه انكار وتعجيب من حالهم
الانكار مستفاد من صورة الاستفهام فان الا هنا ليست هي الة التنبيه بل هي همزة الاستفهام

دخلت على لا النافية فافادت الانكار على انتفاء ظنهم والتعجيب سناد من ذكر الظن في موضع
ذكر اليقين والانكار على انتفائه فان الواجب على العاقل ان يتيقن بالبعث والحساب والجزاء
لتعاضد الدلائل العقلية والنقلية عليها فلا يتجاسر على ما يوجب الافتضاح والخجالة
في يوم الحساب وان لم يتيقن به فلا اقل من ان يظنه ومن يتجاسر على ارتكاب القبائح يرى
من ظاهر حاله انه لا يظن البعث والحساب ولا يخطر ذلك بباله فضلا عن التيقن به لان الظن
كاف في حصول الخوف الموجب للامتناع عنها وعدم امتناعه يدل على انتفاء ظنه بذلك
ايضا وذلك امر عجيب   لحكمه بتقدير المضاف اي يقومون لمجرد امره وحكمه بذلك
لا لشيء آخر ويجوز ان يكون المضاف المقدر للمحاسبة او الورود اي يوم يقومون لمحاسبة
رب العالمين فيظهر هناك تطفيفهم بذلك القدر الطفيف لحقيته خفية وظلما فينتصف
للمظلوم من الظالم او يوم يقومون لورود رب العالمين او دعاهم الى ايجادهم فيقومون
من مرقدهم لذلك وروي في كيفية قيامهم عن النبي عم انه قال يقوم احدكم في رشحه
الى انصاف اذنيه وفي كمية ذلك القيام انه عم قال يقوم الناس مقدار ثلثمائة سنة
من سني الدنيا لا يؤمر فيهم بامر وعن ابن مسعود رضه يمكثون اربعين عاما ثم يخاطبون و
قال ابن عباس رضه وهو في حق المؤمن كقدر انصرافهم من صلوة مكتوبة
وذكر الظن فان ذكره ليس لاجل ان امر البعث والقيام والمحاسبة من القضايا التي يكفي
للمؤمن ان يظن بوقوعه لانه مما يجب ان يعتقد به المؤمن اعتقادا جازما ثابتا بل انما ذكر
للمبالغة في المنع عن التطفيف لدلالته على ان الظن بالبعث والقيام يكفي في الامتناع
والارتداع عن امثاله فضلا عن الجزم واليقين وكذا وصف اليوم بالعظيم فان ما استعظمه
الله تعالى لا شك انه يكون في غاية العظمة ووجه ان عظمته لعظم ما يكون فيه من الاهوال وكذا
ذكر القيام في العبودية للحساب والجزاء لحكم الله تعالى بذلك فان المطفف اذا حكم عليه بذلك القيام
والمحاسبة والمجازات على تطفيفه يكون ذلك مبالغة في المنع عنه وتعظيما لاثمه لا يكاد وقد

وصف

وصف تعالى نفسه بكونه ربا للعالمين المشتمل على الكبرية والتربية فلا يمتنع عليه الظالم القوي
لكونه مملوكا مسخرا في قبضة قدرته ولا يترك حق المظلوم الضعيف لانه رب العالمين ومقتضى
التربية ان لا يضيع شيئا من حقوق المستحقين واصل المنع عن التطفيف حصل بقوله اولا ويل
للمطففين لانه كلمة المكروب الواقع في بلية فدل بذلك على انهم تنزل بهم بسبب تطفيفهم بلية
وعذاب هائل فيدعون بذلك على انفسهم بالويل والثبور وما ذكر بعده للمبالغة فيه قال
اعرابي لبعض من الملوك انك قد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين واراد بذلك ان المطفف
قد توجه عليه الوعيد العظيم في اخذ القليل فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين
بلا كيل ولا وزن   ما يكتب من اعمالهم لما ورد ان يقال انه تعالى قد اخبر ان كتاب الفجار
في سجين ثم فسر السجين بقوله كتاب مرقوم فصار كانه تعالى قال ان كتابهم في كتاب
مرقوم فما معناه اشار المصنف الى توجيه المعنى بان الكتاب في كتاب الفجار مصدر كتب يقال
كتب كتبا وكتابا وكتابة ثم ان المصدر اما ان يكون بمعنى المفعول كضرب الامير والكتاب
الذي فسر به السجين بمعنى السفر الذي كتب فيه فالمعنى الاعمال المكتوبة للفجار مثبتة
في الكتاب الجامع لجميع اعمال الفجرة واما ان يكون باقيا على معناه ويقدر المضاف فتقدير
كتاب الفجار كتابة اعمال الفجار في الكتاب الجامع وقال القفال قوله كتاب مرقوم ليس
تفسير السجين بل هو خبر مبتدأ محذوف لان معناه ان كتاب الفجار لفي سجين وانه كتاب مرقوم
وقوله وما ادراك ما سجين وقع معترضا بين الخبرين وقال الامام اي استبعاد في كون
احد الكتابين في الاخر اما بان يوضع كتاب الفجار في الكتاب الذي هو الاصل المرجوع اليه
في تفصيل احوال الاشقياء او بان ينقل ما في كتاب الى ذلك الكتاب المسمى بالسجين وفيه
وجه ثالث وهو ان يكون المراد بالكتابة فيكون المعنى كتابة الفجار لفي سجين اي كتابة اعمالهم
في سجين ثم وصف السجين بانه كتاب مرقوم فيه جميع اعمال الفجار انتهى كلامه بعبارته
اي مسطور بين الكتابة وجوهر الرقم الكتابة والختم فان فسر المرقوم بالكتابة يكون توصيف

الكتابة للدلالة على انه بين الكتابة بحيث لمن نظر اليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر واعمال توجه
وان فسر بالمختوم يكون الحق الدلالة على ان ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه
وكونه من اصحاب النار لان الختم علامة وكونه علامة الشر مستفاد من المقام لانه مقام التهويل

فقيل في السجين اختلف في ان السجين اسم علم لشيء معين او كلي معين او علم مشتق
من معنى فمن ذهب الى الثاني قال انه فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق كما يقال فسيق
من الفسق لقب به الكتاب يعني انه العرض في اسماء الصفة وموضوع للمبالغة
سماعي ثم نقل من الوصفية وجعل علما للكتاب تسمية للسبب باسم المسبب دلالة على المبالغة
في كونه سببا للحبس والتضييق من حيث ان الحبس الواقع به الخلود والابد وان كان في
اصل السجين مبالغة المسجون يكون تسمية الكتاب بالكونه مطروحا في اخس المواضع و
اوحشها من حيث الظلمة والتضييق وفيه ابليس وذريته فيطرح فيه كتاب اعمال الفجار
من حيث ان اعمالهم لا يقبل فلا يصعد موضع القبول وقيل هو اسم مكان
من ذهب الى انه في الاصل اسم علم لشيء معين منهم من قال انه الارضين السبعة السفلى
وقيل وفيها ابليس وذريته وروى عنه عم انه قال سجين جب في جهنم وقال
الكلبي ومجاهد سجين صخرة تحت الارضين السبع وعن ابن عباس رض انه قال لكعب الاحبار
اخبرني عن سجين وعليين فقال كعب والذي نفسي بيده لا اخبرتك عنهما الا بما اجد
في كتاب الله المنزل اما سجين فانها صخرة سوداء تحت الارضين السبع مكتوب فيها اسم
كل شيطان فاذا قبضت نفس المؤمن الكافر عرج بها الى السماء فغلقت ابواب السماء
دونها ثم رمي بها الى سجين فذلك هو سجين واما عليون فانه اذا قبضت نفس المؤمن
المسلم عرج بها الى السماء وفتحت لها ابواب السماء حتى ينتهي الى العرش فالك فيخرج
كف من العرش فتكتب له نزله وكرامته فذاك عليون وقيل حفظ كتاب الفجار في اخس
المواضع والزمها عذابا الى ان يبعثوا اعلاما بسوء احوال اصحابه وخساستهم ثم ان كان

السجين

السجين لما لا اقبح الموضع ولعلها لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يقدر
المضاف الى سجين او الى كتاب ليصح الحمل واشار اليه المحشي بقوله والتقدير ما كتاب
السجين   بالحق او بذلك فان اتصل قوله ويل يومئذ بقوله يوم يقوم الناس
لرب العالمين يكون المعنى ويل يوم يقوم الناس لرب العالمين لمن كذب باخبار الله
وان اتصل بقوله كتاب مرقوم ومعناه مرقوم برقم يدل على شقاوة صاحبه يوم القيمة
يكون المعنى ويل في ذلك اليوم للمكذبين بذلك   صفة مخصصة او موضحة او ذامة
التخصيص في اصطلاحهم تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات مثل رجل صالح فان
الصفة فيه قلل شركة الموصوف ولم يعينه والتوضيح رفع الاشتراك الحاصل في المعارف
اعلاما كانت او لا نحو زيد العالم والرجل الفاضل ولام التعريف في المكذبين ههنا
ليست للاشارة الى نفس الحقيقة مع قطع النظر عن تحققها في ضمن الفرد وهو ظ
ولا للاستغراق لان المكذب بالباطل ليس بمراد قطعا فهي اما للتعريف العهد الذهني
فيكون في حكم النكرة مثله قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فالوصف يقلل الاشتراك
ويخصصه بمن يكذب بيوم الدين واما للتعريف العهد الخارجي والمعهود هم المكذبون
باخبار الله او بكون كتاب الفجار في سجين مرقوما بما يدل على شقاوة صاحبه يوم القيمة
وهم وان كانت طائفة متعينة الا انهم وصفوا بما هو اخص اوصافهم وهو التكذيب
بيوم الدين لزيادة الايضاح ودفع ما عرض لهم في بعض الشركة والابهام في بعض
الوجوه وكموصوف المعرفة ان لم يعرض له قبل التوصيف شيء من الشركة والابهام يكون
التوصيف لمجرد الثناء كما في نحو بسم الله الرحمن الرحيم اذ لا يتصور عروض الشركة
للمسمى باسم الله تعالى او لمجرد الذم كما في نحو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم والوصف ههنا
كما يجوز ان يكون للتخصيص والتوضيح يجوز ان يكون للذم ايضا بناء على ان تكذيبهم بيوم
الدين علم في قوله الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم   المخزية اي المنتجة نتيجة "

باطلة والمثمرة فائدة ناقصة منقطعة لخروج الناقة اذا اجابت بولادها ناقصا
خلق والاعتدا هو التجاوز عن المنهج الحق وحمله المصنف على اهمال القوة النظرية التي
كمالها ان يعرف الحق لذاته مثل ان يعرف وحدة الصانع واتصافه باوصاف
الجلال والكمال وتنزهه عما لا يليق بشان الالوهية والمكذب بالبعث والقيمة انما
يكذب به لاستقصاره قدرة الله وعدم اعتقاده بكونه قادرا على جميع الممكنات
او لاستقصاره علمه وعدم اعتقاده بكونه عالما بجميع المعلومات الكليات والجزئيات
حتى يتيقن بانه عالم بتفصيل اجزاء كل شخص متميزة عن اجزاء غيره وانه قادر
على جمعها واعادة الحيوة فيها فلا شك ان في وصفه به بما لا يجوز ان يوصف به
فقد اهمل قوته النظرية ولم يستعملها ليكتسب بها العقائد الصحيحة ويعتقد بها
والاثيم يدل على المبالغة في ارتكاب الاثم والمعاصي بالاشتغال بالشهوة والغضب
بحيث لم يتفرغ بذلك للعبادة والطاعة بل للنظر المؤدي الى الايمان بالبعث
والقيمة ومن كان شانه فقد اهمل قوته العملية التي كمالها ان يعرف الحق للعمل به
ثم انه بالغ في ذم المكذب بان وصفه بالاعتداء في النظر في شواهد النقل بانكار
النبوة والقدح في كون القرآن من عند الله والاعتداء بهذا الوجه وان كان مندرجا في
الاعتداء المذكور اولا الا انه خص بالمبالغة في ذم من اتصف به فان امر الارسال
والانزال اشرف اثار رحمة الله تعالى وفضله على عباده وفي انكارها نهاية غاية
الطغيان وكل ما يبعد منه تكذيب يوم الدين ففي الصحاح السطر يكون الطراد
الصف من الشيء يجمع على اسطر وسطور مثل افلس وفلوس ثم جمع فلس او لسطر
بفتح الطاء مثله ويجمع على اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير والاساطير
الاباطيل الواحد اسطورة بالضم واسطارة بالكسر انتهى فاساطير الاولين اي
اكاذيبهم واخبارهم الباطلة والظاهر انه عام في حق جميع الموصوفين بهذه

الصفات

الصفات نظرا الى لفظ كل وقيل ان المراد به الوليد بن المغيرة احتجاجا بقوله تعالى
في سورة ن ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله معتد اثيم والى قوله اذا تتلى عليه آياتنا
قال اساطير الاولين حيث قيل ان الوليد بن المغيرة فعلى هذا يكون المعنى وما يكذب بيوم
الدين من قريش او من قوم مكة الا كل معتد اثيم وهو هذا الشخص المعين   وقوله كلا
قالوه اشارة الى ان وجه الاضراب ههنا ابطال الكلام المتقدم والاعراض عنه لبطلانه
مع الشروع في كلام يتعلق به وقد يكون الاضراب لمجرد الاعراض عما سبق وجعله في حكم المسكوت عنه
مع الشروع فيما هو اهم منه وههنا اوجب عليها الارتداع عن ذلك القول المنكر ثم اضرب عنه
الى بيان ما ادى بهم اليه كانه قيل ليس الامر كما يقولون من انه اساطير بل افعالهم الماضية
كان سببا لحصول الرين في قلوبهم فلذلك اجترؤا على ان يقولوا ذلك وفسر الرين بالصدا
او الذنب بعد الذنب رين اشتد تورهما الى تفسيره بالغلبة كما قال ابو عبيدة كل ما غلبك
فقد ران بك وران بك وران عليك وران على قلوبهم غلب عليها والخمر ترين على عقل
السكران والموت يرين على الميت اي يغلب فيذهب به فيقال رين بالرجل ران
رينا اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع
على القلب هو اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وهو ان يقفل على القلب   و
قال الزجاج ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم يقال ران على قلبه الذنب يرين رينا
اي غشيه والرين كالصدا يغشى القلب ومثله الغين   فان كنت قال الافعال
سبب لحصول الملكة مقبل لكون الانهماك في المعاصي سبب الغلبة صب المعاصي عليهم فان من
اراد تعلم الكتابة فكلما كان اتيانه بعمل الكتابة اكثر كان اقتداره على عمل الكتابة اتم الى
ان يصير بحيث يقدر على الاتيان بالكتابة من غير روية وفكر بل يصير ذلك كالامور الطبيعية
التي جبل عليها الانسان فهذه الهيئة النفسانية والملكة الراسخة لما تولدت في تلك
الاعمال اثر في حصول تلك الملكة النفسانية فكذا الانسان اذا واظب على الاتيان ببعض انواع

الذنوب حصلت في قلبه ملكة نفسانية يزول بسببها اباؤه عن الاتيان بتلك الذنوب ويسهل
عليه ذلك ولا معنى للذنب الا ما يشغلك بغير الله ويقصد لغير وجهه وقيل من ضيائه فيكون
ظلمة على القلب فاذا الذنوب كلها ظلمات وسواد كما ان الطاعات كلها انوار وضياء
فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب سوادا واحتجابا وسواد القلب يزداد السواد
وقساوة حتى يسود القلب كله والعياذ بالله فلم يبق في قلبه شيء من الحياء والخشية ويرتفع
بالكلية ما يمنعه عن اتباع الشهوة والغضب فيغلب عليه حب المعاصي فيقع فيها لا يستطيع
الخروج منه ولما كانت مراتب الملكة في الشدة والضعف مختلفة لا جرم كانت مراتب
ظلمة القلب وسواده مختلفة فبعضها يكون رينا وبعضها طبعا وبعضها اقفالا وقيل
للانسان ثلثة انواع من الذنوب تقابلها في الدنيا ثلث عقوبات الاولى الغفلة عن العبادة
وذلك يورث جراءة على ارتكاب الذنوب وهو الران والمراد بها بقوله ان المؤمن
اذا اذنب ذنبا او رشح قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان ازداد
زادت حتى يغلق قلبه والثانية الجراءة على ارتكاب المحارم لما الشهوة تدعوه اليه او شره
لحسنه عنده وتورثه وقاحة وهو المعبر عنها بالرين في قوله كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون والثالثة الضلال وهو ان يسبق الى اعتقاد مذهب باطل واعظم الكفر
فلا يكاد يلتفت عنه لوجه الحق وذلك يورث هيئة تمرنه على استحسان المعاصي و
استقباح الطاعات وهو المعبر عنه بالختم والطبع في نحو قوله اولئك طبع الله على قلوبهم وقوله
وختم على سمعه وقلبه وبالاقفال في قوله ام على قلوب اقفالها وما في قوله ما كانوا
يكسبون يجوز ان يكون مصدرية وان يكون موصولة والعائد محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية
على كلا التقديرين اي غلب على قلوبهم كسبهم او الذي كانوا يكسبونه   فلا يرونه
بخلاف المؤمنين سئل مالك بن انس عن هذه الاية فقال لما حجب اعداءه فلم يروه لابد
ان يتجلى لاوليائه حتى يروه وعن الشافعي في الحجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه

بالرضى

بالوضع وقال مقاتل يعني انهم بعد العرض والحساب لا يرون ربهم والمؤمنون يرونه
وبهذه الآية من جملة ادلة الرؤية من حيث انه تعالى ذكر هذا الحجب في معرض الوعيد والتهديد
للكفار وما يكون وعيدا او تهديدا للكفار لا يجوز حصوله في المؤمن فوجب ان لا يحصل
هذا الحجاب في المؤمن والا لما كان للتخصيص فائدة واجاب المعتزلة عنه بحمل الكلام
على الاستعارة التمثيلية فانه اذا قيل فلان محجوب عن السلطان يراد انه مهان ومردود
عنده والسلطان ساخط عليه معرض عنه فلذلك حجبه عن رؤيته وحضور مجلسه ثم انه شبه
حال المكذبين في انهم عند الله لكونهم متعلق سخطه بحال المهانين المحجوبين عن بعض
السلاطين فاطلق في حق المكذبين الكلام المقول في حق هؤلاء المحجوبين على طريق
الاستعارة التمثيلية ولا يخفى انه لا تصرف النصوص المتضافرة الدالة على الرؤية عن
ظواهرها بناء على ان النشأة الاخرى مخالفة للاولى في كثير من الامور قال تعالى وما نحن
بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون وهو تعالى قادر على كل شيء فيقدر
على ان يخلق الرؤية فيمن انشأه يوم البعث فيرونه وهو منزه عن جميع الجهات والكميات و
الكيفيات والكفار لما صاروا محجوبين في عرصة القيمة عن رؤية الله تعالى نفذ ذلك يوقعهم
الى النار ثم اذا دخلوها يوبخون بتكذيبهم بالبعث والجزاء ويقولون لهم ثم انهم لصالوا
الجحيم الى قوله كلا تكرير للاول وهو قوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين لما ذكر حال
الفجار المطففين اتبعه بذكر حال الابرار الذين لا يطففون فقال كلا ردع للمطففين
عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب الكلام فيه ما مر في نظيره يعني ان كتاب
الابرار معناه الكتابة المكتوبة للابرار على انه مصدر بمعنى فعال مقرر لفي عليين اي لفي
كتب جامعة لجميع اعمال الابرار على ان عليين في الاصل جمع علي وهو فعيل من العلو للمبالغة
فيه ثم نقل من الوصفية وجعل علما للكتاب الجامع لكونه سببا لعلو صاحبه غاية العلو او لكونه
موضوعا في ارفع المواضع ولشرفه ادار الحكم على عليين وهو جمع باكتاب الموقوم باعتبار كل واحد

في اعلاه وهو قوله ان كان بمعنى المكتوب يكون المعنى انه كتاب بين الكتابة يقرا بلا تكلف وان كان
بمعنى المختوم فالمعنى انه كتاب معلم بعلامة تدل على سعادة صاحبه وفوزه بالنعيم الدائم وملك
لا يبلى وقيل عليون اسم مكان واعرب كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع ثم اختلفوا فروي عن ابن عباس رضهم
انها السماء الرابعة وفي رواية اخرى عنه انها السماء السابعة وقال قتادة ومقاتل هي قائمة
العرش اليمنى فوق السماء السابعة وقال الضحاك هي سدرة المنتهى وقال الزجاج اعلى
الامكنة فعلى كونه اسم مكان لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يحمل الكلام على حذف المضاف
في الاول او في الثاني ويكون التقدير وما ادريك ما كتاب عليين او محل كتاب مرقوم ولا بعد
في ان يكون الكتاب في موضعين بمعنى المكتوب فيجوز ان يكون هو الكتاب الذي في الاخر اما بان ينقل
ما في كتب الابرار الى ذلك الكتاب الذي وكل الملائكة بحفظه او بان يوضع معه ويحفظها حفظة
فكانه قال كما وكل المقربين من الملائكة بحفظ اللوح المحفوظ وكلهم بحفظ كتب الابرار معه
ولا يمتنع ان يحفظه ايضا المقصود من كتب الابرار فانهم يشهدونها اي يشهدها المقربون حضرته
فيحفظونها كما يحفظون ام الكتاب فكما ان الحق في وضع كتاب الفجار في السفال فهي
في اضيق المواضع اذلالا للفجار وتحقيرا لهم فكذلك الحق في وضع كتاب الابرار في اعلى
المواضع واشرفها تعظيما للابرار وتكريما لهم ويكون علم الملائكة بما حفظوه من اعمالهم سببا
لشهادتهم لهؤلاء الابرار فلذلك يحاسبون حسابا يسيرا حيث تشهد لهم الملائكة المقربون
على الاسرة في الحجال وهي جمع حجلة بالتحريك وهي بيت العروس يزين بالثياب
والاسرة والستور فان الاسرة لا تسمى اريكة الا اذا كانت في الحجال وعن الحسن كنا لا ندري
ما الاريكة حتى لقينا رجلا من اهل اليمن اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك لما عظم الله تعالى كتاب
الابرار في الاية المتقدمة عظم بهذه الاية منزلتهم فقال ان الابرار لفي نعيم ثم وصف كيفية
ذلك النعيم بامور ثلثة اولها قوله على الارائك ينظرون وثانيها قوله تعرف في وجوههم نضرة
النعيم وثالثها قوله يسقون من رحيق مختوم وقوله على الارائك يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون

حالا من المنوي في الجار في الفاعل ينظرون واما ينظرون فيجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا اما
من المنوي في خبر او في الظرف اي ناظرين الى ما اعطوا في الجنة كما سبق وحذف المفعول للتعميم
بهجة التنعم اي اذا رأيتهم عرفت انهم اهل النعمة بسبب ما ترى في وجوههم من القرائن
الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار على ما قال تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة
مستبشرة وقال عطاء ان الله تعالى يزيد في وجوههم من النور والحسن والبياض ما
لا يصفه واصف   اي مختوم اوانيه ليس مراده بيان ان اسناد ختم الى الرحيق
من قبيل الاسناد المجازي بل بيان ان الختم على الشيء في الكلام المصون اي الاستيثاق منه
بالختم طريقان يختم ظرفه وانائه تكريما له واظهارا للنفاسة كما ان تعيين المسك مكان
الطين لان يختم به عليه لذلك لا الاجواد الاصل المنسوب الى بلاده كلها بولى فان العادة
ان يختم عليها بالطين والرحيق من الخمر صفوته وخالصه الذي لا غش فيه ولا شيء يكدره
ويفسده ولعله هو الخمر الذي وصفه الله تعالى بقوله لا فيها غول وكونه صافيا بهذا
المعنى لا ينافي كونه ممزوجا بالتسنيم وفي الجنة خمر اخرى تجري منها انهار كما قال
وانهار من خمر لذة للشاربين الا ان هذا المختوم اشرف من الجاري وقال ابو عبيدة
والمبرد والزجاج المختوم الذي له ختام اي عاقبة لا الخاتم وانه اول زمان الملابسة به
فالمعنى ان يوجد رائحة المسك عند خاتمة شربه فان ختام الشيء وخاتمته آخره ووصف
الرحيق بان عاقبة شربه هي ريح المسك عبارة عن كونه ممزوجا بالمسك لانه لو لم يمزج
بالمسك لم يحصل فيه رائحة المسك فان علقمة والضحاك وسعيد بن جبير ومقاتل و
قتادة قالوا اذا رفع الشارب فاه من آخر شربه وجد رائحة كريح المسك وقوله تعالى
يؤيد الوجه الثاني فان خاتم الشيء بفتح التاء آخره كما يقال خاتم النبيين قال الفراء
وهما متقاربان في المعنى الا ان الخاتم اسم والختام مصدر كقولهم هو كريم الطباع و
الطابع   فليرتغب المرتغبون يقال نفس الشيء ونفاسة اي صار مرغوبا فيه ونافست

سه

رغبوا

في الشيء ينافسه اذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم ونفس وتنافسوا فيه اي تغالبوا
وفلان ينافس في فلان اي يباريه ويفعل مثل فعله ونفس به بالكسر اي ضن به يقال
نفست عليه الشيء نفاسة اذا لم تره يستأهله كذا في الصحاح وقال الواحدي يقال
نفست عليه الشيء انفسه نفاسة اذا ضننت به ولم تحب ان يصير اليه والتنافس تفاعل
منه كأن كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثره والمعنى في ذلك فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تعالى لان النعيم الذي هو كذا سريع الفناء

سميت تسنيما وهو مصدر سنمه اذا رفعه فان اصل هذه الكلمة للعلو والارتفاع
ومنه سنام البعير وتقول تسنمت الحائط اذا علوته سميت العين التي في الجنة تسنيما
اما لانه ارفع شراب في الجنة قدرا واما لانها تأتيهم من فوق على ما روي انها تجري
في الهوى مسنمة فتنصب في اوانيهم قال ابن عباس رضي الله عنه اشرف شراب اهل الجنة
هو التسنيم لانه شراب المقربين صرفا ويمزج لاصحاب اليمين ولعلكم ان الله تعالى لما
قسم المكلفين في سورة الواقعة الى ثلثة اقسام المقربين واصحاب اليمين واصحاب الشمال
ثم انه تعالى لما ذكر كرامة الابرار المذكورين في هذه السورة بانه يمزج شرابهم من عين
يشرب بها المقربون صرفا علمنا ان المذكورين في هذا الموضع هم اصحاب اليمين و
التسنيم في الجنة الروحانية هو معرفة الله تعالى ولذة النظر الى وجهه الكريم والرحيق
هو الابتهاج بمطالعة عالم الموجودات فالمقربون الذين هم افضل اهل الجنة لا
يشربون الا من التسنيم اي لا يشتغلون الا بمطالعة وجهه الكريم واصحاب اليمين
يكون شرابهم ممزوجا فتارة يكون نظرهم اليه وتارة الى المخلوقات وانتصاب
عينا على المدح بتقدير اعني او على انه حال من تسنيم بمعنى جاريا فالتسنيم لكونه علما
لعين بعينها في الجنة معرفة فيجوز ان يجيء الحال عنه والمعنى ومزاج ذلك الشراب
المسمى بالرحيق من الماء العالي جاريا والكلام في الباء كما مر في سورة الانسان

في انها

فيها اما صلة الالتذاذ اى يشرب المقربون ملتذين بها او بمعنى من لان
الشرب مبتدا منها كما هو او مزيدة اى يشربها بتقدير يشرب ماؤها لان
العين لا تشرب وانما يشرب ماؤها ويحتمل ان يكون بمعنى في اى يشربون وهم
فيها والجملة في موضع الصفة لقوله عينا يعنى رد سادقو يشمات اشارة الى
ان سبب النزول ان اكابر المشركين كابي جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما كانوا
يضحكون من فقراء المسلمين ويستهزؤن بهم كعمار وصهيب وبلال وخباب وقيل جاء علي بن
ابي طالب في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى
اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه ونزلت هذه الاية قبل
ان يصل علي رضه الى رسول الله عليه السلام الاصلع الذي انكشف شعر مقدم رأسه وكانهم
انما قالوا ذلك في حق علي رضه لانه كان حلق رأسه منذ سمع من رسول الله ع م قوله تحت كل شعرة
جنابة وقال رضه ومن ثم عاديت رأسي واعلم انه تعالى لما وصف كرامة الابرار في الاخرة
ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا في الاستهزاء بهم وضحكهم ثم بين ان
ذلك سينقلب على الكفار في الاخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وذكر
من معاملاتهم القبيحة اربعة اشياء اولها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين
يضحكون اى يستهزؤن بهم ويعيبونهم وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون والتغامز
التفاعل من الغمز وهو الاشارة بالحاجب ويكون الغمز ايضا بمعنى العيب يقال غمزه
اذا عابه وما في فلان غميزة اى ما يعاب به والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء
ويعيبونهم ويقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون
المشقات لما يرجونه في الاخرة من المثوبات واما البعث والجزاء فلا يقين به وانه بعيد كل
البعد وثالثها قوله واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين اى معجبين فرحين بما فعلوا
بالمؤمنين وهو حال من فاعل انقلبوا كما ان حافظين حال من فاعل ارسلوا وقرئ فاكهين

وفكهين لفتنا بمعنى ناعمين متلذذين وقيل فاكهين اي متنعمين مشغولين بما هم
فيهم من الكفر واتباع الحظ العاجل وفكهين معجبين بما هم فيه فكه الرجل بالكسر
فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر والفاكه الناعم
المتنعم بما هو فيه وقرأ ابو جعفر فكهين واذا رأوهم قالوا ان هولاء لضالون اي هم على
ضلالة لتركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود ام لا ثم قال وما
ارسلوا عليهم حافظين يعني ان الله تعالى لم يبعث هولاء الكفار رقباء على المؤمنين
يحفظون عليهم احوالهم ويتفقدون ما يصنعونه من حق او باطل فيعيبون عليهم ما
يعتقدونه ضلالا وانما امروا باصلاح انفسهم واي نفع لهم في تتبع احوال غيرهم
حين يرونهم اذلا ومغلولين في النار مع قوله وقيل يفتح لهم ذكر في
سبب ضحك المؤمنين من الكفار وجهين الاول ان المؤمنين يضحكون على الكفار
بسبب ما هم فيه من انواع العذاب والبلاء المؤبد وانهم اختاروا اللذة اليسيرة الفانية
على راحة الابد بخلاف انفسهم فانهم تحملوا التعب اليسير راحة الابد ودخلوا الجنة و
جلسوا على الارائك ناظرين اليهم كيف يعذبون في النار وكيف يصطرخون فيها و
يدعون بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا والوجه الثاني في سبب ضحك المؤمنين
ما قيل من انه يفتح لاهل النار وهم فيها باب الى الجنة   بعد العبرة والكبر في الدنيا
والنظر الى قوله هل ثوب الكفار الاية كلام مستانف من قبل الله او من الملائكة تقريعا
لهم على ان اعداءهم قد جوزوا جزاء ما فعلوا من ضحكهم بالمؤمنين ليزداد وا بذلك سرورا
الى سرورهم لانه يقتضي زيادة في تعظيمهم فان اهانة الاعداء تعظيم للاولياء قوله
وهو الانصداع والانفراج الباء في قوله بالغمام للالة كما في انشقت الارض بالنبات
والمعنى ان السماء تنشق بغمام يخرج منها والغمام السحاب قيل يخرج من ذلك الغمام ملائكة
العذاب وكان ذلك اشد وافظع من حيث انه جاء العذاب من موضع الخير فعلى هذا يكون

سورة الانشقاق

انشقاق

انشقاق السماء لنزول الملائكة وقيل للسقوط والانتقاض قال الجوهري المجرة التي في السماء
سميت بذلك لانها كاثر المجر ويقال لها بالفارسية راه كهكشان تنشق السماء في ذلك الموضع
كانه مفصل ملتئم فتنصدع منه وفي الصحاح الجوهري اذن له اذنا استمع وانشد ان يسمعوا
ريبة طاروا بها فرحا مني وما سمعوا من صالح دفنوا صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بشر
عندهم اذنوا وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال ما اذن الله تعالى لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن
اي ما استمع الله لشيء كاستماعه لصوت نبي يقرأ الكتاب المنزل عليه وهو مجاز عن الاعتداد
بذلك والاستجادة له فان معنى الاذن لغة انه وجه الاذن الى السمع فاذا اطلق في حق من له حاسة
السمع والاستماع بها يراد بها الاجابة والانقياد مجازا واذا اطلق في حق السماء مما
ليس فيه شأن الاستماع والقبول يكون استعارة تمثيلية بان شبهت حال السماء في
انقيادها لتأثير قدرة الله تعالى حين اراد انشقاقها بانقياد السمع المطواع للآمر
فاستعير لها ما استعمل فيه فهي استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل قال الامام ومعنى
انه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق اجزائها فكانت
في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت
له واذعن ولم يمتنع وقوله انبساطا تعيني يدل على نفوذ القدرة في الايجاد والابداع من
غير ممانعة اصلا وقوله ههنا واذنت لربها يدل على نفوذ القدرة في التفريق والاعدام
والافناء من غير ممانعة اصلا وحقيق لها ان تسمع وتطيع امر الله تعالى اذ هي مربوبة مصنوعة
له تعالى وممكنة في ذاتها والممكن ليس له الا القبول والاستعداد وكل واحد من الوجود والعدم بالنسبة
اليه على السوية وترجح وجوده على عدمه او ترجح عدمه على وجوده لا بد وان يكون بتأثير واجب
الوجود وترجيحه فيكون في تأثير قدرته في ايجاده واعدامه نافذا تعالى من غير ممانعة اصلا
والاكام واحدها اكم جمع اكم بضمتين مثل عنق واعناق والاكم جمع اكام مثل كتب في جمع كتاب والاكام
جمع اكم مثل جبل وجبال والاكم جمع اكمة مثل ثمرة وثمر والاكمة الجبل الصغير فان ذلوله الريحة

تنزيل جبال الارض واكامها وينسفها بها نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا فيستوي ظهر الارض فهو ينبسط او ازيل ما عليها ومنه مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا
مد زال كل انثناء فيها واستوى فعلى هذا القول يكون مدت ماخوذ من مددت الشيء فامتد وقيل
قيل انه ماخوذ من المدة بمعنى مده بزاد في سعتها يوم القيمة لوقوف الخلائق عليها للحساب فلا بد من
الزيادة في وجه الارض سواء كان ذلك بتمديدها او بامدادها لان الخلق من الاولين والاخرين
لما كانوا واقفين يوم القيمة على ظهرها فلا بد من الزيادة في طولها وعرضها روى الامام
ابو الليث عن علي ابن حسين عن النبي عم انه قال اذا كان يوم القيمة مد الله الارض مد الاديم حتى
لا يكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعني لكثرة الخلائق   من الكنوز والاموات والا
جرتا الاعة والثاني عند البعث   وتكلفت اي حقت غاية التخلي حتى لم يبق في باطنها
شيء وكانها تكلفت في التخلي اقصى وسعها وطاقتها والحقيقة ان التكلف لا يتصور في الارض
والجهد بضم الجيم الطاقة وبالفتح المشقة والجهد الواقع في تفسير الكدح بفتح الجيم بمعنى المشقة و
التعب ولذلك عطف عليه الكد في الكشف حيث قال الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه
حيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه والكد السعي الشديد في العمل وطلب الكسب قال
نفطويه كادح اي كاد دئب من قولهم فلان يكدح لعياله اي يكسب لهم بالكد والتعب
لان الانسان كدحه اشارة الى ان ضمير ملاقيه عائد الى الكدح الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته
ممتنعة فلا بد من حمل الكلام على تقدير المضاف اي فملاق جزاء كدحك كقوله فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره اي يرى جزاءه او يكون المراد ملاقاة الكتاب الذي فيه بيان تلك الاعمال اي الكدح فيها
ويؤيد هذا التاويل قوله بعد هذه الاية فاما من اوتي كتابه بيمينه وقيل ضمير ملاقيه عائد الى
الرب بتقدير المضاف ايضا اي ملاق حكمه لا مفر لك منه وعلى التقديرين تدل الاية على
ان الانسان ملاق جزاء كدحه او كتاب كدحه او يلاقي حكم ربه وهذا المدلول هو جزاء المحذوف اكتفى عنه
بما يدل عليه قوله فملاقيه عطف على قوله المحذوف واذا كان فملاقيه جواب اذا يكون قوله يا ايها الانسان

انك كادح

انك كادح سعى مضيا على المطلوب فقوله تعالى اذا السماء انشقت كذا وكذا يا ايها الانسان ترى ثمرة ذلك ما عملت
من خير او شر فكذا ههنا والتقدير اذا كان يوم القيمة لقي الانسان عمله وقيل ان المعنى محمول على
التقديم والتاخير فكانه قيل يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء
انشقت وقامت القيمة   والكدح ان السعي الى الغاية جزائه اشارة الى ان كلمة الى
متعلق بكادح بمعنى ساع وان في الكلام حذف مضاف والمعنى انك تجد وسعيك الى مباشرة
الاعمال في الدنيا وهو في الحقيقة سعي الى الغاية جزائها في العقبى واخذ عما يرد ربك ويحاسب حسابا
لا يناقش فيه يعني ان الحساب اليسير هو العرض بان يعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها
هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة على
صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا الحجة عليه فانه متى طولب
بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلعم من نوقش في الحساب
فقد هلك فقلت يا رسول الله ان الله يقول فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا
قال ذلك العرض ولكن من نوقش في الحساب عذب قال الله تعالى في سورة الحاقة واما من اوتي كتابه
بشماله وقال في هذه السورة واما من اوتي كتابه وراء ظهره والمعنى جمع بينهما حيث قال
اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره لما روي عن الكلبي ان يمينه الى عنقه وتلوى يده اليسرى
من وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله وهي خلف ظهره قال الامام ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه
بشماله وبعضهم من وراء ظهره فلما اوتي من غير يمينه علم انه من اهل النار فيقول واثبوراه قال
الواحدي يقول العرب مثلا ان يدعو الثبور اذا قال والهفاه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشيء
وهو المواظبة عليه وسمي الهلاك الاخروي ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال تعالى ان عذابها كان غراما واصل
الغرام اللزوم والولوع   وقرا الحجازيان وهما نافع المدني وابن كثير المكي والشامي وهو ابن
عامر في ويصلى سعيرا بالزيادة قرا ابو عمرو البصري وعاصم وحمزة ويصلى سعيرا بفتح الياء واسكان الصاد
مخففا والباقون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام من التصلية وقرئ ويصلى بضم الياء وسكون الصاد

جهولا اي يرفعه فيدعوا الثبور ويهوي فيها كما قال الله تعالى دعوا هنالك ثبورا الا انه يدعوا الثبور
اذا اعطي كتابه بشماله لقوله فسوف يدعوا ثبورا بالفاء المفيدة للتعقيب واولاهما لا ينفي الاخر نعوذ
بالله   كان غافلا عن الاخرة حيث كان امنا من البعث والثواب والعقاب ولا يخاف الله ولا يرجوا
فيتقاعد لذلك عن تعب المجاهدة بالطاعات من نحو الصوم والصلوة وعن تعب اجتناب المعاصي و
المنكرات وبالجملة كان غافلا عن هم الاخرة والتحزن بملاحظة اهوالها مما يدل له الله تعالى يورثك السرور
والامن والاستراحة الفانية غما باقيا لا ينقطع بخلاف المؤمن فانه كان متقيا عن المعاصي ومجتهدا والاستراحة سه
في الطاعات مهموما من العذاب فلم يكن مسرورا في دنياه في اهله فجعله الله مسرورا في الاخرة فابدله
بالغم الفاني سرورا دائما لا ينقطع   ظن ان لن يحور ان مخففة من الثقيلة سدت مسد
معمولي.. لي الظن وان مع خبرها اي ان هذا الكافر ظن في الدنيا ان لن يرجع الى الله تعالى والحور الرجوع
والمحار المرجع والمصير وقيل الحور الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما قالوا نعوذ بالله من الحور
بعد الكور والمعنى على هذا انه ظن ان لن يرجع الى خلاف ما هو عليه في الدنيا من السرور والتنعم
ثم قال تعالى بلى اي ليبعثن وعلى الوجه الثاني ان الله تعالى ليبدل سروره بغم لا ينقطع وبلاء
لا يزول ان ربه كان عالما بما يعمله من الكفر والمعاصي فلم يكن يجوز في حكمته ان يهمله فلا يعاقبه
على سوء اعماله وهذا زجر لكل المكلفين عن جميع المعاصي وكلمة لا في قوله تعالى فلا اقسم يجوز
ان يكون لرد الكلام السابق يعني ابطالا لحكم الله تعالى بان الكافر انه ظن انتفاء الحور فاوجبه
بقوله بلى ثم ابطل ظن انتفائه ثم ابتدا بالقسم فقال اقسم بالشفق ويجوز ان يكون
صلة واتفق العلماء غير عكرمة ومجاهد على ان الشفق اسم للاثر الباقي من الشمس في الافق
بعد غروبها ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب بعضهم الى انه هو الحمرة وعن ابي حنيفة رحمه الله انه هو البياض
الذي بعد ذهاب الحمرة وكل واحد من البياض والحمرة يجوز ان يسمى بالشفق لان اسم الشفق
ينبئ عن معنى الرقة فان الشفقة رقة القلب ولا شك ان اثر الشمس عند ضوؤها يأخذ في الرقة
والضعف من غيبة الشمس الى ان يستوي سواد الليل على الافاق كلها وروي عن ابي ح

رحمه

رضي الله عنه رجع عن القول بأنه البياض وأما عكرمة ومجاهد فإنهما قالا إن الشفق هو النهار
على أن الشفق هو أثر الشمس وهي كوكب نهاري وأثره هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل
والنهار اللذين أحدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام أمور العالم   وما جمعه
وستره أشار رحمه الله إلى أن ما في قوله وما وسق ليست مصدرية بل هي إما موصولة أو موصوفة
أي وكل شيء وسقه والعائد لا بد منه على التقديرين والمعنى وسق الليل وجمعه للمخلوقات عبارة
عن ستره إياها بظلمته وإحاطته إياها بظلمته فإن ظلمة الليل كأنها تجلل الجبال
والبحار والأشجار والحيوانات فكأنه تعالى أقسم بجميع المخلوقات كما قال فلا أقسم بما تبصرون
وما لا تبصرون وهذا المعنى لا يحصل على تقدير أن يكون ما مصدرية لأن المقسم به حينئذ
وسق الليل وجمعه لا ما جمعه الليل ويحتمل أن يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين
بالليل لأنه تعالى قد مدح المستغفرين بالأسحار فيجوز أن يحلف بهم   مستوسقات لو يجدن
سائقا أوله إن لنا قلائصا حقائقا القلوص من الناقة الشابة والحقائق جمع حقة وهي
ناقة استكملت ثلاث سنين ودخلت في الرابعة وصفها بأنه عن قليل يجمع الحقائق يكون لها
مستوسقات أي مجتمعات ويمنع أن يكون سابقا   أو طرده إلى أماكنه عطف على قوله جمعه
وستره يعني أن الوسق في اللغة كما يكون بمعنى الجمع يكون بمعنى الطرد والإبعاد أيضا كما يقال
للإبل المسروقة وسيقة لأن السارق يطردها فإنما كانت الجوهري الوسق مصدر وسقت الشيء
جمعته وحملته والوسق أيضا الطرد ومنه سميت الوسيقة وهي من الإبل كالرفقة من الناس
فإذا سرقت طردت معا وقال الطرد الإبعاد يقول طردته فذهبت الطريدة الوسيقة
وهو ما يسرق من الإبل   اجتمع وتم بدرا مبني على ما مر من أن الاتساق والاستيساق مطاوع
الوسق بمعنى جمعه مثل وصلته فاتصل يقال أمور فلان متسقة أي مجتمعة على الصلاح
كما يقال منتظمة ثم إنه تعالى بعدما ذكر ما به أقسم أتبعه بذكر ما عليه أقسم فقال لتركبن
طبقا عن طبق وهكذا حمزة وقرأ بضم الباء على خطاب الجنس لأن النداء في قوله يا أيها الإنسان

انک کادح الجنس ومن قراد لیرکبن بالیاء جعل الکلام اخبارا عن الغائب وهو الانسان
المذکور بالاسم الظاهر وهو منزل منزلة الغائب ای لیرکبن الناس ومعنی الایة انهم
یلقون یوم القیمة احوالا وشدائد حالا بعد حال وشدة بعد شدة کانهم لما انکروا البعث
اقسم الله تعالی ان البعث کائن وان الناس یلقون فیها الشدائد والاهوال الی ان یفرغ
من حسابهم فیصیر کل احد الی ما اعد له من جنة او نار ونظیره قوله تعالی بلی وربی لتبعثن ثم
لتنبؤن بما عملتم وهو لما طابق غیره یعنی ان الطبق فی الاصل اسم لما طابق
غیره یقال ما هذا بطبق لهذا ای لا یطابقه ومنه قیل للغطاء الطبق ثم قیل للحال المطابقة
لغیرها طبق او مراتب من الشدة بعد المراتب عطف علی قوله حالا بعد احوال ای یجوز
ان یکون طبق جمع طبقة وهی المرتبة من قولهم هو علی طبقات والمعنی لترکبن احوالا بعد
احوال هی طبقات فی الشدة بعضها ارفع من بعض وهی للموت وما بعده من احوال القیمة
او هی وما قبلها ای او المراتب فی الشدة هی هذه المذکورات وما کان قبلها من الدواهی
العارضة للانسان من ابتداء وجوده الی ان یموت علی تقدیر ان یکون الخطاب للمکلف ذکر فی
معنی الایة وجهین الاول ان یکون الایة اشارة ترقی احوالهم فی الظرف والغلبة
علی المشرکین المکذبین بالبعث کانه تعالی یقول اقسم یا محمد لترکبن حالا بعد حال
حتی یختم لک بعاقبة جمیلة فلا یحزنک تکذیبهم وتمادیهم فی کفرهم او لترکبن یا
محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فی القرب من الله تعالی والثانی ان یکون ذلک اشارة
لدم بصعوده دم الی السموات لمشاهدة ملکوتها واجلال الملائکة ایاه فیها ومعنی
لترکبن یا محمد السموات طبقا فانها سبع سموات طبقا وقد فعل الله تعالی به ذلک لیلة
الاسراء بعد حال وبعد المراتب فی اشارة الی ان عن بمعنی بعد ووجه ذلک انه
اذا صار الشیء مجاوزا عن شیء فقد صار الی الثانی بعد الاول فصح ان یستعمل فیه بعد وفی
ایضا لفظ عن بالبعد والمجاوزة فکانت فیه للفظ بعد باستعمال احدهما بمعنی الاخر

قوله بيوم القيمة خص يوم القيمة بانتفاء ايمانهم به مع انهم لا يؤمنون باكثر ما يجب
الايمان به بل بكل كلمة هي حيث ان الكلام سوق لتوبيخ منكري البعث والقيمة وتفضيح
لانه حكم بتة على الكافر انه ظن ان لن يحور ثم حكم بانه يحور ثم اقسم بتغيرات واقعة في الافلاك
والعناصر على تغير احوال الخلق فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها
وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير احوال
الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر
بعد ان كان ناقصا قليلا قال بعد ذلك على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون علم ان المراد
استبعاد عدم ايمانهم بالبعث والقيمة فان عدم ايمانهم بذلك بعد ظهور الحجة وزوال الشبهات
منكر مستبعد جدا فان القادر على تغير الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال ومن صفة الى
صفة بحسب المصالح لا بد ان يكون قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات ومن كان
كذلك كان لا محالة قادرا على البعث والقيمة فلذلك فرع عليه استبعاد عدم ايمانهم بانعقاد
الدالة على السببية فقال فما لهم اه وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقرآن
عند سماعهم اياه من حيث انهم بلغوه اقصى درجات الفصاحة والبلاغة الداخلة قدرة البشر
فعند سماعه لا بد ان يجزموا بكونه معجزا خارجا عن طوق البشر وكونه كلام الحكيم ويعلموا بذلك
صدق محمد في دعوى النبوة فيطيعونه في جميع الاوامر والنواهي اذ لا يسجدون للتلاوة
فسر السجود اولا بالخضوع والاستكانة ثم جوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة اية السجود
على ان يكون المراد بالقرآن اية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن وايد هذا الاحتمال بما روي في سبب
النزول واحتج به اي بما روي في سبب نزول هذه الاية اه احتج بهذه الاية وتذكير الضمير
بتاويل المنزل او الكلام ونحوه ويدل عليه قوله فانه ذم حيث ان ضمير فانه لا شك انه لهذه الاية
بالتاويل المذكور ووجه الاحتجاج ان الذم على ترك الشيء يدل على وجوب ذلك الشيء قوله بل
الذين كفروا اه وضع موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بما هو العلة وعدم خضوعهم للقرآن

وتكذيبهم وبمعنى لا يسجدون لربل هم يكذبون به والله اعلم بما يوعون موصولة محذوف العائد
يقال اوعيت الشيء اى جعلته في وعاء فان وجمع فاوعى و علام له بما يجمعون في صدورهم
من الشرك والتكذيب والعداوة كناية عن مجازاتهم عليه في الدنيا والاخرة وقوله فبشرهم ا
لاستهزاء بهم لان البشارة هى الاخبار السار وقد استعملت في الخبر المؤلم   قوله استثناء
منقطع بمعنى لكن الذين امنوا الاية وهو مستثنى من الضمير المنصوب في فبشرهم الراجع
الى الرابعة ومستثنى وهم المؤمنون خارج ويجوز ان يكون متصلا لان المؤمنين منهم كانوا
من جملة احادهم داخلين في عدادهم واحقوهم في عدم الخضوع للقران وفي عدم السجدة
للتلاوة وفي تكذيبه ثم خالفوهم وهذا القدر من الموافقة كاف في الاتصال **سورة البروج**
وهي القصور التي تنزل فيها الاكابر والاشراف اطلق على بروج السماء الاثنى عشر استعارة
تصريحية تشبيها بالقصور لكونها منازل السيارات مع الثوابت والبروج في اصطلاح
المنجمين اسم لجزء معين من اثنى عشر جزءا من خط مدور على الفلك يسمونه منطقة البروج
وكل برج يعرف باسم كوكب ينسب البرج اليه وقيل المراد بالبروج ههنا النجوم التي هي
منازل القمر وهي ثمانية وعشرون لان القمر ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا
يتقاصر عنها فاذا صار القمر الى اخر منازله دق واستقوس وستر ليلتين ان كان الشهر
ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم ايضا
مبني على تشبيهها بالقصور والبروج الاثنى عشر منقسمة الى هذه المنازل الثمانية و
العشرين والشمس تسير في تمام هذه البروج الاثنى عشر في كل سنة مرة والقمر في كل شهر وقد
تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم بها لاظهار القدرة والقول الثالث
ان المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها والقول الرابع ان المراد بها ابواب
السماء سميت بروجا لظهورها بالنسبة الى من ينزل في السماء ولان النوازل تخرج منها
كما تخرج من القصر   واصل التركيب للظهور اى مع الاشتمال على المحاسن فان القصور لرفعتها

وحسنها

وحسنها ظاهرة للاعين ومظهرة للحسن فلذلك سميت بروجا ثم قيل يترجح المراد اي
تشبهت بالبروج في اظهار الحسن وهو معنى قولهم التبرج اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال
قال تعالى غير متبرجات بزينة روى ابو هريرة رضه عن النبي عم ان اليوم الموعود يوم القيمة
وقيل يحتمل ان يكون المراد اليوم الموعود لانشقاق السما وفنائها وبطلان بروجها قوله
وشاهد في ذلك اليوم من خلائق الاولين والاخرين من الانس والجن والملائكة والانبياء عم
اي ومن حضر فان الشاهد يطلق على معنيين احدهما الشاهد الذي تثبت به الدعاوى
والحقوق والثاني الشاهد الذي هو بمعنى الحاضر كما في قوله عالم الغيب والشهادة ويقال
فلان شاهد وفلان غائب وحمل الاية على المعنى الثاني اولى اذ لو كان المراد المعنى الاول لما
خلا لفظ المشهود عن حرف الصلة ظاهرا لانه يقال شهد عليه ومشهود به وحيث
لم تأت الصلة في الاية لوجب ان يقال انها محذوفة ومقدرة كما في قوله تعالى ان العهد كان
مسؤلا عنه والتقدير خلاف الاصل لا يصار اليه من غير ضرورة ولا ضرورة في الاية لجواز
ان يكون المشهود من شهد بمعنى حضر وهو يتعدى بنفسه حضره كذا قال تعالى واعوذ بك ان يحضرون
فلذلك تقدم المص تفسير الشاهد والمشهود بان جعلهما من الشهود بمعنى الحضور وفسرت هو
بالجمع الذين يحضرون في اليوم الموعود وهو يوم القيمة تنبيها على فخر شانهما من حيث كونه
يوم الفصل والجزاء ويوم يتفرد الله تعالى بالملك والحكم فيه عطف على لفظ الشاهد وهو من حضر في ذلك
اليوم من الخلائق والمشهود الذي هو ما في ذلك اليوم من العجائب ولا يخفى ما في هذا التفسير من
مناسبة المعطوف للمعطوف عليه ولانه لا حضور اعظم من ذلك الحضور الواقع في ذلك اليوم
وصرف اللفظ الى المسمى الاكمل اولى ثم شرع فيما يتبنى على جعلهما من الشهادة
التي تثبت بها الدعوى فقال او النبي وامته دليله على قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله وذلك ان تبشيره وانذاره ودعوته امر هو بالنسبة
الى امته فكذا الشهادة يكون بالنسبة اليهم وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفيه ايضا دلالة على ان الشاهد هذه الامة
والمشهود سائر الامم او كل نبي وامته بقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
فانه يدل على ان كل نبي شاهد على امته او الخالق بقوله كفى بالله شهيدا اي شاهدا
مطلعا على احوال خلقه او عكسه وهو ان يكون المراد بالشاهد جميع الممكنات الحادثة
بالمشهود خالقها وصانعها فان كل جزء من اجزاء العالم شاهد على تدبره على ان له خالقا
خلقه فيكون القسم واقعا بالخالق والخلق والصانع وصنعه وما كان من قبيل العجائب كيف
يقتضي الالهام كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد ولله في كل
تحريكة علينا وتسكينة شاهد او الملك الحفيظ والمكلف لقوله تعالى وجاءت
كل نفس معها سائق وشهيد فيكون نفس مشهود اي مشهود عليه ليشهد حفظة اعماله
عليه او يوم النحر او عرفة او الحجيج وهو جمع حاج كما يقال للغزاة غزى
وللعادين على اقدامهم عدى اي يجوز ان يفسر المشهود بيوم عرفة وان الشاهد
من يحضر من الحاج والقسم به للتعظيم لامر الحج روي ان الله تعالى يقول للملائكة يوم
عرفة انظروا الى عبادي شعثا غبرا اتوني من كل فج عميق اشهدكم اني قد غفرت
لهم وان ابليس يصيح ويضع التراب على رأسه لما يرى من ذلك ودليل من فسر المشهود
بيوم عرفة قوله تعالى وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع
لهم ويجوز ايضا ان يفسر المشهود بيوم النحر وان الشاهد من يحضره من الحاج لان ذلك
اليوم اعظم ايام الدنيا فانه يجتمع اهل الشرق والغرب في ذلك اليوم بمنى
ومزدلفة وهو عيد المسلمين ويكون المعنى في القسم به تعظيم امر الحج او يوم الجمعة
والجمع اي يجوز ان يفسر المشهود بيوم الجمعة وان الشاهد من يحضره من المسلمين
للصلوة ولذكر الله والجمع لهم فانه يجمع القوم جميعا للشهود للجمعة وقضوا الصلاة
فيهما
فانه ليشهد له بيان لوجه تفسير كل واحد من يوم النحر وعرفة والجمعة بالمشهود

فان

فان كل واحد من هذه الايام يحضره المسلمون لما فيه من العبادة ومما يدل على تفسير المشهود
بيوم الجمعة ما روي عنه انه قال اكثروا علي الصلوة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة
وقال عليه السلام تحضر الملائكة ابواب المسجد فيكتبون الناس فاذا خرج الامام طويت الصحف
وهذه الصفة غير موجودة الا في هذا اليوم فيجوز ان يسمى مشهودا لهذا المعنى او كل يوم واهله
الاول يشهد والثاني مشهود اي مشهود عليه كقوله تعالى ان العهد كان مسئولا اي
مسئولا عنه نحو مسكين ما في يوم الا ينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني
فلو غابت الشمس لم تدركني الى يوم القيمة قيل انه جواب القسم على تقدير لقد
قتل فانه تقرر ان جواب القسم اذا كان جملة فعلية وكان الفعل ماضيا مثبتا تصدر
الجملة بلام الابتداء المفيدة للتاكيد داخلة على كلمة قد نحو والله لقد خرج ولا يجوز
الاقتصار على احدهما الا عند طول الكلام كما في قوله تعالى والشمس وضحيها الى قوله قد افلح
فانه لم يؤت باللام للطول او في ضرورة الشعر ويجب في مثله تقدير قد بعد اللام لان لام
الابتداء لا تدخل على الماضي المجردة وفي قال بان قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود جواب القسم
قال ان اصله لقد قتل فحذف اللام كما في قوله قد افلح من زكاها ثم حذفت قد وقيل في
توجيه كونه جوابا عنه ان الكلام محمول على التقديم والتاخير كانه قيل قتل اصحاب الاخدود
والسماء ذات البروج والاظهر انه دليل جواب محذوف جعل نفس جملة قتل اصحاب
الاخدود جواب القسم خلاف الظاهر بناء على ما اشار اليه من ان السوق وردت لبيان شدة
عداوة كفار قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك لعنة الله وعظيم سخطه وان ذكر قصة
اصحاب الاخدود والتعرض لحديث الجنود وفرعون وثمود انما هو تسلية لنبيه عليه السلام واصحابه
وايذانا للكفار بان حال المؤمنين مع الكفار في جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج
وبالاشارة الى ما حصل من نقمته وقهره بالامم الى انتقم من المعاندين مثل فرعون وثمود فانها
تتضمن وعد المؤمنين ووعيد المشركين فاذا كان كذلك ظهر ان جعل كفار مكة على طرف

وتوجيه القسم على حال اصحاب الاخدود لا وجه له ولعله لانه يؤدي الى التعدد بدل الاتحاد
من غير ضرورة فلذلك قال المص والاظهر انه دليل جواب محذوف وهو ان كفار قريش ملعونون
وتقدير الكلام اقسم ان كفار قريش الملعونين احقاء بان يقال فيهم قتلوا كما قتل اصحاب
الاخدود واريد اللعن بدل القتل اشارة الى ان القتل كناية منه من حيث ان القتل لكونه
اغلظ العقوبات لا يقع الا لسخط عظيم يوجب الابعاد من الخير والرحمة الذي هو معنى اللعن
فكان القتل من لوازم اللعن ثم الاخبار بان اصحاب الاخدود ملعونون لقوة عنادهم ومبالغتهم
في ايذاء المؤمنين يدل على ان قريشا ملعونون ايضا لاشتراكهم في العلة وسلوك طريق
الكناية ابلغ من التصريح وادخل في افادة التسلية فظهر بما قررنا ان قوله قتل ليس
دعاء على اصحاب الاخدود من قبيل القسم فاقتلها اي بان تخلق قوة ايصال هذا
الحجر اليها واضرب بها به فرماها فقتلها فصار ذلك سببا لاعراض الغلام عن السحر واشتغاله
بطريقة الراهب حتى صار الى حيث يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الامراض الى آخر
القصة والرجفة الزلزلة ويقال تكفأت الابد اي كبته وتقاعست اي تأخرت
فكانها ادنوت عن علي رضه انه قال حين اختلفوا في احكام المجوس انهم اهل كتاب
وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر
فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له اخته المخرج ان تخطب الناس فتقول
ان الله حرم نكاحهن فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت له ابسط السوط فلم يقبلوا
فقالت ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فامرت بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها
فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود ونجران بلدة من بلاد اليمن وقع فيه
رجل حميري كان على دين عيسى عم فدعاهم اليه فاجابوه فصار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود
من حمير وهو قبيلة من اليمن فخيرهم بين النار واليهودية فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد
وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا

فان

فإن قيل تعارض هذه الروايات يدل على كذبها قلنا لا تعارض فقيل إن هذا كان في ثلث طوائف
ثلث مرات مرة باليمن ومرة بالعراق ومرة بالشام اهلكهم الله اثار الاحكام ثم قال ويمكن أن يكون المراد
بأصحاب الأخدود القاتلين ويمكن أن يراد بهم المقتولون والرواية المشهورة أن المقتولين هم المؤمنون
وروي أن المقتولين هم الجبابرة لأنهم لما ألقوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة فـ
أحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين وإلى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواقدي
وتأولوا قوله فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق أي لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق
في الدنيا ثم إنه قال إذا عرفت هذه المقدمة فنقول ذكروا في تفسير قوله تعالى قتل أصحاب
الأخدود وجوها ثلثة وذلك لأن أصحاب الأخدود إما أن تفسر بالقاتلين أو بالمقتولين
أما على الوجه الأول ففيه تفسيران أحدهما أن يكون هذا دعاء عليهم أي لعن أصحاب الأخدود
ونظيره قتل الإنسان ما أكفره قتل الخراصون وثانيهما أن يكون المراد أن أولئك القاتلين قتلوا
بالنار على ما ذكرنا أن الجبابرة لما أرادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم
وأما إذا فسر أصحاب الأخدود بالمقتولين كان المعنى أن أولئك المؤمنين قتلوا بالإحراق بالنار
فيكون ذلك خبرا لا دعاء انتهى كلامه صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها فإن
النار إنما يكون عظيمة إذا كثر فيها ما يحترق ويرتفع به لهبها من أي جنس كان إما حطبا أو غيره
فالوقود علم لذلك الشيء لقوله تعالى وقودها الناس والحجارة فالمعنى ذات الوقود العظيم
أو وصفها بما كان فيه ذلك الأخدود من حطب الكثير ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف
إذ من المعلوم أن النار لا تخلو عن حطب ولما كان الأخدود مشتملا على النار جعل النار بدل الاشتمال
منه كما في سلب زيد ثوبه ولا فرق بين أن يكون الاشتمال من جانب البدل أو من جانب المبدل منه وإذ
في قوله إذ هم عليها قعود ظرف لقتل والمعنى لعنوا في ذلك الوقت الذي هم فيه قعود عند الأخدود و
يعذبون المؤمنين وقعود جمع قاعد على حافة النار كما يقال إنهم هم على مقتضى
تفسير كما إذا أريد أصحاب الأخدود الذين هم القاتلون فالمعنى قعود القاتلين على النار ...

القاعدين عليها تحرقهم بنفسها وتقرير الجواب ان الضمير عليها عائد الى طرف النار وشفيرها والمواضع التي يمكن
الجلوس عليها ولفظ على يشعر بذلك تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يقرب منه فالقاعدون
كانوا جالسين فيها وكانوا يعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان
يصر على دينه القوه في النار   وما انكروا يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه اي وما عابوا
منهم وما انكروا الا الايمان ونظيره هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وانما قال الا ان يؤمنوا
بلفظ المستقبل مع ان الايمان وجد منهم في الماضي لارادة الاستمرار والدوام عليه فانهم ما
عذبوهم لايمانهم في الماضي بل لدوامهم عليه في الاتي حتى لو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى
فكانه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم   للاشعار بعلة العقوبة ووصفه مع ما عطف عليه بكونه
غالبا لا يغلب ولا يدفع اشارة الى القدرة التامة وكونه منعما مستحقا للحمد والثناء
ومحمودا على السنة عباده المؤمنين وما لا يحمده بلسان مقاله يحمده بلسان حاله فان
نفسه شاهد على ان المحمود في الحقيقة ليس الا هو كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده فانه
اشارة الى كمال علمه لانه لا يكون تام العلم لا يمكنه ان يفعل الافعال الحميدة والوصف الثالث
اشارة الى الملك التام وانه موجد لجميع الكائنات لانه ان شاء ابقاها موجودة وان شاء
افناها واخر هذه الصفة عن الاوليين لان الملك التام لا يحصل الا عند حصول الكمال في القدرة
والعلم فثبت ان من كان موصوفا بهذه الصفات هو المستحق للايمان به وغيره لا يستحق بذلك البتة
فكيف حكم هؤلاء الكفار الجهال بكون مثل هذا الايمان ذنبا   بلوهم بالاذى اشارة الى
ان اصل الفتنة الابتلاء والامتحان وان كانت الاية عامة تتناول اصحاب الاخدود وتتناول
كل من امتحن المؤمنين واذاهم باي عذاب كان فان اللفظ عام وكذا الحكم فالتخصيص بترك
الظاهر من غير دليل وقال بعض المفسرين الفتنة هي الاحراق بالنار وقال ابن عباس
ومقاتل فتنوا المؤمنين حرقوهم بالنار وقال الزجاج فتنت الشيء احرقته والفتين حجارة
سود كانها محرقة ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون   العذاب الزائد في الاحراق

يعني

يعني ان كلا العذابين يحصلان في الاخرة الا ان عذاب جهنم هو عذاب الاحراق الحاصل بسبب كونهم
وعذاب الحريق هو العذاب الزائد على عذاب الكفرة بسبب انهم احرقوا المؤمنين او العذاب
الزائد على عذاب جهنم هو عذاب الاحراق ايضا الا ان العذاب الاول كانه خرج عن ان يسمى
احراقا بالنسبة الى الثاني لان الثاني ما انضم الى الاول واجتماعه معه قوي واشتد وكان
الاول ضعيفا بالنسبة فلا جرم لم يسم احراقا والحريق اسم كالحرقة بمعنى الاحتراق وفي الصحاح
تحرقت الشيء بالنار واحترق والاسم الحرقة والحريق ويحتمل ان يكون المراد بعذاب جهنم ما ذكر
نسخ وبعذاب الحريق العذاب بحرقها في الدنيا بين يدي روحه وقيل الحريق في السماء اذا النار نفسها
كالسهم يحصل لهم في الاخرة عذاب جهنم وعذاب الحريق فيجوز ان يكونا دركتين فيها او مكانا
وتنزيل القول نقص صاحب التيسير وهو راجع الى ما اختاره المصنف قال الامام انما قال
ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى
تع بحصول هذه الجنات ولو قال تلك لكانت الاشارة الى نفس الجنة واخبار الله تعالى
عن ذلك يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضا الله تعالى لا حصول الجنة ولما ذكر
وعيد المجرمين ووعد المؤمنين اردف ذلك الوعد والوعيد بالتاكيد فقال
تاكيدا للوعيد ان بطش ربك لشديد والبطش هو الاخذ بالعنف فاذا وصف
بالشدة فقد تضاعف عنفه ومع ذلك انه لا يعاجل في بطشه بل شانه ان يمهل العاصي
ويؤخر امر المجازاة الى يوم القيمة لانه حكيم لا يفعل الا حسب المشية ووفق المصلحة و
لا مصلحة في تعجيل العقاب فلهذا قال انه هو يبدئ ويعيد اي يخلق الخلائق ثم
يفنيهم ثم يعيدهم احياء ليجازيهم يوم القيمة فلذلك الامهال لهذا السبب لا لاجل اهماله
وهو الغفور لمن تاب وقال الامام حكاية عن المعتزلة انهم قالوا هو الغفور
لمن تاب وقال اصحابنا انه غفور مطلق لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولان الاية مذكورة في موضع التمدح والتمدح

بكونه غفورا مطلقا اتم والكمل فالحمل عليه اولى انتهى كلامه ولان الغفور صيغة مبالغة فهي
ينبغي حمله على الاطلاق فانها انما تفيد المبالغة في اتصافه باصل المغفرة وهي الستر والغفار يفيد
المبالغة في اتصافه بالمغفرة بان يغفر مرة بعد اخرى والغفور يفيد المبالغة فيه بان يغفر
مغفرة جيدة تامة تامة للمذنبين مع كثرتهم قال الامام الغزالي الغفار ينبيء عن كثرة
الفعل والغفور ينبيء عن جودته وكماله وشموله فهو تعالى غفور بمعنى انه تام الغفران
كامله حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى كلامه ولا يخفى ان الغافرية مطلق الجود و
الكمل والشمول فحمل صيغة المبالغة عليه اولى لا سيما في مقام التمدح الا ان يقال مراد المحشي بقوله
لمن تاب من تاب عن الكفر   الودود المحب لمن اطاع على ان الودود فعول بمعنى فاعل ويجوز ان
يكون بمعنى مفعول لكونه مطلوبا ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا
من كماله في ذاته وصفاته وافعاله وعلى التقديرين فهو صفة مدح لانه تعالى اذا احب عباده
المطيعين فهو فضل منه واحسان لان مودته تعالى للعبد عبارة عن ارادته الكرامة والنعمة له
واحسانه وانعامه عليه اذ هو منزه عن ميل المودة ورقتها وكذا اذا احبه عباده العارفون
فانما يحبونه لجلال ذاته ولمزيد انعامه واحسانه اليهم   المراد بالعرش الملك والسلطنة
كما يقال فلان على سرير الملك والسلطنة وان لم يكن على السرير كما يقال ثل عرش فلان يكنون
اذا ذهب سلطانه ويكنون بالعرش والسرير عن الملك   والمجيد وعلوه وعظمه اي علوه
في جنسه وعظم مقداره وحسن صورته وتركيبه فانه احسن الاجسام تركيبا وصورة   لا يمتنع
عليه مراد في افعاله وافعال غيره كذا قال ان هذه الاية احتج بها الاصحاب في مسئلة خلق الافعال
بان يقال انه تعالى يريد الايمان فوجب ان يكون فاعلا للايمان بمقتضى هذه الاية واذا كان
فاعلا للايمان وجب ان يكون فاعلا للكفر ضرورة انه لا قائل بالفرق لما لعن الله تعالى كفار قريش
على كفرهم وايذائهم بالمؤمنين مثل عمار وبلال وغيرهما وشبه حالهم بحال اصحاب الاخدود في اللعن
وما ادى اليه من تكذيب الحق وايذاء تسلية للرسول عليه السلام والمؤمنين وايعاد للطاغين المتمردين

ذاد

زاد في التسلية والابعاد بقوله هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود كانوا في بلاد العرب و
قصتهم مشهورة عندهم فذكر الله تعالى من المتأخرين ثمود وهم قوم ... ومن المتقدمين فرعون بيان
ان حال المؤمنين مع الكفار في جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج وانه تعالى قد يمهل الاهلاك
الطاغين بالتكذيب والايذاء ولا يؤخر عذابهم الى يوم الاعادة فكانه قيل واصبر على
ما فاتك منهم وان جندنا لهم المنصورون وهلاكهم من مثل ما نزل من قبلهم لهذا كما تم
بالاولين في شيب ما نزل بهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب امنهم على ان تنوين
تكذيب للتعظيم والتهويل لا يرعوون عن التكذيب اي لا يمتنعون عنه يقال رعى
يرعوا اي كف ومنع وارعوى عن القبيح اي امتنع ثم انه تعالى سلاهم بوجه اخر بان بين اقتداره
على الذين كفروا وانهم في قبضته كالمحاط اذا احيط من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا
بل هو الذي كذبوا به كتاب مجيد اشارة الى ان وجه ارتباط هذه الاية بما قبلها هو
ذلك انه تعالى لما تعجب من حالهم ببيان انهم كذبوا التكذيب الشديد في تكذيبهم من قبلهم من المكذبين
بعد ما راوا وسمعوا ما نزل بهم في البلاد لان تكذيبهم ترقى في التعجب من حالهم ببيان شرف
ما كذبوا به وان الاولين لم يكذبوا بمثله فتكذيبهم اياه مع ما راوا من اهلاك الاولين
عجيب غاية التعجب وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة للقرآن فالتقدير بل هو قرآن مجيد
محفوظ في لوح وهو لغة الشيء الذي يكتب فيه واللوح بالفتح الهواء بين السماء
والارض وفي قراءة بالضم يفسره بما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح وفيه كتاب لكل شيء
قال مقاتل هو عن يمين العرش وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة
بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب
وقال في صدر اللوح لا اله الا الله وحده ودينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن به
وصدق وعده واتبع رسله ادخله الجنة

اعلم ان الله تعالى اكثر في
كتابه العزيز ذكر السماء والشمس والقمر لان احوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها كثيرة ومنافعها عجيبة

ثم ان الله تعالى عطف الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه بدون التفسير والبيان، قال وما ادريك
ما الطارق توطئة لبيان المراد منه وتفخيما لشانه واجلالا لقدره ثم بينه بانه النجم المضيء
الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر فان ذكر الشيء مجملا ثم تفصيله وتعيينه ينبئ عن فخامة شانه
واختلفوا في ان تعريف النجم للاستغراق او للعهد الخارجي فقال بعضهم انه للاستغراق لجملة قوله ان
اللهما ان لنوعه وقال اخرون انه نجم بعينه ثم اختلف هؤلاء فقال ابن زيد انه الثريا وقال الفراء انه زحل
لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات فقال اخرون انه الشهب التي ترجم بها الشياطين لعلوها
بعد فانتفع بها والثاقب يقال ثقب يثقب ثقبا اي جعل فيه منفذا او مسلكا ونفذ فيه وثقبت
النار تثقب ثقوبا اي اتقدت واشتعلت ويقال لمن يوقد النار اثقب نارك اي اشعلها
حتى تضيء وثقب النجم اي اضاء وشهاب ثاقب اي مضيء فلعل المعنى الاصلي للثاقب الذي
يفتح المنفذ واطلاقه على المضيء لوجود معنى فتح المنفذ فيه من حيث انه يثقب بضوئه الظلام
او الفلك واطلاقه على من يوقد النار لكونه سببا لحدوث الضوء الثاقب
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم والباقون بتخفيفها ومعنى من قرا
بالتخفيف ومن خففها كانت ان عنده مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان والامر
واللام في لما هي الفارقة بين المخففة والنافية وما صلة كما في قوله فبما رحمة من الله وعلى قياسه
وان المخففة مع ما في حيزها جواب القسم اي اقسم ان الشان كل نفس لعليها حافظ ومن
ثقلها كانت ان عنده نافية كما في قوله ان مكناكم وكانت لما بمعنى الا والجملة ايضا
جواب القسم اي اقسم ما كل نفس الا عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها الى ان تتوفى
كلمة لكن فيقبضها قال الزجاج استعملت لما في موضع الا في موضعين احدهما بعد ان النافية
والاخر في باب القسم تقول سألتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وروي عن الاخفش والكسائي
وابي عبيدة انهم قالوا لم توجد لما بمعنى الا في كلام العرب وقيل ان لما بمعنى الا مع ان النافية
موجودة في لغة هذيل وعدي يحفظ بعلى في قوله لما عليها حافظ لتضمنه معنى الهيمنة

واشار اليه الزمخشري بقوله حافظ مهيمن عليها قال حجة الاسلام الغزالي معنى المهيمن في
حق الله تعالى انه القائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم وآجالهم وانما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه
وحفظه وكل مشرف على كنه الامر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم
والاستيلاء يرجع الى كمال القدرة والحفظ يرجع الى الفعل والجامع بين هذه المعاني اسم
المهيمن انتهى كلامه قال الكشاف في القرآن ومهيمنا عليه لانه المشرف اي حافظا انه هو المستولي
على الكتب السالفة فيعرف به المحرف في حقه والمنسوخ في غيره وهو من آمن غيره من الخوف واصله
آمن فهو مأمن بهمزتين فقلبت الثانية ياء كراهة لاجتماع الهمزتين فصار مؤيمن
ثم جعلت الاولى هاء كما قالوا اهراق الماء وهراقه   لما ذكر ان كل نفس لما عليها
حافظ في اشارة الى وجه ترتب هذه الآية الى ما قبلها وذلك لان اجمال ما قبلها متضمن
معنى قولنا ان الانسان ليس بمهمل بل له حافظ مطلع على اعماله وارزاقه وآجاله واذا
استوفى جميع ما قدر له من ذلك يقبضه اليه ويحبسه في البرزخ مدة ثم يبعثه ويحاسبه ويجازيه
بالثواب والعقاب على حسب اعماله لكمال قدرته وحكمته واحاطة علمه بالكليات والجزئيات فان
حفظ الاعمال يبتني على ذلك ولما كان ما قبلها متضمنا لهذه المعاني وكانت هذه المعاني سببا
للتوصية للانسان بالنظر الى مبدائه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وسائر صفات كماله ويستدل
به على صحة البعث والجزاء وكذا يتنبه ان لا يكتب عليه حافظ اعماله سوى ما يفرح به يوم العرض
والجزاء فظهر بهذا التقرير ان ما ذهب اليه الشيخ الطيبي من ان الفاء في قوله فلينظر الانسان
فاء فصيحة تفصح عن انتساب الكلام على الحذف والتقدير ليس بموجه اذ لا حاجة في ارتباط الكلام
واستقامته الى الحذف والتقدير لكفاية المذكور قبله في كونه سببا للتوصية بالنظر بلا تكلف
الحذف مثلا ان يقول بعد قوله عليها حافظ ما يدل على ما هو عليه في قوله وان النفس لم يخلقوا
عبثا وانما خلقوا لاجل امر خطير وهو ان يعرفوا خالقهم ويطيعوه في جميع تكاليفه وانه تعالى
يبعثهم بعد موتهم ويثيب من اطاعه ويعاقب من عصاه ومن اين ذلك فلينظر الى آخر الكلام

قوله بمعنى دفق إشارة إلى أن توصيف الماء بأنه دافق تجوز بنسبة مبدأ الاشتقاق إلى ذات الموصوف
به مع قطع النظر عن صدوره منه كما في لابن وفارس أي ذو فرس ولابن أي ذو لبن بمعنى تمري ولبني
والمراد الممتزج من المائين في الرحم إشارة إلى قوله من ماء بتنوين الوحدة مع أن الولد
مخلوق من مائين ماء الرجل الذي يخرج من صلبه وماء المرأة الذي يخرج من ترائبها التي هي
عظام صدرها حيث يكون القلادة ووجه التعظيم في ذلك التنبيه إلا أن الولد إنما يتكون بعد اجتماع
المائين في الرحم بخارج من بين الشيئين حال من ماء واحد ولم يقل من مائين يخرج أحدهما
من الصلب والآخر من الترائب بجعل واحد من المائين وإن كان خارجا من محل على حدة إلا أنه يصدق
على المجموع الممتزج أنه خارج من بين ذينك المحلين قوله ولو صح أن النطفة تتولد من جوف
ما طعن به بعض الملاحدة في هذه الآية بأن قالوا إن كان المراد من قوله يخرج من بين الصلب والترائب
أن المني إنما ينفصل من تلك المواضع فليس الأمر كذلك لأنه إنما يتولد من فضلة الهضم الرابع
وينفصل عن جميع أجزاء البدن حتى يأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية فيصير مستعدا لأن يتولد منه
مثل تلك الأعضاء ولذلك يرى المفرط في الجماع يستولي الضعف على جميع أعضائه وإن كان المراد
أن معظم أجزاء المني يتولد هناك فهو ضعيف بل معظم أجزائه إنما يتهيأ ويتولد في الدماغ
والدليل عليه أنه يشبه الدماغ في صورته ولأن المكثر في الجماع يظهر الضعف أولا في عينيه وإن كان
المراد أن مستقر المني هناك فضعيف أيضا لأن مستقره هو أوعية المني وهي عروق ملتف
بعضها بالبعض عند البيضتين وإن كان المراد أن مخرج المني هو الصلب والترائب فليس
كذلك بل مخرجه هو الإحليل كذا نقله الإمام شبهاتهم ثم أجاب عنها بقوله لا شك أن أعظم
الأعضاء معونة في توليد المني هو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب
وله شعب كثيرة نازلة إلى مقدم البدن وهو الترائب فلهذا السبب خص الله هذين العضوين
بالذكر على أن كلامهم في كيفية تولد المني وكيفية تولد الأعضاء من المني كلام محض الوهم والظن
الضعيف وكلام الله أولى بالقبول انتهى كلامه وحاصله أن الملاحدة خفي عليهم وجه توجيه قوله

يخرج

اعصاد

يخرج من بين الصلب والترائب بناء على زعمهم ان المني ينفصل من جميع اجزاء البدن فيأخذ من كل عضو
طبيعته وخاصيته فيستعد لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء فانه ادعى اولا ان منع زعمهم
بانه محض وهم وظن ضعيف والله هو اصدق القائلين وكلامه المجيد لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه واجاب ثانيا بانا لو سلمنا ما زعموه فوجه تخصيص الصلب والترائب
بالذكر كونهما اقرب الى اوعية المني التي هي مستقرة بالنسبة الى سائر الاعضاء التي بينها
وبين الدماغ تعلق واتصال فان الصلب محل النخاع الذي هو خليفة الدماغ
ومنشعب منه والترائب منتهى الشعب النازلة من الدماغ اليها ومتصلة به بواسطة الاعصاب
الممدودة بينهما ولا يخفى ان جعل الترائب مخرجا للمني بمجرد تشعب الاعصاب من الدماغ اليها
مع انه لم يكن لها موضع في توليد المني وفي انفصاله منها فقط وفي غير كونها مخرجا له الا انه خلو
عن بعد بل الوجه في تخصيصهما ان يقال على تقدير تسليم ما زعموا ان النخاع والقوى القلبية
والكبدية والدماغية كلها متعاونة في ابراز ذلك العضو وتوليده على ما زعموه
فنبه الله تعالى على ان خليفة الدماغ والنخاع في تكون ذلك الماء بذكر الصلب لانه محل
النخاع الذي هو خليفة الدماغ ومنشعب منه والى ان خليفة القلب والكبد بذكر الترائب
لان الترائب موضع القلب ومشتمل عليها والاخر رقاب تخصيص الترائب بالنساء فانه قد
ذهب قوم الى ان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الوالد وترائبه احتج على ما
ذهب اليه بان الله تعالى بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق اي ذي اندفاق وانصباب
وموصوف بذلك هو ماء الرجل ثم وصفه بكونه دافقا بانه يخرج من بين الصلب والترائب
فدل ذلك على ان الترائب ترائب الرجل وعدم التعرض لماء المرأة لا ينبغي لان يكون لمائها
موضع في تكون الولد واجاب القائلون بان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل
وترائب المرأة بان توصيف هذا الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف اجزائه
قوله والضمير للخالق يعني ضمير انه للخالق المدلول عليه بقوله خلق فخم اولا بترك الفاعل في قوله

مم خلق اذ لا يذهب الوهم الى خالق سواه وفخم ثانيا بالاضمار قبل الذكر فذلك ايضا ولا
خفاء في ان ضمير رجعه للانسان وعلى في صلة القادر فان قيل ما وجه الاختصاص المستفاد من
تقديم قوله على رجعه على عامله وهو لقادر مع انه تعالى قادر على كل شيء قلنا ان التقديم قد لا يكون
للتخصيص بل لمجرد الاهتمام او التبرك والاستلذاذ او موافقة كلام السامع او ضرورة
الشعر او رعاية السجع والفاصلة او ما اشبه ذلك والتقديم ههنا للاهتمام به من حيث
ان الكلام فيه بخصوصه والامر بالنظر في مبدأ خلقه لكونه وسيلة ومؤديا الى العلم
بصحة الرجع كانه قيل فلينظر مم خلق ليعلم ان خالقه من مثل ذلك الشيء الحقير لقادر
على اعادته وردّه حيا بعد موته ولا يشتغل الا بما يسره في القيامة ان يراه ثم انه تعالى لما اقام
الدليل على صحة القول بالبعث والقيامة وصف حال هذه الكلمة اليوم فقال يوم تبلى السرائر
والسرائر جمع سريرة وهي التي تكتم وتخفى والمراد بها في الاية ما اسر في القلوب من العقائد
والنيات وما اخفي من الاعمال والابلاء هو الاختبار والاختبار يقال بلوته بخبره
بلوا وبلوة وبليته وبلاه الله يبلوه وابلاه ابلاء وابتلاه اي اختبره واطلاق الابلاء
على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب لان الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله تعالى
عباده بالاوامر والنواهي يكون بكشف ما علم منهم في الازل قوله وهو ظرف لرجعه وقد عليه لا يجوز
ان ينتصب به للفصل بين الصلة والموصول بخبر ان وهو لقادر ولا ينتصب ايضا بقادر
لانه تعالى قادر في كل الاوقات لا يختص قدرته بوقت دون وقت الا ان يقال معناه كونه منتصبا
برجعه انه منتصب بمضمر دل عليه رجعه اي يبعثه يوم تبلى السرائر واجيب بان الفصل غير مانع
من كونه يجوز ظرفا لرجعه لانه مؤخر تقديرا وانما قدم مراعاة للفاصلة على ان الظرف
يتسعوا فيه ما لا يتسعوا في غيره قوله نفيه مستفاد من عطف قوله ولا ناصر على قوة فانه يدل على ان المراد
بالقوة المنفية القوة الثابتة له في نفسه لا القوة مطلقا والا لم يبق للعطف فائدة
لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت فلا يمكن اذا رجع الله تعالى الانسان

لفظ القادر

في ذلك

في ذلك اليوم من قوة في نفسه يدفع بها عن نفسه ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره في دفعه
ولا شك انه زجر وتحذير وفي قوله من قوة لافادة عموم النفي لجميع افراد القوة اي لا يقدر
قليلها وكثيرها كانه قيل ما له شيء من القوة ولا احد من الانصار   سمي به كما سمي اوبا
لان الله تعالى يرجعه اي يرجع نوعه بانزال مثل الاول سمي المطر بمصدر رجع وآب بمعنى ذو
رجوع واوب او لانه لكثرة رجوعه جعل نفس الرجوع والاوب مبالغة او لان الماء النازل
من السماء الى الارض هو الذي صعد منها بان حمله السحاب من البحار فصعد منها ثم رجع اليها فسمي
رجعا لذلك فانه تعالى يبدي المطر ثم يرجعه وقتا فوقتا قال الشاعر   ربا شماء لا يأوي
لقلتها   الا السحاب والاوب والسبيل   يقال ربات الجبل اي علوتها وشماء
اي مرتفعة صفة محذوف اي طلاع جبال شماء اي شامخة مرتفعة والاوب والسبيل
المطر يصف رجلا يصعد العقاب الشاقة ورجع يتعدى ولا يتعدى يقال رجع هو نفسه
ورجعه غيره قال تعالى فرجعناك الى امك وهذيل تقول ارجعه غيره قوله تنشق بالنبات بيان لان ما تتصدع
عنه الارض فعلى هذا يكون المراد بالصدع نبات الارض سمي به لانه صادع للارض والارض تتصدع
بها اي تنشق بالنبات بين لفظ الصدع والشق والصدع في اللغة الشق ومنه قوله تعالى يومئذ
يصدعون اي يتفرقون فذات الصدع اي ذات الانشقاق بالنبات للعيون واعلم انه
سبحانه وتعالى لما ذكر كيفية خلقة الحيوان وجعله دليلا على معرفة المبدأ والمعاد ذكر في
هذه الاية كيفية خلقة النبات فالسماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام
وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء من المطر متكررا وعلى ما ينبت من
الارض كذلك وانه تعالى بعد ان فرغ من بيان دليل التوحيد والمعاد اقسم قسما اخر فقوله
والسماء ذات الرجع على قوله انه لقول فصل يفصل به الحق عن الباطل والهزل اللعب
والبيان الفصل قد يذكر لا على سبيل الجد والاهتمام بشأنه بل يذكر اتفاقا من غير ان يقصد
بذكره فائدة مطلوبة وهو ذكره بالهزل واللعب وقد يذكر على سبيل الجد والاهتمام

يكيدون

بشأنه والقرآن كله من هذا القبيل فانه كله نزل بالجد لا بالهزل واللعب وانهم
يكيدون كيدا اشارة الى ان تسمية ما كان من الله تعالى في حق اهل مكة من استدراجهم والانتقام
منهم من حيث لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة كيدهم جزاء له لان
الكيد هو المكر لا يجوز اسناده الى الله تعالى مرادا به معناه الحقيقي وتسمية جزاء الشيء
باسم ذلك الشيء على سبيل المشاكلة كثير في القرآن مثل نسوا الله فنسيهم ويخادعون الله وهو
خادعهم والله يستهزئ بهم بعد ما حكى منهم انما نحن مستهزئون. امهلهم الا انه
الا ان رويدا صفة مصدر محذوف لا اسم فعل لانه لو كان اسم فعل يكون المعنى امهلهم ارودهم
اي امهلهم فيكون الامر بالامهال مكررا ثلث مرات فانه مهل وامهل وارود بمعنى
واحد وفائدة التاكيد قد حصل بالثاني فيبقى الثالث بلا فائدة واما اذا كان صفة
محذوف فانه حينئذ يكون تصغير رود بضم الراء وهو المهل ويكون التصغير للتقليل فكرر الامر
بالامهال لزيادة التسكين والتصبير لان التكرير للتاكيد وخولف بين لفظي الامر بان جعل الاول
من باب التفعيل والثاني من باب الافعال لزيادة التسكين ايضا وذلك لان المعنى الواحد
اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يرى كانه معنيان يتعلق بكل واحد منهما حظ على حدة
ثم انه تع بعد ما كنى رسوله عم رويدا فان رويدا في كلام العرب يستعمل على ثلثة اوجه
احدها ان يكون اسما لفعل الامر فيعمل عمل الافعال يقال رويد زيدا اي ارود زيدا اي امهله
وخله ودعه وارفق به ولا ينصرف فبني رويد على هذا الوجه لانه حينئذ من التمكنة والثاني ان يكون
بمنزلة سائر المصادر فيضاف الى ما بعده كما يضاف المصادر فيقال رويد زيد قال
تع فضرب الرقاب والثالث ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا رويدا
ويقولون ايضا ساروا رويدا فيحذفون المنعوت ويقيمون رويدا مقامه كما يفعلون
بسائر النعوت المتمكنة فيجوز في هذا الجزء رويدا وجهان احدهما ان يكون فاعلا بمعنى
غير مستعمل والثاني ان يكون نعتا لما ذكر وان ظهرت المنعوت لم يجز ان يكون حالا الذي

في الاية

في الآية محمول على الوجه الثالث لعدم ذكر المنعوت قبله فيجوز أن يكون نعتا كما اختاره المص
وأن يكون حالا بمعنى غير مستعجل نعم منهم من قال إن المعنى أمهلهم رويدا إلى يوم وإنما صغر
بين الوقتين بناء على أن كل ما هو آت قريب ومنهم من قال المعنى أمهلهم رويدا إلى يوم
بدر والأول أولى لأن الذي جرى يوم بدر وسائر الغزوات لا يعم الكل وأما حمل على
أمر الآخرة يعم الكل وأيا ما كان فهو زجر وتحذير للقوم عما كانوا عليه وترغيب فيما هو
خلاف طريقهم من الطاعات

سورة الأعلى

نزه اسمه عن الإلحاد فيه بأن يحمل على المعنى المصوب في تفسيره بأن يفسر شيء من أسمائه بما
بما لا يصح ثبوته في حقه تعالى كأن يفسر الأعلى بالعلو المكاني والاستواء بالاستقرار فيجب أن
ينزه كل واحد من الاسمين المذكورين عن هذا التأويل بأن يؤول الاستواء بالاستيلاء
والعلو بالفوقية والارتفاع في الرتب المعقولة كالعلم والقدرة والإرادة والكرم
والرحمة وغير ذلك من صفات الكمال فإن الموجودات إذا قسمت إلى درجات متفاوتة تجب
هذه الصفات الكمالية يكون الحق تعالى في الدرجة العليا من درجاتها وهي أرفع ما لا يتصور أن
يبلغ موجود ما إلى درجته فضلا عن أن يكون فوقه درجة فهو العلي المطلق وكل ما سواه علي
بالإضافة إلى ما دونه ودني سفل بالإضافة إلى ما فوقه وكما يجب تنزيه ذاته تعالى عما لا يصح
أن يثبت له من الأوصاف يجب تنزيه أسمائه الدالة على الكمال عما لا يصح فيها ذلك كالتأويلات
الزائغة ومن تنزيه أسمائه إبعادها عن أن يسمى بها غيره تعالى على الوجه الذي يسمى بها الحق
تعالى فإن العبد وإن صح أن يطلق عليه أنه رحيم حليم كريم محسن ونحو ذلك لكن ذلك الإطلاق
بوجه آخر غير الوجه الذي أطلق به عليه تعالى ومن تنزيهها أيضا أن يصان ذكرها إلا على وجه الخشوع
والتعظيم ويدخل فيه أن يذكر تلك الأسماء عند الغفلة وعدم الوقوف على معانيها وحقائقها
والمراد بأسمائه تعالى المعاني الجارية على الذات حمل مواطاة كالقادر والعليم لا ألفاظها فقط
ولا المحمول حمل اشتقاق كالقدرة والعلم فإن أسامي الصفات وإن كان قد يتجوز باستعمال أحدهما مكان

الاخر واعلم ان للاشياء وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان ووجودا في اللسان اما وجودها
في الاعيان فهو الوجود الاصلي الحقيقي والوجود في الاذهان هو الوجود العلمي الصوري و
الوجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدال على ما في الذهن من الصورة العلمية وتلك
الصورة هي المنطبعة في النفس من الموجود العيني الخارجي فلو لم يكن وجود في الاعيان
لم تنطبع الصورة في الاذهان ولو لم تنطبع الصورة في الاذهان لم يعبر عنها اللسان فاذن
العلم واللفظ والمعلوم ثلثة امور متباينة لكنها متطابقة وهذا مما يشهد به الذوق
السليم بعد المراجعة الى ما ذكره علماء الكلام في مبحث الكيف وبحث الوجود الذهني
وظهر بهذا ان الاسم غير المسمى الذي هو الموجود في الاعيان بالوجود الاصلي كما انه غير الصورة
الذهنية التي يعبر عنها بالعلم ومن العلماء من ذهب الى ان الاسم عين المسمى وان تعدد
الاسماء راجع الى تعدد الصفات الذاتية والفعلية القائمة بذات المسمى وانما ذهبوا
اليه زعما منهم بان اسمائه تعالى لو كانت عبارة عن الالفاظ الدالة على ما في النفس لزم ان
لا يكون له اسماء في الازل اذ لم يكن في الازل لفظ ولا لافظ لان كل واحد منهما حادث
واجيب عنه بان المراد بالاسماء في قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى هي الاسماء المحمولة على الذات
حمل المواطاة كما ذكرنا فانه تعالى كان القادر والعالم القادر ثابتة له في الازل وان لم يكن
الاسماء متحققة فيه فانه تعالى قدوس وعالم في الازل بمعنى انه كان متصفا بصفة القدوس
والعلم فيه ولا محذور في حدوث الاسماء الملفوظة المتصفة بكونها عربية مشتقة قليلة الحروف
او كثيرها لان مقتضى الدليل القاطع ان ذاته تعالى وصفاته الذاتية والفعلية قديمات
مصونات عن الزوال باعتبار وجوداتها العينية واما وجوده في اللسان وفي الاذهان الكائنات
فحادث بحدوثها   وقوله سبحان ربي الاعلى وروي عن علي وابن عمر رضي الله عنهم انهم قرءوا
سبحان ربي الاعلى الذي خلق فسوى ولعل الوجه فيه ان قوله سبح امر بالتسبيح فلا بد ان
يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قوله سبحان ربي الاعلى ولعل من المعلوم مراد الحديث بيان انه ع م

بين طريق الامتثال بالامر وموضع الامتثال به فلا حاجة في الامتثال به الى فائدة
النظم بما روي عنهما نقل عن تفسير الثعلبي انه اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل قال النبي
يا جبرائيل اخبرني عن ثواب من قال في صلوته او في غير صلاته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة
يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا
ويقول الله تعالى صدق عبدي انا الاعلى وفوق كل شيء وليس فوقي شيء اشهدوا ملائكتي
اني قد غفرت لعبدي وادخلته جنتي فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم
القيمة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله تعالى فيقول يا رب شفعني فيه فيقول شفعتك
فيه اذهب به الى الجنة وبعض هذا ذكره الامام ابو الليث في تفسيره كما صح من هذا القدر
خلق كل شيء فسوى خلقه اشارة الى ان حذف مفعولي خلق وسوى لقصد التعميم
وان تسويته لخلق المخلوقات خلقها موصوفة بوصف الاحكام والاتقان عن الخلل و
النقصان جامعا لجميع ما يتوقف عليه كماله في ذاته وينتظم به اسباب معاشه دوله
اي قدر اجناس الاشياء اي جعل اجناس الاشياء بمقدار معلوم وجعل ايضا مقدار كل شخص
في جنسه وانواعه كما في صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية و
الضلال والالوان والاشكال والطعوم والروائح والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار
معلوم كما قال وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم انبت
ما ترعيه الدواب من العشب لا كالاصنام التي عبدتها الكفرة قال ابن عباس رضي
للمرعى الكلاء والاخضر وفي الصحاح الرعي بالكسر الكلاء وبالفتح المصدر والمرعى
الرعي والموضع فالمصدر والغثاء يبس من النبت والقمش جميع الشيء من ههنا
وههنا وذلك الشيء قماش يابسا اسود اشارة الى الغثاء بمعنى اليابس و
ان الاحوى بمعنى الاسود صفة لغثاء وسبب ذلك السواد اما احتراقه بشدة الحر
والسيل فيسود على تقدير كون احوى حالا من المرعى يجوز الاحوى بمعنى الاسود

سوداوان

لشدة الخضرة كما قيل مدهامتان اي سوداوان لشدة خضرتهما فعلى هذا يكون في الاية تقديم وتأخير والتقدير الذي اخرج المرعى احوى فجعله غثاء قال مجاهد ومقاتل والكلبي كان عم اذا نزل عليه القرآن اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبرائيل عم لا يفرغ من اخر الوحي حتى يتكلم هو عم باوله مخافة النسيان فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس بعد ذلك شيئا لانه اخبار منه تعالى واخباره صدق ولا في قوله فلا تنسى نافية وعليه الاكثرون لا للنهي لان الانسان لا ينهى عن النسيان لانه ليس باختياره ولذلك تثبت الالف في لا تنسى خطا ولفظا وفي جعله نهيا عن النسيان احتاج الى تكلف في توجيه ورود النهي عما ليس لقدرة العبد واختياره فيه مدخل بان يقول ان النهي وان كان عن النسيان صورة لكنه في حقيقة عن سببه وهو الغفلة عن دراسته وتكريره فكانه قيل فلا تغفل عن قراءته وتكريره فتنساه واحتاج في توجيه ثبوت الالف الى ان يقول انها مزيدة رعاية لفواصل الاي كالتي في الظنونا و السبيلا وحمله على الخبر اولى لعدم احتياجه الى تكلف ولانا اذا جعلناه خبرا كان معنى الاية بشارة الله تعالى اياه باني اجعلك بحيث لا تنسى واذا جعلناه نهيا كان معناه ان الله تعالى امره بان يواظب على الاسباب المانعة عن النسيان وهي المواظبة على القراءة والدراسة وهذا ليس في البشارة وتعظيم حاله مثل الاول ولانه على خلاف قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به   على لسان جبرائيل عم او سنجعلك قاريا بالهام القراءة على ان يكون همزة اقراء للصيرورة اي لصيرورة الفاعل ذا اصله اي نجعلك قاريا للقرآن تقرؤه متى شئت بحيث لا يتطرق لك النسيان في شيء منه وعلى الاول يكون الهمزة للتعدية اي لجعل فاعل اصله مفعولا فيكون المعنى سنعلمك هذا القرآن على لسان جبرائيل حتى تحفظ فلا تنساه فحيثما ان جبرائيل يقرؤه عليك مرارا كثيرة الى ان يستقر ويتمكن في قلبك فكيف تنساه فعدم النسيان على هذا المعنى

منتفي

بكون

متفرع على التعليم والتكرير والتثبيت وعلى أن يكون الهمزة للصيرورة يكون متفرعا
على مجرد جعل الله تعالى وتصييره إياه قارئا بقراءة ما سمعه من جبريل عليه السلام مرة واحدة
من غير استعداد بأن يلهم الله تعالى قراءته في أي وقت شاء وإلهام القراءة لا ينافي كون أصل
المقروء مسموعا من جبريل عليه السلام منزلا عليه بواسطته قال الإمام ذكروا في كيفية ذلك
الاستقراء والتعليم وجوها أن جبريل عليه السلام سيقرأ عليك القرآن مرات حتى تحفظه
حفظا لا تنساه ثانيها أن نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظ بالمرة
الواحدة حفظا لا تنساه ودون ذكر وجها ثالثا لم أقف على معناه أما الصعوبة في
نفسه وأما السعادة النسخة **قوله** وأصلا أي بوجه ما لا بطريق النسخ ولا بغيره وذكره
ليظهر معنى الاستثناء المتصل **قوله** ليكون ذلك آية أخرى لك وقوله وقوته كذلك
منصوب بالعطف على اسم أن معنى هذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الأول أنه رجل
أمي فحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا كتبة خارق للعادة فيكون معجزا
والثاني أن هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وفيها إخبار بما يقع في المستقبل من أمر
عجيب غريب مخالف للعادة وقد وقع كما أخبر به ولا شك أن الإخبار عن الغيب
ثم وقوعه كما أخبر به معجز بأن نسخ تلاوته فإن الإنساء نوع من النسخ وطريق من
طرقه فالمعنى إلا ما شاء الله أن تنساه الا وقتا نسيانا دائما وذلك الإنساء هو
النسخ أو يكون الإنساء سببا متفرعا على النسخ فإنه تعالى إذا نسخ تلاوة شيء من
الآيات وأمر النبي عليه السلام بأن لا يقرأه ولا يصلي به يصير ذلك سببا لنسيانه وزواله عن
الصدور رأسا ما كان فالمستثنى الذي هو ما شاء الله نسيانه يراد به الآيات التي نسخت
تلاوتها ويراد بنسيانها النسيان الكلي الدائم بحيث لا يعقبه التذكر بعده
وقيل المراد به القلة مطلقا فيجب المعنى على التقليل بق فلا يراد بالنسيان ح ما يكون من نسخ
التلاوة بل يراد بالنسيان المتعارف الذي يعقبه التذكر بعده ويكون الحق بالاستثناء

تقليل المنسي بهذا المعنى مع انه لا يبقى منسيا دائما والعلم بكون المراد بالنسيان
النسيان المتعارف وان النبي لا يبقى منسيا دائما مستفاد من العطف وبمقام ووجه
انفهام معنى القلة من هذا الاستثناء انه لما ابتدى بنفي النسيان مطلقا ثم استثنى
من مفعول فعل النسيان القدر [الذي] يتعلق مشية الله بنسيانه ولا شك في تعلق
المشية بنسيان شيء منه غير معلوم ويجوز ان لا يتعلق اصلا وعلى تقدير تعلقها
بنسيان شيء منه ذلك فلا محالة ان ما تعلقت المشية بنسيانه اقل من الباقي بعد
الاستثناء وقد تقرر ان المستثنى ينبغي ان ينتفي راسا او بقي في القلة والندرة وما كان
كذلك يكون في غاية القلة فهذا وجه حمله قوله تعالى الا ما شاء الله على الاستقلال ما
بنادر   او نفي النسيان رأسا مرفوع معطوف على قوله القلة والندرة فعلى هذا
لا يكون قوله الا ما شاء الله جاريا على حقيقة الاستثناء كما في الوجهين الاولين بل يكون مجازا
عن نفي النسيان رأسا لما مر ان قوله الا ما شاء الله من الالفاظ الدالة على القلة
واستعمال القلة بمعنى النفي رأسا على طريق المجاز وارد في كلامهم ومنه قولهم
وقليل ما هم في مقام نفي الموصوفين المذكورين قبل وقول الخليل انه لم ينس
بعد نزول هذه الاية يؤيد هذا الوجه الثالث لكن حمل الاستثناء الوارد بعد النفي
على النفي لا يخلو عن بعد فتأمل   فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء تفريع
على التفسيرين واشارة الى ان قوله انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل للحكم السابق
المشتمل على الاستثناء بان يجعل علمه تعالى بما ظهر وبما خفي من احوال عباده او من
جهره ع م بالقراءة مع جبرائيل وما خفي في نفسه مما يدعوا اليه من مخافة التفلت والنسيان
مجازا عن علمه بما فيه صلاح العباد فلا ينسى ما شاء من الوحي ويبقى ما ابقاه الا لمصلحة
تعود اليهم ولو قال بعد هذا القول او فلا تخف فانا نكفيك ما تخافه لكان اظهر
ونعدك للطريقة اليسرى ضمن قوله ونيسرك معنى الاعداد والتوفيق
اي نهيئك

توجيهها

توجيها للتقديم بدون اللام فان العبارة المعتادة ان يقال جعل الفعل الفلاني
ميسرا للفلان ولا يقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلاني كما في الاية وكما في قوله ٤م
اعملوا فكل ميسر لما خلق له والاعداد التوفيق يتعدد بان بنفسهما وقوله للطريقة
ابان الموصوف ميسر اليسرى والاشارة الى وجه ثانية والدين والطاعة ودان له
اي اطاع ودان بكذا وتدين به عمله طاعة والطريقة اليسرى ثانيا بالطاعة هي
الطريقة الاسلام التي هي الطريقة السهلة وقال نيسرك بنون العظمة ليكون
عظمة المعطي دليل على عظمة العطاء نظيره قوله تعالى انا انزلناه انا نحن نزلنا الذكر
انا اعطيناك الكوثر وكيف لا وقد كان صبيا لا اب له ولا ام نشأ في قوله جهال ثم
انه تعالى جعل افعاله واقواله قدوة للعالمين وهاديا للخلق اجمعين الى شريعة
لم يهد الى مثلها احد من الاولين واي تيسير يبلغ الى هذه الدرجة بعد ما تثبت
لك الامر بان بمعنى فاء التعقيب يقال استقبله الامر اذا تهيأ واستقام يعني انه
تعالى لما تكفل له بتعليم القرآن وتيسير حفظه له بحيث لا ينسى شيئا منه الا ما شاء الله نسيانه
او تيسير سبيل الرشد والدين امره بتذكير الخلق ودعوتهم الى الحق ليكون الناحضين وهداية
الجاهلين ارفع منصبا واعلى الفضل والكمال لعل هذه الشرطية انما جاءت
اه جوابا عما يقال انه مبعوث الى الناس كافة لينذرهم بسوء عاقبة الكفر والعصيان ويذكرهم
ببيان ثواب الطاعة والعرفان فعليه ان ينذر الكل ويذكرهم سواء نفعهم الذكرى نفعهم
فان نفعتهم الذكر بان يقبلوها ويهتدوا بها فهو المطلوب والا فلا اقل من انه يظهر بها
عصيان المعاندين واستحقاقهم للمؤاخذة والعذاب وتنقطع بها حجتهم حيث لا يمكنهم
بعد الانذار والتذكير ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
اياتك ونكون من المهتدين فان سنة الله تعالى قد جرت على انه لا يعذب قوما على ما فعلوا
حتى يبعث فيهم رسولا فاذا تقرر انه يجب عليه ان يذكر الكل في كل حال نفع او لم ينفع فما وجه

تعليق التذكير على الشرط في قوله ان نفعت الذكرى واجاب عنه المحشي بوجوه ثلثة
الجواب الاول ان ما ذكر من وجوب التذكير العام عليهم في كل حال انما هو قبل الزام
الحجة عليهم واتمام دعوتهم بتكرير التذكير باوضح البيان وابلغ التقرير الى ان
يبين عند طالبيه فيتبعوه ويظهر ان من اصر على الكفر والضلال بعده انما تقرر
عليه لعناده واتباعه هواه واما بعد ذلك فلا يجب الا بشرط ظن نفعه فان تذكير
من حصل اليأس عن انتفاعه واهتدائه لا فائدة له سوى اتعاب النفس والهم
والتلهف عليهم والجواب الثاني ان قوله تعالى ان نفعت الذكرى وان كان ظاهره
شرطا وتعليقا للايجاب التذكير على ترتب النفع عليه لكنه لم يوت به في هذا
الموضع لتقييد الحكم به وانما اتى به ذما للمذكرين وتنبيها للرسول عم
انه لا ينفعهم الذكرى كما يقال للرجل ادع فلانا ان اجابك وبمعنى ما اراه
يجيبك فكانه قيل فذكرهم فما يظن انتفاعهم وقبولهم منك فاذا لم يكن التعليق
والتقييد مرادا بقي الامر بالتذكير على اطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفعه واما
الجواب الثالث فانه محل بحث وتامل ولعل مراده عم وان وجب عليه التذكير
العام في كل حال لان وجوب التذكير عليه غير مقيد برجاء اهتداء المذكرين الا
انه اتى بصورة التقييد للاشعار بان معظم الحكمة في ارسال الرسل وايجاب التذكير
عليهم وهو انتفاع الامة واهتداؤهم بالذكرى وان كان الزام الحجة على المعاندين
داخلا في حكمة الارسال وايجاب التذكير على الرسل الا ان هذه الحكمة والايجاب في
جنب الاولى كانها ليست بحكمة وكان التذكير انما يجب عليهم لانتفاع الامة به
بحيث اذا ظنوا عدم الانتفاع لا يجب عليهم ذلك وايد هذا التوجيه بقوله تعالى
واعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا   وهو يتناول
العارف والمتردد فان الناس في امر المعاد على ثلثة اقسام منهم من قطع بصحته

ومنهم

ومنهم من جوز وجوده ولكن غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالاثبات ومنهم
من اصر على انكاره وقطع بانه لا يكون فالقسمان الاولان الخشية حاصلة لهما دون
الثالث فقوله تعالى من يخشى كما يتناول العارف بالله وبكمال قدرته وعلمه وحكمته
فيقطع بذلك بصحة المعاد يتناول ايضا من يتوقف الى ان يتبين له الحق ولا يكون
من اهل العناد والاصرار فانه اذا سمع اية التخويف مثل ان يكون من كفر يصلى
النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى انكسر قلبه فيحمله ذلك على استماع الحق وقبوله
بخلاف من غلب هواه وحمله ذلك على العناد والاصرار فان قلبه يقفل عليه فلا يصل
اليه الخوف والخشية ولا ينتفع بالذكرى لان الانتفاع بها مبني على حصول الخشية
في القلب فلم تحصل فلا جرم يتجنب الذكرى ولا يقبلها بل يتباعد عنها ولا
ينتفع بها وهو المراد بالاشقى اما جنس الاشقى وهو الكافر او للفرد الكامل من
الكفرة كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وابي بن خلف والمفضل عليه على الاول
جنس العاصي وعلى الثاني سائر الكفرة فانه قد روي ان قوله سيذكر من يخشى نزلت
في عثمان بن عفان رضه وقوله يتجنبها الاشقى نزلت في الوليد وعتبة وابي وانت
تعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما ان التقسيم السابق يؤيد القول
بان المراد بمن يخشى القسمان الاولان من تلك الاقسام وبالاشقى القسم الثالث يؤيده
العقل السليم ولا يحيى تنفعه فهو في معنى قوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم من عذابها ويقال لمن ابتلي بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو
ميت وقيل ان روح احدهم في النار تصير في حلقه فلا تخرج فيموت ولا ترجع الى الجسد
فيحيى واتى بكلمة ثم لان هذه الحالة اقطع واعظم من نفس الصلي فهي متراخية عنه في مراتب
الشدة والكبرى اسم تفضيل لانه تانيث الاكبر فيقتضي المفضل عليه وهو نار الدنيا ان
كان المراد بالنار الكبرى نار جهنم وان كان المراد بها طبقة اسفل دركات جهنم فالنار التي هي

نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يكون المفضل اليه
ما في الدركات التي تحتها فان في جهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما ان الدنيا ذنوب
ومعاصي متفاضلة فكما ان الكافر اشقى العصاة كذلك يصلى اعظم النيران
او تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء يقال زكى الزرع يزكو زكاء
اي نمى وتكثر فالزاكي هو النامي الكثير وهذا الوجه يعتضد بقوله تعالى قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلوتهم خاشعون اثبت الفلاح للمستجمعين تلك الخصال وكذلك قوله
في اول البقرة واولئك هم المفلحون والوجه الاول يعتضد بوجهين الاول انه تعالى
لما لم يذكر في هذه الاية ما يجب التزكي عنه علمنا ان المراد هو التزكي عن الكفر الذي
مر ذكره قبل هذه الاية والثاني ان الاسم المطلق ينصرف الى المسمى الكامل واكمل
انواع التزكية هو تزكية القلب عن ظلمة الكفر فوجب صرف هذا المطلق اليه
ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم كما ذهب اليه الامام الاعظم ابو حنيفة رح المعنى وذكر
اسم ربه للافتتاح وصلى عقيبه واحتج بهذه الاية على وجوب تكبيرة الافتتاح حيث
عدت في جملة ما علق به الفلاح وعلى انها ليست من اركان الصلوة من حيث ان الصلوة
عطفت عليها بفاء التعقيب والملابسة بالكل انما يكون بملابسة كل ركن من اركانه لا عقيبها
وعلى ان افتتاح الصلوة والشروع فيها غير مختص بلفظ التكبير بل هو جائز بكل اسم
من اسمائه تعالى فالمناسب على هذا ان يحمل التزكي على التطهر للصلوة لتكون الاية مسوقة
بمدح كل من حصل هذين الشرطين للصلوة وصلى عقيبهما والائمة الثلثة رح قالوا
وان دلت الاية على مدح كل من ذكر اسم الله فصلى عقيبه لكن ليس في الاية بيان ان
ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح لجواز ان يكون المراد من ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه
وذكر ثوابه وعقابه ودعاه ذلك الى فعل الصلوة فيأتي بالصلوة التي اول اركانها
واجزائها تكبيرة الافتتاح كما روي عن ابن عباس رض انه قال في تفسير هذه الاية ذكر

معاده

معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له قال الامام واقول هذا التفسير متعين وذلك لان مراتب اعمال المكلف ثلثة فاولها ازالة العقايد الفاسدة عن القلب والثاني استحضار معرفة الله تعالى بذاته وصفاته واسمائه وثالثها الاشتغال بخدمته وطاعته فالمرتبة الاولى هي المراد بالتزكية في قوله قد افلح من تزكى وثانيها هي المراد بقوله وذكر اسم ربه فان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة وثالثها هي الخدمة هي المراد بقوله فصلى فان الصلوة عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله تعالى لا بد وان يظهر في جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع انتهى كلامه وان حمل التزكي على اداء الزكوة المفروضة تكون الاية نظير قوله تعالى واقام الصلوة واتى الزكوة وقيل هذا التفسير بعيد من حيث ان عادة الله تعالى جارية على تقديم الصلوة على الزكوة اينما ذكرهما وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة وتركها وقيل تزكى اي تصدق للفطر روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الاية في هذا يعني ان المراد بالتزكي اخراج صدقة الفطر قبل الخروج الى المصلى وبالذكر ان يكبر في الطريق حين خروجه الى المصلى وبالصلوة ان يصلي صلوة العيد بعد ذلك مع الامام وقال بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاويل لان هذه السورة مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة فطر واجيب بانه لما كان في علم الله تعالى ان ذلك سيكون اثنى على من فعل ذلك فانه تعالى قد يخبر عما سيكون كما في قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر بن الخطاب كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي عم يثبت في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال نعم وانت حل بهذا البلد فان السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح حتى قال عم احلت لي ساعة من نهار فلا تفعلون ما يسعدكم في الاخرة اشارة الى ما دل عليه كلمة بل من النفي للمتعلق بالكلام السابق فانها موضوعة لنفي ما تقدم وتحقيق غيره قال ابن مسعود رضه ان الدنيا احضرت لنا وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها

[illegible] [illegible] [illegible]
لآخرة ع

ولذ تها وبهجتها وان الاخرة نعتت لنا وزويت عنا فاخذنا بالعاجل وتركنا الاجل

حال اكثر الناس وجعله للكل تغليبا واقامة للاكثر مقام الكل   والخطاب

للاشقين للاشارة بايراد لفظ الجمع الى ان الاشقى جنس فهو في معنى الجمع   فان

نعيمها تلذذ بالذات بيان لوجه خيرية الاخرة جعل نعيمها نفس الالتذاذ مبالغة

سببيتها له ونعيم الدنيا وان كانت يستلذ بها الا انها في ذاتها ليست للالتذاذ بها

بل انما خلقت لان يتقوى على الطاعة ويتوسل بها الى سعادة الاخرة بخلاف نعيم

الاخرة والعوالي جمع العالية وهي الشرف   ثم قد افلح بيان للاول ما تحقق ومنتهاه

والاخرة خير وابقى فان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل ما

لا ينبغي من العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة   وذكر اسم ربه اشارة الى تكميل

الروح بمعرفة الله وقوله فصلى اشارة الى تكميل الجوارح وتزيينها بطاعة الله

وقوله بل تؤثرون الحيوة الدنيا اشارة الى الزجر عن الالتفات الى الدنيا

والاخرة خير وابقى اشارة الى الترغيب في الاخرة وفي ثواب الله عز وجل وكرامته و

هذه امور لا يجوز ان تختلف باختلاف الشرايع فلهذا ان هذا لفي الصحف الاولى والصحف

جمع صحيفة وهي الكتاب قيل صحف موسى هي الالواح التي كتب فيها التورية و

قيل هي صحف انزلت عليه قبل ذلك وصحف ابرهيم هي كتب انزلت عليه وروي

ان ابا ذر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم بان قال له كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب

على ادم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين وعلى ابرهيم عشر

صحايف والتورية والانجيل والزبور والفرقان كذا قال الامام وفي التيسير

صحف شيث هي ستون وصحف ابرهيم هي ثلثون وصحف موسى قبل التورية وهي عشرة

والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل كان في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ما

لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه

سورة الغاشية

الغشي في اللغة غشيه يغشاها اي غطاه وكل ما احاط
بالشي من جميع جهاته فهو غاش له وسميت القيمة غاشية لانها تغشي الناس جميعا من الاولين
والاخرين ولانها تغشي الناس بالاهوال والشدائد وقيل المراد بالغاشية النار
وسميت بها لانها تغشي وجوه الكفرة واهل النار كما قال لهم من جهنم مهاد
ومن فوقهم غواش وقال تغشي وجوههم النار واتفقوا على ان هل ههنا في قوله
هل اتى على الانسان حين من الدهر بمعنى قد كما تقول هل رايت صنيعة فلان وقد علمت
انه قد راه يريد ان تحمل المخاطب على ان يقر على ما لولا الفعل الذي دخلت عليه كلمة هل
كما قال الامام في اول سورة الدهر يريد ان الاستفهام في هل اتيك للتقرير لان حمل الكلام
على حقيقة الاستفهام غير متصور ههنا لاستحالته على الله تعالى وقد يكون الاستفهام بهل
للانكار والجحد كما تقول هل يقدر احد على مثل هذا كما يقول حقيقة الاستفهام وتعيين
كل واحد من هذه المعاني موكول الى شهادة المقام والمقام ههنا مقام التقرير لانه تعالى
عرف رسوله عم من حال الغاشية وحال الناس فيها ما لم يكن هو ولا قومه عارفا به على التفصيل
لان العقل ان دل فانما يدل على ان حال العصاة مخالفة لحال المطيعين واما كيفية
تلك التفاصيل فلا سبيل للعقل اليه فلما عرفه الله تعالى تلك الاحوال لاجرم قال هل اتيك
حديث الغاشية اي حديث الداهية الغاشية على حذف الموصوف   وجوه مبتدا
وخاشعة خبره ويومئذ ظرف الخبر اي في ليلة اذ غشيت تلك الداهية الناس ولعل
وجه الابتداء بالنكرة كونه في تقدير الكلام اصحاب وجوه بالاضافة الا ان الخشوع والذل
لما كان يظهر في الوجه لانه ضد التكبر الذي محله الراس والدماغ قال الامام المراد بالوجوه
اصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة وذلك
من صفات المكلف لكن الخشوع لما يظهر في الوجه علق بالوجه لذلك انتهى الخشوع و
الخضوع والتطامن والتواضع كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعتري الانسان من الذل والخزي

وان تفسير ها قوله تعالى هل اتيك حديث الغاشية قد اتاك يا محمد خبر الغاشية
قال بعضهم ان الغاشية الداهية
ثم اختلفوا في الغاشية
قال بعضهم الغاشية يوم القيمة
وانما سماها باسم الغاشية
لظلمتها واهوالها
وانواع شدائدها وافزاعها
معنى قوله هل اتيك
حديث الغاشية
قد اتيك خبر القيمة
صح

والهوان يقال خضع الانسان اذا امال رأسه الى الارض او دنا منها   معنى ما
تتعب فيه اشارة الى ان ارتفاع كل واحد من عاملة وناصبة على انه خبر بعد خبر
وان ناصبة في المعنى التقييد العمل بانه من قبيل ما تتعب الوجوه فيه فان الناصبة
بمعنى المتعبة يقال نصب الرجل ينصب نصبا من باب علم وعمل اذا تعب في العمل و
اذا كان لكل واحد منها خبر بعد خبر يكون قوله يومئذ ظرفا لكل واحد من الاخبار الثلثة
وتلك الاخبار بكلها حاصلة في الآخرة فان الكفار لما تكبروا في الدنيا عن عبادة
الله تعالى والانقياد لطاعته يكونون يوم القيمة خاشعين اى ذليلين وعاملين
في النار اعمالا يتعبون فيها وهي جر السلاسل والاغلال الثقيلة كما قال تعالى
في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وخوضهم في النار كالخوض الابل في الوحل بحيث
يرتقي عنه تارة ويغوص فيها اخرى والوقوف عراة حفاة جياعا عطاشا في العرصات
قبل دخول النار في يوم كان مقداره خمسين الف سنة والتلال جمع تل وهو الجبل
الصغير والوهدة المكان المطمئن والجمع وهد ووهاد والوحل بفتح الحاء الطين
الرقيق والسكون لغة ردية   او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ اشارة
الى جواز ان يكون بعض تلك الصفات حاصلة في الآخرة وهو الخشوع والذلة وبعضها
في الدنيا وهو كونها عاملة ناصبة اى انها خاشعة في الآخرة مع انها كانت في الدنيا عاملة
ناصبة ويمعنى انها لم تنتفع بعملها ونصبها في الدنيا لكون ذلك العمل والنصب على غير طاعة الله
ولا يمتنع وصفهم ببعض الاوصاف العارضة لهم في الآخرة ثم ان يذكر بعض اوصافهم
في الدنيا ثم يعاد الى ذكر احوال الآخرة اذا كان له وجه صحيح ومعنى معقول فكانه تعالى
قال وجوه يومئذ خاشعة لانها كانت في الدنيا عاملة ناصبة وفي غير طاعة الله تعالى
فهي الان تصلى نارا حامية في الآخرة والوجه على هذا المعنى ان يكون قوله تعالى عاملة ناصبة
خبر مبتدأ محذوف والجملة في موضع الحال من ضمير خاشعة والتقدير وهي عاملة متعبة في الدنيا

فيما لم

فيا لم ينتفع به يوم اذ غشيت الداهية الكبرى   بلغت اناها اى غايتها
من الحر للحميم يا دخ انانا اى انتهى حره والانا نهاية الحر قيل الضريع بمعنى المضرع
كالاليم والبديع بمعنى المولم والمبدع وكمعنى الا من طعام يحملهم على ان يضرعوا
ويذلوا عند تناوله لما فيه من الخشونة والمرارة والحرارة وقيل الضريع ما يبس
من الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته
وهو سم قاتل قال ابن عمر رحمه الشبرق الريان حتى اذا ذوى دعاه ضريعا
عاد عند التحايص والخمايص جمع خميص وهو الجائع من الابل والاذنان وعن
ابن عباس رضي الله عنه يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من
الجيفة واشد حرا من النار وقال في سورة الحاقة فليس له اليوم ههنا حميم
ولا طعام الا من غسلين وقال ههنا ليس لهم طعام الا من ضريع والظاهر ان
الحصر في بين الاثنين يناد على ان الضريع غير الغسلين وان كلاهما متنافيان
قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ويمكن ان يقال ان النار دركات متفاوتة
على حسب اختلاف المعاصي واهلها فمن اهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه
الا من غسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد
لكل باب منهم جزء مقسوم واشار الى هذا الجواب بقوله ولعله طعام هؤلاء كذا
ثم اشار الى جواب ثان بقوله وكما ذكر يعني ان الحق بهذه الاية حصر طعامهم المعتاد المخصوص
بانه مما يكرهه الابل ولا يتناوله لمرارته وحرارته فيه نفي الضريع وذلك لا ينافي ان يكون
لهم طعام من جنس اخر كالزقوم والغسلين روي ان كفار قريش قالت الضريع يسمن
علينا ابلنا فنزلت قوله لا يسمن ولا يغني من جوع فلا يخلو اما ان يتفوهوا بذلك الكلام كذبا
فرد الله تعالى قولهم وكذبهم بذلك واما ان يصدقوا فيه فيكون المعنى ان طعامهم من ضريع ليس
من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع   ذات بهجة وحسن على

انه فاعل من نعم الشيء بالضم نعومة اي صار ناعما لينا ويكون نعومة الوجوه
اي غضاضتها ونضارتها كناية عن تنعمها وطيب حالها او على ان ناعمة للنسبة
بمعنى ذات نعمة مثل تامر ولابن ثم يراد بالنعمة لازمها وهو الحسن والبهجة
فيكون هذه الاية في المعنى نظير قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او يراد
حقيقة النعم فيكون ناعمة بمعنى متنعمة   رضيت بعملها اشارة الى ان المراد
بسعيها ما سعى فيه وهو عملها وان اللام في لسعيها متعلق براضية اي قد رضيت
في الآخرة لسعيها فلما تقدم المعمول ضعف العمل فيه فجيء باللام تقوية لعمله فهذه
اللام مؤكدة لمعنى الفعل وناصرة له على العمل ويجوز ان يكون لام التعليل اي لاجل
سعيها في طاعة الله تعالى راضية جزاءه وثوابه   عليه الحمل على ان يكون عالية في
العلو في المكان فان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض قال عطاء والدرجة مثل
ما بين السماء والارض وفي العلو في القدر والشرف لكمال فيها من النعيم
لا تسمع يا مخاطب على ان يكون المنوي في لا تسمع ضمير انت والخطاب عام لكل من يصلح
للخطاب كقوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وقوله واذا رايتهم حسبتهم وقول
الشاعر اذا انت اكرمت الكريم ملكته   او الوجوه فيكون المنوي فيه ضمير هي والتاء
لتانيث الوجوه لا للخطاب   والتاء نافع لتانيث لفظ لاغية والياء لان التانيث
غير حقيقي او لان اللاغية بمعنى اللغو على انه مصدر كالعافية   او كلمة ذات لغو
على ان يكون لاغية بمعنى النسبة مثل تامر صفة لموصوف مؤنث وهو الكلمة او
النفس فاللاغية للحدوث لا بمعنى النسبة   فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم وذلك
لان المجالس الشريفة في الدنيا تصان عن اللغو فكيف لا تصان عنه الشريفة التي هي
في جوار رب العالمين مع ان اهلها انما نالوها بالجد والادب لا باللغو وسوء
الادب فلذا اتى الواصف ثواب سعيهم وادبهم رضوانه فكان ذلك مقتضى طباعهم

السليمة

السخية   والتنكير للتعظيم دون فيه ت زنا انها تجري على وجه الارض من غير
اخدود وتجري لهم حيث ارادوا اجرادها وما دونها اكثر بياضا من اللبن واحلى
من العسل فمن شرب منه شربة لا يظمى بعدها ابدا ويذهب من قلبه الغل والغش
والحسد والعداوة والبغضاء   رفيعة السمك اي عالية في الهواء فان السمك
هو الامتداد الآخذ من اسفل الشيء الى اعلاه فالمراد برفعة سمكها شدة علوها
في الهواء وذلك لاجل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه ربه في الجنة
من النعيم والملك ورفعة قدر تلك السرر من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال
في ذاتها واوصافها   بالفتح والضم فان فتح نون نمرقة وضمها لغتان والمراد
مضمومة فيها قال الكلبي نمارق مصفوفة اي وسائد موضوعة بعضها الى جنب
بعض كالشيء الذي جعل صفا انها اذا اراد ان يجلس المؤمن على واحدة واستند الى
اخرى وعلى كله وصفا لكانهن الياقوت والمرجان   افلا ينظرون نظر اعتبار
حتى يستدلوا به على كمال قدرة صانع العالم وكمال علمه وحكمته ليثبت عندهم اقتداره
على البعث والجزاء فلا ينكروها فانه تعالى حكم اولا بمجيء الغاشية وهو يوم القيامة وحكم بان
بعضها اهل الشقاء معذبون وبعضها اهل السعادة متنعمون ومعلوم ان ذلك يتوقف
على ان العالم له صانع حكيم قادر على جميع الممكنات فلذلك لما اتبع امر المعاد بذكر ما
يدل على الانكار على ترك النظر الى انواع المخلوقات والحث على النظر والاعتبار ليتحقق
عندهم كمال قدرة الخالق وعلمه فان من نظر الى هذه المخلوقات على هذا الاتقان والاحكام
يتيقن بان خالقها متصف بصفات الكمال منزه عن سمات العجز والامكان ثم انه   حولسه
او بصفوته اما بتقرير المضاف او بان يراد بالنحر ما وقع فيه على طريق اسم المحل
وارادة الحال اقسم بصفوة النحر لكونها غرة ما وقع في اليوم من الاعمال المكلفين
بادروا اليها الى مقدماتها اول يومهم لان ملائكة الليل والنهار يجتمعون يستمعون

ما فيها من القراءة كما قال ان قرآن الفجر كان مشهودا اى يشهده ملائكة الليل
والنهار للكتابة القراءة فيه واقسم بعشر ذي الحجة لانها ايام الاشتغال بمناسك
الحج واعماله والحج المبرور من افضل الاعمال وانه كفارة لذنوب العمر وفي الخبر ما من
ايام العمل الصالح فيها افضل من ايام العشر   ولذلك ولاجل ان نكر الليالي
العشر بعشر ذي الحجة لم يفسر الفجر بفجر كل يوم بل فسر بيوم معين وهو فجر يوم عرفة
او فجر يوم النحر لان الحاج بعرفات يوم عرفة متوجهين الى الرب الكريم راجين
عفوه وغفرانه وان يتفضل عليهم بانواع فضله ورحمته وهو موقف عظيم للحجيج
فيه الآملون منه لحديث الحج عرفة وكذا يوم النحر يوم عظيم يرتفق الحاج فيه الوفاد
وفادا لانفسهم ويطوفون فيه طواف الزيارة الذي هو ثاني ركني الحج بعد الحلق
ورمي الجمار وقد روي ان يوم النحر يوم الحج الاكبر فاستحق كل واحد من اليومين لان
يعظم وكان ذكر الفجر بجنب الليالي العشر قرينة لتخصيصه باحد اليومين   او عشر
رمضان عطف على عشر ذي الحجة فانها ايضا ليالي شريفة لما فيها ليلة القدر
التي هي خير من الف شهر فانه قد ورد في الخبر انه عليه الصلاة اذا دخل العشر الاخير في رمضان شد
شد المئزر وايقظ اهله وكف عن قربانهن وامرهن بالتهجد   وتنكيرها
للتعظيم جواب عما يقال ما بال الليالي العشر جاءت منكرة من بين ما اقسم به
وحصول الجواب انها لو عرفت بلام العهد لكونها معلومة معهودة في نفسها لما
انفهمت الفضيلة التي تستفاد من التنكير   على ان المراد بالعشر الايام
الا ان الظاهر على هذا ان يقال عشرة لان الايام مذكر فان كان سبع ليال وثمانية
ايام   والاشياء كلها عبر عنها بالشفع والوتر لان اجناس الاشياء وانواعها
وشخصها اما شفع او وتر ولا يتصور خلوها عنهما فصح ان يعبر بمجموع الشفع و
الوتر عن الاشياء كلها وكذا صح ان يعبر به عن المخلوقات باسرها ومن خلقها لانه تعالى

خلقها

خلقها زوجين ذكرا وانثى ناطقا وصامتا كافرا ومؤمنا فادرا نادرا او
حارا ورطبا او يابسا فلكيا وعنصريا الى غير ذلك وخالقها فرد واحد لا تعدد فيه بوجه ما
ومن فسرها الى قوله او اكثر منفعة موجبة للشكر لما فسر مجموع الشفع
والوتر بالاشياء ادلاء ثم فسر بالمخلوقات كلها والوتر بذات الخالق وكان ما ذكره المفسرون
في تفسير الشفع والوتر تخصيصا بلا مخصص اشارة الى انهم لا يدعون فيما ذكروه انحصار
مدلولها في ذلك وانما خصوها بالذكر في انواع مدلولها ما رواه اظهر دلالة على التوحيد
كالعناصر الافلاك والبروج والسيارات اذ لا مدخل فيها لغيره تعالى او مدخلا في الدين
كالصلوة شفعها ووترها او مناسبة لما قبلها كيوم النحر وعرفة واكثر منفعة موجبة
للشكر كالاعضاء والقلب والشفتين والعين وكالعناصر والافلاك والبروج و
السيارات فان منافعها اكثر فان جميع الاشياء ان انتظام احوال الحيوانات باسرها منوطة
بالفصول الاربعة وان ثبت في اثر تفسير الشفع والوتر ببعض ما ذكره المفسرون
فالظاهر انه ليس مبنيا على تخصيص مدلول اللفظ به بل انه وارد على طريق التمثيل
بما راى في تخصيصه فائدة معتدا بها فلنذكر بعض ما ذكره المفسرون في تفسيرها فان منهم
من فسر الشفع بالعناصر الاربع والوتر بالافلاك السبع ومنهم من فسر الشفع بما كان شفعا
في الصلاة وهو ما عدا صلوة المغرب والوتر بما كان وترا منها وهو صلوة المغرب والوتر
على قول ومنهم من فسر الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام الليالي العشر والوتر بيوم عرفة
لانه تاسع الايام وقد روي عنه ع م فسرها بذلك حيث قال العشر عشر الاضحى
والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وقال دم الصلوة بعضها شفع وبعضها وتر
ومنهم من فسرها بغير ما ذكر ثم اختلفوا في ذلك الغير فقال بعضهم اليومان اللذان
بعد يوم النحر والوتر هو اليوم الثالث بعدها ثم قال حمل الشفع والوتر على ما قلنا
اولى من حملها على يومي النحر والعرفة قد اقسم عليهما بقوله وليال عشر اذا فسرت بعشر

ذي الحجة تحل الشفع والوتر عليها ليلزم التكرار في القسم بها ولان بعض اعمال الحج انما يحصل في هذه الايام التي بعد يوم النحر لجميع الايام التي تقع فيها اعمال الحج وقال البعض الاول الشفع ادم وحوى والوتر مريم وقال اخرون الشفع العيون الاثني عشر التي فجرها الله تعالى من حجر موسى عم للاسباط والوتر الايات التسع المذكورة بقوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات وقيل الشفع ايام عاد والوتر لياليهم كما قال الله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وقيل الشفع والوتر القلب كما قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقيل الشفع الشفتان والوتر اللسان وقال تعالى ولسانا وشفتين وقيل الشفع السجدتان والوتر الركوع وقيل في تفسيرهما غير ذلك ولا وجه لتطويل الكلام بذكرها وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها قيل لغة اهل الحجاز والكسر لغة تميم   والتقييد بذلك لما في التعاقب قدرة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة فان اصل الدلالة عليها يحصل بمجرد ذكر الليل بدون التوصيف لانقضائه بظهور ضوء النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار عن الليل وادخال تحت لباس الظلام بغروب الشمس اية دالة على كمال القدرة وفيه ايضا نعمة جليلة للناس حيث يستترون بظلام الليل ويستريحون بالنوم وبالتوصيف بانقضاد الليل وتعاقب النهار وعليه تتقوى تلك الدلالة فان اية الليل اذ محيت مع كونها محيطة بجميع اقطار العالم بانبساط اية النهار وشيوعها تجدد البرهان القاطع الدالة على كمال القدرة والاحسان الى جميع الحيوانات لانهم يصيرون بذلك كانهم اعيد لهم الحيوة بعد الموت ويسعوا بذلك لطلب الارزاق الممد للحيوة الفانية التي يتوسل بها الى السعادة الدارين فان القسم بالليل اذ يسري يعني في القسم بليال عشر قلنا المقسم به في قوله

والليل

والليل اذا يسر هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفي قوله وليال عشر هو
الليالي بلا اعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية اخرى فلا يغني احدهما عن
الآخر   او يسرى فيه فيكون الكلام من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل
صام نهاره اي صام هو فيه وصلى المقام اي صلى هو فيه وتقييد الليل بالسير
بهذا المعنى لان السير فيه حافظ للنفس عن حر الشمس فان السفر مغني مقاساة حر
الشمس كثير النفع وعن شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم في
الليل غالبا وقيل المراد بالليل اذا يسرى فيه ليلة النحر فان الحاج يسرى
فيها الى مزدلفة بعد افاضتهم من عرفات حين غربت الشمس وهم فيها او العطف
اذا يعني القسم به اذا مضى اي يسرى فيه   وحصه نافع هاهنا ثلث قراءات
الاولى حذف الياء وصلا ووقفا وهي قراءة الكوفيين وابن عامر ان مي والثانية
ثبوتها وقفا لا وصلا وهي قراءة نافع وابي عمرو والثالثة عدم حذفها في الحالين
وهي قراءة ابن كثير ويعقوب ووجه الحذف مطلقا التخفيف مراعاة الفواصل مع
الاكتفاء بالكسرة عليها ووجه الاثبات مطلقا ان الياء لام الفعل ولام الفعل
لا تحذف فحذف الفعل حال الوقف حفظ حال الوصل فيقال هي يقضي ويرد وانا اقضي
ووجه الحذف في الوقف مراعاة الفواصل دون الوصل لانه لام الفعل والاصل فيه ان
لا تحذف   وقرئ يسرٍ بالتنوين المبدل فان تنوين الترنم يلحق القوافي
في الاسم والفعل بدلا عن حرف الاطلاق اي عن حروف المد واللين لتركهم الترنم لان
الالف والواو والياء الواقعة في القوافي يترنم بها في المد فيبدل منها التنوين اذا
قصد قطع الترنم لخلو التنوين من المد فاضافة هذه التنوين الى الترنم لادنى
الملابسة لانها ليست لاجل الترنم بل لقطعه فان قيل ما فائدة قوله تعالى هل في ذلك
قسم لذي حجر بعد ان اقسم بالاشياء المذكورة قلنا نعم هي زيادة التأكيد والتحقيق

للمقسم عليه لكن ذكر حجته باحوة ثم قال هل فيما ذكرته **قوله** يدل عليه قوله الم ترى
الم نقسم فانه لما اقسم الله تعالى بالامور العظام ولم يذكر المقسم عليه ذهب الوهم الى كل
مذهب ثم ذكر على طريق الاستفهام التقريري ما يدل على تعذيب المعاندين المعروفين
بما اوتوا من حظوظه العاجلة دل ذلك على ان المقسم عليه المحذوف هو مثل قولنا لكن
لنعذبن الكافرين وقيل جواب القسم هو قوله ان ربك لبالمرصاد قوله تعالى
الم تر ليس في رؤية البصر لانه صلى الله عليه وسلم لم يبصر ما فعل بهم بل هو بمعنى الم تعلم
وعبّر عن العلم بالرؤية لان اخبارهم لما كانت منقولة بالتواتر الذي يفيد العلم
الضروري بالجزم نزل ذلك العلم منزلة العلم الحاصل بالمشاهدة **قوله**
على تقدير مضاف لان القبيلة المسماة بعاد انما يصح تسميتها بارم اذا كانت
اولاد ارم وكذلك يصح اولاد اولاد ارم وارم اسم جدهم فلا بد من هذا التقدير
سبط ارم فان السبط اولاد الاولاد فعلى هذا يكون عاد وارم عبارتين عن طائفة
واحدة هي قوم هود عليه السلام غاية ما في الباب انهم سموا تارة باسم ابيهم وتارة باسم
جدهم وعطف عليه قوله وقيل سموا باسم ابيهم يعني قيل للاولين من اولاد عاد بن عوص
عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم وقيل لمن بعدهم العاد الاخيرة فارم في قوله
تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة كقوله وانه
اهلك عادا الاولى **قوله** ذات العماد الرفيع وهو ما بناه شداد بن عاد زعما
على مثال الجنة بناها في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة رفيعة
لم يخلق مثلها في البلاد اي في بلاد الدنيا قصورها من الذهب والفضة واساطينها
من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار جارية ووصفا ارم بذات
العمود الطوال ايضا لما روي ان قد احدهم اثني عشر ذراعا اكثر من ذلك وفي
تفسير الكواشي قالوا كان طول الطوال منهم اربعمائة ذراع وكان احدهم يأخذ

الصخرة

الصخرة العظيمة فيقبلها على الحي فيهلكهم وجاز ايضا وصفها بذات الرفعة و
الثبات لسيادتهم وكونهم قادتهم يقال فلان عماد القوم وعمودهم اي
سيدهم والثبات اعمارهم وسعة ارزاقهم قوله بعث الله تعالى عليهم صيحة
فهلكوا جميعا ولم يدخل ارم احد منهم ولا من غيرهم حتى السنة غير عبد الله بن قلابة
فانه خرج في طلب ابل له فوصل الى جنة شداد فدخلها فحمل ما قدر على حمله مما
هناك من الجواهر وغيرها وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه ما راه فبعث
الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر
ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل قوله والضمير لها ان جعلت علم
القبيلة او البلدة فالمعنى على الاول لم يخلق مثل تلك القبيلة في القوة وطول
القامة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وعلى الثاني لم يخلق مثل شداد في جميع
بلاد الدنيا قوله او التعذيب بالاوتاد روي عن ابن عباس رضه ان فرعون انما سمي
ذا الاوتاد لان امراة خازن فرعون كانت ماشطة بنت فرعون اذ سقط المشط من
يدها يوما فقالت تعس من كفر بالله تعالى قالت بنت فرعون وهل لك من اله غير ابي فقالت
الهي واله ابيك اله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت بنت فرعون فدخلت
على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة امراة خازنك تزعم ان الهك
والهنا واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك
فقالت صدقت فقال لها ويلك اكفري بالهك واقري بانني الهك فقالت
لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري
بالله عز وجل والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا
ما كفرت برب العالمين وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال

لها اكفري بالله والا ذبحنا الصغرى على فيك وكانت رضيعا وقالت لو ذبحتم
على الارض على من فيها ما كفرت بالله تعالى فاتي بابنتها فلما اضجعت على صدرها وارادوا
ذبحها جزعت المرادة فاطلق الله تعالى لسان ابنتها فتكلمت وقالت لا تجزعي يا اماه
الله تعالى قد بنى لك بيتا في الجنة اصبري فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته ثم
لحقت فلم تلبث ان ماتت فاسكنهما الله تعالى الجنة وكان فرعون قد تزوج امراة من اجمل
نساء بني اسرائيل يقال لها اسية بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت
في نفسها كيف يسعني ان اصبر على ما يفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما هي تؤامر
نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق
واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت
ما بي من جنون وانما الجنون في كفرك بالله الذي له ملك السموات والارض وما
بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير فمدها بين اربعة اوتاد يعذبها
ففتح الله تعالى لها بابا الى الجنة ليهون لها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب
ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله تعالى روحها واسكنها
الجنة **قوله** صفة للمذكورين فيكون مجرورا ومحل الذين بعض المذكورين قبله مجرور
بالتباد وبعضه معطوفا عليه وتقديم هذا الوجه يدل على انه المختار عنده من حيث
ان الوجه الثاني يحتاج الى حذف العاطف وهو اغنى والوجه الثالث يحتاج الى حذف
المبتدا ثم اختاره المصنف بحسب اللفظ واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم
بتقدير اعني فكونه صريحا في الذم وبمقام مقام الذم فهو احسن من حيث المعنى **قوله** ما
خلط لهم من انواع العذاب فسوط العذاب بانواع العذاب الملتف بعضها ببعض التفاف
طاقات السوط الذي يضرب به سوط عذاب من باب التشبيه البليغ والعذاب بمعنى ما يعذب به
والاضافة بمعنى من اي فصب عليهم ما هو كالسوط من العذاب **قوله** وقيل شبهه بالسوط

ما اقل بهم فاضافة السوط الى العذاب من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كلجين الماء
والصب مستعار للانزال والمعنى انزل عليهم في الدنيا عذابا هو بالنسبة الى عذاب الآخرة
كالسوط بالنسبة الى السيف قوله يترقب فيها الرصد وهو تخفيف جمع راصد كالحرس
جمع حارس والراصد الراقب والمترصد المترقب وصيغة مفعال قد يكون اسم
مكان كالمضمار فانه اسم للمكان الذي تضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج
فيه وقد يكون للمبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان لمن يكثر فيه هذه الافعال كمرصاد
ههنا يتعين ان يكون اسما للمكان الذي يترقب فيه الرصد للعباد الدالة على الظرفية
قيل لبعض العرب اين ربك فقال بالمرصاد قوله وهو تمثيل لارصاده العصاة
بالعذاب اي لاعداده للعصاة العقاب على ان الارصاد بمعنى الاعداد وهو يتعدى
الى مفعولين الى احدهما بنفسه والى الآخر باللام يقال اعد العقاب للعصاة وههنا لما
عدى الارصاد الى العصاة بنفسه حيث قيل لارصاده العصاة عدى الى العقاب بالباء
الجوهري رصدته ارصده اي ترقبته وارصدت له اي اعددت له والحصر ان قوله
ان ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حاله تعالى في كونه حفيظا لاعمال العباد
مجازيا عليها على النقير والقطمير ولا تخلص للعباد عن موقف حسابه الالهي بحال من يقعد
على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجاني او لاخذ المكس او نحو ذلك ولا مخلص
لهم عن المرور عليه فاطلق على الحالة المشبهة ما يعبر عن الحالة المشبه بها قوله كانه
قيل انه لبالمرصاد في الآخرة اي فلاجل الآخرة فجزاؤنا فيجب ان يهتم الانسان بامر الآخرة
ويسعى لها لكنه لا يهتم الا بامر الدنيا ولا يخطر بباله امر الآخرة بالكلية ويسعى لها
مع انه لم يتكفل برزقه داعيا للعصاة عذابا اليما وكل واحد من الغنى والفقر ابتلاء
منه تعالى اما الاول فبانه هل يشكر ام يكفر واما الثاني فهل يصبر ام يجزع ويقول
الانسان اغناه ربه واكرمه ربه بما اعطاه فيظن ان ما اعطاه ربه في الدنيا لكرامته

عليه ويقول اذا افقره اهانني ربي وتهنوا في صفة الكافر فانه يظن ان الكرامة والهوان
والهوان بسبب المال منه والعياذ بالله والانسان مبتدأ وقوله فيقول خبره واذ الحين الظرفية
معمول الخبر لكونه متأخرا عنه تقديرا قوله والانسان كان حريصا الدنيا فان كثرة الممارسة
بالشيء تورث تاكد المحبة به ومن احب شيئا اشتغل به واعرض عما يقطعه عنه فالتوسعة
يؤدي الى الاعراض عن الكسب بما يؤدي الى السعادة الاخروية فكان كل واحد في قوليه
وهو قوله التقتير اهانه وقوله التوسعة اكرام مذموما مع ان قوله التوسعة اكرام صادق
في نفسه لانه تعالى صدقه حيث قال فاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه فلم يقل كذلك
لما ذكره فان التقتير والتضييق ليس باهانة بل قد يؤدي الى كرامة الدارين
بخلاف التوسعة التفضيل بالمال والجاه فانه اكرام في نفسه وهو صادق في قوله ربي
اكرمني ولكنه ذمه على قوله ذلك لا لكونه كاذبا فيه بل لسعة فكرته حيث ظن انه تعالى
انما فضله بذلك لكرامته عليه ولم يعلم انه تعالى كثيرا ما يوسع على العصاة والكفرة
لانه يفعل ما يشاء ويكون ذلك استدراجا ومكرا الهيا في حقهم قوله فلان التوسعة
تفضيل عطف على قوله ولذلك ذمه على قوله وحاصله ان الانكار والذم لا يتوجه
الى قوله ربي اكرمني وانما يتوجه الى قوله ربي اهانني كانه قيل الانسان اذا اكرم و
تفضل عليه اعترف الاكرام واذا لم يتفضل عليه سمي ترك التفضل هوانا وليس
بهوان قوله اي بل فعلهم اسوء من قولهم يعني ان بل هاهنا للاضراب عن ذمهم على قولهم
الى ما هو ادخل في الذم كانه قيل دع ذكر قولهم فان عندهم ما هو شر منه وهو انه تعالى
يكرمهم بتكثير المال وهم لا يتفقدون احوال الايتام وعبر عن المتروك والافعال
بقوله بل فعلهم اسوء تغليب على الترك قوله وقرء الكوفيون ولا تحاضون بحذف
احدى التائين اي لا يحض بعضكم بعضا على اطعام طعام جنس المسكين
وغيره لا يحض غيره على طعام المسكين وان لا يطعمه بنفسه اولى وقلبت واو وراث

تاد

تاء لانضمامها في اول كلمة كما في تخمة وتجاه قوله ذا جمع بين الحلال والحرام فان
من جمع في الاكل بين نصيبه ونصيب النسوان والصبيان فقد جمع بين الحلال والحرام
في الاكل وقرا ابو عمرو وسهيل ويعقوب الافعال الاربعة بياء الغيبة الى بتاء ها
الى ضمير الانسان المتقدم ذكرها وجمع الضمير الراجع اليه او في قوله اذا ما ابتلاه ربه
من حيث انه مفرد لفظا وهو ظ وجمع معنى لان المراد به الجنس فبالنظر الى الاول
افرد وبالنظر الى الثاني جمع وقراها الباقون بتاء الخطاب لان الكلام على طريق
الالتفات للمبالغة في الذم فان الذم مواجهة ابلغ منه الذم في الغيبة ويحتمل ان يكون
مبنيا للولاة بتاء الخطاب بتقدير قل اي قل يا محمد لهم وكذا التعبير اليهم وتنزيلا في
مقام الخطاب ثم انه تعالى ردعهم عن هذه الافعال الذميمة بقوله كلا ثم اوعدهم عليها
بقوله اذا دكت الارض الى قوله يا ايتها النفس بان اذا ابدال يوم موصوف بصفات
ثلث فانه يحصل له الندامة على ما صدر عنه ويتمنى ان لو كان اقفى عمره في التقرب
الى الله تعالى بالاعمال الصالحة والموت بالمال للجوهري والدك الدق يقال
دككت الشيء ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض ومنه دك سنام البعير
اذا انفرش في ظهره فمعنى الاية اذا كسر كل ما على الارض من جبل وبناء وشجر حين
زلزلة فانقطعت جبالها وما كان موضوعا عليها دكا بعد دك قوله مثل ذلك لما
تعذر الحقيقة حمل الكلام على التمثيل بان مثل حاله في ظهور ايات قدرته واثار
قهره وسلطانه بحال السلطان اذا حضر بنفسه فانه يظهر من اثار هيبته وسياسته
ما لا يظهر بحضور وزرائه وسائر نوابه كما تعين في الحال الاول ما تعين في الثاني
قوله يجرونها فالظاهر انها لا تنفك عن مكانها والمراد برزت فظهرت حتى
راها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها فالحديث محمول على التمثيل وبيان لكثرة
الملائكة الموكلين عليها قوله وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد

بفعله كما زعمه المعتزلة من ان افعاله لو لم يكن بقصدهم واختيارهم بل كانت واقعة
بخلق الله تعالى وقدرته وارادته لما كان لهذا التمني وجه قوله الا انه لما ورد ان
يقال كيف يصح ان يرجع ضمير عذابه ووثاقه اليه تعالى مع انه يوهم ان يكون يوم القيمة
معذب سوى الله تعالى لكنه لا يعذب ذلك العذاب مثل عذابه تعالى وهذا المعنى غير صحيح
اشار المصنف الى دفعه بان المعنى انه لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه يوم القيمة
سواه اذ الامر كله يومئذ لله ولا امر فيه لغيره اصلا والعذاب والوثاق اسمان
وضعا موضع التعذيب والايثاق كما يوضع موضع العطاء والمعنى لا يملك احد
التعذيب والايثاق في ذلك اليوم الا الله وحده قوله او للانسان اي الكافر
المتوغل في عناده المنهمك في شهواته فيكون اضافة عذابه ووثاقه من قبيل اضافة
المصدر الى مفعوله ويكون المعنى لا يعذب احد من الزبانية احدا من العصاة مثل ما
يعذبون ذلك الكافر ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه ثم انه تعالى لما
وصف حال من اطمأن الى الدنيا وصف بعده حال من اطمأن الى الحق بحيث سكنها ثلج
اليقين فلا يخالجها شك واضطراب كاستقر على الطاعة ومتقلع العبودية فقال
يا ايتها النفس الى آخره على اضمار القول اي يقال لها عند الموت او عند البعث او عند
دخول الجنة فاما ان يكلمه الله تعالى بنفسه اكراما للمؤمن المطمئن كما كلم موسى ع م
في الدنيا او على لسان ملك والاطمئنان عبارة عن الثبات والاستقرار وذكر
المصنف في بيان كيفيته ثلثة اوجه الاول استقرار النفس عند معرفته تعالى والاستغناء
بمعرفته عن طلب غيره كما قال الا بذكر الله تطمئن القلوب وذلك ان القوة العاقلة
اذا اخذت تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات فكلما وصل الى سبب يكون هو ممكنا
لذاته محتاجا الى علة توجده وبقيت طلب العقل لسبب آخر اذا ترقى الى ممكن آخر
اعلى منه لا يقف عنده ايضا بل لا يزال ينتقل في كل علة الى ما هو اعلى منها الى ان ينتهي

الى واجب الوجود

الى واجب الوجود لذاته مستغني عن جميع ما سواه فتقف العقل وتطمئن اليه ولا ينتقل عنه الى غيره لعلمه بان الامور كلها ترجع الى ارادته وقدرته وانه رب العالمين

قوله فيتقوى دون معرفته اى عند ذهابها وتستغني عن غيره اى لا تطلب سببا آخر والوجه الثاني ما اشار اليه بقوله والى الحق وهو عطف على قوله بذكر الله اى او هي التي اطمأنت الى الحق وتيقنت به بحيث لم يخالطها شك والوجه الثالث ما ذكره بقوله والآمنة اى او هي النفس الآمنة لا يستفزها اى لا يحركها خوف وهذا الوجه يؤيده قراءة ابي بن كعب رضه يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة فعلى هذا يكون الاطمئنان عن سكون الامن في مقابلة قلق الخوف والحزن وعلى الثاني يكون عبارة عن سكون اليقين في مقابلة قلق الشك والرهبة

قوله الى امره وموعده لما تمسكت المجسمة بقوله تعالى الى ربك على ما زعموا في حقه تعالى بناء على ان كلمة الى لانتهاء الغاية ومنتهى الحركة الاينية هو المكان ومن تمكن فيه رد المص عليهم بان معنى الآية ارجعي الى حكم ربك او ثوابه بالموت او بالبعث وهذا الخطاب يخاطب به النفس عند الموت او عند البعث فان خوطبت عند البعث يكون المعنى ارجعي الى ثوابه بالبعث **قوله** وتشعر ذلك اى قوله تعالى ارجعي الى ربك يشعر كون النفوس موجودة قبل الابدان لان هذا القول انما يقال لما كان موجودا قبل هذا البدن ووجودها قبل الابدان يستلزم كونها ازلية كما ذهب اليه بعض القدماء قوله راضية مرضية حالان من فاعل ارجعي اى راضية في الله تعالى بما اعطيت مرضية عنده بما عملت **قوله** في جملة عبادي الصالحين يعني يجوز ان المراد بالمتوفين باضافة التشريف عبادي الصلحاء المتحلون بحلية الايمان والطاعات الذين هم اخص واشرف منهم وهم المقربون والفريقان هما اللذان ذكرا في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة النعيم واما ان كان

من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين والخطاب على التقديرين للمؤمنين
المختصر المجرد روحه وكذا عبر عنه بالنفس قيل ارجعي وادخلي وقوله فتتبق بانوارهم
متفرع على كل واحد من التقديرين جوابلام فانه مسبب وادا انضم الى اصحاب اليمين
او الى المقربين يتوفر في عالم شريفة وهي انعكاس انوار علومهم وكمالاتهم اليه فان
الارواح الشريفة كالمرايا المصقولة المجلوة فاذا انضم بعضها الى بعض ينعكس
الى كل واحدة مافي مقابلها من العضائد والكمالات تختلف ذلك الانضمام سببا لتكامل
السعادات الروحانية ثم قوله فادخلي جنتي اشارة الى السعادة الجسمانية ولما كانت
السعادة الروحانية تتم مراجعة في الموت حتى السعداء قال فادخلي في عبادي بالفاء
الدالة على التعقيب ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الفوز بها الا بعد قيام
القيمة الكبرى قال وادخلي جنتي بالواو ولا بالفاء وكذا في التقبل الكبير وفيه بحث
لانه معطوف على موصول الفاء فيجر اليه معنى الفاء   وادخلي في اجساد عبادي
على ان يراد الخطاب الروح
اجمع المفسرون على ان المراد بالبلد الحرام مكة وان السورة نزلت بها اقسم بها لشرفها
فانه تعالى جعله حرما امنا وفيها البيت المعظم الذي قبلة اهل الشرق والغرب ونزل
في حقه واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وجعل البيت المعمور بازائه ودحيت
الارض من تحته ومقام ابراهيم الذي نزل في حقه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
وقال ع في حق مكة ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهو حرام
الى تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار
الحديث وفضائلها لا تحصى فلذلك اقسم الله بها على ان الانسان لا يخلو عن كدر ومكابدة
ومشقة فالظاهر ان كلمة لا في لا اقسم صلة كلما في قوله ما منعك ان لا تسجد اي ما منعك
ان تسجد وقال تذكرت ليلى فاعترتني صبابة   وكاد صميم القلب لا يتقطع اي يتقطع

ولا صلة وقيل انها نافية والمعنى لا اقسم به وانت حل اى حال مقيم به نازل فيه بل
اقسم بك **قوله** وقيده بحلوله عليه السلام فيه على ان يكون الواو حالية لا اعتراضية ويكون
الجملة الاسمية حالا ان المقسم به الحال قيد لعامله اقسم الله تعالى بالبلد مقيدا بانه صلى الله عليه وسلم
حال فيه اظهارا لمزيد فضله اه معنى هذا قوله تعالى حل لغة بمعنى الحال كالسقط بمعنى الساقط
والحرم بمعنى الحرام وقوله وحرم على قرية اهلكناها اى وحرام يقال حل بالمكان يحل من
نصر حلا وحلولا اى نزل **قوله** وقيل حل مستحيل تعرضك فيه فعلى هذا يكون الحل بمعنى
الحلال في قولهم حل الشئ يحل حلا وحلالا وهو حل لك اى حلال طلق فالجملة على
هذا معترضة بين القسم والمقسم عليه اقسم الله تعالى على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة
الشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل اى حلال
يستحلون ايذائك ولو تمكنوا من اخراجك منه لاخرجوك بل قتلوك مع انهم
لا ينتهكون فيه الحرمات فلا يقتلون فيه صيدا ولا يعضدون بها شجرة فاى مكابرة
لمثلك مع عظم حرمته فان استحلالهم بهذا البلد الحرام كاستحلال الصيد وغيره وفيه
تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وتصبير على ما كان يكابده من اهل مكة وتعجيب من حالهم وشدة عداد تهم
له عليه السلام **قوله** او حلال لك على ان الحل بمعنى المحلل له اى ذو حل وحلال لك ان
تقتل بمكة من شئت وتقاتل فيها لك والجملة على هذا ايضا اعتراضية اقسم ببلده
صلى الله عليه وسلم على ان الانسان لا يخلو من مقاساة شدة واعترض بينهما بان وعده فتح مكة بان ذكر انه
امكنه فتحها تتميما للتسلية وتنفيسا عما يحقه من اذاهم فانه تعالى فتح عليه مكة واحلها
له وجعلها حلا له يصنع فيه من القتل والاسر فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار
الكعبة وتلبس بابن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان فقوله تعالى وانت حل معناه
وانت حل به فيما يستقبل ونظيره في كونه بمعنى الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم
ميتون وذلك لان السورة مكية بالاتفاق وفتح مكة وقع في سنة ثمان بعد الهجرة فاين

فتحها في الهجرة فضلا من وقت نزول الاية قوله ووالد وما ولد ذريته اي ذرية ادم عم
ان كان هو المراد بالوالد وذرية ابراهيم عم ان كان هو المراد بالوالد فعلى الاول
يكون القسم بجميع افراد نوع البشر صالحهم وطالحهم لكونهم اشرف ما خلق على وجه
الارض لما فيهم من النطق والبيان وحسن الصورة والتدابير الغريبة واستخراج العلوم
البديعة وفيهم الانبياء والصلحاء الداعين الى الله تعالى والناصرين لدينه وكل
ما في الارض خلق لاجلهم وقد قال الله تعالى في حقهم ولقد كرمنا بني ادم ويحتمل المراد
بقوله وما ولد الصالحون من اولاد ادم بناء على ان الطالحين كانهم ليسوا من
اولاده بل هم بهايم في صورة البشر وعلى الثاني يكون القسم بابراهيم وبجميع ولده
من البر والفاجر ويحتمل ان يكون بابراهيم وباولاده المؤمنين ويؤيد الثاني انه شرع
ان يقال في التشهد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم ومعلوم ان المراد
باله المؤمنون لا مطلق اولاده قوله او محمد عم عطف على قوله ذريته اي سواء اريد
بالوالد ادم او ابراهيم عليهما السلام يجوز ان يراد بما ولد محمد عم فانه عم اخر اولاد
كل واحد منهما من الانبياء اقسم ببلده وباول ابائه وبنفسه او اقسم بمكة وبابراهيم
باني البيت الذي فيها وبولده هو خاتم الانبياء والمرسلين ومطهر ذلك البيت
من الاصنام والمشركين قوله وايثار ما على من جواب عما يقال لو كان المراد بما
ولد لفظا لكان الظاهر ان يقال ومن ولد فكيف اوثر ما على من وتقرير الجواب
يتوقف على بيان الفرق بينهما وهو ان من يستعمل للذات من يعقل بخلاف ما فانها
قد تستعمل في صفة من يعقل وتفخيما بانها اجمالا يكنه كنهها في البلوغ الى اقصى مراتب الفضل
والشرف بحيث يخبر الموصوف بها عجائب الشأن بديع الاوصاف وكذا قوله اي وما ولد اي
وبمولود اي مولود عجيب الشأن ففي شرح الرضي وتستعمل ما في الغالب في صفات
العالم نحو زيد ما هو وما هو الجوهر فهو سؤال عن صفته وجواب عالم او زاهد او نحوهما

مارك

قال فرعون وما رب العالمين يجوز ان يكون سؤالا عن الوصف ولهذا قال موسى عليه السلام
رب السموات الاية ويجوز ان يكون سؤالا عن الماهية واجاب عليه السلام ببيان الاوصاف تنبيها
لفرعون على انه تعالى لا يعرف الا باوصافه وان ماهيته غير معلومة للبشر انتهى وقال
المفسرون في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء تقديره فانكحوا الطيب من
النساء وجعلوا الكلمة ما مستعملة في صفة من يعقل وفي الكشاف هكذا ثم ان كلمة ما
لشدة ابهامها تدل على ان الوصف الذي دل بها عليه بالغ الى اقصى غاية الكمال
فتفيد في مقام المدح تفخيم شان الموصوف بانه مما لا يكتنه كنهه في اتصافه بذلك
قوله تعالى في كبد منصوب المحل على انه حال من الانسان اي مكابدا من مبتداه لان يعتريه
انواع الشدايد والمصايب وهو جواب القسم قال الامام حرف في واللام متقاربان
تقول انما انت للعناء والنصب وانما انت في العناء والنصب وفيه وجه اخر وهو
ان قوله في كبد يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف والكبد في الاصل
مصدر بمعنى توجع الكبد فانه يقال كبد الرجل يكبد كبدا فهو كبد اذا وجعت كبده
وانتفخت ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه المكابدة فالاية تسلية له عليه السلام
مما كان يكابده من قريش فالمراد من الكبد اما شدايد الدنيا فقط او شدايد التكليف
فقط او شدايد الاخرة فقط او الكل والظاهر من كلام المصنف انه حمله على الكل حيث جعله
مبتدا الشدايد ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده من سؤال الملك و
ظلمة القبر ثم البعث والعرض على رب العالمين مالك يوم الدين الى ان يصل الى
موضع الاستقرار اما في الجنة واما في النار ولا شك ان ما بينهما شدايد الدنيا وشدايد
التكليف ايضا وهي الشكر على السراء بمقتضاه وبعدها والصبر على الضراء والانقياد
لمقتضاها ثم انه تعالى لما سلى رسوله عليه السلام وحمله على ان يصبر على اذى قريش بان اقسم على
انه خلق الانسان في كبد اضعف وعيد من كان صلى الله عليه وسلم يكابد منه اكثر المكابدة او نفتر

هو سعوته لهذا الاغترار او في كل احد من الفريقين فان قوله تعالى لقد خلقنا الانسان
في كبد لما كان تسلية له عم مما كان يكابده من اشقياء قريش باعتبار كونه عم في جملة
افراد الجنس المذكور كان هولاء الاشقياء في حكم المذكور سابقا انما يظن اي لن
يقهره قاهر ولن يغلبه غالب بان يبعثه ويجازيه على سوء اعماله مع علمه بانه
خلق في كبد لا يمكنه رفع ضيق الحال وتعب العيش وما اصابه من انواع المحن
والافات عن نفسه وذلك ظن فاسد وخيال وحمق في وعيد الجنس تهديد الاشقياء
المغترين بكثرة اعوانهم وشدة قوتهم وان في قوله تعالى ان لن يقدر وان لم يره مخففة
من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر اي انه لن يقدر ولم يره وهي بجملتها سدت
مسد مفعولي الحسبان والوقف على قوله احد لازم لئلا يتوهم كونه موصوفا بقوله يقول
اهلكت مالا فان الظاهر انه مستأنف لبيان ما يقوله في موقف الحساب والانتقام
فانه يقول فيما انفقت مالا كثيرا لهذه الوجوه المكارم والمبرات او في عداوة رسول الله عم
فلم ينفعني شيء منه ذلك سمى الانفاق اهلاكا من حيث انه لما لم ينتفع به كان ما انفقه
رياء وسمعة ومفاخرة او معاداة له عم بل الله تعالى قد راه وعلمه وكان رقيبا عليه يعلم
قصوره ونيته في الانفاق قوله او بعد ذلك فيسئله عنه من اين كسبه اي انفقه اشار
به الى جواز ان الله تعالى يراه بيان لمعنى انكار حسبانه انه لم يره احد حين كان ينفق ولم يعلم
ان الله راه فيجازيه مع انه هو الناظر للدلالة على الاستمرار والدوام قوله او يجده فيحاسبه
بيان لمعنى الانكار حسبانه انه لم يرى ذلك منه احد بعد ذلك لن ولن يوجد ذلك في كتاب سره
الذي كتبه حفظة الاعمال اي بل يرى ذلك منه احد بعد ذلك ولن يوجد ذلك في كتابه يوم
العرض والجزاء والحساب فيحاسبه عليه قوله ثم بين ذلك اي بين انه يبعثهم ويجازيهم
بما عملوا ببيان انه تعالى انعم عليهم نعما جليلة وانهم لم يشكروا تلك النعم قوله واجعله المكان
المرتفع وسمي طريقا الخير والشر نجدين لانه لما وضحت الدلائل الدالة على كونهما طريق

الخير والشر

الخير والشر صارتا كالمكانين المرتفعين الظاهرين للابصار في مكان بعيد بسبب كونهما
واضحتين للعقول بتلك الدلائل **قوله** فلا اقتحم مجاهدة النفس بيان لوجه تشبيهها
بالعقبة اقتحامها والدخول فيها وفك الرقبة عبارة عن تخليصها عن اسر الرق
قوله ولعل المراد بها في تصور ان التجرا كلمة لا اذا دخلت الماضي لا يلزم التكرير
كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وفي الآية لم يتكرر لفظا فهي متكررة معنى لان معنى فلا
اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا لانه فسر اقتحام العقبة بها **قوله** مسغبة اي كل
واحد منها مصدر ميمي على وزن مفعلة من سغب يسغب سغبا فهو ساغب وسغبان من في النسب
باب علم بمعنى جاع يجوع جوعا ومجاعة فقوله تعالى ذي مسغبة بمعنى ذي مجاعة وقرئ ذا مسغبة
قرابة ومقربة وترب الرجل اي افتقر بحيث كأنه لصق بالتراب ترابا ومتربة اي مسكنة
وفاقة قيد الاطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس للقحط لان اخراج المال في ذلك الوقت
اثقل على النفس واوجب للاجر وقيد اليتيم بان يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه
يجتمع في الاطعام جهتا الصلة والصدقة وقرئ فك رقبة او اطعام على لفظ الفعل
الماضي فيهما ونصب رقبة على انها مفعول فك والفعل في هذه القراءة بدل من قوله
اقتحم على سبيل البيان والتفسير كانه قيل فلا فك رقبة ولا اطعم وقوله وما ادريك ما
العقبة اعتراض بين البدل والمبدل ومعنى ومعنى انك لم تدرك صعوبتها وثوابها و
في قراءة فك رقبة برفع الكاف الى رقبة بكسر الكاف خبر مبتدا محذوف اي هو فك رقبة برفع
الكاف المضاف الى رقبة بكسر الكاف خبر مبتدا محذوف اي هو فك رقبة برفع الكاف المضاف الى
رقبة لان قوله وما ادريك ما العقبة تقديره وما ادريك ما اقتحام العقبة فك رقبة لان
قوله ما ادريك ما العقبة بمنزلة المبتدا وحمل على المضاف المقدر وانما احتيج الى تقدير المضاف
لانه لو لم يقدر وجعل ذلك رقبة تفسيرا للعقبة لزم تفسير احد المتباينين بالآخر
لان الفك مصدر والعقبة ليست كذلك وبتقدير المضاف يندفع المحذور قال الامام

نقلا عن القراءة ان قراءة فك واطعم على لفظ الفعل اشبه بقانون العربية وذلك
لان كان في قوله ثم كان في قوله فلا فاذا قرئ فك واطعم على لفظ الفعل ايضا كان عطف
الفعل على الفعل واذا قرئا على لفظ المصدر على تقدير هو فك رقبة او اطعام كان عطف
الفعل على الاسم وهو غير حسن في قانون العربية وفيه بحث لان القراءة على لفظ المصدر
لا تستلزم عطف الفعل على الاسم لجواز ان يكون قوله ثم كان في تلك القراءة معطوفا على
اقتحم لا على الفعل كما اشار اليه المص بقوله عطف على اقتحم او فك بثم **قوله** تباعد
الايمان في العتق والاطعام في الرتبة والزمان لان الايمان شرط الانتفاع بما اقتحم
فيه من الطاعات فيجب ان يكون مقدما عليها اوصدته ولكنه همز الواو لكن لضمة ما
قبلها على لغة من يقول مؤسى ويؤقد بالسوق والاعناق وكان ابو بكر رح يكره الهمزة
في هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز موصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته وكانه
لم يحفظ عن شيخه وهو عاصم الا ترك الهمزة وقد حفظ حفص بالهمزة وهو اضبط للحرف
من ابي بكر على ما نقله القراءة وان كان ابو بكر اكبر واتقن واوثق عند اهل الحديث
ومن لم يهمز اخذه من اوصدت قيل ان قوله عليهم نار مبتدا وموصدة خبره وعليهم
متعلق بالخبر والوجه ان يكون موصدة صفة لها والخبر عليهم والجملة انها مستانفة لا محل
لها من الاعراب ويمضي عليهم نار ابوابها موصدة مطبقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج عنها
غم ولا تدخل فيها روح ابدا نعوذ بالله تعالى منها ومن موجباتها برحمته ومنه وفضله

تمت

سورة الشمس

اقسم سبحانه وتعالى بما ذكره من انواع المخلوقات المتضمنة للمنافع العظيمة على فلاح من زكى
نفسه اي اصلحها واتمها بالعلم والعمل وخيبة من نقصها بالجهل والمعصية ترغيبا
في الطاعات وتحذيرا عن المعاصي **قوله** وضوئها اذا اشرقت اي اذا ارتفعت وانبسط
نورها لان الاشراق يكون بعد الشروق الذي هو الطلوع يقال شرقت الشمس

شروقا

تشرق شروقا اى طلعت واشرقت اشراقا اى اضاءت بان ارتفعت
وانبسط نورها والضحوة بعد الاشراق فقال مجاهد والكلبي ضحى الشمس ضوؤها
اى نورها المنبسط على وجه الارض وهو نقيض الظل والمشهور عند العرب ان
الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعيد الطلوع والضحى فوق ذلك والضحاء
بالفتح والمد فوق ذلك وهو وقت امتداد النهار ذكر بان سيضعف وانما د
المبرد الاول حيث ان الضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو نور المشرق
الوقت ودليل عليه اضافة الوقت اليه حيث يقال وقت الضحى اى وقت اشراق
الضوء **قوله** لما طلوع طلوع الشمس اول الشهر الظاهر ان يقال بدل هذه العبارة
تلا غروبه غروب الشمس وذلك ليلة الهلال فان تبعية القمر للشمس في الطلوع
لا يظهر للحس مغلوبا منمحلا بنور الشمس بخلاف تبعيته لها في الغروب فانها ظاهرة
محسوسة **قوله** او غروبها منصوب معطوف على قوله طلوع الشمس فان القمر يتبع طالعا
عند غروب الشمس ليلة البدر **قوله** اوفى الاستدارة عطف على ما قبله في معنى فكانه
قيل اذا تلاها في الطلوع او في الغروب او في الاستدارة **قوله** فانه تنجلي اذا انبسط
النهار وكان رقة الى ان اسناد جلاها ضمير النهار من قبيل اسناد الفعل الى زمانه كما في صام
نهاره لان انجلاء الشمس يقع حين انبساط النهار وليس انبساطه مجليا لها **قوله**
او الظلمة منصوب بالعطف على الشمس في قوله جلى الشمس اى ويجوز ان يكون ضمير جلاها
راجعا الى الظلمة وهو اضمرها للعلم كما جاز رجوعه الى الشمس اى ويجوز ان يكون ضمير جلاها
لذكرها انفا واسناد يغشى الى ضمير الليل من قبيل الاسناد في صام نهاره لان الذي يغطي
ضوء الشمس في الليل هو حيلولة الارض بين الشمس وبين ما وقع عليه ضوؤها لا
نفس الليل الذي زمان تلك الحيلولة **قوله** ولما كانت واوات العطف اه جواب عما
يقال من ان الواوات الواقعة بعد قوله والشمس وضحاها ان كانت عاطفة لان كونها قسمية

تستلزم تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدا وقد اتفق الخليل وسيبويه على التنكر اهه
قال المحقق نادر تتبعنا كلام العرب فلم نر موضعا تعدد فيه القسم الا وقد كان لكل واحد
من القسم الواقع فيه مقسم ان يعطف معمولان على معمولي عاملين مختلفين وذلك لا يجوز
لان الحرف الواحد لا ينوب عن عاملين مختلفين وبيان الملازمة ان النهار المجرور في قوله
والنهار اذا جلاها معطوفة على معمول واو القسم الجارة وهو الشمس وقوله اذا جليها
معطوف على قوله اذا تلاها وهو معمول فعل القسم فظهر انه من قبيل العطف على معمولي
عاملين مختلفين وحاصل الجواب ان الواوات المذكورة للعطف ولا يلزم العطف على
معمولي عاملين مختلفين بل هو من قبيل العطف على معمولي عامل واحد كما في قولك ضرب زيد
عمروا وبكر خالدا فان الواو فيه عطف بكرا وخالدا على معمولي ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا
ههنا وذلك لان الواو الاولى القسمية كانت في قولك بعد الجر لنيابتها عن الباء القسمية فكذلك
يعمل النصب في الظرف الذي بعدها لنيابتها عن فعل القسم واصل الكلام اقسم بالشمس
فحذف الفعل وحرف الجر واقيمت الواو مقامهما فقد صار هي معا فهي عامل
واحد تحملت عملين مختلفين الجر والنصب فكان المجرور والظرف الملفين بعدها
معمولي عامل واحد واذا عطف على هذين المعمولين بالواو ولم يلزم العطف على معمولي
عاملين ومثل هذا الجواب لا يجري فيما اذا كان فعل القسم مصرحا به كما في قوله تعالى والليل
اذا عسعس والصبح اذا تنفس بعد قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فان الواو
ههنا عاطفة عطف بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول فعل القسم
المصرح به وهو الظرف الاول فيحتاج فيه الى جواب اخر وان يقال لا نسلم ان الظرف الا
المنصوب معمول الفعل القسم او للواو القائمة منابه لان تقييد القسم بالزمان حالا
او مستقبلا بل هو معمول المضاف مقدر مدلول عليه بالقسم كما لعظمه فان الاقسام
بالشيء تعظيم له كانه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحيها وبعظمة القمر اذا تلاها فالقمر

المجرور

المجرور فكذا الظرف بعده معمولان لذلك المقدر فيكون المجرور والظرف فيه بمنزلة الصريح
اذا تنفي معطوفان على معمولي عامل واحد فان قيل ما ذكرته ينقض بجواب المحققين بان الواو
العاطفة لنيابتها عن فعل القسم تنصب الظرف بعدها المحل بحيث لان فعل القسم المضمر
بمعنى الحال لانه لانشاء القسم في الحال فلا يعمل في الآن ظرف للمستقبل والفعل
الحال لا يعمل في الظرف المستقبل لان الفعل الحالي لا يصير مستقبلا واذا لم يصلح فعل
القسم المضمر ناصبا للظرف الزمان المستقبل فكيف يصلح الواو النائب منابه ناصبا
لو قلنا فرق بين قولنا اقسم بالشمس غدا وانا اقسم بهذا اذا اشرق غدا والذي
لا يجوز هو الاول لا الثاني فانه يجوز ان يقسم الان باشراق الشمس وبما يترتب
وجوده بعد زمان القسم قوله دائما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية لم يرد
ان كلمة ما يوصف بها نعتا لكونها كما وصف بالذي فان ما ومن الموصولين لا يوصف
بهما بخلاف الذي بل المراد ان ما قد تستعمل في الصفات فيقال اذا اريد ان يسأل عن
صفة زيد ما زيد فيجاب عنه ان يقال هذا زيد قوله والذي اخذ ذكره اي في وتكون
الحق من ايثار ما على من الدالة على معنى الوصفية والقدرة الكاملة افود لا ذكر
البناء الدال على وجوده وكمال قدرته فان الموصول هنا لما كان عبارة عن الصفة
التي هي القادرية جعل صلته ما يدل عليها لان الصلة ان تميز الموصول وتعينه
قوله تعالى وما طحيها والطحو كالدحو وهو البسط وابدال الطاء دالا في الدال جائز وكلاهما
عطاء والجلع بسطها على الماء وقيل طحيها ان تحت الكعبة والنفس ان حملت على
الجسد فتسويتها عبارة عن تعديل اعضائها بعضها ببعض على ما يشهد به علم التشريح
وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى
ما يتم به جميع احوالها وبعض تلك القوى محركة وهي اثنتان شهوانية وغضبية
وبعضها مدركة وهي عشرة الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وبعضها محركة ولا مدركة

وهي الغاربة والناجمة والمولودة والجاذبة والهاضمة والماسكة والرافعة و
جعل المادات المصدرية يخلو العطف عن الفاعل اي يجرد للمنوي في الهمها عائدا بما يرجع هو اليه
فان المادات التي في قوله وما بناها وما طحيها وما سواها ان كانت مصدرية لا يكون
المذكور الا السماء والارض وما يتعلق بها لا يصلح لان يرجع اليه المنوي في الهمها
وقوله الا ان يضمر في الهم اسم الله للعلم به استثناء من قوله يجرد الفعل عن الفاعل واشارة الى ان
سبق الذكر ليس شرطا في الرجوع اذا كان المرجع اليه لشيابة ترشده مما لا يغيب عن العقل
كقوله انا انزلناه وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها ويخل
بنظم قوله فالهمها بقوله وما سواها وذلك انه على تقدير على ان يكون ما مصدرية يلزم عطف
الفعل على الاسم لانه يكون تقدير الكلام ح وتسوية ما فالهمها ولا خفاء في ركاكة هذا
النظم ويمكن ان يقال لا بعد في ان يجعل ما مصدرية فيكون فالهمها عطفا على سواها
بان يكون هو ايضا في تاويل المصدر على معنى وتسويتها فالهامها فجورها غاية ما في الباب
ان يكون الهمها كالافعال السابقة وهي بناها وطحيها وسواها في تجردها عن الفاعل ويلتزم
ان يضمر في الهم اسم الله تعالى للعلم به فان قيل الفاء تدل على الترتيب من غير مهلة والتسوية
يكون في نفخ الروح والالهام يكون بعد البلوغ فيختل الانتظام الا الالهام المصدر بالفاء بجعله
على تقدير ان يكون ما مصدرية قلنا التسوية عبارة عن تعديل الاعضاء والقوى الادراكية
الادراكية وذلك انما يكون بعد البلوغ ويدل عليه ان الصبي محجور اغير مقبول الشهادة
وغير مكلف باحكام الشرعية والهام الفجور والتقوى عبارة عن افهامهما واعقالهما و
تعريف حالهما من ان التسوية بالمعنى المذكور عن غير مهلة قوله وحذف اللام لطول
الكلام بين القسم وجوابه قيل لما طال الكلام صار بعيدا عن التاكيد فاستغني بها عن اللام
قوله وكانه لما اراد به بقوله قد افلح من زكيها هو بيان لوجه الاقسام عليه فانه تعالى
لا اقسم بالشمس التي هي اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفا باوصافها الاربعة التي

هي

في ضوئها وكونها متبوعة للقمر ومجلية عند ارتفاع النهار ومخفية متغطية بالليل
ثم اقسم بالسماء التي هي سقف الشمس واعظم منها ومن المعلوم انها لحركاتها الوضعية لحركاتها
والاينية وتغير احوالها في الاجسام الممكنة المحتاجة الى الصانع واجب الوجود لذاته
دفعا للدور والتسلسل موصوف بصفات الجلال والجمال قوله وبذكرهم عطف على
قوله بذكرهم ولا شك ان هذه الامور المقسم بها من عظائم الآلاء قوله وقيل استطراد عطف
على قوله جواب القسم والدمدمة اهلاك باستيصال وقيل هو التعذيب بعذاب تام الوجوه
يجيء قوله كذبت ثمود جوابا لان اقسم الله تعالى انما يؤكد به الوعد او الوعيد وليس
منها بل ذكره استشهادا لقوله تعالى وقد خاب من دسيها على خلاف قوله تعالى قد افلح من زكيها هم
وقد خاب من دسيها فان الاول وعد لاهل التزكية بالظفر بكل خير والثاني وعيد لاضداد
بالخيبة والخسران قوله بسبب طغيانها يعني ان الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان
الا ان الطغوى لما كان هو اشهر في الطغوى وان الباء فيه سببية ومفعول كذبت محذوف
للعلم به بمعنى كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام بسبب طغيانها قوله او بما اوعدت
به اي ويجوز ان يكون الطغوى كالعذاب الذي اهلكوا به فيكون الباء للتعدية ومتعلقة
بتكذيب كما في قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالعذاب الذي حل بها ثم قال
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية سمي ما اهلكوا به من العذاب طاغية لكونه مجاوزا عن
القدر المعتاد فان الطغيان في اللغة عبارة عن مجاوزة القدر قوله تفرقة الاسم
والصفة وذلك ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء اسما قلبت ياؤه واوا وان كانت
صفة ابقيت الياء على حالها تفرقة بينهما تقول في الصفة خزيا وريا وصديا فان خزيا
بمعنى المستحي من خزي الرجل اذا استحى وريا من روي من الماء يروى وهو ريان وهي
ريا من صدي يصدى صدى اي عطش فهو صديان وهي صديا مثل عطشان عطشى وزنا
ومعنى وتقول في الاسم تقوى وتقوى في اسمي الانقياد والانتظار من تقى الله تقيا اي خافه

وبقية اى انظر رته وابقاء الياء على حالها في الصفة اولى من ابقائها في الاسم لان الصفة اثقل
من الاسم والياء اخف من الواو وان قرئ بطغويها بفتح الطاء يكون ايضا مصدرا كالرجعى
والحسنى الا ان قلب يائه واوا يكون في الفعلى للفرق بين الاسم والصفة بقاؤها على حالها كا
كالسقيا قوله حين قام ظرف لكذبت اى كذبوا نبيهم حين نهض اشقاهم لعقر
الناقة امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث يقال بعثته فلانا
على الامر فانبعث له وامتثل وان كان اذ ظرفا للطغوى حين انبعث واختلفوا
في الاشقى هو عاقر الناقة هل هو شخص معين او جماعة فمن ذهب الى الاول قال اسمه
قدار بن سالف وهو اشقى الاولين ويؤيده قوله تعالى في سورة القمر فنادوا صاحبهم
فتعاطى فعقر ومن ذهب الى الثاني قال انما جاز الاشقى بلفظ الواحد بناء على ان
افعل التفضيل اذا اضيف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويؤيده قوله تعالى
فكذبوه فعقروها ومالاه قوله اى صاحبه وعاشق معه تلاوة من الدهر اى
حينا برهة في بعض النسخ وفي ولاه اى صادقه وهو في الولى بمعنى الصديق
قوله تعالى فقال لهم عطف على قوله انبعث فان ثمود لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم
صالح من الصخرة على الوجه الذي وصفوها له ثم جعل لهم شرب يوم من بئرهم ولها
شرب يوم معلوم فقال لهم ذروها وشربها اى نصيبها في الماء فاستمروا على ما
امرهم به صالح ثم الى ان يتضجروا بذلك امر مواشيهم فهموا فعقروها فلما علم
صالح ما عزموا عليه اعاد لهم الوصية فقال لهم هذه ناقة الله دالة الدلالة على
وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلى نبوته فاحذروها عن مسها بسوء واحذروا
ايضا ان تمنعوها من سقياها اى شربها ونصيبها في الماء فاياكم ان تفعلوا
ذلك فعقروا الناقة فاطبق عليهم العذاب بحيث لم يبق منهم احد الا اهلكه
قوله اى ذروها ناقة الله تعالى اشارة الى ان ناقة منصوب بعامل مضمر

ع

على التحذير واضمار الناصب ههنا واجب لمكان العطف فان اضمار الناصب يجب
في ثلثة احدها ان يكون المحذور نفسك نحو اياك وبابه الثاني ان يوجد فيه عطفه والثالث
ان يوجد فيه عطف والثالث ان يوجد فيه تكرير نحو الاسد الاسد الطريق الطريق
قوله من تكرير قولهم ناقة مدمومة يقال دممت الناقة بالشحم ثم كررت الدال
بين عين الفعل وبين لام الفعل للمبالغة في الاحاطة وهذه قاعدة مطردة في كل
مضاعف من الثلاثي كرر فاؤه بين العين واللام نحو زلزل في زل قوله او بثمود
بالاهلاك على ان يكون ضمير سواها راجعا الى ثمود باعتبار تأويله بالقبيلة كما عاد اليه
ضمير بطغويها في تلك الاعتبار وعلى الاول يكون راجعا الى الدمدمة وعقوبة المذكورة
كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى فانهم قد هلكوا بصيحة صرصر دمدم وتلك
الصيحة اهلكتهم جميعا بحيث لم يبق منهم احد لا صغيرهم ولا كبيرهم قوله اي عاقبة
الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود يعني ان ضمير سواها ان رجع الى الدمدمة يرجع اليها عقباها
الا انه لا في تقدير ما يضاف اليه العقبى قوله والواو للحال في قوله ولا يخاف عقبيها
قوله فيبقي بعض الابقاء اي فيترحم بعض الترحم وفي الصحاح ابقيت على فلان
اذا ادعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت على والاسم منه
البقيا وكذلك البقوى بفتح الباء قوله والواو للحال في قوله ولا يخاف عقبيها في
محل النصب على انه حال من المنوي في فسويها الراجع الى الله تعالى جل ذكره او فسويها غير
خائف عقبى ما صنع بهم من الاهلاك اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف الملوك والولاة   الملوك سه
لانه تعالى فعل بهم ما فعل بحق وحكمة وكل من كان فعله على وفق الحكمة ومقتضاها فانه
لا يخاف عقبى فعله وان قرئ فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسويها على
قوله فسواها ومتفرعا عليها تمت والشمس الحمد لله رب العالمين   متفرعا

سورة الليل مكية

اي يغشي الشمس او النهار ويدل على الاول قوله كانه يغشي الليل النهار وفي المفعول المقدر
على التقدير الثاني ليس بتام الا انه حذف اعتمادا على ما يدل عليه وان كان تقدير الكلام اذا
يغشي كل ما يراد به ويستره بظلامه كان عدم ذكره للتعميم قوله فظهر بزوال ظلمة
الليل هذا المعنى يناسب لكون المفعول المقدر ليغشي النهار قوله او تبين بطلوع
الشمس هو المناسب لكون المفعول المقدر الشمس اقسم الله تعالى بالليل ثم بالنهار لما
في تعاقبهما من مصالح لا تحصى فانه لو كان الدهر ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لاختل
امر الاستراحة والمصالح المتعلقة بالليل فمقتضى الحكمة ليس الا تعاقبهما فلذلك
امتن سبحانه وتعالى بذلك فقال هو الذي جعل الليل والنهار خلفة قوله خلق صنع
الذكر والانثى على ان تعريفي الذكر والانثى للجنس وعلى الثاني للعهد قوله
ان سعيكم لشتى اشارة الى وجه الاخبار عن السعي وهو مفرد بشتى وهو جمع شتيت
كمريض ومرضى وجريح وجرحى وبيانه السعي مصدر قولك سعى الرجل يسعى اذا عمل وكسب
والمصدر جنس يتناول جميع افراده كليتها وقد اضيف الى الجمع فهو جمع في المعنى الا ان
الحق بالاخبار عنه ليس هو السعي والعمل بالمعنى المصدري بل المقصود الاخبار عن الاعمال
الحاصلة بالسعي فالمصدر ههنا بمعنى المفعول الاخبار عن الاعمال الحاصلة بالسعي
فالمصدر ههنا بمعنى المفعول فلذلك فسره بالمساعي والاعمال المكتسبة والشتيت
المتباعد المتفرق يقال شتت الامر شتا وشتاتا اي تفرق وامر شتت وشتيت
اي متفرق وحكم على الاعمال المكتسبة المختلفة بكون بعضها هدى وبعضها ضلالة
بانها شتى لتباعد ما بين بعضها وبعضها فان بعضها يؤدي الى الجنات وبعضها الى
عذاب النيران وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الاية ان اعمالكم لمختلفة عمل للجنة
وعمل للنار قوله تفصيل مبين لتشتت المساعي اي مبين لاختلاف الاعمال
من حيث اجزيتها فان اختلاف نفس المساعي والاعمال في انفسها معلوم لا فائدة

في الاخبار عنه

في الاخبار وعند قوله والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية اشارة الى عدم ذكر
متعلقات هذه الافعال للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصلح تعلق
الفعل ممن تعلق بالاعطاء جميع ما يتقرب بفعله واتيانه من العبادات القلبية
والبدنية والمالية واعطاء وهاصرفا القوى والالات في تحصيلها وكذا متعلق
الاتقاء جميع ما كان فعله معصية وكل واحد منهما ما لم ينفع صاحبه بدون التصديق بدون
والايمان عقبه بقوله وصدق بالحسنى اي بالكلمة الحسنى ونظيره قوله تعالى او اطعام
في يوم ذي مسغبة الى قوله ثم كان من الذين امنوا والخلة بالفتح الخصلة وبالضم
المودة والصدقة والاول انسب بهذا المقام وفي الخصلة اليسرى اعمال الخير
بناء على ان الاعمال بالعواقب فكل ما ادى الى يسر وراحة فهو خصلة يسرى
ومعنى تيسير المكلف لها ان يوفقه لاتيانها وتسهيلها له من غير ان يعتريه من
التثاقل والكسل ما يعتري المرائين والمنافقين وكذا المراد بالعسر
واعمال الشر المؤدية الى العسر والعذاب وتيسير المكلف لها ان يخذله ويخليه
شانه لعله باختيار المكلف ذلك قوله نفي او استفهام انكار واذا كانت كلمة ما
نافية يكون مفعول يغني محذوفا اي ليس يغني عنه ماله شيئا وان كانت استفهامية
لكونه في محل النصب على انه مفعول يغني اي اي شيء يغني عنه ماله اي لا يغني شيئا
وقوله تعالى تردى يحتمل ان يكون من الردى بمعنى الهلاك وموته يقال ردي يردى
ردى من باب علم اي هلك واراده بغيره فهو ردي اي هالك وتردى تفعل منه للمبالغة
ويجوز ان يكون من ردى في ردي في البئر وتردى منه اذا سقط فيها وتهور من جبل
ومنه المتردية والمعنى اذا انس به العسرى المؤدية الى دخول النار وتردى فيها فما
يغني عنه ماله الذي يبخل به وتركه لوارثه ولم يصحبه منه الى الاخرة التي هي موضع فقره
وحاجته يعني ان المال الذي ينتفع به الانسان هو ما قدمه من الاعمال البر واعطاء الاموال

من حقوقها دون المال الذي يخلفه على ورثته ثم انه تعالى لما عرفهم ان سعيهم لشتى بحسب
الجزاء وبين ان من يوثر الهدى على شهوات الدنيا يهون عليه ما يؤدي الى العسر
والعناء اخبر انه قد قضى ما عليه من الهدى والبيان والترغيب فيما ينفعهم والترهيب
عما يضرهم فقال ان علينا للهدى اي للارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرايع
بمقتضى حكمتنا او بموجب قضائنا ويجوز ان يكون الاية من قبيل قوله تعالى وعلى الله
قصد السبيل ان علينا طريقة الهدى تؤدي سالكها العناء فالهدى على الاول بمعنى
الهداية اليه تعالى والارشاد سميت باسم ما اكتسب لملابستها مجازا قوله فنعطي في الدارين
ما نشاء لمن نشاء فيكون قوله ان لنا للآخرة والاولى معرضا للتاكيد والتحقيق لقوله
ان علينا للهدى ولما يلزمه من الضمان للثواب للاهتداء في الآخرة فان من تفرد
بمالكية الدارين يملك ارشاد الانام الى الحق في الدنيا ويملك اثابتهم على الاهتداء
في العقبى قوله او ثواب الهداية للمهتدين فيكون ذلك تتميما لان علينا للهدى
على معنى ان علينا ان نهدي بنصب الادلة الى الحق وان نثيب على الاهتداء في الآخرة
قوله او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فيكون تثبيتا في البيان انه تعالى انما يهديهم
ويرشدهم الى الحق رحمة لهم لا لمنفعة تعود اليه كانه قيل علينا ان نهديكم الى طريق
مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فعليها لا تعود منفعة
اهتدائه ولا مضرة عدم اهتدائه علينا وان اهتداؤكم لا يزيد في ملكنا شيئا
لان الآخرة والاولى لنا فالوجه الثالث لبيان وجه ارتباط الاية بما قبلها لا
لبيان معناه لانه معلوم لا يلزمها مكتسبا شدتها لما دل ظاهر قوله تعالى لا
يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى على انه لا يدخل النار الا الكافر وهذا
الحصر يرده النصوص الدالة على وعيد العصاة والفساق من صلي النار دال على لزومها
والخلود فيها مكتسبا شدتها وحرها لكون الصلي بهذا الوجه كمال الصلي فيحمل عليه
الصلي عند الاطلا

عند الاطلاق ولا شك ان الصيغة بهذا المعنى تختص بالكافر واما الفاسق مفوض الى مشيئة
الله تعالى فاما ان لا يدخلها اصلا او يدخلها ولكن لا يخلد فيها وحمل صلى النار على
لزومها وصلية الى دفع ما يتوهم من ان منطوق قوله تعالى لا يصليها الا الاشقى يخالف
مفهوم قوله وسيجنبها الاتقى فانه مفهومه يدل على ان غير الاتقى لا يجنبها بل يصليها
ويدخلها وحصول عصاة المؤمنين النار يخالف حصلوه بتخصيص صلى النار
بمعنى لزومها كان منطوق الاول خلود الكافر فيها ومفهوم الثاني دخول العصاة
لا يستلزم خلودهم قوله لقوله يتزكى المتدل به على ان الاشياء ليس المراد به
صرف المال مطلقا بل المراد به صرف المال في مصارف الخير فان كان يتزكى بدلا من
يؤتي لا يكون له محل من الاعراب لانه لما كان بدلا من صلة الذين كان داخلا في حكم الصلة
والصلة لا محل لها من الاعراب لان الصلة بعض وبعض الكم لا محل له وان كان
حالا من المنوي في يؤتي يكون المعنى يؤتي متزكيا اي متطهرا من الذنوب او متزايدا في
الخير زاكيا وفيه القدر عند الله تعالى لا للرؤيا والسمعة قوله كاستثناء منقطع
لان ابتغاء المرضات ليس من جنس النعمة التي تجازى عليها فيكون منصوبا على
الاستثناء المنقطع ويكون الا بمعنى لكن اي لكن فعل ذلك الابتغاء وجه ربه اي
لابتغاء التوجه الى ربه قوله او متصل بمحذوف يدل عليه قوله وما لاحد عنده من نعمة
تجزى فانه يدل على ان المراد لا يؤتي ماله لا امر من الامور الا ابتغاء وجه ربه الاعلى
فعلى هذا يكون المستثنى داخلا في المستثنى منه ويكون الاستثناء متصلا قوله
والآيات نزلت في ابي بكر رضي الله عنه هذا ما ذهب اليه جمهور المفسرين والشيعة
ينكرون ذلك ويقولون انها نزلت في حق علي ابن ابي طالب ويستدلون عليه بان قوله
ويؤتون الزكوة وهم راكعون نزلت في حقه فقوله الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى اشارة
الى تلك الآية ونحن نقول لا يمكن حمل الاتقى المذكور في هذه الآية على علي رضي الله عنه لانه

لانه تعالی فی صفة الاتقی وما لاحد عنده من نعمة تجزی وهذا الوصف لا یصدق علی
علی ابن ابی طالب لانه کان فی تربیة النبی ع م لانه اخذه من ابیه وکان یطعمه ویسقیه ویکسوه
ویربیه فکان ع م منعما علیه نعمة تجزی علیها بخلاف ابی بکر فانه لم یکن لاحد عنده من
نعمة دنیاویة نعم کان للرسول ع م عنده نعمة الهدایة والارشاد الی الدین الا ان
هذه النعمة لا تجزی لقوله تعالی حکایة عنه صلی الله علیه وسلم ما اسئلکم علیه من اجر ان اجری
والمذکور هاهنا لیس مطلق النعمة بل نعمة تجزی فظهر ان هذه الایة لا تصلح ان تکون نازلة
فی حق علی رضه فتعین انها نزلت فی ابی بکر لان الامة اجمعوا علی ان افضل الخلق واکرمهم و
اتقاهم بعد رسول الله ع م علی قد ثبت انه لا یمکن ان یکون المراد بهذه الایة علی فتعین
انه ابو بکر رضه روی ان بلالا افلح ای تغوط علی الاصنام وکان صادق الاسلام طاهر
القلب فاطلع المشرکون علیه فشکوا مولاه فوهبه لهم ومائة من الابل ینحرونها
لالهتهم فاخذوه یعذبونه ومضان اشد العذاب وهو یقول احد احد فمر به رسول
ع م فقال ینجیک الاحد الاحد ثم اخبر رسول الله ع م ابا بکر ان بلالا یعذب فی الله فحمل
ابو بکر رطلا من ذهب فابتاعه به فاعتقه فقال المشرکون ما فعل ذلک ابو بکر
الا لید کانت لبلال عنده فنزل قوله تعالی وما لاحد عنده من نعمة تجزی الا ابتغاء وجه ربه
الاعلی ولسوف یرضی وقال ابن زبیر وهو علی المنبر کان ابو بکر یشتری الضعفة من العبید
فیعتقهم فقال له ابوه یا بنی لو کنت تبتاع من یمنع ظهرک فقال منع ظهری
ارید فنزلت هذه الایة ثم وعد الله تعالی بان یرضیه فی الاخرة بثوابه فقال ولسوف
یرضی تمت سورة اللیل والحمد لله رب العالمین   والضحی ای صدر النهار
حین ترتفع الشمس بقرینة عطف الوقت علیه بقوله واللیل وفسر فی قوله تعالی والشمس
وضحیها بضوء الشمس ونورها الکائن وقت ارتفاع الشمس واشراقها بقرینة
اضافة الضحی الی الشمس لان اضافة صدر النهار الیها لا معنی له بخلاف اضافة النور

ط ای نعمة سابقة لبلال عند ابی بکر رضه

الیها

النهار وفسره ثانيا بالنهار كله بطريق اطلاق اسم الجزء على الكل وقرينة المجاز ذكره
في مقابلة قوله والليل اذا سجى فان المراد به الليل كله فالمناسب ان يراد بالضحى ايضا النهار
كله وقد اريد بالضحى النهار كله في قوله تعالى افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون
اي نهارا بقرينة وقوعه في مقابلة قوله بياتا اي يأتيهم داخلين في الليل حين سكون اهله يعني
ان الاسناد مجازي من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل صام نهاره وكذلك اذا فسره بقوله
ذكر كلام اي سكن وثبت وكان بحيث لا يزداد بعد ذلك وكل ما ثبت في مكان فهو
راكد فيه قوله وتقدم الليل في سورة المتقدمة يعني ان كل واحد منهما له تأثير عظيم
في صلاح العالم فلذلك اقسم بهما الا ان الليل له فضيلة السبق والاصالة بالنسبة الى النهار
لان النهار يحدث بطلوع النير وبغروبه يعود الهواء الى الحالة الاصلية فلذلك قدم
الظلمة في قوله وجعل الظلمات والنور والنهار له فضيلة الشرف والاستنارة بالنسبة
الى الليل فلذلك قدم ههنا تارة وقدم ذاك اخرى فان قيل ما السبب في انه تعالى ذكر الضحى
وهو ساعة الا انه لكونه اشرف ساعاته نازل منزلة الكل قوله لتركه الاستثناء روي
ان مشركي قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر رسول الله عم فقالت اليهود
لهم سلوه عن اصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح فان اخبركم بقصة
اهل الكهف وقصة ذي القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاء
المشركون فسألوه عنها فقال عم لهم ارجعوا لاخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله
تعالى فاحتبس الوحي عنه اثني عشر يوما وقيل خمسة عشر يوما وقيل خمسة وعشرين يوما
وقيل اربعين يوما حتى نزل جبرائيل عم بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله تعالى فاخبره بما سئل عنه ونزل ايضا بقوله ما ودعك ربك وما قلى
فان قيل ما ذكرتم كون سبب احتباس الوحي تركه الاستثناء يدل على انه تعالى قلى
فما وجه قوله تعالى وما قلى اجيب بان اقصى ما في الباب انه عم وقع منه ما هو ترك الافضل

والأذى فلا يصير عم ممقوتاً ولا مبغوضاً بما روي أنه عليه السلام قال لجبرائيل عم
ما جئتني حتى اشتقت إليك فقال جبرائيل كنت إليك أشوق ولكني عبد مأمور
وتلا وما نتنزل إلا بأمر ربك والتوديع أصله الودع وهو الترك وبناء
التفعيل للمبالغة فيه لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ في
تركك وقرئ ما ودعك بتخفيف الدال وهو قليل الاستعمال فإنهم
أماتوا ماضي يدع ويذر فلا يكادون يقولون ودع ولا وذر لثقل
الواو في أول الكلمة واستغنوا عنهما بترك واستعملوا مضارعهما لعدم
الثقل قوله أو لزجره سائلاً ملحاً روي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أهدى إلى
رسول الله عم عنقود عنب فجاء سائل ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدمه إلى رسول الله عم
ثانياً ثم عاد السائل فأعطاه ففعل ذلك ثلاثاً فقال عم ملاطفاً لا
لا غضباناً عليه أسائل أنت يا فلان أم تاجر فتأخر الوحي أياماً لذلك
فنزلت وأما السائل فلا تنهر وروي أيضاً أن خولة كانت تخدم رسول الله عم
فقالت إن جرواً دخل البيت فدخل تحت السرير فمات هناك فمكث نبي
الله عم لا ينزل عليه الوحي فقالت ما حدث في بيتي أن جبرائيل لا يأتي قالت
خولة لو هيأت البيت وكنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو
ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي فأنزل الله تعالى هذه السورة
فلما نزل جبرائيل سأله عليه السلام عن سبب تأخره فقال أما علمت أنا لا ندخل
بيتاً فيه كلب وصورة قوله أو لنهاية أمرك خير من بدايته على أن لا يراد بالآخرة
ما يقابل الدنيا بل يراد بها الحالة الآتية فالمعنى لا تظن أن ربك ودعك و
قلاك بأن قطع عنك وحيه أياماً فإن كل حال تأتي عليك فيما بعد من الأزمنة و
الأيام فإنها خير لك من أحوالك الماضية فإن من جملة أحوالك أنه احتبس عنك الوحي

أياماً

اياما بعد تتابعه وتعاقبه عليك فقال الاعداء فيك ما قالوا فعلمنا ان ردهم
مؤكدا في القسم ما ودعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه
الكرامة والوعد خير لك مما كان قبل في تواتر الوحي وتتابعه قوله واللام للابتداء
الا انها لا تدخل الا على جملة الاسمية فلا بد تقدير المبتدا اي ولانت سوف
يعطيك وليست بلام جواب القسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع الا
مع نون التاكيد والله اعلم بين قوله وجمعا مع سوف اه فان اللام الابتداء
تجردت للتاكيد وكانت السين نزل على التاخير والتقييس حصل من
اجتماعهما ان العطاء المتاخر لحكمة كائن لا محالة قوله من الوجود بمعنى العلم اي الم
يعلمك يتيما فآوى لي تجد لك ماوى يقال اوى فلان الى منزله ماوى اويا
على فعول واويته انا وآويته وكان يتيمة صلى عليه وسلم حاملا ثم ولد صلى الله عليه وسلم
فكان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فماتت امه آمنة وهو ابن ست سنين
ثم مات جده بعد امه سنتين وهو ع م ثمان سنين فلما اشرف عبد المطلب
على الموت اوصى به ع م ابا طالب لان عبد الله وابا طالب كانا من ام واحدة
وكان ابا طالب هو الذي يكفل رسول ع م بعد جده الى ان بعثه الله تعالى فقام
بنصره مدة مديدة ثم توفى ابو طالب بعد ذلك فلم يرع م من اثر اليتيم شيئا
فذكره الله تعالى بهذه النعمة بقوله الم يجدك يتيما فآوى عن علم الحكم والاحكام
اي وجدك غافلا عن علوم النبوة واحكام الشريعة فهداك كقوله ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان قوله وقيل وجدك ضالا في الطريق روي
انه ع م خرج مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ناقة
ذات ليلة ظلماء وهو نائم فجاء ابليس فاخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق
فجاء جبرائيل ع م فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الحبشة وقيل الى ارض الهند ثم

ثم رده الى القافلة وقيل انه عم ضل في صغره حين فطمته واردت ان
ان ترده الى جده حتى دخلت الى الجبل واشكت ذلك اليه فتت قطعت الاصنام
وسمعت صوتا انما هلاكنا بيد هذا الصبي وفيه حكاية طويلة وعن
ابن عباس رضه انه قال انه عم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير وما زال
ضالا حتى كاد الجوع يقتله فراه ابو جهل وهو منصرف من اغنامه الى جده
عبد المطلب وهو متعلق باستار الكعبة يتضرع الى الله تع في ان يرد اليه
محمد فيقول يا رب رد لي محمدا اردده الى ربي واصطنع بذلك عندي
يدا فما زال يردد هذا الكلام حتى اتاه ابو جهل على ناقة ومحمد عم بين يديه
فقال له لا تدري ماذا من ابنك فقال عبد المطلب ما ذا قال انخت
الناقة واركبته من خلفي فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامي قامت
الناقة كان الناقة تقول يا احمق هو فكيف يقوم من وجب علي ان يقتدي
قوله عائلا فقيرا ذا عيال صغير كالشيء لفقره فقيرا يقال عال يعيل علية وعيولا اي
افتقر واعال الرجل اذا كثر عياله اي من ينفق عليه فقيل العائل ذو العيال
ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال ودخشهور ان المراد بالعائل في الاية
الفقير مم

سورة

والشرح التوسعة والفسحة السعة
ومكان فسيح اي واسع وفسح له في المجلس اي وسع له وقد شرح الله تع صدره
عم بحيث وسع مناجات الحق ودعوة الخلق بعد ما ضاق عنها جميعا فان مقام
حضور الحق ومناجاته مقام شهودة الحق والغيبة عن الخلق ومن كان غائبا
عن الخلق ينافي له دعوة الخلق ومعاناتهم فان دعوتهم يستلزم الحضور معهم
والحضور مع الخلق ينافي الحضور مع الحق ظاهرا فيضيق الصدر عن الجميع
بينهما ثم انه تع وسع صدره للجمع بينهما فكان حاضرا مع الحق مستغرقا في مقام

مناجاته

يقال ان الله تع عاتب نبيه عم في كتابه
في ثلاث مواضع لاجل الفقراء
احدها ما ذكرنا في قوله تع واما
اليتيم فلا تقهر والثاني قوله تع
عبس وتولى ان جاءه الاعمى
والثالث قوله تع ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الخ فلاجل
مرتبة الفقراء حيث يعاتب
الله تع افضل الانبياء لاجل
الفقراء وقال الشيخ ابو سعيد
كان الله تع يقول يا محمد
انت لي والامة لي الخلق
فان انت تريد ان لا ارد
سؤالك فلا ترد انت
السائلين الا اعطيتهم
سؤلهم
حسن
سعد

مناجاته دائماً وهو غائب مشتغل بدعوة الخلق ظاهراً فكان غائباً حاضراً

قوله أو لم نفسحه بما أودعناه فإنه تعالى ما فسح صدر أحد من بني آدم كفسحه
لصدره صلى الله عليه وسلم حتى وسع علم الأولين والآخرين وقال أوتيت جوامع الكلم

قوله وقيل إنه إشارة إلى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك إشارة إلى ما روي
أن جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه أي حين عند حليمة في السنة التي أعادته
فيها إلى عبد المطلب وشق صدره وأخرج قلبه وغسله وأنقاه مما كان فيه من الدم الأسود
ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علماً وإيماناً فوضعه في صدره

قوله ويوم أخذ الميثاق الظاهر أن المراد بيوم الميثاق ليلة المعراج ويؤيده ما ذكره الإمام
النسفي ناقلاً عن الخليل أن جبرئيل عليه السلام أتاه فشق بطنه وأبدع قلبه ثم جاء بدلو من ماء
زمزم فغسله وأنقاه بما فيه ثم جاء بطست من ذهب قد ملئ علماً وإيماناً فوضعه
فيه ثم يذكر هذا حين جاء بالبراق ليلة المعراج ويذكر حين كان عند حليمة في السنة التي
أعادته فيها إلى عبد المطلب والقاضي عبد الجبار طعن في هذه الرواية من وجوه
أحدها أنه قد روي أن هذه الواقعة وقعت في حال صغره عليه السلام وهو من المعجزة
فلا يجوز أن تتقدم نبوته وثانيها أن تأثير الغسل في إزالة الأجسام والأشكال
الأخلاق والمعاصي ليستا من قبيل الأجسام فلا يؤثر فيها الغسل وثالثها أن
النشطب وإن داد القلب لا يصح أن يملأ علماً وإيماناً بل الله تعالى يخلقهما
في القلب وأجيب عن الأول بأن تقدم المعجزة على زمان البعث جائز عندنا وذلك
هو المسمى بالإرهاص ومثله كثير في حقه عليه السلام وعن الثاني والثالث أن
الغسل له تأثير في إزالة مادة القلب من الدم الأسود ولا يبعد أن يكون حصول ذلك
الدم فيه علامة مؤدية للقلب إلى ميله إلى المعاصي وإحجامه عن الطاعات ويكون إزالته
عنه سبباً لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشهوات المنبعثة عن توهم القوة

قيل في سنده ووضعنا عنك وزرك أن أهل مكة آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وربطوا على ظهره المبارك صنماً ثقيلاً اسمه وزر وقالوا انقلبه
تحت هذا الصنم ليلات أصنامنا فأرسل الله تعالى جبرئيل عليه السلام حتى قطع ذلك الحبل الذي شده على ظهره وسقط عنه الوزر ثم ذكر الله منته
عليه فقال ووضعنا عنك وزرك معناه الصنم الذي ربط الكفار على ظهرك والنكتة في هذا أن الله تعالى رفع الوزر عن ظهر محمد عليه السلام
بمنه وفضله ليغيظ الكفار فلذلك يرفع أوزار المؤمنين عن ظهورهم ليغيظ إبليس والشياطين حقي

الطبيعية التى لها فيه اذا الله عنه مستلزما للعقل شبهه بالعلم والايمان ففيه

ان يعتبر ان تطهير قلب ادم وآثار المحى الى الجواب عما لشاغ هذه الرواية

بما حصل ان المراد بما روى ليس ظاهره بل هو رمز الى توسيع الصدر

فقال ولعله ما روى اشارة الى نحو ما سبق تفسيح الصدر **قوله**

مبالغة فى اثباته وجه المبالغة ان الانكار فى معنى النفى وهو المنفى اثبات

فكان المعنى قد شرحنا لك صدرك وهو اثبات الشرح بنفى انتفائه اثباته

له بدليل فكان ابلغ فى اثباته ابتداء **قوله** ولذلك اى لاجل ان معنى

الم نشرح قد شرحنا عطف وضعنا لانه بهذا الاعتبار يكون العطف من قبيل

عطف الجملة الخبرية على مثلها العبء بالكسر الحمل والنقيض صورة الانتقاض

والانفكاك شبه ما وقع منه دم قبل البعث من فرطاته الواقعة سهوا او خطاء

وفى تركه الافضل والاولى بالعبء والثقيل فاطلق عليه اسم المشبه وهو

الوزر ثم قرن بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحط فالوزر استعارة

والوضع ترشيح له **قوله** او جهله بالحكمة والاحكام لعله اراد بالحكمة العلم

المتعلق بتهذيب الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها عن

الرذائل الدنية وفى التلويح الحكمة هى العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس

ما لها وما عليها المشار اليه بقوله تع ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وبالاحكام

العلم المتعلق باصلاح الاعمال والمعاملات الذى يتوقف عليه حسن المعاشرة

بين الانام ويرد عليه انتظام احوالهم **قوله** او حيرته اى او المراد من الوزر و

الثقل الحيرة التى كانت لادم كان ينظر بجمال عقله الى عظيم نعم الله تع عليه

حيث اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه الحيوة والعقل وسائر ما يتبعهما من

النعم فيثقل عليه تلك النعم ولا يدرى كيف شكرها فيغلب عليه الحياء والحيرة

فهما

قوله ووضعنا عنك وزرك يعنى غفرنا لك ذنبك لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويقال غفرنا لك ذنبك وذلتك شرك الاستناد ويقال معناه ووضعنا عنك وزرك يعنى عصمناك من الذنوب الذى انقض ظهرك يعنى لو لم يعصمك لاثقل ظهرك ويقال معناه اخرجنا من قلبك الاخلاق السيئة وطبائع السوء الذى انقض ظهرك يعنى التى نزعها من قلبك لا ثقل عليك حمل النبوة والرسالة

ابو الليث

فلما جاءت النبوة والتكاليف وعرف انه عليه السلام كيف يعبد ربه ويشكر
نعمه زالت حيرته فانما اللئيم لا يبالي بما ابتغ عليه من النعم الظاهرة ولا يستحيي من عدم
مقابلتها بالخدمة والطاعة بخلاف الانسان الكريم النفس فانه اذا تواترت
النعم عليه وهو عاجز عن مقابلتها بنوع من انواع الخدمة فان ذلك ثقيل عليه
جدا حتى يكاد ان يموت من الحياء فاذا كلفه المنعم بنوع من الخدمة سهل عليه
وطاب قلبه قوله او ثقل الوحي اي ودخل في الوزر ما اصابه من الهيبة و
الفزع في اول ما جاءه جبرائيل حتى تأخذه الرعدة ويستولي عليه البرد عند نزول
الوحي ويقول زملوني دثروني ثم انه تعالى وضع عنه هذه الهيبة وقوى قلبه
حتى الفه وصار بحاله كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل لشدة اشتياقه اليه قوله
وانما زاد لك جواب عما يقال ما الفائدة في زيادة لك في قوله الم نشرح لك
ورفعنا لك ذكرك وزيادة عنك في قوله ووضعنا عنك مع ان المعنى يتم بدونهما
وبعد زيادتهما فاي فائدة في تقديمهما على مفعول عاملهما وتقرير الجواب
ان زيادتهما مقدمين على المفعول يفيد ابهام المشروح والموضوع والمرفوع
ثم تبيينه وتوضيحه ومن المعلوم ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال
اوقع في الذهن وابلغ في البيان وذلك يدل على تعظيم الشرح والوضع والرفع
قوله فلا تيأس من روح الله اذا ذلك ما يعده يعني ان قوله تعالى فان مع العسر يسرا
من قبيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئي على الكلي كانه قيل اذا
وجدت وعلمت يسر الشرح والوضع والرفع مع عسر الضيق والثقل والخمول
فتحقق ان مع مطلق العسر يسرا اي يسر وتيقن ان العسر الذي انت فيه لا
ينفك عن يسر عظيم وقس عليه تسلية لك فيما يعتريك وجوه العسرة على ما مضى من احوالك
فاي زمهرير لا يعقبه ربيع قوله والمعنى على ان مع في المصاحبة المبالغة في معاقبة

اليسر العسر يعني انها مقتضاه ان لا ينفصل معيتهما فلا بد في توجيه ذكر كلمة مع
في هذا المقام من التكرير للتأكيد اي لتقرير معنى الجملة المتقدمة وتمكينها في القلوب
فلما تكرر المؤكد في مثل جاءني زيد زيد لذلك كررت الجملة هنا ايضا لذلك
ويحتمل ان يكون الجملة الثانية عدة مستأنفة بان العسر المذكور اولا متبوع
بيسر اخر فان الكلام اذا ذكر منكرا ثم اعيد ذكره معرفا كان الثاني عين الاول
فيكون العسر واحدا مع كونه مذكورا مرتين وذلك العسر اما العسر
المعهود الذي كانوا فيه او جنس العسر الذي يعلمه كل احد والنكرة اذا اعيدت
مع الالف واللام كان الثاني عين الاول ايضا كما في قوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون
رسولا فعصى فرعون الرسول واذا اعيدت منكرة فلا يلزم ان يكون الثاني عين الاول
ويسرا الثاني ههنا منكر فيحتمل ان يكون عين الاول لكن الحال ان العسر الثاني
ايضا هو العسر الاول فيكون قوله تعالى ان مع العسر يسرا تكرير الاول تأكيدا
له وان يكون غيره فيكون الثاني كلاما مستأنفا مفيدا لان يكون مع عسر واحد
يسرين وهذا الاحتمال الراجح لما علم في فضل التأسيس على التأكيد وكلام
الله تعالى ينبغي ان يحمل على ابلغ الاحتمالين واوفاهما والمقام مقام التسلية و
التنفيس في الحمل عليه اولى روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يقول الله تعالى
خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وقرأ هذه
الاية وروي مرفوعا انه عليه السلام خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب
عسر يسرين وكل هذه يؤيد كون الجملة الثانية كلاما مستأنفا قوله فاذا فرغت
فانصب جواب شرط محذوف اي اذا تقرر عندك ما عددناه عليك وما
وعدناه لك في النعم فانصب في العبادة اذا فرغت في التبليغ شكرا لذلك فان
الشكر يربط العتيد ويجلب المزيد والنصب التعب يقال نصب في الشيء

بنصب

ينصب من باب علم اي يتعب فيه روي ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال
الفارغ ما امر بهذا انما قال الله تعالى فاذا فرغت فانصب يعني انه لا بد ان يواصل
بين بعض العبادات وبعضها وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة
اتبعها باخرى قوله ولا تسئل غيره الحصر مستفاد من تقديم الظرف تمت سورة الم
نشرح الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده **سورة التين وهي** مكية
وقال ابن عباس وقتادة مدنية قوله وقيل المراد بهما الجبلان روي عن ابن
عباس رضه انه قال جبلان في الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا و
طور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون قوله او مسجد دمشق وبيت المقدس قال
ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون قوله او البلدان روي عن كعب ان التين
دمشق والزيتون بيت المقدس وقيل التين الكوفة والزيتون الشام وسينين
وسيناء اسمان للبقعة التي حصل فيها الجبل المسمى بالطور وهو الجبل الذي كلم الله
موسى عليه السلام فيه فذلك الجبل في البقعة التي حصل هو فيها ومعنى وجبل الموضع المسمى
سينين وعن ابن عباس رضه قال الطور الجبل وسينين الحسن بلغة الحبشة وعن مجاهد
رضه عنه سينين المبارك وقال الكلبي هو الجبل ذو الشجر وقال مقاتل كل
جبل ذي شجر مثمر سينين وسينا بلغة النبط قوله من امن يامن بضم العين
فيها فهو امين اي امن بمعنى ذو امن وهو امانة يقال امنت فانا آمن فالامين
فعيل بمعنى فاعل واما انه آمن يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه
او المأمون فيه عطف على قوله اي الآمن فالامين حينئذ بمعنى المفعول فيه
كالمشترك بمعنى المشترك فيه اقسم الله تعالى بهذه الاشياء لانه تشرفها وبركتها ولانها
من كل الانبياء والصالحين ومهاجر ابراهيم عم ومولد عيسى عم ومنشأه ومكة
موضع البيت العتيق ومولد خير الانبياء ومبعثه وجواب القسم قوله تعالى لقد خلقنا

الانسان في احسن تقويم اي تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه فان التقويم
تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون عليه في تاليف الاجزاء وتعديل الاعضاء والاشكال
والهيئات وتكميله بالقوى الباطنة التي يتوسل بها الى الفضائل العلمية
والاداب والاخلاق المرضية يقال قومه تقويما فاستقام وتقوم روي
ان ملكا من الملوك خلى بزوجته ليلة قمراء فقال لها ان لم تكوني احسن من القمر
فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن اكثم قال لا يحنث فقال الملك خا
خالفت شيوخك فقال المفتي بالعلم لا يكثر بالسن ولقد افتى وهو اعلم منا
وهو الله فقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض الصالحين
اللهم اعطيتنا في الاولى احسن الاشكال فاعطنا في الاخرة احسن الفعال وهو
العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب وقيل عيسى بن موسى الهاشمي يحب
زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر
فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني فبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا
الى دار المنصور فاخبره الخبر واظهر له جزعا عظيما فاحضر المنصور الفقهاء
واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابي حنيفة فانه
ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين
والزيتون الى قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم قال يا امير المؤمنين
فالانسان احسن الاشياء ولا شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما
قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل الى زوجته ان اطيعي زوجك ولا تعصيه
فما طلقك كذا في تفسير القرطبي وفيه تورسا تر الممكنات اي وبان حصن كالنجاعه
مثال كل ممكن لان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد ولذلك
قالت الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات حاصل فيه قوله بان جعلناه

ﻣﻤﺎ

في اهل النار يعني ان قوله ثم رددناه اه كناية عن جعلهم اهل النار لان اقبح الصور
صورة اهل النار وقوله اسفل حال من الضمير المنصوب في رددناه والمعنى ثم كان عاقبة
امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة ان رددناه اي صيرناه عن طريقه في حسن
صورته حال كونه اسفل من سفل خلقا وتركيبا واقبح من قبح صورة وخلقة وهم اصحاب
النار قوله او الى اسفل سافلين وعن مجاهد ثم رددناه الى النار اسفل
سافلين فعلى الوجهين الاستثناء في قوله الا الذين آمنوا متصل والمستثنى منه الضمير
المنصوب في قوله ثم رددناه لانه في معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد به الجنس وقيل
هو اي اسفل سافلين ارذل العمر على معنى ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين
اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فتقوس ظهره وضعف
بصره وسمعه فالآية على هذا نظير قوله ثم يرد الى ارذل العمر وحاصل المعنى على الاول
ان الكفار تتغير صورهم في النار وعلى الثاني تتغير صورهم بالشيخوخة والهرم و
يكون الاستثناء على الثاني منقطعا لانه لم يخرج بالا احد من المذكورين قبله في الحكم
الذي اثبت لهم بل ما اثبت للواقع بعد الا حكم لم يثبت للواقع قبله فيكون الا بمعنى
لكن والذين آمنوا وعملوا الصالحات اسمه وقوله فلهم اجر غير ممنون خبره ودخول
الفاء لتضمن اسمه معنى الشرط والفاء على الوجه الاول للتعليل اي لا يغير
صورهم في النار لانهم مثابون في الجنة قوله فأي شيء يكذبك بعد ما ظهرت به من
البعث والجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الدالة على كمال القدرة فان من خلق الانسان
من الماء المهين وحسن ظاهره وباطنه باحسن تقويم ودرجه في مراتب الزيادة
الى ان استكمل واستوى ثم نكسه الى ان يبلغ الى ارذل العمر لا شك انه قادر على
البعث والحساب والجزاء بل كونه احكم الحاكمين يقتضي ذلك فانه ان كان خلقها
لا لحكمة كان عبثا ولا يجوز من الحكيم وان خلقها لحكمة عائدة الى الله يلزم كونه

مستحملا بنبوتك تعلوا كبيرا فتعين انه تعالى خلق الانسان لحكمة عائدة اليهم وهي
اثابة المطيع وعقاب العاصي وقد مر هذا التقرير في سورة الانفطار وتلك
الحكمة لا تظهر في الدنيا لانها دار بلاء وامتحان لا دار الجزاء والجزاء فثبت
انه لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى وبعد موت الحيوة من اخرى وقد اوتي تنبيه
الانسان فيها باحسن ما كانوا يعملون فالقول بوجود الاله الكريم القادر يوجب
على العاقل ان يقطع بالبعث والجزاء كما مر غير مرة قوله فالمعنى فما الذي
يحملك على هذا التكذيب ايها الانسان المصر على انكار الحشر فان من اخبر عن الواقع
بانه لا يقع فهو كاذب في انكاره واخباره والاستفهام للتوبيخ الانسان الكاذب
بسبب تكذيبه بالبعث والجزاء قوله تحقيق لما سبق من انه خلق الانسان
ثم رددناه الى ارذل العمر يقول اليس الله الذي فعل ذلك باحكم
الحاكمين صنعا وتدبيرا اي اليس ذلك بابلغ اتقانا للامور من كل
متقن لها على ان الحكيم هو المتقن للامور ويلزم كونه تام القدرة كامل
العلم ومن هذا شانه كيف يستبعد منه البعث والجزاء والمعنى اليس
الله باقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل يقال حكم بينهم اي
قضى في الاية وعيد للمكذبين سورة العلق مكية وآيها تسع عشر
سورة العلق زعم اكثر المفسرين ان هذه السورة اول ما نزل من القرآن
واول ما نزل منها خمس آيات من اولها الى قوله ما لم يعلم وقال اخرون الفاتحة
اول ما نزل ثم سورة القلم وقيل اول ما نزل يا ايها المدثر قوله اي اقرأ
القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به ان رده الى ان مفعول اقرأ محذوف وهو
القرآن عرف المعهود به لا القراءة عرف الشرع لا يستعمل الا فيه فان محل قوله باسم
ربك النصب على الحال والتقدير اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك او مبتدا به

اي

اى قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقراء فالاية على هذا التوجيه تدل على انه يجب قراءة
التسمية فى ابتداء كل سورة كما انزل الله له وامر به وفى هذا حجة للامام ان فى رحه
فى جهره بالتسمية فى اول كل سورة مع ما جاء فى الاحاديث المروية فى هذا الباب
وان قدر ان المعنى اقراء القرآن مستعينا باسم ربك فكانه تعالى امران يجعل الاسم
الالهة فيما يحاوله من امر الدين والدنيا كما فى قولك كتبت بالقلم وتحقيقه انه
لما قال له اقراء فقال له لست بقارئ فقال اقراء باسم ربك واتخذه آلة
فى تحصيل هذا الذى عسر عليك **قوله** الذى له الخلق وجه عدم ذكر المفعول
خلق اولا بوجوه ثلثة الاول ان ينزل خلق منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول
بناء على ان المقصود بيان انفراده بالخلق وانه لا خالق سواه فاقتصر
على المقصود ولم يتعرض لبيان متعلق الخلق فالمعنى الذى خلق منه الخلق
وتفرد به لا خالق سواه والثانى ان يقدر له مفعول ويكون بيان تعلقه
بمفعول مقصود الا انه حذف قصدا للتعميم

نقصان دار
معلوم دكار

الى وقت البعثة والبينة الحجة الظاهرة التي يتميز الحق من الباطل وذكر في تعيين
المراد بالبينة في هذه الآية احتمالات الاول انها هي الرسول فانه عم كان بادعائه
الرسالة وتبليغه عن الله عز وجل بينة واضحة على نبوته باعتبار كمال تحليه بمكارم
الاخلاق الحميدة المرضية وبلوغه في ذلك الى حد الاعجاز واقصى درجات الكمال
بحيث الجم الحكماء المهذبين وعجزهم عن ان يتشبهوا به في شيء من مكارم اخلاقه
والثاني انها هي القرآن والثالث ان المراد بها مطلق معجزاته عم وكون
كل واحد منها حجة واضحة على نبوته ظاهر من حيث ان كل واحد منها الجم من
هو بصدد المعارضة وعجزه عن ان يأتي بما يدانيه قوله بافحامه من يدعي بالكلية
طلب منه ان يأتي بمثل ما اتى به من شواهد نبوته يقال فحم الصبي يفحم بفتح الحاء
فيهما فحوما وفحاما اذا بكى حتى ينقطع صوته وكلمته حتى افحمته اي اسكته
في خصومة او غيرها ويقال لحديث فلان اذا باريته وعارضته في فعل وما
نادعيه الغلبة قوله بدل من البينة بنفسه اي من غير تقدير مضاف فيكون
بدل الشيء وهذا على تقدير ان يراد المراد بالبينة القرآن او معجزة رسول
من الله على تقدير ان يكون المراد بها المعجزة وعلى التقديرين يكون قوله من الله
في موضع النصب على الحال اما من صحفا او من المنوي في مطهرة ويكون خبر
المبتدا محذوفا والتقدير رسول يتلو صحفا مطهرة كائنة من الله تعالى كفى
بينة او اعظم او اجل واوضح بينة وقوله فيها كتب قيمة مبتدا وخبر والجملة
في محل النصب على انها صفة لقوله صحفا قوله والرسول وان كان اميا جواب
لما يقال كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة الى الرسول مع انه كان اميا لا
يكتب ولا يقرأ في كتاب وانما يقرأ ما اوحي اليه عن ظهر القلب وتوضيح
الجواب انه عم وان كان اميا يتلو ما اوحي اليه عن ظهر القلب الا انه متلوه

الذي

الذي هو القران المكان مصدقا للصحف الاولين مطابقا لها في اصول الشرايع
والاحكام صار متلوه كانه هو صحف الاولين وكتبهم فعبر عنه باسم الصحف مجازا
والصحف جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله فلذلك فسره الزمخشري بقوله
قراطيس ونقل عن الراغب ان الصحيفة اسم للمبسوط من الشيء كصحيفة الوجه
والصحيفة التي يكتب وجمعها صحائف وصحف وقيل المراد بالرسول هو
جبرائيل فلا اشكال في نسبة تلاوة الصحف اليه لانه ليس اميا قوله وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه وهو كونهم غير منفكين عن كفرهم بل ثابتين
مستقرين متفقين على ما كانوا عليه في دينهم الى وقت مجيء الرسول وما
فارقوا عما كانوا عليه من الاتفاق على الكفر بان تفرقوا فرقا بان صار البعض منهم
مؤمنا وبقي الباقون على الضلال القديم او بان يرددوا وتشككوا وتحيروا في دينه
ومعتقده الاول وذهب اثر الادبار بعدما كان كل فريق جازما بدينه معتقدا
في حقيقته فالرهو دينه يهودية وكذا النصرانية وعبدة الاصنام وبقي الباقون
على كونه جازما بكفره القديم فاشار المص بتفسير هذه الاية على هذا الوجه
الى دفع ما يتوهم من التناقض بينها وبين الاية الاولى كما ذكرناه في اثناء
بيان ما يتعلق بها الصعيد اليه ما ذهب اليه صاحب الكشاف وتوجيه حمل الاية الاولى
على كونها حكاية عن الله تعالى لما كانوا يقولون من قبل بعثه وم بناء على انه خلاف
الظاهر اذ الظاهر انها اخبار من الله تعالى عن حالهم ووجه الدفع ان مقتضى كلمة حتى ان يكون
الحال بعد تحقق مضمون مدخولها خلاف ما كان قبل ذلك وهذه المخالفة حاصلة على
هذا التفسير من غير احتياج حمل الاية الاولى على الحكاية فان حكم العناية بالبعثة
هو بقاء الجميع على الكفر الذي كانوا عليه وعدم انفكاكهم عنه فاذا تفرقوا بعد
البعثة بان امن بعضهم او تردد في دينه فقد تحقق مقتضى كلمة حتى من غير لزوم التناقض

بين الآيتين للتردد ده ما وجزه كلامه وخفي رموزه واشاراته او عني
وعدهم اي وما تفرقوا في وعدهم بان الرسول الموعود اذا بعث يجتمع على تصديقه
واتباع دينه بسبب ان اتفقوا اتفقوا مع ما على الكفر القديم قوله فيكون كقوله الوعد صح
وكانوا من قبل الآية تفريع على الوجه الثاني ودونه ما لمث به بين الآيتين الا كما
في كونهما سوقتين للتوبيخ في كونهم مصدقه ونظم قدره قبل فانه في يستفتح به دم
اي طلب الفتح والظفر على اعدائه بحرمته ومكانته عند ربه بان يقول اللهم
انصرنا عليهم بحرمة نبيك الذي وعدتنا ببعثته ثم انهم لما بعث كفروا به ولا
شك انه كونهم مصدقه قبل فكذا كونهم وعدوا بانه دم انما بعث نتفق على
تصديقه ثم كونهم بعثه دم قوله للدلالة على شناعة حالهم فانهم لما تفرقوا
مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى يعني ان الملق في قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
توبيخهم على التفرق وتقييدهم بذلك وانكار لفعلهم فاهل الكتاب فلذلك
خصهم بالذكر فان جحود العالم اقبح بالذكر فان جحود العالم اقبح واشنع في انكار الجاهل
مع ان تفرق المشركين يفهم من التنصيص على تفرق اهل الكتاب بطريق الاولى
لانهم اذا تفرقوا مع علمهم كان غير العالم بامره اولى بالتفرق قوله اي في كتبهم بما
فيها كل واحد في حرف الجر متعلق بامروا والتوجيه تقدير كل واحد في الطرفين لا يظهر
الا بنقل كلام الامام بعبارته وهو قوله في قوله وما امروا وجهان احدهما ان يكون
المراد وما امروا في التورية والانجيل الا بالدين الحنيف فيكون المراد انهم كانوا
مأمورين بذلك الا انه تعالى لما اتبعه بقوله وذلك دين القيمة علمنا ان ذلك
الحكم كما انه كان مشروعا في حقهم فهو مشروع في حقنا وثانيهما ان يكون المراد وما
امروا اهل الكتاب على لسان محمد دم الا بهذه الاشياء وهذا اولى لثلثة اوجه
احدها ان الآية على هذا التقدير يفيد شرعا جديدا وحمل كلام الله على ما يكون اكثر

فائدة اولى وثانيهما وهو ان ذكر محمد صلعم قد تقدم ههنا وهو قوله حتى تاتيهم البينة
وذكر سائر الانبياء عليهم لم يتقدم وثالثها انه ختم الاية بقوله وذلك دين القيمة
فحكم بان ما هو متعلق بهذه الاية دين قيم فوجب ان يكون شرعا ثابتا حقا سواء قلنا
بانه شرع من قبلنا او شرع جديد اختص به نبينا صلعم انتهى كلامه المتعلق بان
المراد بالامر هل هو الامر الوارد عليهم بالسنة انبيائهم او الامر الوارد بلسان
نبينا محمد صلعم وعليهم الان للمصنف اختار خلاف ما اختاره الامام في الوجهين كما لا يخفى
من منصف كل واحد من الوجوه الثلثة التي ذكرها البيان اولوية ما اختاره وتبك
في قوله الا ليعبدوا الله ان هذه اللام لام الغرض والمعتزلة لما كانوا يوجبون تعليل
افعال العباد واحكامه بالاغراض لاجرم اجروا الاية على ظاهرها فقالوا معنى
الاية وما امروا بشيء الا ليعبدوا الله على هذه الصفة واهل السنة لما اما لوا
ان يكون فعل افعال الله تعالى لغرض بناء على ان من فعل فعلا لغرض فهو ناقص في ذاته
مستكمل بذلك الغرض تعالى عن ذلك لم يمكن لهم حمل هذه الاية على ظاهرها فاضطروا
الى تاويلها بان جعلوا اللام صلة واضمروا بعدها ان الناصبة والتقدير وما
امروا الا ليعبدوا ومعنى بان يعبدوا وعن ابن مسعود انه قرأ كذلك قال الفراء
العرب يجعل اللام في موضع ان في الامر والارادة كثيرة قال تعالى في الارادة يريد
الله ليبين اي ان يبين ويريدون ليطفئوا نور الله وقال في الامر وامرنا لنسلم
اي ان نسلم والمصنف خالفه ايضا في الالتجاء الى التاويل المذكور وحمل الاية على ظاهرها
حيث قدر قوله بما فيها لبيان المعنى وما امروا بما في كتبهم لشيء من الامور الا لان يعبدوا
الله بالاخلاص على ان يكون الكلام في الاستشهاد في عموم العام ولم يحملها على معنى وما امروا بشيء الا بان يعبدوا
الله بالاخلاص حتى يكون المأمور به مذكورا صريحا لكونه خلاف الظاهر حيث استلزم لان يجعل
اللام صلة واضمار ان الناصبة والباء الجارة قبلها وكل ذلك خلاف الظاهر ليبل الكلام

على انهم انما امروا في كتبهم بما امروا لاجل عبادة الله تعالى بالاخلاص لا لغيره ليحوزوا ثمرة الى ان
الحكمة الاصلية في جميع ما يؤمرون به هو العبادة بالاخلاص فيكون تحريضا لهم على
تحصيل هذه الحكمة وتوبيخا لهم على تعكيس امرهم فان اتفاق ما معهم من الكتاب
وهذا القرآن المجيد على دين التوحيد واخلاص العبادة لله تعالى يوجب الاجتماع على
قبوله والتدين بدينه والتجنب عن مخالفته والتفرق عنه وهم قد عكسوا الامر و
تركوا طاعته وامتثال حكمه وامره على دين ان من اليهود من قال عزير ابن الله ومن
النصارى من قال عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه ومنهم من قال ثالث ثلثة
وعامة اليهود مشبهة والكل شرك مخالف للتوحيد ومناف لاخلاص العبادة
له تعالى فعلى هذا احتمل ان يكون الشرك من اوصاف اهل الكتاب وعطف قوله والمشركين
في اول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات فان قيل كيف يكون
للمص حمل اللام على ظاهرها وجعل فعل الله تعالى معللا بالغرض وهو لا يقول به
قلنا فعله تعالى وان لم يكن معللا بالغرض الا انه مغيا بالحكم والمصالح وكثيرا يستعمل
لام الغرض في الحكم المترتبة على الفعل تشبيها لها بالغاية في ترتيبها على الفعل بحسب الوجود
قوله تعالى مخلصين حال من الفاعل في ليعبدوا وكذا حنفاء حال اخرى على قول من جوز
حالين من ذي حال واحد ومن المنوي في مخلصين على قول من لم يجوز ذلك فحصر علة
كونهم مأمورين بما في كتبهم في عبادة الله بالاخلاص حيث قيل وما امروا الا لاجل
ان يعبدوا الله اي ليتذللوه ويعظموه غاية التذلل والتعظيم فلا يطلبوا
في امتثال ما كلفوا به شيئا آخر سوى التذلل لربهم ومالكهم كثواب الجنة والخلاص
من النار دليل على ما ذهب اليه السنة من ان العبادة ما وجبت لكونها مقتضية
الى ثواب الجنة او الى البعد والنجاة عن عذاب النار بل لاجل انك عبد وهو رب فلو لم
يحصل فيها للدين ثواب ولا عقاب البتة ثم امرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية

ومقتضى

ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه ايضا اشارة الى انه من عبد الله للثواب
والعقاب فمعبوده في الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق وسيلته ونعم ما قيل
من اثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني ومن اثر العرفان لا للعرفان بل
للموصوف فقد خاض في لجة الوصول والعبادة هي التذلل ومنه طريق معبد
اي ذليل ومن زعم انها للطاعة فقد زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان جماعة عبدوا
الملئكة والمسيح والاصنام وما اطاعوهم ولكن في الشرع صارت اسما
لكل طاعة لله اديت على وجه التذلل والنهاية في التعظيم والعبادة بهذا المعنى
لا يستحقها الا من يكون واحدا في صفاته الذاتية والفعلية فان كان له مثل لم يمكن
ان يصرف اليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا انه لا بد في كون الفعل عبادة من
شيئين احدهما غاية التعظيم ولذلك قيل ان صلوة الصبي ليست بعبادة
لانه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم وثانيهما ان يكون مامورا به
ففعل اليهود ليست بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لانه غير مامور به
فاذا لم يكن فعل الصبي عبادة لفقد التعظيم ولا فعل اليهود لفقد الامر فكيف
يكون ركوعك الناقص عبادة والحال انه لا امر به ولا تعظيم فيه وهذه نكتة تتعلق
بالموعظة والاخلاص ان ياتي بالفعل خالصا لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من
الدواعي تاثير في الدعاء الى ذلك الفعل فكانه تعالى يقول عبدي كل ما في الكتاب والطاعة
بل في اخلاصها لانها ما نزلت كلها معذورين لك حتى اطلب منك كل معذورك بل
نزلت في البعض فاطلب البعض اطلب نصف مثقال من عشرين مثقالا من
الذهب وشارة من الاربعين لكن العذر الذي جعلته لم اد فيفعله سواك هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا فلا ترد بطاعتك سواي واجعل جميع ما تفعله لاجلي وهو
قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وجعل جميع ما ياتيه من الطاعات خالصا

لم ينبغ ان يبتغي شيئا من النفع كان يطلب به الجنة او النجاة من النار وان
كان لا بد فيه من ذلك وكالمباح الذي يوجد منه في الصلوة كالحكمة والتنحنح فان ذلك
محض لاستشفاء لنفسه فانتفى به الاخلاص فكيف اذا ابتغى شيئا منها الغير مثل
ان يريد به الرياء والسمعة حتى قالوا لو اراد في العبادة عبادة اخرى لاجل الغير
مثل ان يزيد في الخشوع في الصلوة لان الناس يرونه لم يجز لانه ينافي الاخلاص وكذا
لا يجوز دفع الزكوة الى الوالدين والمولودين ولا العبيد ولا الاماء لانتفاء
الاخلاص اذا انضم اليها طلب حظ نفسك وقضاء مهم نوبتك قوله مايليق
في العقايد الزايغة اشارة الى ان اصل الحنف الميل عن الانقلاب وقال الحنف
الذي اقبلت احدى ابهامي رجليه على الاخرى وعن ابي زيد الحنف انقلاب
ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذي يمشي على ظهر قدميه من شقها الذي
يلي الخنصر وقال الامام وقيل المراد من قوله حنفا اي مستقيمين فالحنف هو
الاستقامة وانما سمي مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للاعمى بصير
وللمهلكة مفازة انتهى والمعنى جمع في تفسير مفهوم الحنف معنى الميل والاستقامة
لان الميل في العقايد الزايغة انما يكون بالاستقامة فيها قوله دين الملة القيمة
قيل لا بد في هذا التقدير لانه اذا لم يحمل على هذا كان من قبيل اضافة الموصوف الى صفته
بمنزلة اضافة الشيء الى نفسه كان صلوة الاولى ومسجد الجامع فان تقديرها صلوة
الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع فحذف المضاف اليه واقيمت الصفة مقامه
والملة والدين متحدان بالذات متغايران بالاعتبار وان الشريعة المبلغة الى الامة
بتبليغ الرسول اياها من قبل الله تعالى تسمى ملة باعتبار انها تكتب وتسمى دينا
انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اي اطاعه والدين ايضا العادة
والشأن وايضا الجزاء والمكافاة يقال دانه دينا اي جازاه وهذه المغايرة الاعتبارية

بينها

بينهما جاز أحدهما في الآخر وعن الراغب أن الدين أعم من الإسلام لأنه يستعمل في
الحق والباطل والإسلام لا يستعمل إلا في الحق قال تعالى إن الدين عند الله الإسلام
ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه انتهى وهو لا ينافي اتحاد الدين و
الملة بالذات غاية أن يكون الملة أيضا أعم من الإسلام والمراد من القيمة إما المستقيمة
أو القائمة قال الزجاج القيمة المستقيمة التي لا عوج فيها بين الحق والباطل
من قام يقوم أصله قيوم فأدغم كما في سيد وهو كقولهم قام الدليل على كذا إذا
ظهر واستقام وعن الخليل أن القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد ومجاز الآية
وذلك دين القائمين لله وعن الراغب أن القيمة ههنا اسم للأمة القائمة
بالقسط المشار إليه بقوله تعالى كنتم خير أمة وقوله كونوا قوامين بالقسط
شهداء لله من قولهم قام فلان بالأمر يقوم به إذا أجراه على وجهه ومنه يقال
للقائم بأمر القوم القيم وبعض أهل الأديان لما بالغوا في باب الأعمال
من غير إحكام الأصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فإنهم ربما أتعبوا
أنفسهم في الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد المطابق
وبعضهم حصلوا الأصول وأهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون لا يضر
المعصية مع الإيمان فالله تعالى خطأ الفريقين في هذه الآية وبين أنه لا بد من
العلم والإخلاص في قوله مخلصين ومن العمل في قوله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة
ثم قال وذلك المجموع كله هو دين القيمة أي الملة المستقيمة المعتدلة فكما أن
مجموع الأعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد ثم القيم من يقوم بمصالح من
يعجز عن إقامة مصالح نفسه فكأنه سبحانه يقول القائم بتحصيل مصالحكم عاجلا
وآجلا هو هذا المجموع قوله يوم القيمة أدنى الحال بريد أن المراد بنار جهنم إما حقيقة
النار وأما ما يؤدي إليها من العقائد الزائغة والأعمال الباطلة بطريق المجاز المرسل

لاشتراكهم فيها على الاول يكون يوم القيمة وعلى الثاني يكون في الدنيا وذكر كفروا
بلفظ الفعل والمشركين باسم الفاعل تنبيها على ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين
في ابتداء الامر لانهم كانوا مصدقين بالتورية والانجيل ومقرين بمبعث محمد عليه السلام
ثم انهم كفروا بذلك بعد مبعثه عليه السلام بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان
وانكار الحشر والقيمة واشتراك الفريقين في جنس العذاب جواب عما يقال ان
المشركين كانوا ينكرون الصانع وينكرون النبوة وينكرون القيمة واما اهل
الكتاب فانهم كانوا مقرين بمثل هذه الاشياء الا انهم كانوا منكرين لنبوة
محمد عليه السلام فكان كفر اهل الكتاب اخف من كفر المشركين واذا كان كذلك فكيف يجوز التسوية
بين الفريقين في العذاب وجوابه ان الفريقين لما اشتركا في اعظم الجنايات وهو الكفر
استحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود في نار جهنم فان نار جهنم دركات موضع عميق مظلم
هائل لا معرفة عمقه الا الله تعالى بتدحرج عام اذا كان العمق ولما كفروا طلبا للرفعة
صاروا الى اسفل السافلين ولا اشتراكهما في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه
قوله وقرأ نافع البرئة بالهمزة على الاصل لانه من برأ الله الخلق بيده فهو
البارئ اي الموجود والمخترع من العدم الى الوجود وقرأ الباقون بغير الهمزة
على التخفيف كالنبي وهي فعيلة بمعنى مفعول والقراءة بالهمزة وان كان ~~بالتاكيد~~
هو القياس والاصل الا ان ترك الهمزة اجود من حيث ان جمهور العرب قد استمروا
على تخفيف الهمزة فيه وفي النبي فكانت القراءة بالهمزة كالشيء الموضوع المتروك
المخالف للاستعمال وقيل هي من البرى وهو التراب لانها خلقت منه ورد بان قراءة
من قرأها بالهمزة يدل على خلاف قول من قال انها من البرى الذي هو التراب الا يرى
انه لو كان كذلك لما جاز قراءتها بالهمزة البتة وتوسيط ضمير الفصل في قوله اولئك
هم شر البرية لافادة الحصر اي شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر من السرق

لانهم

لانهم سرقوا من كتاب الله تعالى نعوت محمد صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا
طريق الدين الحق على الخلق وشر من جهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر
عناد فيكون اقبح من كفر الجهال وظهر منه ان وعيد العلماء في الكفر اعظم من وعيد كل احد
ومن تاب منهم واسلم خرج من الوعيد وقيل لا يجوز ان يكون في الاية حصر من الكفار لان
فرعون كان شرا منهم واما الاية الثانية الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن
تقدم وتاخر لانهم افضل الامم **قوله** وعملوا الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فيعمهم
منها اذ لا يكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ فحظ الغني الاعطاء وحظ
الفقير الاخذ والصبر والقناعة **قوله** جزاؤهم مبتدا وجنات عدن خبره وفي الكلام
حذف مضاف اي خلود جنات وعند ظرف للجزاء وخالدين حال وذو الحال عامله كلاهما
مضمران يدل عليه جزاؤهم كما زعم مكي محتجا زعمه بان المصدر ههنا ليس في تقدير ان
والفعل حتى يلزم ان لا يفرق بينه وبين ما يتعلق به فانه اذا يمتنع ان يفصل بينه
وبين ما يتعلق به اذا كان بمعنى ان فعل وان يفعل وليس الامر كذلك كما ذكره لان
الاصوات ما جعلت عاملة فلا بد من ان يكون في تقديرها ان والفعل واذا كان كذلك
يقع الفصل بين المصدر الذي هو جزاؤهم ومعموله الذي هو الحال الذي بالخبر الذي
هو جنات وذلك لا يجوز عند جميع النحاة وابدا ظرف زمان وهو تاكيد للخلود اي
لا يموتون فيها ابدا ولا يخرجون منها **قوله** فيه مبالغات في اعلاء قدرهم واجلال شانهم
وتقديم موجبهم على بيان مصيرهم ومالهم مع ان الكلام مسوق لبيان عاقبة الفريقين
لانه لما ذكر حال الكفار بقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين اولا
ثم ذكر ثانيا حال المؤمنين في قوله وما امروا الا ليعبدوا الله ثم اعاد في اخر السورة
ذكر الفريقين فبدا بذكر الكفار واقرانهم في نار جهنم واتبع هذا الاخبار وصفهم بانهم شر البرية
علم من ذلك ان الكلام مسوق لبيان عاقبة الفريقين فكان المناسب لذلك ان تقدم بيان عاقبة

المؤمنين على مدحهم بانهم خير البرية فلما عكس هذا الترتيب احتجنا الى طلب النكتة في
ذلك وكانت المبالغة المذكورة صالحة لان تكون نكتة فحكمنا بانها هي النكتة فيه ودلالة
جعل الجنات الموصوفة جزاء لهم على تلك المبالغة ظاهر لان جلالة الجزاء تدل على جلالة
شأنهم من حيث اتصافهم بما وصفوا به من الايمان والعمل الصالح والحكم على ذلك الجزاء
من عند ربهم يدل على علو قدره وعلو قدره يدل على علو قدر صاحبه قوله وجمع جنات
فانه يدل على ان لكل مكلف جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال
ومن دونهما جنتان فيكون للواحد اربع جنات والسبب فيه انه بكى من خوف الله تعالى وذلك البكاء
انما نزل من اربعة اجفان اثنان دون اثنين فيستحق به جنتين دون الجنتين فحصل له
اربع جنات بسبعة بالبكاء باربعة اجفان وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع في قوله
جزاؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضي مقابلة الفرد بالفرد فيكون لكل مكلف جنة
واحدة لكن ادنى تلك الجنة مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روي مرفوعا ويدل
عليه قوله تعالى وملكا كبيرا قوله وتقييدها باضافة فانه يفيد ان يكون المعنى جزاؤهم
بساتين اقامة لا يخرجون منها ولا يبغون عنها حولا فان العدن بمعنى الاقامة يقال
عدن بالمكان اذا اقام قوله ووصفها بما يزداد لها نعيما فان نقصان البستان
وعيبه قد يكون بانعدام الماء فيه وقد يكون بكثرة الماء فيه بحيث يغرق البستان فيه ثم
ان الماء الجاري اريد لطفا وشرفا من الراكد فانه تعالى نفى النقصان بانعدام الماء فيها بان
وصفها بانها ذوات الماء ثم وصفها بما يزداد لها نعيما بان جعل ماءها جاريا ونفى نقصانها كما
بكثرة في لجتها والالف واللام في الانهار للتعريف فيكون منصرفة الى الانهار المذكورة في
القرآن نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر وفي توصيفها بالجري بعد ما جعل الجنات
الموصوفة جزاء اشارة الى مدحهم بالمواظبة على الطاعات كانه تعالى يقول طاعتك كانت جارية
ما دامت حيا على ما قال واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فلذلك كانت انهارا كرمي

جارية الى الابد ولعل المصنف اراد بالوصف في قوله وصفا بما يزداد بها نعيما الوصف
المعنوي الذي اعم من الوصف النحوي ليشمل الخروج كون تلك الجنات بالنسبة اليهم دار الخلود
عن الوجود الدالة على المبالغة معان الخلود في الجنة كما ان رضا الله في الجنة خير من الخلود
في الجنة ولما كان المكلف مخلوقا من جسد وروح وانه دار اجتهد فيها من طاعة ربه اقتضت
الحكمة ان يجزيه بما يتنعم ويستريح كل واحد منهما وجنة الجسد هي الجنة الموصوفة وجنة
الروح هو رضا الرب فلا ذكر الجنات في بيان حصوله للمكلف في دار الكرامة بقوله رضي
الله عنهم

سورة الزلزلة

اضافة الزلزال الى الارض لما دلت على اختصاصه
بها وعرفه بسبب ما دلهم بتبيين ان ذلك المعين المخصوص بها اي اضطراب هو بنية المص
اولا بانه الاضطراب الذي قدره الله تعالى للارض عند احدى النفختين فانه قد سبق
في علم الله تعالى وقضائه ان تحرك الارض تحريكا شديدا عند النفخة الثانية ليبعث
الموتى احياء في بطن الارض كما يخرج الولد من بطن امه فقوله مثل قولك لاعطينك
اعطاءك اي ما قدرت من نفع ان اعطيك اياه وبينه ثانيا بان تنوين الاضافة
في زلزالها لافادة العموم والاستغراق كتعريف اللام في قوله ان الانسان لفي خسر
فان المصدر المضاف اذا لم يقصد به العهد يفيد العموم فمعنى زلزالها جميع ما يمكن
في حقها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات الاضطراب وبينه ثالثا بان
تنوين الاضافة فيه للاشارة الى المعهود وهو القدر اللائق بها الحكمة وهو الزلزال
الشديد الذي تستحقه وتقتضيه كونها قاعا صفصفا بنقلها جبالها وتلالها
وتطيرها ما عليها كالهباء المنبث حتى تمتد وتتسع لاهل الموقف من الجن والانس وصفوف
الملائكة مع عظم جرمها وصلابتها فانها لا تصل الى هذه الغاية الا بزلزال شديد وتغيرها
كذلك فكان معناه ليس زلزالا بالنسبة اليها ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن
الفاسق اهانته تريد ما يخصه ويليق به من الاكرام والاهانة والزلزال بالكسر

مصدر وبالفتح بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد الا في المضاعف كالصلصال
والقلقال وقد جاء ناقة خزعال اذا كان بها ظلع وقسطال وهو الغبار وليسا من
المضاعف واما القهقار فلغة ضعيفة واللغة الفصيحة فيه قهقر بتشديد الراء
وهو الحجر الصلب واما بهرام وشهرام فعجميان   الدفائن او الاموات فيمن
قال المراد بهذه الزلزلة الزلزلة الاولى كما يدل لا يقوله تعالى يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة فان المراد بالراجفة فيه ما يكون عند النفخة الاولى فهو محمل الاثقال
على الكنوز المدفونة في الارض ومن قال المراد منها الزلزلة الثانية يفسر الاثقال
بالاموات وعلى التقديرين شبه ما في جوف الارض من الدفائن بامتعة البيت و
اثقاله فعبر عنه بالاثقال مجازا وما روي عن عيينة والحسن انه اذا كان الميت
الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها اذا كانوا
فوقها وقيل اثقال الارض المراد بها فيومئذ يكشف الاكراد ولذلك قال يومئذ
تحدث اخبارها وهاختشهد بكل ما عمل عليك   لما يبهرهم من الامر الفظيع الهائل
اي تعليهم لاشارة الى ان الاستفهام في ما لها للتفظيع والتهويل فان كل من راى تلك
الزلزلة الهائلة سواء كان ممن امن بالبعث والقيمة او كفر وانكر به يجوز ان يقول
هذا القول لما يغلبهم من الهول وفرط التحير حين ما غشيتهم وافزعتهم زلزلتها مع
بغتة الا ان المؤمن يقول ما تدارك الامر ورجع اليه عقله وفكره هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون واما الكافر فامره ظاهر لانه عاش اعمى وحشر اعمى ولذلك قيل الكافر
احمق الحيوة واحمق الموت وبهذا ظهر ضعف الاستدلال من خص هذا القول بالكافر بان
المؤمن يعلم ما لها فلا يجزع ولا يضطرب بل يتيقن بانها مقدمة البعث الذي وعده
الرحمن لان هذا التيقن لا ينافي الدهشة في اول الوهلة وما لها مبتدا وخبر
وهي كلمة تعجب اي لاي شيء زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في جوفها من

الانتقال يقول متعجبا لما يراه من العجائب التي لم يسمع بها الاذان ولا ينطق بها اللسان، قوله قوله
تحدث الخلق اشارة الى ان المفعول الاول لتحدث محذوف وهو الخلق واخبارها مفعوله
الثاني الا ان المتوسل لما كان ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق اقتصر على مفعولها الثاني وانما
قلنا ان المتوسل ذلك لانه لم يسئل عما لاجله زلزالها واخراجها كان المقام مقام ان يبين جواب
الارض وتحديثها بان السبب الذي حملها على هذه الزلزلة والاخراج ما هو ويكفي في هذا
البيان ذكر الاخبار التي حدثت الارض بها ولا حاجة الى ذكر الخلق الا ان الارض لكونها جمادا
لا فهم لها ولا تمييز لا يمكن ان يكون تحديثها بلسان المقال لتوقفه على الحيوة والعقل بل ذلك
بلسان الحال فانها الارض لما بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع ما عليها بسبب
الزلزلة دل ذلك على ان الدنيا قد انقضت والاخرة قد اقبلت والمحاسبة والجزاء
قد ادركت وقتهما فلذلك وقعت هذه الزلزلة والاخراج وهذه الدلالة اقيمت
مقام التحديث فعبر عنها به وقال الجمهور ان الله تعالى يجعل الارض حيوانا عاقلا ناطقا
ويعرفها جميع ما عمل عليها فتشهد لمن اطاع وعلى من عصى روي عن ابي هريرة انه
قرا هذه الاية فقال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها
ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه
اخبارها وقال مقاتل تخبر بما عمل عليها تقول للمؤمن وحد الله علي وصلى وصام
وحج وزكى وتقول للكافر كفر علي واشرك وسرق وزنى حتى ود الكافر انه سيق
الى النار د   او اصل عطف على قوله بدل ذكر لانتصاب اذا وجهين الاول
انها منصوبة بجوابها وهو تحدث ويومئذ بدل منها فالعامل فيه هو العامل فيها والثاني
انها منصوبة بمضمر هو اذكر اذا زلزلت او اذا زلزلت يظهر جميع احوال الخلق فيجازي
كل احد بما يستحقه ويدل على هذا المحذوف ما بعد قوله يومئذ الى اخر السورة فيكون
انتصاب يومئذ بتحدث ويكون ظرفا له اصالة لا بدلا من ظرف اخر ولا يجوز ان يكون

العامل في اذا نفس زلزلت كما ذهب اليه مكي فيكون العامل فيه ما لجزم تقرب الضرب
وما تعمل الفعل فان ما بعدها يعمل فيما قبلها فكذا يعمل فيه اذا قلنا انه لا يجوز ان اذا لان اذا
مضاف الى الفعل الذي بعده والمضاف مع المضاف اليه كالشيء الواحد فكما لا يجوز ان يعمل
بعض الكلمة في بعض فكذلك لا يجوز ان يعمل المضاف اليه في المضاف وليس كذلك اداة الشرط
مع الفعل لانها ليست بمضافة الى الفعل فافترقا فالفرق بينهما **قوله** اي تحدث بسبب
ان ربك اوحى لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار واشارة الى ان الباء في بان ربك اوحى
لها سببية متعلقة بتحدث وان معنى ايحاء الله الارض تسخيرها وتذليلها بحملها على التحديث
طائعة او كارهة ثم ان كان تحديثها بلسان الحال فطريق تسخيرها على التحديث هو ان
احدث فيها احوال دالة على الاخبار ومعنى تحديثها الارض ح دلالة ما عليها من الاحوال المحدثة
ومعنى الايحاء احداث تلك الاحوال الدالة فيها وان كان تحديثها بلسان المقال فيكون طريق
الايحاء والتسخير اخبارها واعطاء قدرة بها وامرها بالتحديث اذ يقال حدثته كذا وكذا
جواب عما يقال كيف يكون بدلا من اخبارها وهو مفعول ثان لتحدث يتعدى اليه
الفعل بلا واسطة حرف فقوله بان ربك ان جعل بدلا منه كان هو حقيقا بالمفعولية وقد تعدى
الفعل بواسطة الباء فاجاب عنه بان كلا واحد من الاستعمالين فكانه قيل تحدث اخبارها
تحدث بان ربك اوحى لها او تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها وعلى الوجه الاول كان
الظاهر ان يقال يومئذ تحدث خبرها بالافراد لانه لما ابدل منه ما كان بدلا عنه لزم ان يكون
الخبر الذي حدثت الارض به ايحاء الرب تعالى لها وهو خبر واحد لا اخبار متكثرة الا ان ايحاء
الله تعالى اياها وان كان في نفسه خبرا واحدا لكنه يتضمن معاني كثيرة وفوائد كثيرة فنزل منزلة
اخبار كثيرة فعبر عنه بلفظ الجمع فلا يرد ان يقال ان فعل الايحاء يتعدى بالى كما في
قوله واوحى ربك الى النحل فلم عدي في الاية باللام ولم يقل اوحى اليها اجاب عنه اولا بان
معنى اوحى لها اوحى اليها كما في قوله وشدها بالراسيات الثبت اوحى لها القرار فاستقرت

وثانيا

وثانيهما بأن اللام على أصل معناها أي فعلت ذلك لأجلها حتى تتوسل الأرض بذلك
إلى التشفي في العصاة بقوله أو للتلذذ بالتشفي في العصاة بيان لوجه كون الإيحاد
لأجل الأرض في الوجهين متعلق بقوله يصدر بمعنى ينصرف ويرجع فإن الصدر
صدر الورود فالوارد الجائي والصادر المنصرف فالناس قد وردوا القبور ورودا فبقوا
فيها ثم صدروا عنها إلى الموقف الخ ليروا أعمالهم في كتبهم أو يروا جزاء أعمالهم قوله
متفرقين بحسب مراتبهم فإن بعضهم يذهب إلى الموقف راكبا مع الثياب الحسنة وبياض
الوجه والمنادي بين يديه هذا ولي الله وآخرون يذهب بهم بالذلة وسواد الوجه حفاة
مع السلاسل والأغلال والمنادي ينادي بين يديه هذا عدو الله وقيل معنى أشتاتا أن
كل فريق مع شكله اليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى قوله ولعل حسنة الكافر
وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب جواب عما يقال أن حسنات
الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن معفوة إما ابتداء وإما بسبب اجتناب الكبائر
فما معنى الجزاء بمثاقيل الذي هي الخير والشر وحاصل الجواب الأول أن حسنات الكافر وإن
كانت محبطة بمعنى أنه لا يستحق بها ثوابا إلا أن ذلك لا ينافي أن يرى جزاء تلك
الحسنات بأن ينقص في عقاب كفره مقدار تلك الحسنات وكذا سيئات المؤمن وإن كانت
معفوة من حيث أنه لا يعذب بها إلا أن ذلك لا ينافي أن يرى جزاءها بأن ينقص من
ثواب إيمانه وصالح أعماله بمقدار تلك السيئات فإحباط تلك الحسنات والسيئات لا يكون
قادحا في عموم هذه الآية وهذا الجواب يبني الأمر على ظاهره وأجيب عنه أيضا بأن معنى
الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا وهو كافر فإنه يرى ثواب ذلك في الدنيا حتى يلقى
الآخرة وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة وهو مؤمن فإنه يرى عقوبته ذلك
في الدنيا في نفسه وأهله وماله حتى يلقى الآخرة وليس له فيها شر وقال ليس مؤمن
ولا كافر عمل خيرا أو شرا إلا أراه الله إياه فالمؤمن يغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته

واما الكافر فيحبط حسناته ويعذب بسيئاته قوله والذرة النملة الصغيرة قال الخليل الذرة
اصغر النمل وقال ابن عباس وعلى الوجهين مثقال ذرة بمعنى زنة ذرة وقرا هشام
باسكان هاء ذره في الموضعين وصلا ووقفا وبلغ السبعة يقرؤنها باشباع ضم الهاء
اي موصولة بالواو وصلا ويسكنونها وقفا كسائر هاء الكناية وهذه الاية نزلت
ترغيبا في الخير ولو كان قليلا فانه ادنى شيء بان يكثر وتحذيرا من الشر والذنب وان كان قليلا
فانه ادنى شيء ان يلحق كثيرا ولهذا قال ع م اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة
طيبة **سورة والعاديات مختلف فيها وايها احدى عشر** وهي جمع عادية وهي
الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة والياء منقلبة عن الواو لكسرة ما قبلها
نحو الغازيات من الغزو والضبح صوت يسمع من افواه الخيل واجوافها اذا عدون
وهو صوت غير الصهيل والحمحمة وذكر لانتصاب ضبحا ثلثة اوجه الاول انه مصدر مؤكد
لفعله المحذوف اي تضبح ضبحا على تاويل العاديات بالجماعة او يضبحن ضبحا على لفظها و
هذا الفعل المقدر في موضع النصب على انه حال من العاديات والثاني انه مصدر مؤكد
للعاديات لان الشرط في نصب المفعول المطلق ان يتحد في المعنى لا في اللفظ والاتحاد
في المعنى حاصل هنا لان الضبح لكونه من لوازم العدو صار مدلولا التزاميا له فكان
قوله والعاديات في معنى والضابحات فصح انتصاب ضبحا به على انه مفعول مطلق له و
الثالث انه حال من المنوي والعاديات بقوله والعاديات ضبحا اي ضابحة في العدو وعلى
ارادة الجماعة او ضابحات على اللفظ فقوله ضبحا من باب رجل عدل وكذا الكلام في انتصاب
قدحا فانه يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا للفعل المحذوف اي يقدحن قدحا والقدح الصك
والضرب فان الخيل يضربن بحوافرهن وسنابكهن فتخرج منها نار ويجوز ان يكون
مصدرا للموريات لانها بمعنى القادحات اي يدل عليها التزاما ويجوز ان يكون حالا من المنوي
في الموريات بان يكون المصدر بمعنى الفاعل اي قادحة وانتصاب صبحا على الظرف وقوله ان د

اليم

اليه بقوله اي في وقته قوله لتغير اهلها على العدو اشارة الى ان اسناد الاغارة
الى الخيل مجاز والمراد اربابها لانهم هم المغيرون لا خيلهم ومعنى الاغارة في اللغة الاسراع
يقال اغار اذا اسرع وكانوا يغيرون على العدو صبحا لانهم في الليل يكونون في الظلمة
فلا يبصرون شيئا واما النهار فالناس يكونون كالمستعدين للمدافعة والمحاربة واما
هذا الوقت فالناس يكونون فيه في الغفلة وعدم الاستعداد قوله فاثرن معطوف على
ما قبله من لفظ اسم الفاعل حملا على معناه لا المعنى والخيل اللاتي عدون فاغرن فاثرن
فاثرن واصله اثورن نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو الفا فصار اثارن
فحذفت الالف لاجتماع الساكنين فبقي اثرن بوزن افلن يقال ثار التراب اذا
هاج واثرته انا هيجته قوله غبارا او صياحا قال الامام في النقع قولان احدهما
انه هو الغبار وقيل انه مأخوذ من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار يسمى نقعا
لارتفاعه وقيل هو من النقع في الماء فكان صاحب الغبار غاص فيه كما يغوص الرجل في الماء
والثاني ان النقع الصياح من قوله عم ما لم يكن نقع ولا لقلقة اي فهيجن في الاغارة
عليهم صياح النوائح وارتفاع الاصوات ويكون المعنى ان ضمير به يرجع الى الزمان
الذي وقعت الاغارة فيه وهو الصبح فيكون الباء بمعنى في وقيل انه يرجع الى المكان
الذي وقعت الاغارة فيه وذلك المكان وان لم يسبق ذكره صريحا الا ان قوله فالمغيرات
صبحا يدل عليه لان الاغارة لا بد لها من موضع فالباء ايضا للظرفية وقيل انه راجع
الى العدو المذكور بقوله والعاديات اي فاثرن بالعدو نقعا فالباء للسببية وفي ضمير
فوسطن به احتمال رجوعه الى النقع لقربه ذكرا على ان يكون الباء متعلقا بمحذوف منصوب
على الحالية من المنوي في قوله فوسطن روي عن مقاتل ان رسول الله صلعم بعث سرية
الى حي من كنانة وامر عليهم المنذر بن عمرو احد النقباء فمكث ما شاء الله ان يمكث
ولم يأته خبرها فقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات

صبحاً وبين بذلك سلامتهم وانهم توسطوا وقت الصبح جماعة الاعداء فأغاروا عليهم و
ظفروا عليهم غانمين سالمين وان المنافقين كاذبون في قولهم انهم قتلوا جميعاً فان جعلنا
الالف واللام في والعاديات للعهد كان المقسم به خيل تلك السرية وان جعلناهما للـ
جنس كان ذلك قسماً بكل خيل تعدو في سبيل الله وتتصف بالصفات المذكورة
وعلى التقديرين فهي مستحقة لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة قوله
اثر كمالهن اعتبره اظهار الشرف فهن اللاتي جعلهن مقسماً بها فان الاقسام انما يكون
بما فيه شرف وكمال وعدوهن في طلبهن في الارتقاء الى درجات الكمالات الروحانية
وضبحهن ما طرد عليهن في التعب بسبب اجتهادهن في مباشرة اسباب تلك الارتقاء و
قدحهن اذا اظهرن ظرف لعقود والمغيرات على الهوى اي والمحيات للرسوم البشرية و
العادات الطبيعية وقت ان طلع عليهن صبح العرفان وتجلى لهن انوار بهاء
صفات الجلال والجمال قوله لربه متعلق بكنود وقدم للفواصل اي انه لكنود
لنعمة ربه عن الواحدي ان اصل الكنود هي الارض التي لا تنبت شيئاً ثم للمفسرين عبارات
في تفسيره قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة الكنود هو الكفور
قالوا ومنه سمي الرجل المشهور بكندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي ان الكنود
بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور
وروى ابو امامة عن النبي عليه السلام ان الكنود اللغوي الذي يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب
عبده واعلم ان معنى الكنود لا يخرج عن ان يكون كفرا او فسقا وكيف ما كان فلا يمكن حمله
على كل انسان فلا بد من صرفه الى كافر معين على ما روي انها نزلت في قرط بن عبد الله
وقيل نزلت في الحباحب وكان رجلا بخيلا وكان من بخله انه كان لا يوقد النار الا اذا نام
الناس فاذا انتبهوا اطفأ ناره لئلا ينتفع بها احد وكان في عصر حاتم الطائي المشهور
بالسخاء واجتمع معهما في عصرهما ثالث يقال له الاشعب وكان مشهورا بالطمع

حتى اذا رأى انسانا يحك عنقه يظن انه ينزع قميصه ليدفعه اليه ويؤيده قوله تعالى
افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور فانه لا يليق الا بالكافر المنكر لذلك الامر واذا جعلنا
على الكل يكون المعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله تعالى بلطفه وتوفيقه من
ذلك قوله لظهور اثره عليه اشارة الى انه ليس المراد حقيقة الشهادة لان قوله تعالى
لشهيد ذكر مطلقا اي غير مقيد بزمان فيدل على انه شهيد في عموم الاوقات وليس
كذلك بل المراد شهادته على نفسه بذنبه في الاخرة ويعترف بذنوبه قوله او ان الله
على ان يكون ضمير انه تعويض ذكر بناء على ان الاصل في الضماير ان يرجع الى اقرب
ما ذكر مما يصح ان يرجع اليه والاقرب في هذه الاية هو لفظ الرب فيكون الاية وعيدا
وزجرا له عن المعاصي من حيث انه تعالى يطلع على اعماله وعلى الاول هو تاكيد لكونه كنودا
لنعمة ربه وتأييد الاول هو رجوع ضمير انه الى الانسان لان ضمير قوله وانه لحب الخير
لشديد بعده راجع الى الانسان فيناسب ذلك ان يرجع ضمير الاية التي قبلها الى الانسان
ايضا ليحصل حسن الانتظام ويحترز عن تفكيك الضماير قوله جمع محصلا في الصحف
كلمة في متعلقة بجمع بقرينة ما في الكشاف في قوله ومعنى حصل جمع في الصحف اي
اظهر محصلا مجموعا واصل التحصيل اخراج اللب من القشر باخراج المعمور فيه وافرده منه
كاخراج اللب من القشر واخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن والدهن من
اللبن وفيه الاردى والجمع واظهار لوازمه قوله او ميز ذلك في الكشاف وقيل ميز
بين خيره وشره ومنه وقيل للمنخل المحصل اي آلة التحصيل وتميز الدقيق عن
النخالة فانه لا بد في التمييز بين الواجب ومندوب ومباح ومكروه ومحظور فان لكل
واحد حكما على حدة فتمييز البعض وتخصيص كل واحد منها بحكمه اللايق به هو التحصيل
قوله وتخصيصه لانه الاصل جواب عما يقال لم خص اعمال القلوب بالذكر في قوله
وحصل ما في الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح واجاب عنه بان اعمال الجوارح تابعة لاعمال

القلب فانه لولا البواعث والارادة في القلوب لما حصلت افعال الجوارح ولذلك
جعل الله تعالى القلوب بالصلاح في المدح والذم حيث قال وجلت قلوبهم وقال آثم قلبه
والعامل في الظرف وهو قوله تعالى اذا بعثر لا يخلو من ان يكون يعلم او بعثر او خبير او مدلول قوله
ان ربهم بهم يومئذ لخبير لا يجوز ان يعمل فيه يعلم كما زعمه قوم لان الانسان لا يراد منه العلم
في ذلك الوقت وانما يراد منه في الدنيا فلا بد ان يؤول النظم على وجه يفيد معنى قولنا
افلا يعلم الانسان الآن ان الله تعالى عالم به اي بجميع ما عمله سرا وجهرا خيرا وشرا فيجازيه
على حسب ذلك ولا بعثر كما زعمه آخرون لهذا الوجه ولان بعثر اضيف اليه اذا والمضاف اليه
لا يعمل في المضاف لانه بمثابة ان يعمل بعض الكلمة في بعضها ولا خبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما
قبلها واذا كان كذلك ثبت ان العامل فيه مدلول قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي افلا
يعلم الانسان في الدنيا ان الله مجازيه اذا بعث او افلا يعلم علم الله تعالى اياه اذا بعث
فيكون هذا المدلول الذي قدر عاملا فيه اذا ساد مسد مفعولي يعلم ويمكن ان ينصرف
قول من قال ان العامل في اذا هو يعلم بان حذف الانسان وذلك غير لازم لجواز ان يرجع
الى الله تعالى ويكون مفعول يعلم محذوفا والتقدير افلا يعلمهم الله تعالى عاملين
بما عملوا اذا بعث على ان يكون العلم كناية عن المجازاة والمعنى افلا يجازيهم اذا
بعثر ويكون قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير تحقيقا وتقريرا لذلك المعنى وتصريحا بالوعيد
والتهديد وهذا معنى صحيح لا غبار عليه وقوله يومئذ معمول لقوله لخبير وحيلولة اللام
بينهما لا يمنعه من ان يعمل فيما قبلها لان حكم هذه اللام وحقها ان تدخل في اول الكلام
لكنها اخرت لاجل دخول ان على المبتدا لئلا يجتمع حرفا تاكيد فان قيل كيف
صح ان يكون يومئذ ظرفا لخبير مع انه يوهم اختصاص علمه بهم بذلك اليوم والحال انه تعالى
لم يزل عالما ويمتنع ان يسبقه جهل قلنا لما بينا ان العلم كناية عن الجزاء وهو يقع يومئذ
فاللازم اختصاص تمام الجزاء بذلك والامر كذلك قوله وانما قال ما لهم قال بهم

اشارة

اشارة الى جوابها يقال عبر عن اهل القبور اولا بكلمة ما وهي في الاغلب انما تطلق
الا على غير اولي العلم واطلاقها على اولي العلم قليل نادر كما حكى ابو زيد سبحان ما سخركن
لنا وسبحان ما يسبح الرعد بحمده وقال تعالى ما ملكت ايمانكم كذا في شرح الرضي والمظهر
ان المثالين الاولين من قبيل ما استعمل فيه كلمة ما في صفات العالم كما في قوله تعالى والسماء
وما بناها وان المثال الثالث في قوله عم ليس لك ذا الولاء الا ما اعتقني او
اعتق من اعتق الحديث حيث عبر عم عن المعتق بفتح التاء بلفظ ما وعن المعتق بكسر التاء
بلفظ من الحاقا للرقيق الذي يتعلق به العتق بالبهائم من حيث انه محجور عن التصرف
من الجلاف المعتق بكسر فانه طريقة عاد الى حالته الاصلية وهي الانسانية فعبر عنه بمن
كذا افاده الشريف الجرجاني في شرح الوافي ثم انه تعالى عبر عن اهل القبور بضمير العقلاء حيث
قال ربهم بهم ولم يقل ان ربها بها فما الحكمة في ذلك وجوابه انهم ما داموا في القبر اموات
وجمادات فعبر عنهم في تلك الحالة بما يعبر به عن غير اولي العلم وانهم يوم القيمة احياء عقلاء
فعبر عنهم بضمير من يعقل باعتبار تلك الحال توفية للحالين حقهما عم

القرع الضرب بشدة واعتماد ثم سميت
الحادثة العظيمة في حوادث الدهر قارعة قال الله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
واتفقوا على ان القارعة اسم من اسماء يوم القيمة سمي بها اما لان الاجرام العلوية
والسفلية تصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم فبسبب تلك القرعة سمي يوم القيمة
بالقارعة او لانه تقع فيه الحالة التي تقرع الناس بالاهوال عن الافزاع والسموات بالا
بالانشقاق والانفطار والشمس والقمر وسائر الكواكب بالانتثار والجبال بالدك
والنسف والارض بالزلزال والتزيل والخسف قال المحشي في سورة الحاقة في تفسير قوله تعالى
كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار
والانتثار وقوله تعالى القارعة مبتدا وما مبتدا ثان والقارعة خبره والجملة خبر المبتدا

الاول ووضعت القارعة موضع الضمير العائد الى المبتدا تفخيما لشأنها وافادة
لزيادة التهويل والتقدير الكلام القارعة اي شيء هي ثم زادها تفخيما حيث قال
وما ادريك اي اي شيء اعلمك ما القارعة فانها حادثة عظيمة وحالة هائلة لا
تحيط بها دراية دار وما الاولى مبتدا وما الثانية مبتدا ثان والقارعة خبر
المبتدا الثاني والجملة في محل النصب على انها مفعول ثان لادرى ومفعوله الاول
الكاف وادرى مع فاعله خبر في محل الرفع على انه خبر المبتدا الاول فان قلت
اذا اخبرت عن شيء بشيء فلا بد ان تستفيد منه علما زائدا وقوله وما ادريك يفيد
كونك جاهلا به فكيف يعقل ان يكون هذا خبرا قلنا حصل لنا بهذا الخبر علم زائد
لانا كنا نظن انها قارعة كسائر القوارع وبهذا التجهيل علمنا انها قارعة
فاقت القوارع في الهول والشدة والفراش جمع فراشة قال الزجاج هو الحيوان
الذي يتهافت في النار وفي المبثوث المفرق يقال بثه اذا فرقه شبه الله تعالى
الخلق وقت البعث في هذه الاية بالفراش المبثوث وفي اية اخرى بالجراد
المنتشر ووجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش المبثوث اختلاف
جهات حركاتها فانهم اذا بعثوا فزعوا فيذهب كل واحد منهم الى جهة غير جهة
الاخر كالفراش فانها اذا ثارت لا تتجه الى جهة واحدة بل تختلف جهاتها وقيل
الفراش غوغاء الجراد فان الجراد اذا صارت لها اجنحة وكادت تطير ولم تطر بعد فانه
يسمى غوغاء وشبه الناس به عند البعث من حيث انهم يموج بعضهم في بعض ويركب
بعضهم بعضا من شدة الهول قوله وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة
اي تقرع يوم يكون ويحتمل ان يكون مفعولا لاذكر مضمرا وقيل القارعة مرفوعة
على انه فاعل لفعل مضمر ويوم منصوب به تقديره ستاتي القارعة يوم يكون كالصوف
ذي الالوان فان الجبال مع لونها مختلفة الالوان على ما قال ومن الجبال جدد بيض

وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود اذا تفرقت اجزاؤها وازيل التاليف عنها
تصير شبيها بالعهن وهو الصوف الملون بالوان المختلفة اذا صار منفوشا متبدد الاجزاء
قال الخليل النفش مدك الصوف حتى ينتشر ووجه الشبه هو التلون والتفرق جميعا
قوله بان ترجحت مقادير انواع حسناته اشارة الى ان الموازين جمع موزون وهو
العمل الذي له وزن وخطر عند الله وثقلت رجحانه واضافة المقادير الى الانواع من باب
مقابلة الجمع بالجمع فتفيد انقسام الاحاد الى الاحاد اذا اتبع مقدار كل نوع من انواع
اعماله الصالحة على مقدار ما يقابل ذلك النوع من سيئاته يطيب عيشه وقال المتكلمون
ان نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنها بل المراد ان الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات
توزن او يجعل النور علامة للحسنات والظلمة علامة السيئات فيوزن النور بالظلمة فاما
ان يترجح عليها او يخف منها وقيل الموازين جمع ميزان وذكره بلفظ الجمع تعظيما له عن
ابن عباس ان الميزان له لسان وكفتان يوزن به اعمال المكلفين فيؤتى بحسنات المطيع في احسن
صورة فتترجح فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في اقبح صورة فتخف وزنه فيدخل النار
فكيف لا تثقل ميزان حسنات المطيع وان لذات الدنيا كانت اثقل شيء اخف شيء على النفس
في الدنيا والميزان الذي لا يوضع فيه الا المعاصي والشهوات حق له ان يخف قال مقاتل انما
كان كذلك لان الحق ثقيل والباطل خفيف قوله فمأواه النار وقيل للمأوى ام على سبيل التشبيه
لان المأوى يضم اهله الى نفسه كما تضم الام ولدها الى نفسها قوله ذات حمى على صيغة الفاعل
للنسبة لا للحدوث مثل تامر ولابن والحمى اشتداد الحرارة يقال حمي التنور بكسر الميم حميا اي
اشتدت حرارته ويمكن ان سائر النيران بالنسبة اليها كانها ليست حامية وبهذا القدر كاف في التنبيه
على قوة سخونتها نعوذ بالله من انواع عذابه وعقابه ومما يؤدي اليها قولا وفعلا وخلقا

سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان

والتفاعل يستعمل على احد ثلثة اوجه الاول
مفاعلة الاثنين فصاعدا والثاني التكلف في اظهار ما ليس فيه نحو تعامست عن امر كذا اذا

تكلفت العمى عنه ونحوه التغافل والتمارض والثالث ان يستعمل بمعنى الثلاثي نحو تباعدت عن
الامر اي بعدت عنه ولفظ التكاثر في هذه الاية يحتمل الوجهين الاولين فيحتمل ان يراد تكاثر
الاثنين مالا او عددا بان يقول كل واحد منهما لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا ويحتمل
تكلف الكثرة فان الحريص على الدنيا يتكلف جميع عمره بتكثير ماله وكذا الحريص على الجاه و
سائر طرق الهوى وتوقيع التكاثر ليس للاستغراق لان التكاثر والتفاخر في السعادات
الحقيقية غير مذموم شرعا اذا كان على طريق الاعتراف بنعم الله تعالى عليه وبقصد الشكر لها و
تشويقا لغيرها للاعتراف به كما ذكر في قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وفي ذلك ما روي
من تفاخر العباس بان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان المفتاح بيده الى ان قال علي رضه
وانا قطعت خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثلة فاسلمتم فشق ذلك عليهم فنزل قوله تعالى
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله
لا يستوون عند الله اي في الثواب فتعين ان توقيع التكاثر للعهد والمعهود هو التكاثر
في الامور الدنياوية والسعادات الفانية فان اجناس السعادات ثلثة الاول السعادات النفسا
نية كالعلم والاخلاق الحميدة والثاني السعادات البدنية كالصحة والقوة والجمال
والثالث السعادات التي تطوف بالبدن من خارج وهي قسمان احدهما ضروري وهو المال والجاه
والاخر غير ضروري وهو الاقرباء والاعوان وهذا الذي عددناه في المرتبة الثالثة انما يراد كلها
لاجل البدن بدليل انه اذا تالم عضو من اعضائه فانه يجعل المال والجاه فداء له فالسعادات
البدنية تكون اصلا بالنسبة اليها وهي انما تقصد لاجلها والسعادات البدنية ايضا انما يقصدها
العقلاء للسعادات النفسانية فان الشخص ما لم يكن صحيح البدن لم يتفرغ لاكتساب السعادات
النفسانية الباقية التي هي اجل السعادات اذا عرفت هذه فنقول العاقل ينبغي ان يكون سعيه
في تقديم الاهم على المهم والتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء وتفاخر المراتب اسباب
السعادات والاشتغال به لو سعي في تكثيره يمنع الانسان عن تحصيل السعادات النفسانية كالعلم فيكون ذلك

ترجيحا

ترجيحا الاخسّ من مراتب السعادة على اشرفها وذلك عكس الواجب وعين الحمق فلهذا السبب ذمّهم
الله تعالى بقوله الهيكم التكاثر اى شغلكم التكاثر بكل ما يكون في الدنيا ولذاتها وشهواتها
عن السعادات النفسانية المؤدية الى السعادات الابدية فان اصل الالهاء الصرف الى اللهو
والعبث والتكاثر اذا صرف العبد منصرفا اليه ومعلوم ان الانصراف الى الشئ يقتضي
الاعراض عن غيره فتفسير الهيكم بالهاكم شغلكم تفسير له بما يلزم اصل معناه الا انه صار
حقيقة عرفية فيه بالغلبة اذ المتوهم عدد الاحياء حتى بقيتم ان قوله تعالى زرتم المقابر كناية
عن مضيّ حتى انتقلتم من ذكر الاحياء عند تفاخركم بالعدد الى ذكر الاموات والنكتة في هذه
الكناية التهكم بهم لان زيارة القبور شرعت لتذكير الموت وترك الدنيا والاعراض
عن المباهات بها وهؤلاء عكسوا الامر حيث جعلوا زيارة القبور وسيلة الى المباهات
بالدنيا وكثرتها فعلى هذا يكون المراد بالتكاثر في الاية التكاثر في العدد والكثرة وارد
وما روى في سبب نزول هذه السورة من ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا ادعى كل
واحد منهما انهم اكثر عددا يدل ايضا ان يكون المراد التكاثر في العدد قوله فكثرهم بنو عبد
مناف اى غلبوهم بالكثرة من قولهم كاثرناهم فكثرناهم اى غلبناهم بالكثرة على ما ذكر في باب
المغالبة انهم اذا ارادوا الاخبار بالغلبة في فعل نقلوا الافعال اللازمة من باب
فعل يفعل بضم العين الى باب نصر ينصر يذكر دونه بعد فاعل مسندا الى الغالب فيه نحو كارمني زيد
فكرمته اى غالبني في الكرم فغلبته فيه ومثله كاثرناهم فكثرناهم وقول بني سهم ان البغي
اهلكنا اى بغي الاعداء والقتال معهم اهلكناهم فعدوا المجموع احياءنا مع مجموع
احياكم واموانكم ففعلوا ذلك فزاد بنو سهم فنزلت الاية ومعناه الهاكم التكاثر بالاحياء
فلم ترضوا حتى انتقلتم الى ذكر الاموات مفتخرين بهم فكانه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول
هب انكم اكثر منهم عددا فماذا ينفع ذلك بل الذي يهمكم تحصيل الكمالات النفسانية
وقيل المراد بالتكاثر هو التكاثر بالمال واستدل عليه بما روى انه عم سمع انه يقرأ الهيكم الاية

البغي (margin)
نكم (margin)

الهيكم التكاثر ويقول يقول ابن ادم مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او
لبست فابليت او تصدقت فامضيت فعلى هذا يجوز قوله حتى زرتم المقابر بمعنى حتى متم فانه
كثيرا ما يعبر عن الموت بزيارة القبور فيقال لمن مات زار قبره فمعنى الاية الهيكم وحملكم
على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك **قوله** وانما حذف الملهى عنه
ضمير عنه راجع الى الالف واللام في الملهى في المعنى وانما حذف الذي الهى عنه وعلل الحذف
بعلتين الاولى تعظيم الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين فان عظمة الشيء يجوز باعثة
على عدم ذكره كما في بناء الفعل للمفعول عند عظمة الفاعل نحو قتل الخارجي اذا قتله
الامير والثانية المبالغة والتعميم لكل ما حقه ان يشتغل به فانه اذا لم يذكر الملهى عنه
يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مثل الهيكم التكاثر عن
ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات مما يتعلق بالقلب كالعلم والتفكر والاعتبار او
بالجوارح كانواع الطاعات حتى عن التدبير في امر العاقبة والاستعداد لحلول الموت ان
نظرنا الى هذه الاية او عن التدبير في امر القبر واهواله ان نظرنا الى ما بعد هذه الاية
فالمعنى الهيكم التكاثر عما يسعدكم في القبر وينجيكم من شدائده فنبههم امره حتى زرتموه
قوله اذا عاينتم ما وراءكم قال الحسن لا يغرنك كثرة من ترى حولك فانك تموت
وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك قال الله تعالى ويأتينا فردا ولقد جئتمونا
فرادى وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وهذا يمنعكم عن التكاثر فلذلك ذكره الله
تعالى على الذين الهاهم التكاثر بالعدد والاموال والاولاد وردهم بقوله تعالى كلا
اي ليس الامر كما يتوهم هؤلاء من ان فضل الانسان وسعادته بكثرة اعوانه وقبائله واموله
واولاده فكلمة كلا ردع عن الاشتغال بما لا يعنيه وفي الردع تنبيه على الخطأ الذي يدل عليه
ما بعد كلا **قوله** تكرير للتاكيد اي لتاكيد الردع والانذار فهو ردع بعد ردع ووعيد
بعد وعيد الا ان الثاني ابلغ كان انذر من الاول وابلغ حيث بينهما بكلمة ثم **قوله** او الاول

عن الموت

عند الموت في وقت ما يبشر به المحتضر من جنة او نار واذا القبر حين سؤال منكر ونكير بقولهما
من ربك وما دينك ومن نبيك والثالث عند النشور حين ينادي المنادي شقي فلان شقاوة
لا سعادة بعدها وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون فعلى هذا لا يكون التكرير للتاكيد
لحصول التغاير بينهما بتغاير زمان العلمين ومتعلقهما فانه يكون في كل واحد في الزمانين
نوعا اخر من العذاب والاعادة كلمتا الزجر والردع في حينا بها عقيبه في كل موضع شيء غير ما عقبته
في الموضع الاخر كانه قال لا تفعلوا كذا فانكم تستحقون به من العذاب كذا لا تفعلوا كذا
فانكم تستوجبون به من العذاب كذا لا تفعلوا كذا فانكم تستوجبون به ضربا اخر من العذاب
والزجر المعلل يتعدد باعتبار تعدد علته ويكون كلمة ثم على بابها من المهلة لتباعدما
بين الموت والنشور وكذا ما بين القبر والنشور وفي قوله سوف تعلمون حذف دانكم وقوله
اي لو تعلمون ما بين ايديكم من رؤية الجحيم وغيرها من الاهوال اشارة الى ان تعلمون في
المواضع الثلثة بمعنى تعرفون حيث قدر له واحدا ولو لم يقدر له مفعول بان يجعل المتحقق
نفس العلم لا بيان متعلقه لم يكن بعيدا قوله علم اليقين اه اشارة الى ان اليقين صفة
موصوف محذوف فيكون اليقين بمعنى المتيقن به وانتصاب علم بنزع الخافض واتفق المفسرون
على ان جواب لو محذوف واختلفوا في تقديره فقيل تقديره لو تعلمون علم اليقين لتركتم التفاخر
والتكاثر وقيل لو علمتم ماذا يجب عليكم لتمسكتم به وقيل لو علمتم لاي امر خلقتم لاشتغلتم
قوله لحذف الجواب للتفخيم اي لتفخيم التهويل فانه اذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب
فيكون التهويل اعظم بناء على ان كل واحد من تلك المذاهب المحتملة مما يجب ان يصرف المكلف ما
وسعه في الاهتمام اليه وان يحصله مع انه لم يلتفت الشيخ في ذلك ولم يحصله فقد يحكم احتمال
كونه جواب لو وصحته وما يكون جوابا بل لو يجب كونه غير حاصل لعدم حصول الاول ولا شك ان في ترك
واجبات كثيرة عظيمة جنايته فيعظم خوفه هذا على تقدير ان يكون الجواب غير متعين عند المخاطب
بل يذهب ذهنه بسبب الحذف الى مذاهب محتملة واما اذا كان متعينا عنده وان كان محذوفا لفظا ف

في يوم التفخيم ذلك المحذوف من حيث ان عدم ذكره يفيد له ابهاما فيكون حذفه بمنزلة ذكره
منكرا ولو ذكر لم يكن ذلك الفهم من التفخيم فلذا اذا كان معهودا في الكلام على وجه الابهام قوله
ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جواب لو لان تحقق الوقوع فان رؤية الجحيم ليحصل
لهم البتة ولو كان قوله لترون الجحيم جواب لو لوجب ان لا يحصل لهم هذه الرؤية لان ما كان
جواب لو اذا كان مثبتا يدل الكلام على انتفائه وان كان منفيا يدل على وقوعه بناء على ما
اشتهر من ان لو تفيد امتناع الثاني لامتناع الاول وقوله لترون الجحيم مثبت فلو جعل
جواب لو لكان المعنى انكم لا ترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح فان قيل المراد من هذه
الرؤية رؤيتها بالقلب في الدنيا وهذه الرؤية لا تحصل لهم في الدنيا فصح ان يكون
جواب لو على معنى لو تعلمون اليوم في الدنيا بما بين ايديكم كعلم الامر المتيقن به
لترون الجحيم بعيون قلوبكم ثم لترونها عين اليقين عند معاينتها باعين الرأس
قلنا حمل الرؤية اذا تعلق بالاعيان المرئية يكون الظاهر ان يراد به رؤية العين
لا رؤية القلب وترك الظاهر خلاف الاصل ومما يدل على ان قوله لترون الجحيم لا يصح
ان يكون جواب لو ان قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عطف عليه وهو اخبار عن امر كائن
لا محالة ولا يخفى ان عطف ما هو كائن لا محالة على ما لا يقع ولا يوجد قبيح في النظم قوله
بل هو جواب قسم محذوف فاللام في لترون لام جواب القسم والقسم لتأكيد الوعيد فافاده
ان ما اوعدوا به في قوله سوف تعلمون مما لا ريب فيه وابهم ما اوعدوا به في ذلك العقل تفخيما
للوعيد بكونه مبهما شيئا ولا امورا متعددة ثم اوضح ذلك بقوله لترون الجحيم وذكر
وذكر في فائدة التكرير ثلاثة اوجه الاول انه لتأكيد الوعيد ولان التأكيد يقتضي
كون تلك الرؤية اضطرارية بمعنى انكم لو خليتم ورأيكم لما رأيتموها ولكنكم تحملون
على رؤيتها شئتم او ابيتم والثاني ان الرؤية الاولى الرؤية من البعيد فانها تبرز
للغاوين فيرونها وهم في الموقف كما قال تعالى وبرزت الجحيم للغاوين والرؤية

الثانية

الثانية اذا صار والى تغير الناد فما بقوا نفس الحوة دمامها في الحيوانات الموذية وبقية السقوط فيها والتي كانت من البعيد رؤيتها ببعض حواقها واحوالها مثل رؤية لهيبها ودخانها ولا شك ان الرؤية الثانية اجلى واكشف فلذلك خصت بانها نفس اليقين قيل ثم لترونها عين اليقين والثالث المراد بالرؤية الاولى رؤية القلب وهي المعرفة وبالثانية رؤية العين وهذه المعرفة لا تحصل لمن اصر على كونه بناء على الهاد والتكاثر اياه عن النظر في امور دينه واحوال معاده الا عند الموت وفي القبر وعند البعث الى ان يعاينوه وكونها محقق الوقوع في تلك الاوقات يمنع من ان يكون لترون الجحيم بمعنى لتعرفنها فيها جواب قوله لو تعلمون كما مر واما اذا كان معناه لتعرفنها في الدنيا فلا يمكن ان يقال هذه المعرفة متحقق الوقوع فلا يجوز ان يكون لترون الجحيم بهذا المعنى جواب لو وانما قلنا انه لا يمكن ان يقال ذلك لان الكلام فيمن الهاهم التكاثر عن امور الدين فلا يكون معرفة البعث والمجازات بالجنة والجحيم حاصلة لهم فلا يمكن ان يقال معرفة الجحيم في الدنيا محقق الوقوع بالنسبة اليهم حتى يتفرع عليه عدم جواز كونه جواب لو فظهر بهذا ان تعليل المص عدم جواز ذلك بكون رؤية الجحيم محقق الوقوع مبني على ان الرؤية بمعنى الابصار لا بمعنى المعرفة **قوله** اى الرؤية التي نفس اليقين اشارة الى ان انتصاب عين على انه صفة مصدر لترونها اى لترونها رؤية هي عين اليقين وبعله جعل الرؤية التي هي سبب اليقين نفس اليقين مبالغة وقيل انتصاب عين اليقين على انه مصدر من غير لفظ الفعل حملا على المعنى لان رأى بمعنى عاين **قوله** والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه مثل كفار مكة الذين نزلت هذه السورة في حقهم ومن شاركهم في هذا الوصف ملحق بهم ولو كان من فرقة المؤمنين والكفار فيسئلون يوم القيمة عن شكر ما كانوا فيه من الخير والنعمة ولم يشكروا رب النعيم حيث اتبعوا شهوات انفسهم واتخذوا اهويتها الههم ثم يعذبون على ترك الشكر حتى يظهر ان الذي يظنونه سببا لـ

لسعاداتهم هو الذي كان من اعظم اسباب الشقاوة لهم في الاخرة ويلزمه ان يكون النعيم مخصوصا
بما يشغله عن طاعة الله والاشتغال بشكره والذي يدل على هذا التخصيص امران الاول القرينة
فان ما سبق من الخطاب كله لمن الهاه دنياه عن دينه فكذا هذا والثاني النصوص منها ما روي
ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله ارايت اكلة اكلتها معك في بيت ابي الهيثم الانصاري
من خبز شعير ولحم عناق وبسر قد ذنب وماء عذب ان يكون من النعيم الذي يسئل عنه فقال عم
انما ذلك الكفار ثم قرا وهل نجازي الا الكفور هكذا رواه الامام وهي تدل على
ان السورة مدنية والاكثرون على انها مكية ورواه الامام ابو الليث هكذا ان ابا بكر رضه
سئل رسول الله عن الاكلة اكلتها معه عم في بيت ابي الهيثم فقال يا رسول الله اتخاف علينا
ان يكون هذا من النعيم الذي نسئل عنه فقال النبي عم انما ذلك للكفار ثم قال ثلث لا
يسئل الله تعالى العبد عنها يوم القيمة ما يواري به عورته وما يقيم به صلبه وما يكنه من
الحر والبرد ويسئل العبد بعد ذلك عن كل نعمة **قوله** وقيل يعني ان الخطاب عام للكافر و
المؤمن الصالح والعاصي والنعيم عام لكل نعمة **قوله** فيسئل كل احد انه هل شكرها ام
كفر كما روي عنه عم ان اول ما يسئل عنه العبد يوم القيمة من النعيم ان يقال له الم نصح لك جسمك
ونروك من الماء البارد وروي ايضا انه لا يزول قدما عبد حتى يسئل عن اربع عن عمره
فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وعن شبابه فيما ابلاه وماذا عمل به وقيل
اعظم النعم اي نعمة تسوغ للانسان ما ياكله ويشربه ويسهل عليه ان اخرجه وقيل النعيم صحة
الابدان والانتفاع بمنافع الحواس فيسئل الله تعالى العبد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم
ودل عليه قوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فان النفس الانسانية كانت
في اول الخلقة خالية عن العلوم والمعارف فالله تعالى اعطاها هذه الحواس لتستفيد بها العلوم
النافعة اعطاها السمع لتسمع مواعظ الله والبصر لتبصر دلائل الله والفؤاد لتعقل
عظمة الله فيسئل في اي امر استعملها فظهر ان الحق ان الخطاب عام للكل لكن الكل يسئل توبيخا

لانه

لانه لو كان الشكر وسيلا المؤمن تشويقا الان شكروا واطاعوا وفدا البشيران كلمة ثم قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم للترتيب في الاخبار لا في الوجود فان السؤال بانك لم شكرت في تلك النعم كونه يكون في موقف الحساب قبل دخول النار وقيل هو بعد دخول النار الكافر فيها سؤال التوبيخ كقوله كلما القي فيها فوج سئلهم خزنتها الم يأتكم نذير وقوله ما سلككم في سقر فيسئل الكافر فيها ليضطر الى الاعتراف بالتقصير في شكرها وتقصير همته على استيفاد اللذات كاكل المطاعم الشهية ولبس الملابس البهية وركوب المراكب السنية وسكون المساكن العالية مشتغلا بانواع اللهو والطرب ومجانبا عن تحلية النفس بالفضائل العالية والعلمية وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فيقال لهم توبيخا هم ما ادركتم من الحظوظ ونسيتم لقاء يومكم هذا فنسيكم الله حتى بقيتم في عذاب الهون
اقسم بصلوة العصر
لفضلها فانه كثيرا يطلق العصر ويراد صلوته قال مقاتل رضي عنه يقال اذن للعصر اي لصلوة العصر وصليت العصر اي صلوته دليل فضلها قوله عم الصلوة الوسطى صلوة العصر فثبت به انها افضل الصلوة لان تخصيص الصلوة الوسطى بعد قوله حافظوا على الصلوة تنصيص على فضلها وقوله عم من فاتته صلوة العصر فكانما اوتر اهله وماله اي فهو كمن صار موتورا بان قتل له اهل واصيب ماله فلم يدرك بدم قتيله وضمان ماله الجوهري الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه وروي ان امرأة كانت تصيح في سكك المدينة وتقول دلوني على النبي عم فرآها رسول الله عم فسألها ماذا حدث قالت يا رسول الله ان زوجي غاب فزنيت فجائني ولد من الزنا فالقيت الولد في دن من الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة فقال عم اما الزنا فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرا لكن ظننت انك تركت صلوة العصر ففي هذا الحديث اشارة الى تعظيم امر هذه الصلوة ولان سواقا لون بانما تقوم وقت العصر لانه وقت ارتفاع الحرارة بسبب انبساط ظل الحيطان على الارض فكان ذلك وقت تجاراتهم وكسبهم والاشتغال بتحصيل لمنافع معاشهم فكان اداء صلوة العصر اشق والكلفة في ادائها اكثر وقد ثبت ان افضل الاعمال

الشهادة قوله عم من حلف بعد العصر كاذبا لا يكلمه الله ولا ينظر اليه يوم القيمة ولا يزكيه
او بعصر النبوة وهو من زمان بعثته عم الى انقراض امته من اخر الزمان فاحتج من ذهب الى هذا القول
بقوله عم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الامم مثل رجل استاجر اجيرا فقال من يعمل من الغدا الى الظهر
بقيراط فعملت اليهود ثم قال من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر
الى المغرب بقيراطين فعملتم انتم فغضب اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا
فقال الله تعالى وهل نقصت من اجركم شيئا قالوا لا قال فهذا فضلي اوتيه من اشا فكنتم
اقل عملا واكثر اجرا فهذا الخبر دل على ان العصر هو الزمان المختص به وبامته فلا جرم اقسم الله به
ايذانا بشرفه فان الزمان الذي هو كالظرف له وجريان شرعه ودينه بهذه المثابة من الشرف
فقس عليه شرف نفس المظروف وفي رواية البخاري عن سالم بن عبد الله عن ابيه انه سمع رسول الله عم
يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلوة العصر الى غروب الشمس اوتي اهل
التورية فعملوا بها حتى اذا انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل
فعملوا الى صلوة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس
فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اي ربنا اعطيت هولاء قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا
ونحن كنا اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم من شيء قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من
اشاء قوله او بالدهر واستعمال لفظ العصر في مطلق الزمان وهو الدهر كثير شايع ويجوز
ان يقسم به لما فيه من انواع العجايب فصل الشتا والصيف وتعاقب ليله ونهاره واختصاص كل
واحد منها بحكم خاص به مما يتعلق به انتظام احوال الخلق فيه ما هو العجب من كل عجب وهو ان
العقل لا يقوى ان يحكم عليه لا بالوجود ولا بالعدم اما انه لا يقدر على ان يحكم بعدمه فلانه يطرأ
عليه القسمة الى السنين والشهور والايام والساعات ويحكم عليه بالزيادة والنقصان ويحكم عليه
بكونه ماضيا ومستقبلا فكيف يكون معدوما لانه غير قابل للقسمة والماضي والمستقبل معدومان
فيكون ما يتركب منهما معدوما ايضا فكيف يمكن الحكم عليه بالوجود ولانه يبقيه عمر المواد لا قيمة له

فلو ضيعت

فلو ضيعتا الغنمة ثم تتبعتا اللحية الاخيرة كما هو بقيت في الجنة ابد الاباد فظهر لك ان الشوق
الاشياء حيوتكمن في تلك اللحية فكان الدهر والزمان من جملة اصول النعم فلذا اقسم الله تعالى به اظهارا
لشرفها • نقلست كه پيشی شقيق بلخی بيرامد وگفت كه بسيار معصيتها كرديم • اكنون
امدم كه توبه كنم شقيق گفت كه دير ابويه • ويرگفت زود امدم • شقيق گفت چگونه
بي گفت • هر كه پيش از مرگ آيد زود امده باشد • شقيق گفت نيك امدي ونيك
گفتي • وهذه الرواية يؤيد ما ذكرنا ان اللحية الباقية اشرف الاشياء لمن تاب فيها قوله
والتوبيخ ينبغي ما يضاف اليه من الخسران بالجر عطفا على الاشتمال قبله اي انه تعالى اقسم بالدهر لكذا
وللتوبيخ ينبغي ما ينسبون اليه من الافات بمثل قولهم وما يهلكنا الا الدهر ووجه التوبيخ انه تعالى
لما اقسم به علم انه من شرف مخلوقاته اي اقسم به في السورة المتفرقة كما يتعلق بخلقه حكمة عظيمة
ومصلحة جسيمة وانه معزول عن ان ينسب اليه شيء من الحوادث كما ظنه الدهرية والاكثر شيء كما لو
مشغوصا عنه فلا يقسم به والخسر والخسران بمعنى مثل الكفر والكفران ومعناه النقصان وذهاب
راس المال فان راس المال في حق جنس الانسان هو نفسه وعمره فهو في جميع حينه وصرف عمره في المطالب
فهلك نفسه ومضيع عمره الا المؤمن العامل فانه ما هلك عمره وماله لانه اكتسب بها سعادة الابدية
فربحوا في تجارتهم حيث طلبوا بالشيء الباقي في مقابلة الخسيس الفاني قوله والتوبيخ للجنس
بشهادة الاستثناء فانه قد تقرر ان صحة الاستثناء من جملة ادلة العموم والاستغراق قوله و
التنكير للتعظيم اي لفي خسر عظيم اي لا يعلم كنهه الا الله تعالى والذنب يعظم اما العظم في نفس الذنب
اولانه في مقابلة النعم العظيمة وكلا الوجهين حاصلان في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك
الذنب في غاية العظم قوله وهذا من عطف الخاص على العام اي يذكر التواصي بالامرين بعد ذكر
العمل الصالح مع ان العمل الصالح كما يتناول ما يتعلق بتكميل نفسه يتناول ايضا ما يتعلق
بتكميل غيره كالتواصي المذكور للمبالغة في بيان فضله وشرفه بابرازه في معرض المغاير للمعطوف عليه
خارج عن دخوله في غاية شرفه وذلك مثل عطف جبرائيل عليه السلام على الملائكة لذلك وان خفي العمل بما

يتعلق بتكميل نفسه فقط اي في غيره انه يقصد به تكميل غيره لا يكون عطف وتواصوا من قبيل عطف الخاص على
العام بل يكون على ظاهره وهو عطف احد المتغايرين على الآخر وهو ظاهر **قوله** ولعله تعالى انما ذكر سبب
الربح وهو الامور الاربعة الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر فانه تعالى لما استثنى
من المتصف بهذه الاربع في اللون في خسر اشعر ذلك كون الاوصاف الاربعة علة للاستثناء المذكور وسببا
للربح فيما استثنى ومن جانب الخسران اقتصر على ذلك الحكم وهو الخسر ولم يذكر سببه فلعل الحكمة طلب
الفرق بينهما فقصد التفرقة في بيان الفرق بان المقصود الاهم الفوز بالسعادات الابدية وهو معرفة
اسبابه لحصولها فالخسران ومعرفة اسبابه فانه لا يتعلق به قصد قاصد فاكتفى ببيان الحق فصرح
ببيان اسباب الفوز ولم يتعرض بغير الحق مع ان التصريح المذكور يتضمن الاشعار بان اسباب
الخسران ما هي من حيث انه لما علق الفوز بهذه الصفات الاربعة اشعر ذلك انه عند انتفائها
ينتفي الفوز بالمطلوب وهو الخسران كما روي عنه عليه السلام انه قال الناس رجلان عالم ومتعلم
وسائر الناس همج لا خير فيهم صرح عليه السلام بان من لا علم له ضرورة يعمل بمقتضى علمه ثم لم يكن متعلما بتوصية
غيره فهو همج ساقط عن درجة الانسانية وهذا صريح بما اشعر به سابق كلامه وايضا تعداد
مثالب اهل العيب والتقصير ينافي مقتضى الكرم فلذلك لم يفصل اسباب الخسران وهذه الاية
فيها وعيد شديد من حيث دلالتها على ان الانسان لا ينجو من الخسران بتكميل خاصة نفسه بل لا بد
معه من الاهتمام بشان غيره بنصيحته وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر وكرر التواصي ليتضمن
الاول الدعاء الى الحق والثاني الثبات عليه او الاول الامر بالمعروف والثاني النهي عن
المنكر   في الصحاح الهمزة العيب واصله الاشارة
بالعين ونحوها يقال همزه يهمزه ويلمزه وقرئ بها قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات ورجل
لماز ولمزة اي عياب ثم قال والهمزة مثل اللمزة والهامز والهماز العياب والهمزة مثله ثم قال
والهمز الطعن يقال همزه بالرمح طعنه صدره وهمز الفصيل ضرع امه اذا ضربه بفيه عند
الرضاع وقال الهزم الكسر يقال هزمت القناة انا هزمت فتكسر وهزمت الجيش

هزما

هو ما هو فيه فاعلم ان هو انتهى كلامه وللمفسرين في الفاظه تفسيرهما قال ابن عباس هم المغتاب
واللمزة العياب وقيل الهمزة الطعن باليد واللمز باللسان وقيل الهمزة بالمواجهة واللمز
بظهر الغيب وقيل الهمز ما يكون جهرا واللمز سرا بالحاجب والعين وقيل لابن عباس من
هم الهمزة اللمزة الذين يلدهم الله بالويل فقال هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين
الاحبة الباغون للناس العيب وجميع هذه الوجوه متقاربة راجعة الى اصل واحد هو
الطعن واظهار العيب كما ذكره المص ملاحظة هذه الوجوه فقوله الهمزة بدل من همز وانما
فيها المبالغة في الوصف كانها فعلالة ورواية ولذلك يقال رجل همزة وامراة همزة وقد
اظهر وان بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين للمبالغة في الاغراء بالمكثر المنقود لما في الاشتقاق
وان سكنت العين يكون للمبالغة المفعول يقال رجل لعنة اذا كان يلعنه الناس وضحكة اذا كانوا
يضحكون منه بان يكون ضحوكة لهم فالاول هو الذي يفعل لغيره والثاني هو الذي يفعل به غيره
ولما بولغ في وصفهم بان عبر عنه بصيغة فعلة بولغ في جزائه ايضا وهو النبذ في الحطمة فان الحطم
الكسر فلما عبر في الجزاء بصيغة فعلة دل على ان ذلك لها وعادتها كما ان ذلك الوصف دابهم
وعادتهم فجورا وانجزاء وفاقا للاعمال وزاد عليها بان قوبل كسر الاضلاع بكسرهم للاعراض و
بان عبر عن الجزاء بلفظ النبذ المنبي عن الاستحقار والاستقلال في مقابلة ظنهم بانفسهم انهم
اهل الكرامة والكثرة ونظيره قوله تعالى فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم شبههم استحقارا لهم
واستقلالا لعددهم بحصيات اخذهن اخذ في كفه فطرحهن في البحر **قوله** ونزولها في الاخنس
ابن شريق وكان يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله وقال مقاتل نزلت في الوليد بن
المغيرة كان يغتاب النبي صلعم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقال المحققون الوعيد الذي في هذه
السورة عام لكل من يفعل هذا الفعل كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في عموم
اللفظ قال قوم انه مختص باناس معينين كالاخنس والوليد وامية بن خلف وعموم اللفظ
لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا كما لو قال لك احد لا ازورك ابدا فتقول له كل من لم يزرني

لا أن زوره يريد به فرداً مخاطبه فقط لا كل أحد وقد تقرر في أصول الفقه أنه يجوز تخصيص العام بقرينة
الوقت ونحوه ولا يخفى أنه لا حاجة إلى هذه التكلف قوله بدل من كل كأنه قيل ويل للذي جمع أو
منصوب بإضمار أعني أو مرفوع بتقدير هو وعلى التقادير فهو وصف معنوي له وإنما وصفه الله
بهذا الوصف لأنه يجري مجرى السبب للهمزة واللمزة من حيث أنه أعجب بنفسه بما جمع من المال وظن أن
كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذلك استنقص غيره ولم يجعله وصفاً لهو يا لكل لأنه نكرة و
النكرة وإن تخصصت بالإضافة إلى النكرة لا يصح توصيفها بالموصول قوله وجعله عدة
مرة بعد أخرى على أن يكون مأخوذاً من العد بمعنى الإحصاء إلا أنه نقل إلى باب فعل لتكثير الفعل كما
في جمع على قراءة التشديد فإن جمع المخفف إنما يدل على مجرد صدور الجمع منه ولا يدل على تعدد
وقوعه وتكرره وأما جمع المشدد فيدل على كثرة الجمع وتعدده بأن جمع ههنا في أزمنة متعددة
متطاولة قوله ويؤيده أنه قرئ وعدده على أن يكون العدد كله مضافاً إلى ضمير المال بمعنى
مقدار المعدود وانتصابه بالعطف على قوله مالا فالمعنى الذي جمع مالا وضبط عدده وأحصاه
على أن يكون جمع عدد المال عبارة عن ضبط عدده وكنى بتعدده كثرته وقيل وعدده بفك الإدغام
فعل نقل به الضمير المنصوب بمعنى وعدده فيكون معطوفاً على جمع وعلى التقديرين يؤيد قراءة
التخفيف أن عدده بالتشديد مأخوذ بمعنى العد بمعنى الإحصاء لا من العدة قوله تركه خالداً في
الدنيا وجه قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده ثلثة أوجه والمراد بالخلود في جميع تلك الوجوه الخلود في
الدنيا والخطاب حقيقة في الوجه الأول واستعارة تمثيلية في الوجهين الأخيرين وأخطر أن قوله
تعالى يحسب أن ماله أخلده استئناف على الوجه الأول وجملة حالية في المعنى في جمع على الوجهين الأخيرين
ويجوز أن يكون جملة حالية على جميع التقادير وتقرر الوجه الأول على تقدير أن يكون الجملة استئنافاً
أنه لما قيل جمع مالاً وعدده فكأنه قيل ما باله يجمع المال ويهتم به ويترك بسبب الاستعداد لما
بعد الموت فقيل أنه لو ذبه أن الحياة والسلامة من الأمراض والآفات تدور على مراعاة الأسباب
الظاهرة بحسب حقيقة أن المال سبب خلوده في الدنيا أن تأتت نيابته تتداركها بالمعالجات المناسبة

لدفعها

لو فعلها فاصبحه كما يحسب بسببه وهو الخلود في الدنيا ويؤثر المعنى على تقدير كون الجملة حالية قريب من
هذا التقرير ووجه الاستعارة في الوجه الثاني انه ليس ثمة مخبر بالخلود حقيقة لكن شبه حاله في حب المال
والاستغراق همه بجمعه وتكثيره ونسيانه الموت وما بعده من قوارع الآخرة بسبب حاله في حسبانه ان ماله يخلده
فاطلق في حقه هذا التركيب مجازا والوجه الثالث قريب من الثاني الا ان طريق التشبيه فيه ان يشبه
حاله في حب الدنيا وطول آماله ومناه الاماني البعيدة وحمله ان يعمل عمل من لا يظن الموت بل يحسب
الخلود بحال من يحسب ان ماله اخلده في الدنيا فاطلق في حقه ما يطلق على من يحسب ذلك حقيقة والحالة
المشبهة في الوجهين هي الغفلة عن الموت وما بعده الا ان تلك الغفلة في الوجه الثاني ناشئة عن
حب المال والحرص الشديد على جمعه وتكثيره وفي الوجه الثالث ناشئة عن حب الدنيا والاستغراق همه
واوقاته على استيفاء اللذات الفانية قوله وفيه تعريض اي وفي تشديدهم ان يحسب ان ماله اخلده
بالوبال ما لا يكاد ... الان ثمه يخلد ما ينبغي للعاقل ان يكب عليه الا انه غير المال وهو العمل
الصالح والسعي للآخرة فانه هو الذي يخلد صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل وفي الآخرة في النعيم المقيم
وانما قال اخلده ولم يقل يخلده لان المراد ان هذا الانسان يحسب ان المال ضمن له الخلود واعطاه
الامان من الموت فكأنه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره بلفظ الماضي قال الحسن ما رأيت يقينا لا شك
فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال قوله وما ادراك انه لا يقدر ان يطيقه غيره يعني
ان اضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة على انها ليست كسائر النيران وتوصيفها بالموقدة
يدل على ان ايقادها مسند الى الله تعالى وانها توقد بامره وقدرته فلا تخمد ابدا وفي الحديث
اوقد عليها الف سنة حتى احمرت ثم الف سنة حتى ابيضت ثم الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عجبا ممن يعصي الله على وجه الارض والنار تسعر من تحته قوله يعلو اوساط
القلوب يقال طلع الجبل واطلع عليه اذا علاه والفؤاد وسط القلب يعني ان هذه النار تحطم العظام
وتأكل اللحوم فتدخل في اجواف مجاري الشهوات وتصل الى صدورهم وتعلو على افئدتهم وتستولي عليها
الا انها لا تحرقها اذ لو احرقتها لماتت اصحابها وقد قال الله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى روي عنهم ان النار

تأكل اهلها حتى اذا اطلعت على افئدتهم انتهت ثم ان الله تعالى يعيد لحمهم وعظمهم مرة اخرى **قوله**
حين اصدرت الفاء في قوله في سورة البلد اي اطبقتها واغلقتها وان
الاول افصح في جمهور القراء مثل آمن والثاني افعل ايضا الا انه قد يستعمل القاء مثل اوصل يوصل و
كونها مطبقة عليهم كونها بحيث لا فرجة فيها حتى يخلص اليهم منها روح ويخفف عنهم كرب **قوله** يعني
اي تشتاق والحبال جمع الحبل **قوله** اي موثقين في اعمدة اشارة الى ان قوله في عمد في موضع نصب
على الحال من الضمير المجرور بعليهم والعمد جمع عمود للكثرة كاديم جمع اديم والاعمدة جمعه للقلة والعُمُد
بضمتين جمع عمود ايضا كرسول ورسل او جمع عماد ككتاب وكتب فكمقاطر جمع مقطرة وهي
خشبة فيها خروق يدخل فيها ارجل المحبوسين **قوله** تقطر فيها اللصوص اي يلقون على احد قطريهم
يقال طعنه فقطره تقطيرا اي القاه على احد قطريه وهما جانباه فتقطر اي سقط **قوله**
اختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد
النبي عم باربعين سنة وقيل بثلاثة وعشرين سنة وقيل ولد عم بعد يوم الفيل بخمسين يوما
والاكثرون على انه في العام الذي ولد فيه رسول الله عم فكان قبل بعثه باربعين سنة **قوله**
وهو ان لم يشهد تلك الواقعة جواب عما يقال ما وجه قوله تعالى الم تر مع ان اصل الرؤية ان يكون
بصرية وان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد رايت وشاهدت وهو عم لم يشاهده وحاصل
جوابه ان المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهي العلم وعبر عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا
في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان وانما قلنا انه علم ضروري لان طريق حصوله الخبر المتواتر وهو
يفيد علما ضروريا كالعيان وقد تليت تلك الاخبار المتواترة بمشاهدة اثار تلك الواقعة روي
عن ابن عباس رضه انه راى من الحجارة التي اهلكهم الله بها عند ام هاني نحو قفيز
مخططة بخطوط حمر كالجزع الظفاري وعن عائشة رضها رايت قايد الفيل وسائسه اعميين
مقعدين يستطعمان وكان عبد المطلب جد النبي عم وابو مسعود الثقفي شاهدين فوق الجبل
عسكر ابرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع

(margin: تأييدث)

هم

لهم ذكرنا الخطا في الجبل فدخلا العسكر فاذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل واحد منهما
لنفسه حفرة وملاها من المال وكان ذلك سبب غناهما وهذا كله فهما ثار تلك الواقعة فتورث بعدها
رسول الله عم فحصل له بذلك علم ضروري بما يوازي العيان فكانه لما قال الم تعلم يا محمد بالاخبار
المتواترة المعاينة بمشاهدة الاثار علما يوازي العيان في الايقان قوله لان المراد تذكير
ما فيها من وجوه الدلالة يعني ان الاشيا لها ذوات ولها كيفيات باعتبارها تدل على مدلولاتها
وكلمة ما تدل على الاولى وكيف على الثاني ولما في هذا المقام ليس تذكير نفس تلك الواقعة
التي هي الاهلاك لطائفة المذكورة لان اهلاكهم لا يدل لهم باعتبار ذاته على كمال علمه وحكمه وقدرته
وانما يدل عليه باعتبار ما فيه من وجوه الدلالة وكيفيات الاهلاك فلذلك اختير ما يدل على الكيفيات
على ما يدل على نفس الذات قوله فان ذلك من الارهاصات تعليل للحكم بايقاع تلك الواقعة للدلالة
على عزة نبيه وشرف نبيه والارهاصات هي الامور الخارقة للعادة التي جرت على يد نبي عم قبل
بعثته وقبل التحدي ماخوذ من الرهص بالكسر وهو الوصف الاعلى من احجار الحائط فانه يجوز في
مذهبنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تاسيسا للنبوة ومقدمة لها كاظلال الغمام
وتكلم الحجر والمدر لنبينا عم قبل دعوى النبوة ومن هذا القبيل اهلاك من قصد تخريب الكعبة
المعظم حال كونها موضع الشرك وعبادة الاوثان اذ فيه دلالة على بعثة من يعظم البيت
ويطهره عن الرجس والاوثان ويدعو الناس الى عبادة الرحمن ويعظم شعائر الله باخلاص
الطاعة له ولو كره المشركون وهذا البيت مولده ومسكنه الى هاجر منه بامر الله ومهبط ما
يوحى اليه وقبلته وقبلة امته الى يوم القيمة فحفظه عن ارجل الاعداد وايديهم يدل على عزته
وشرفه وللدلالة على عزته وشرفه وقعت تلك الواقعة قبل بعثته على وجه التاسيس والارهاص
والشرم الشق يقال شرمه اي شقه وابرهة سمي اشرم لانه كان مشقوق الانف واصحمة اسم
النجاشي ملك الحبشة وكان اصحمة قد بعث ارباطا بعسكر من الحبشة الى ارض اليمن فغلب عليها
واستقام امره فيها زمانا ثم نازعه رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح في امر الحبشة فتفرقت

الحبشة فرقتين فكانت فرقة مع ارياط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان قتل ابرهة ارياط
واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي على عمله ثم ان ابرهة راى الناس يتجهزون
ايام الموسم الى مكة لحج بيت الحرام فبنى كنيسة بصنعاء لم ير لملك مثلها وسماها القليس
واراد ان يصرف اليها حج العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد
فيها فقضى حاجته ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على هذا فقيل صنع
ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليهدمن حتى ليهدمنّ
ورمي ابرهة فتساقطت انامله ومات حتى انشق صدره فخرج قلبه منه ولم يفلت منهم الا
وزيره ابو يكسوم فسار وطائر فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فاخبره بما نالهم فلما اتم
كلامه رماه الطير فسقط فمات فارى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك اصحابه قوله و
قرء الم تر اي بسكون الراء قيل هذا السكون بابه الشعر لا القرآن لما فيه من اجحاف الالف والفتحة
قبلها من ترى وان الجازم انما هو سقوط الالف وحدها وكيف منصوب بفعل لا بقوله
تر لان كيف فيه معنى الاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله والكيد ارادة المضرة بالغير على الخفية والمراد
ههنا تعطيل الكعبة وتخريبها فان قيل انما سماه كيدا وامره كان ظاهرا فانه كان يصرح
انه انما اريد هدم البيت وتخريبه والجواب انه وان كان يظهر ان مقصوده هدم البيت لاضراره
انتقاما لما فعل بكنيسته الا ان الذي كان يضمره في قلبه هو الحسد للعرب فكان اصل مقصوده
من هدم البيت ان يصرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدتهم الى نفسه والى بلدته فكان
هدمه كيدا في حق العرب قوله في تضييع وابطال يقال ضل اللبن قوله في الماء اذا ذهب
وغاب فلما ارادوا ان يكيدوا قريشا بالسعي في القتل والبيت بالتخريب والهدم ابطل الله
كيدهم بان اهلكهم جميعا قوله تعالى وارسل عطف على قوله الم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير
فكان المعنى قد جعل ذلك وارسل وابابيل صفة الطير اي طيرا جماعات متفرقة لانها كانت افواجا
فوجا بعد فوج وترميهم صفة اخرى للطير او حال منها لانها قد تخصصت بالصفة قوله والطير

اسم جمع فيجوز تذكيره وتأنيثه اما تذكيره فلان الجمع مذكر واما تأنيثه فلحمله على المعنى لانه بمعنى
الجماعة قوله معرب سنك كل ذكر في بيان ماخذ السجيل اربعة اوجه الاول انه كلمتان بالفارسية
جعلتهما العرب كلمة واحدة وهما سنك وكل فالسنك للحجر والكل للطين اى ترميهم بحجارة
هذين الجنسين والثاني انه من السجل وهو الدلو الكبير اذا كان فيه ماء يقال سجلت الماء
سجلا فانسجل اى صببته بالدلو فانصب فقوله من سجيل بمعنى ان تلك الحجارة كانت مما صبه
الله تعالى عليهم من خزانة قهره والثالث من الاسجال بمعنى الارسال يقال اسجلت البهيمة مع
ابنها اذا ارسلت وهذا مسجل اى مرسل مطلق والمعنى انها من ما ارسله الله عليهم للعذاب
يوصف بالارسال لقوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وقوله فارسلنا عليهم الطوفان والرابع
انه ماخوذ من السجل الذي هو الكتاب فكان السجيل اخذ منه وجعل علما للديوان الذي
كتب فيه عذاب الكفار كما ان السجين علم لديوان اعمالهم فكانه قيل بحجارة من جملة العذاب
المكتوب المدون فقوله من سجيل بمعنى مما كتب الله في ذلك الكتاب **قوله** كورق الزرع وقع فيه
العصف ورق الزرع الذي يبس فان يقطع فتعصفه الرياح اى فتذهب به الى هنا
وهنا وفسر الماكول بانه الذي اكل نقيه بان وقع فيه الاكال شبههم بعد فنائهم وذهابهم
بالكلية او من حيث انه حدثت فيهم بسبب رميهم بتلك الحجارة منافذ وشقوق كالزرع الذي
اكله الدود او بانه الذي اكل حبه وبقي تبنه وعلى هذا التفسير يكون المعنى كعصف ماكول الحب
كما تقول زيد حسن بمعنى حسن وجهه اجرى الحسن على زيد مع انه حال وجهه اعتمادا على انفهام المعنى
المراد شبههم بزرع اكل حبه ذهابا بارواحهم وبقاء اجسادهم ثم فسر العصف ثانيا بالتبن
لانه تعصفه الريح عند التذرية وتفرقه عن الحب الماكول حب بالذي اكلته الدواب ثم القته روثا
فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث وفيه مبالغة حسنة وهي انه
لم يكتف بجعلهم اهون شيء في الزرع وهو التبن الذي لا يجدي طائلا حتى جعلهم رجيعا انه عبر
عن الرجيع بالماكول على طريق الكناية مراعاة لحسن الادب واستهجانا بذكر الروث كما كنى بالاكل في قوله

معا كانا بالكلان الطعام ما يلزم الكل الطعم من البول والتقوط لذلك روي انه تعالى لما رد الحبشة عن مكة
بهذه الكيفية عظمت العرب قريشا وقالوا هم اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة دفع عدوهم فكان
ذلك نعمة عظيمة من الله عليهم اتفقوا على ان قريشا
ولد النضر بن [illegible] واختلفوا في سبب تسميتهم قريشا فقيل سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في
البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار روي ان معاوية سأل ابن عباس لم سميت القريش
قريشا فقال باسم دابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى اي شبهها الهم بها من حيث اتصافهم
بهذه الصفات والتصغير للتعظيم وقيل سموا قريشا لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم
في البلاد لم يكونوا اهل زرع ولا ضرع فهو مأخوذ من القرش وهو الكسب يقال فلان يقرش
لعياله اي يكسب فهو قارش فقريش تصغير قارش والقياس ان يقال قويرش غير انه رخم
وصغر كقولهم حريث في حارث وقيل انهم كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب
في الحرم حتى اتخذوها مسكنا فسموا قريشا لذلك اي لتقرشهم اي تجمعهم يقال تقرش القوم
اي اجتمعوا وقرشتهم اي جمعتهم ولذلك سمي قصي مجمعا قال شاعرهم ابوكم قصي كان
يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر قوله قال علماء اهل اللغة الفت الشيء الفا و
الفته ايلافا بمعنى واحد اي لزمته ودمت عليه وما تركته تقول العرب الفت كذا اي لزمته فعلى هذا
يكون معنى الاية لالف قريش هاتين الرحلتين وجمعهم بينهما ولزومهم اياهما وثباتهم عليهما متصلا
لا منقطعا بحيث انهم اذا فرغوا من ذه اخذوا في ذه وبالعكس والنظم على هذا المعنى ان يكون اللام في
قوله لايلاف متعلقة بما قبلها والتقدير فجعلهم كعصف ماكول لالف قريش اي اهلك الله اصحاب
الفيل ليبقى قريش وما قد الفوه من الرحلتين وذكر عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان السبب في الفهم
بالرحلتين هو ان قريشا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على
انفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ان جاء هاشم ابن عبد مناف وكان سيد قومه فقام
خطيبا في قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشراف

ولد آدم

ولا ادعوا ايها الكم يتبع قالوا نحن نتبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني اب على الرحلتين في الشتاء
الى اليمن وفي الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام مرتفعة باردة ليتجروا فيما
بدا لهم من التجارة فاذا ربح الغني قسم بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم
على ذلك فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش وقال الشاعر فيهم الخالطين
فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي فان قيل كيف كان ما فعل الله باصحاب الفيل سببا
لدوام قريش على ما الفوا من الرحلتين الجواب بان انتظام احوال مكة لما كان منوطا بهاتين
الرحلتين وانهم انما كانوا يحترمون في اسفارهم لان ملوك النواحي كانوا يعظمون اهل مكة
ويقولون هولاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة حتى انهم كانوا يسمون اهل مكة
اهل الله فكانوا بذلك آمنين في اسفارهم لا يتخطفون ولا يتعرض لهم في نفوسهم ولا في اموالهم
فلو تم للحبشة ما عزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العز والشرف وانقطع تعظيم الملوك
واحترامهم اياهم ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي يتخطفون من كل جانب ويتعرض لهم
في نفوسهم واموالهم فلما اهلك الله تعالى اصحاب الفيل وجعل كيدهم في تضليل ازداد وقع اهل مكة
في القلوب وازداد تعظيم ملوك الاطراف لهم فازدادت تلك المنافع والمتاجر فلهذا قال تعالى
الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل لايلاف قريش رحلتي الشتاء والصيف ويجوز ان يكون
الايلاف بتعدية الالف على ان يكون الفعال منه والفعيل غيره يعني لزمته والزمته الله اي فعلنا
باصحاب الفيل ذلك لتولف قريش رحلتيها او تلزمهم اياها والالزام ضربان الزام بالتكليف
والامر والالزام بالمودة والمواءمة فاذا احب المرء شيئا لزمه ومنه والزمهم كلمة التقوى
كما ان الجهاد ضربان احدهما لدفع الضرر كالحرب من السبع والثاني لطلب النفع العظيم كمن يجد
مالا عظيما ولا مانع من اخذه لا عقلا ولا شرعا ولا عادة فانه يكون كالملجأ الى الاقدام وكذا الدواعي
التي تكون في الجادة تارة تكون لدفع الضرر واخرى لجلب النفع وهو المراد في قوله لايلاف قريش
ايلافهم فان قيل كيف يجوز ان تتعلق هذه اللام بما في السورة المتقدمة وحق كل سورة ان تكون مستقلة بنفسها

ولا تتعلق على احدى السورتين بما في الاخرى فلنا فيه مذهبان كون اللام متعلقة بما قبلها طائفتان
احديهما قالوا انهما ليستا بسورتين بل هما سورة واحدة واحتجوا عليه بان ابي ابن كعب جعلهما في مصحفه
سورة واحدة وبما روي ان عمر رض قرأ في صلوة المغرب في الركعة الاولى والتين وفي الثانية الم تر
ولايلاف قريش معا من غير ان يفصل بينهما بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وما ذكر من استبعاد تعلق اللام
بما قبلها لا يرد على هذه الطائفة وهو ظاهر والطائفة الثانية وهم الاكثرون قالوا الحق واحدة منهما
سورة منفصلة عن صاحبها وتعلق اول هذه السورة بما قبلها لا ينافي ذلك لان القرآن كله كالسورة
الواحدة وكالاية الواحدة يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها معنى بعض وقولهم انهما بيتا رضه
لم يفصل بينهما وعلى هذا التقدير وهو ان يجعل الايلاف تقوية الالف يجوز ان تتعلق اللام بما بعده
وهو قوله فليعبدوا كما اشار اليه المص فيكون الايلاف مصدرا من المبني للمفعول مضافا الى مفعوله
الاول واطلق عن مفعوله الثاني حيث لم يقيد بتعليقه به ليعم المقيد به وغيره لان ذلك المطلق يحيي
لاجل الايلاف وتذكير لعظم المنة فيه لكونه نعمة عظيمة قيل والاقرب ان يجوز قوله لايلاف قريش على الجميع
كل هوانه وموافقة في السفر والحضر في احوالهم وقوله ايلافهم رحلة الشتاء والصيف من قبيل
عطف الخاص على العام تعظيما له كعطف جبرئيل على الملائكة ووجه التعظيم كون تنكير الرحلتين قوام
معاشهم ومدار انتظام احوالهم لانهم يسكنون بواد غير ذي زرع وفائدة ترك واو العطف التنبيه
على انه كل النعمة والاول اظهر قوله وان فلاغ الكلام لما ورد ان يقال اذا كانت اللام متعلقة
بقوله فليعبدوا لزم توسط الفا بين العامل والمعمول ولا وجه له اجاب عنه بان قوله فليعبدوا
جزاء شرط محذوف تقدم عليه معموله كمعنى ما ذكره قوم قوله لايلاف قريش على ما هو على انه العبادة
عوض عن الشرط المحذوف والرحلة بالكسر الارتحال وبالضم الجهة التي يرتحل اليها واصل الرحلة السير
على الراحلة وهي الناقة القوية ثم استعمل في مطلق السير والارتحال والايلاف والالف بمعنى واحد وضدهما الايحاش
قوله يمتارون اي يطلبون الميرة وهو الطعام قوله او بمحذوف اي اللام غير متعلقة لا بما قبلها و
لا بما بعدها قال محيي السنة في تفسيره حاكيا عن الكسائي والاخفش اللام في قوله لايلاف لام التعجب

كانه

كانه يقول اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم
بعبادته بقوله فليعبدوا بعد هذا كما تقول لزيد واكرامنا اياه على وجه التعجب اي اعجبوا لذلك
والعرب اذا جاءت بهذه اللام اكتفوا بها دليلا على التعجب من غير اظهار فعل التعجب انتهى ووجه
التعجب انهم كل يوم يزدادون غيا وجهلا وانغماسا في عبادة الاوثان والله تعالى يؤلف
ويدفع الآفات عنهم وينتظم لهم اسباب معاشهم ولا شك انه غاية التعجب من عظيم حلم الله وكرمه
والظاهر على هذا الوجه ان يكون قوله فليعبدوا معطوفا على مقدر اي لينتبهوا اي في هذا الكون
فليعبدوا والفاء للتعقيب **قوله** كالتضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالبيت
الذي قبله تعلقا لا يصح المعنى الا به وهذا كذلك لان المعمول يتوقف تمام معناه على
عامله وعلى تعلقه به **قوله** اي بالرحلتين اشارة الى ان المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة
التي حملتهم على الرحلتين بسببها لا المجاعة التي اصابتهم بدعوة رسول الله عم حين كذبوه
وهي قوله اللهم اشدد وطأتك عليهم واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط و
اصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون ف
دعا رسول الله عم فاخصب البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط وهذا الاطعام لم يحصل با
بالرحلتين وقيل من بمعنى بعد اي اطعمهم بعد الجوع الذي اصابهم قال صاحب الكشف في الفرق
بين عن ومن ان عن تقتضي حصول جوع قد زال بالاطعام ومن تقتضي المنع مطلق الجوع و
المعنى على هذا اطعمهم فلم يلحقهم جوع وامنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لابتداء الغاية والمعنى
اطعمهم في بدء جوعهم قبل لحاقه بهم وامنهم في بدء خوفهم قبل اللحاق
استفهام معناه التعجب يعني ان هذا اللفظ وان كان في صورة
الاستفهام لكن الغرض منه المبالغة في التعجب كقولك ارايت فلانا ماذا ارتكب ولماذا عرض
نفسه ثم قيل انه خطاب للرسول عم وقيل هو خطاب لكل عاقل وارايت هنا يجوز ان يكون من رؤية
البصر وبمعنى العرفان فيتعدى الى مفعول واحد وهو الموصول كانه قال ابصرت المكذب او عرفته

موصوف

وان يكون بمعنى العلم فيكون بمعنى الخبر فيتعدى الى اثنين الاول الموصول والثاني المحذوف وقدره الزمخشري فيهو وقدره القرطبي امصيب ام هو مخطئ والمعنى ارايت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بنيانه اتفعل ذلك الغرض فكيف يليق بالعاقل جر العقوبة الابدية الى نفسه لغير غرض او لاجل الدنيا فكيف يليق بالعاقل ان يبيع الكثير بالقليل قوله سهل اوّلها اي اول هذه القراءة اول الهمزة اي حذفها يعني ان وقوع حرف الاستفهام في اول الكلمة جعل اول حرف الهمزة سهلا كثيرا مع ان حذفها مختص بالمضارع كذا يرى وادي واما كذا رأيت فلم يسمع في العرب ووجه التسهيل ان الماضي بسبب دخول حرف الاستفهام عليه شابه المضارع لان فيه الطلب معنى الاستقبال فاخذ حكم المضارع لذلك مع ان وقوع الهمزة في اوله اوجب ثقل وقوع همزة اخرى بعده فسهل حذفها لذلك ايضا وحذفها في الاية اسهل من حذفها في البيت الذي ذكره الزمخشري وهو صاح هل ريت او سمعت براع رد في الضرع ما قرى في الحلاب لان البيت وان كان فيه حرف الاستفهام لكن تلك الحروف ليست بهمزة فلم يجتمع فيه همزة وريت لم يلزم الثقل الحاصل في اجتماع الهمزتين بخلاف الاية قوله صاح اصله يا صاحب فحذف حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح قوله ما قرى اي جمع يقال قريت الماء في الحوض اي جمعته والعلبة ما يحلب فيه من جلد او خشب وجمعه علب وعلاب قوله والذي يحتمل الجنس فيكون عاما لكل من كان مكذبا بالدين قوله ان ابا جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسئله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فايس الصبي فقال له اكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبي عم والتمس منه ذلك وهو عم ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابي جهل فقال ابو جهل ورحب وبذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت فقال لا والله ما صبوت ولكن رايت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم اجبه يطعنها في وكان ابو سفيان ينحر جزورا على نفسه كل اسبوع فجاء يوما من الايام يتيم يسئله لحما او لدفع الدفع بعنف وجفوة قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا قوله ولا يحض اهله وغيرهم اشارة الى ان مفعول يحض محذوف اي لا يحث نفسه

ولا يأمر به غيره ولا بد مع تقدير المفعول من تقدير المضاف أي لا يحث غيره على إطعام طعام المسكين
من أجل بخله به وإضافة الطعام إلى المسكين للإشعار بأن ذلك حق المسكين وأنه إنما منع المسكين
بما هو حقه وذلك نهاية البخل وقساوة القلب وخساسة الطبع ولو كان مصدقا للحساب والجزاء
لما أقدم على إيذاء الضعيف ومنع المعروف فإن دفع اليتيم الضعيف عن ماله وعن حق نفسه ظلم
وحرام لا يقدم المرء عليه إلا مع الغفلة عن الحساب والجزاء وأما دفعه بترك المواساة معه وإعانته
ببعض حوائجه الضرورية وكذا عدم حث غيره على مواساة المحتاجين وإطعام المساكين فإنه وإن لم يكن
في نفسه إثما وحراما لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده بالجزاء وتكذيبه به من حيث إن السبب في نحو ذلك
هل هو التكذيب بالجزاء وانتفاء هذه المبرات كلها لما كان متفرعا مسببا بتكذيب الجزاء رتب
قوله فذلك الذي إلخ على قوله يكذب بالفاء السببية للإيذان بأن دع اليتيم وعدم حث غيره على
معاونة المحتاجين سببه التكذيب بالجزاء وجعله لازما له قوله فذلك جواب شرط محذوف
وجعل تقدير الكلام إن طلبت علمه فذلك الذي يدع اليتيم إلخ قوله يراءون الناس أعمالهم بيان
لمعنى المفاعلة في هذا الفعل فإن يرائي مفاعلة من الإراءة والمرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه
والإعجاب به فإن قيل ما الفرق بين عن صلاتهم وبين في صلاتهم وما الحكمة في اختيار العبارة الأولى
على الثانية فالجواب أن معنى في أن يكون الإنسان في أثناء الصلاة طالبا لمرضاة المعبود متوجها إليه ومتذللا
بين يديه ولكن يعتريه السهو في أثنائها بوسوسة الشيطان أو حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو
عنه أحد ومعنى السهو عن الصلاة عدم المبالاة بها والاعتناء بشأنها فيخرجها عن وقتها إلى ذلك أو شرع
فيها في وقتها لا يؤديها على مرضاة الله تعالى والتقرب إليه والامتثال لأمره فيخفض ويرفع ولا يدري
ما يفعل وذلك فعل المنافقين والفسقة في ترك الصلاة لأنه لا يعتد بالدين فالسهو في الصلاة
من أفعال المؤمنين لأنه شرع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق والسهو عن الصلاة من أفعال الكافر
فإنه وإن باشر صورة الصلاة بفعله لكنه ساه غافل عن حقيقتها لانعدام قدرها ونيتها **قوله**
أو للسببية على معنى ويل لهم وجه السببية أنه لما ذكر المكذب بالجزاء أوصافا ذميمة التي أدى

الويل لمكذبيه بالدين تسبب عن ذكره على هذا الوجه الدعاء عليهم بكذبهم بالويل والهلاك والفاء انما ترتب
على سببه ما قبلها من الاوصاف ايضا للاستحقاق المذكور مبادعي ان تعليق الحكم على الموصوف يشعر
بعلية الوصف له فان قيل كيف جعل المصلين وهو جمع قائما مقام ضمير الذي ولفظ الذي
ليس بجمع قلنا معناه الجمع لان المراد به الجنس والفرق بين المرائي والمنافق ان المنافق يبطن
الكفر ويظهر الايمان والمرائي انما يظهر زيادة الخشوع واثار الصلاح ليعتقد من يراه انه
من اهل الصلاح وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة ولا يكون المرء مرائيا باظهار فرائض
الله من نحو الصلوة والزكوة لان حقها الاعلان لانها من اعلام الدين وشعاير الاسلام فمستحق تاركها
اللوم والطعن فيجب اظهارها نفيا للتهمة عن نفسه قوله ويتعاونه العادة اي يتداولونه
بالعادية ويعطي بعضهم بعضا اياه عادة واستعارة وقيل انه اسم لما لا يمنع في العادة و
يسئله الفقير والغني وينسب مانعه الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفاس والقدر والدلو
والمقدحة والغربال والقدوم ونحوها ويدخل فيه الملح والماء والنار فانه روي ثلثة
لا يحل منعها الماء والنار والملح ومن ذلك ان يلتمس جارك ان يخبز في تنورك او يضع متاعه
عندك يوما او نصف يوم واصحاب هذا القول قالوا الماعون فاعول من المعن وهو الشيء
القليل وتسمية الزكوة ماعونا لانه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير والمقصود من الاية
على هذا الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة فان البخل بها نهاية الدناءة والمنافقون كانوا
كذلك لقوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل وقال مناع للخير معتد اثيم وفسر الماعون با
بالزكوة كابي بكر وعلي وابن عباس وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغيرهم قالوا
بذكره عقيب الصلوة فانه يدل على ان المراد به الزكوة وبما روي عنه في اخر السورة وهو قوله عم
من قرأ سورة ارأيت غفر الله له ان كان للزكوة مؤديا فانه يوهم ان الماعون هو الزكوة وقيل اصله
معونة والالف عوض عن الهاء

الكوثر

اصل انا اننا فحذف
احدى النونات كراهة لاجتماع الامثال والانطاء الاعطاء بلغة اهل اليمن قال اهل اللغة

الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل والعرب يسمي كل شيء كثير العدد او كثير القدر والخطر كوثرا
فهو بناء يفيد المبالغة في الكثرة والافراط فيها قيل لاعرابية رجعت ابنها من السفر بم آب ابنك
قالت آب بكوثر اي بالعدد الكثير من الخير وهذا معنى الكوثر في اللغة وذهب اكثر المفسرين الى ان
الكوثر نهر في الجنة استدلالا بما روي عنه عم ولعله انما سمي ذلك النهر كوثرا لكثرة ما فيها من المنافع
على ما قال عم نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير فيه جملة خيراته انه انفجر عنه انهار الجنة كما روي
انه ما في الجنة بستان الا وفيه من الكوثر نهر جار وقيل انه حوض في الجنة ووجه التوفيق بين هذا
القول والاول ان يقال لعل ذلك النهر ينصب في هذا الحوض او لعل الانهار انما يسيل من ذلك الحوض
فيكون الحوض كالمنبع وقيل الكوثر اولاده وذلك لان هذه السورة نزلت ردا على من عابه عم بعدم
الاولاد فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ
منهم وقيل الكوثر اصحابه واشياعه الى يوم القيمة ولا شك ان له عم من الاتباع ما لا يحصيهم الا الله
تعالى وانه عم قال بينما انا قائم مع الانبياء اذ يظهر لنا امة من الناس فنبتدرهم بابصارنا ما منا
من نبي الا وهو يرجو ان تكون امته فاذا هم غر محجلون من آثار الوضوء فاقول امتي ورب الكعبة فيدخلون
الجنة بغير الحساب ثم يرفع لنا ثلثة امثال ما قد وقع فنبتدرهم فذكر كما ذكر في المرة الاولى والثانية
ثم قال ليدخلن ثلث فرق من امتي قبل ان يدخلها احد من الناس ولقد قال عم تناكحوا تكثروا
فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة ولو بالسقط فاذا كان يباهي بمن لم يبلغ حد التكليف فكيف بمثل هذا
الجم الغفير فلا جرم حسن منه تعالى ان يذكره هذه النعمة الجسيمة فقال انا اعطيناك الكوثر وقيل الكوثر
علماء امته وهو لعمري الخير الكثير لانهم كانبياء بني اسرائيل من حيث ان اولئك الانبياء كما يتبعون النصوص
الماخوذة من الوحي في واقعات الاحكام ونوازل الحوادث فكذلك علماء امته عم يتبعون النص الالهي ثم
يستنبطون منها الاحكام باجتهادهم ثم تفضلهم على سائر الانبياء في درجاتهم ما روي انه يجيء يوم
القيمة الرسل والانبياء ويتبعهم اممهم فربما يجيء الرسول ومعه الرجل والرجلان ويجيء بكل عالم من
علماء امته ومعه الالوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول عم فربما يزيد عدد متبعي بعض العلماء عدد متبعي

الف من الانبياء عم وقيل الكوثر هو القرآن وفضائله لا تحصى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا وقيل الكوثر هو الاسلام وقيل هو الفضائل الكثيرة التي فيه وقيل العلم وقيل المقام المحمود الذي هو الشفاعة وقيل الكوثر النبوة ولا شك انها الخير الكثير لانها بمنزلة التي هي ثانية الربوبية ولهذا قال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل المراد من الكوثر جميع نعم الله على محمد عم وهو المنقول عن ابن عباس لان لفظ الكوثر يتناول جميع النعم وليس حمله على البعض اولى من حمله على الباقي فوجب حمله على الكل فيتناول خيرات الدنيا والاخرة وخيرات الدنيا ما كانت واصلة اليه حين كان تلك الخيرات فكانت الاية كالبشارة له والوعد بانهم لا يقدرون على ان يضروه ولئن يوصلوا اليه كيدهم ومكرهم بل يصير امره عم كل يوم في القوة والازدياد وعبر عما سيكون بصيغة اعطينا للتحقق ويجوز ان يكون صيغة الماضي على حقيقتها تنبيها على ان الاسعاد والاشقاء والاغناء والافقار ليس امرا يحدث الآن بل كان حاصلا في الازل بمحض الاختيار والمشية من غير ان يكون شيء منها معللا بعلة اصلا فكانه تعالى يقول ما اخترناك وما فضلناك لاجل طاعتك وحبك واهتمامك بها والا كان يجب ان يغنيك الابعد اقدامك على الطاعة بل انما اخترناك واعطيناك بمجرد الفضل والاحسان من غير موجب يقتضيه ولا باعث يدعو اليه ويدل عليه قوله عم قبل من قبل لا لعلة ورد من رد لا لعلة وكيف لا يكون الامر كذلك وفعل الله صفة وما يكون من الطاعة ويزال الوجه في تحصيل مرضاته صفتنا وصفة الخلق لا يكون مؤثرة في صفة الخالق بل المؤثرة في صفتنا انما هو صفة الخالق فلهذا قال من قال العبد يرضيه طاعتي ويسخطه معصيتي يريد ان رضاه وسخطه قديمان وطاعتي ومعصيتي محدثتان والمحدث لا يؤثر في القديم بل رضاه في الازل هو الذي حمله على الطاعة فيما يستقبل وكذا السخط بالعبد حمله على المخالفة وعصيانه ولا حول ولا قوة الا بالله قوله شكرا لانعام عطف لقوله عم على الصلوة فان كثرة الانعام توجب مداومة النعم على شكر المنعم فلما بين الله تعالى كثرة انعامه عليه بقوله اعطيناك فرع عليه قوله فصل

فانهم لم

فانه بمنزلة ان يقال فاشكر لكون الصلوة جامعة لاقسام الشكر وهي ثلثة الاول الشكر بالقلب
وهو ان يعلم ان تلك النعمة منه لا من غيره والثاني الشكر باللسان وهو ان يمدح المنعم ويثني عليه والثالث
الشكر بالجوارح وهو ان يخدم ويتواضع له والصلوة جامعة لهذه الاقسام **قوله** فالسورة
كالمقابلة للسورة المتقدمة متفرع على ما ذكر من الاربعة وهي قوله خلاف الساهي عنها المرائي
فيها وقوله خلاف لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون وبيان وجه المقابلة ان الله تعالى وصف المنافقين
في السورة المتقدمة باربعة امور اولها البخل وهو المراد من يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين
والثاني ترك الصلوة وهو المراد من قوله الذين هم في صلوتهم ساهون والثالث الرياء في الصلوة
وهو المراد من قوله الذين هم يراؤن والرابع منع الزكوة وهو المراد من قوله ويمنعون الماعون فذكر
في هذه السورة الكريمة في مقابلة تلك الصفات الاربع صفات اربعة تقابل تلك الصفات المتقدمة
فذكر في مقابلة الذين هم في صلوتهم ساهون قوله فصل اي دم على الصلوة وذكر في مقابلة الذين هم
يراؤن قوله لربك اي ائت بالصلوة خالصا لوجه الله لا لمراياة الناس وذكر في مقابلة الذي يدع اليتيم
ويمنعون الماعون قوله وانحر اي اذبح البدن التي هي خيار الاموال وتصدق بلحومها على المحاويج فان
بذل خيار الاموال يقابل البخل وصرفها على المحاويج يقابل منع الماعون وحمل المعنى قوم على
تقييد الصلوة بالاضافة الى العبد ونحوه لكن رد ان المراد جنس الصلوة وانما خصت بالذكر
لكونها عماد الاعمال الدينية وقيل المراد بالصلوة صلوة العيد وبالنحر التضحية والمعنى الامر
بتاخير التضحية عن صلوة العيد لانهم كانوا يقدمون التضحية على الصلوة فنزلت هذه الاية
قال المحققون هذا القول ضعيف لان عطف الشيء على غيره بالواو لا يوجب الترتيب واقتران
ذكر النحر بالصلوة لا يدل على ان يحمل الصلوة على ما يقع في يوم النحر فالاقرب هو القول الاول
قوله ان شانئك اي مبغضك البغض ضد الحب فالمبغض ضد المحب بقوله ان مبغضك اي من لا يحبك
بل يعاديك مستفاد من تعليق الحكم بالمشتق الذي هو الشانئ وهو المبغض فانه يفيد علية المأخذ
شنئه شنأ وشنأ ومشنأ وشنآنا بالتحريك وشنآنا بالسكون اي ابغضه والابتر في اللغة

لاستيصال القطع وبترت الشئ ابترا اى قطعته وبتر بالكسر بترا اى صار ابتر وهو مقطوع الذنب
ويقال للذى لا عقب له ويقال ايضا لمن انقطع عنه الخير قال السدى كانت قريش يقولون لمن مات
الذكور من اولاده ابتر فلما مات ابناه القاسم وعبد الله بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر وليس له من
يقوم مقامه وروى ان العاص ابن وائل كان يقول ان محمدا ابتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا
مات انقطع ذكره واسترحتم منه فانزل الله تعالى ان شانئك ومن عاداك هم المبترون فتولى سبحانه
اى بنفسه اى من غير واسطة جوابهم وسلى نبيه على ما هو سنة الاحباب فان الحبيب اذا سمع من يشتم
حبيبه تولى بنفسه جوابه فقال تعالى ان مبغضك الذى نسب اليك الابتر هو المقطوع من خير الدنيا والاخرة
المنسى ذكره فيهما وان ذكر ذكر باللعن واما انت فكل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم
اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر فمثلك لا يقال
له ابتر قال اهل العلم هذه السورة مع كونها اقصر سورة في القران قد احتوت على معان بليغة وا
اساليب بديعة منها دلالة كلمة هذه السورة على عظم العطية من حيث انها عطية رب السموات
والارض الذى لا ينتقص شئ من خزائن قدرته بكثرة نواله وافضاله والكوثر وان كان خيرا كثيرا
فان اعطائه كثير من كثير ومنها ايراده بصيغة الماضى مع ان العطايا الاخروية واكثر ما يكون في الدنيا
لم يحصل بعد تحقيقا لوقوعه مع ان الاعطاء لا يستدعى تمكين الموهوب له من تصرف الموهوب وقت الهبة
فان من اقر لولده الصغير بصيغة له يصح ان يقال انه اعطاه تلك الصيغة مع ان الصبى في تلك الحال
لا يكون اهلا للتصرف ومنها تاكيد الجملة بان الجارى مجرى القسم وكلام الصادق مصون عن الكذب
والخلف فكيف اذا بولغ في التاكيد فان تقديم المبتدأ وبناء الفعل عليه يفيد التاكيد ايضا لاشتمال
الكلام على تكرر الاسناد ومنها الاتيان بصيغة تدل على المبالغة في الكثرة ومنها حذف الموصوف
بالكوثر لانه حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس في اثباته ومنها توشيحه بلام الاستغراق ومنها
فاء التعقيب الذى يدل على التسبيب فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها ملفتة قوله لربك
من التعريض لمن كان صلوته ونحره لغير الله ومنها تخصيص الصلوة بالذكر للاشارة الى انها عماد الاعمال

الدينية

الدينية وافضلها ثم اشار الى العبادة المالية بذكر ما هو اعلى منها وهو النحر ومنها حذف متعلق النحر
اكتفاء بذكره في الصلوة اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانها من البديعية
الى غير ذلك مما لا يحصى ولا يعد يعني كفرة مخصوصين وهم
الذين قالوا لك نعبد الهك سنة وتعبد الهتنا سنة يريد ان الالف واللام في قوله تعالى الكافرون
وان كانت للجنس بحسب الظاهر لان الكافرون صفة لاي الا انه للعهد فان تخصيص العام بحسب
القرائن شائع كثير كما تقول يا ايها الرجال ادخلوا الدار فانك لا تامر به جميع الرجال بل تامر
الذين تشير اليهم باقبالك عليهم وقرينة الخصوص في الاية هي انه لا يجوز ان يكون قوله تعالى لا اعبد ما
تعبدون خطابا مع كل الكفرة لان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى فلا يجوز ان يقال
لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ايضا ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان
من الكفار من امن وصار بحيث يعبد الله تعالى فبهذه القرينة علمنا ان الخطاب للكفرة المخصوصين الذين
سبق في علم الله تعالى موتهم على الكفر قوله فان لا لا تدخل الا على المضارع بمعنى الاستقبال يعني
اذا دخل لا على المضارع يجب ان يكون ذلك المضارع بمعنى الاستقبال لا انها لا تدخل ابدا الا على المضارع
الموصوف فانها قد تدخل على الماضي بشرط التكرير كقوله فلا صدق ولا صلى وكذا تدخل على الاسم كقولك لا رجل
في الدار وكذا ما فانها لا تدخل على غير المضارع كثيرا كقوله تعالى وما محمد الا رسول وما هذا بشر واختلفوا
في ان التكرير ههنا بل هو للتاكيد ام لا واذا لم يكن للتاكيد فباي طريق حصلت المغايرة حتى يكون
كل جملة لتاسيس معنى على حدة فذهب جماعة الى ان الاية الرابعة وهي قوله ولا انتم عابدون ما اعبد
تاكيد للثانية وهي قوله ولا انتم عابدون ما اعبد ومثله فباي الاء ربكما تكذبان وويل يومئذ
للمكذبين ونحوهما وفائدة التاكيد ههنا قطع اطماع الكفار رجعوا الى رسول الله صلعم مرارا
وقالوا له نريد ان يقع الصلح بيننا وبينك بان تعبد الهتك مدة وتعبد الهتنا مدة فيكت ٤م
في كل مرة ولم يجبهم احتياطا من ان لو شافههم بالرد واليأس لتاذوا وحصلت النفرة عن
الاسلام في قلوبهم فوقع في قلوبهم انه قد مال الى دينهم بعض الميل فلا جرم دعت الحاجة الى

الى التاكيد ابطالا لزعمهم الباطل فنزلت هذه السورة ونزل ايضا قوله تعالى افغير الله تأمروني اعبد ايها
الجاهلون فتارة وصفهم بالجهل لانه اصل الخبائث وتارة بالكفر لانه كالثمرة للجهل فلما نزلت السورة
وقرأها على رؤسهم شتموه وآيسوا منه هذا خلاصة المعنى على تقدير ان يحمل التكرير على التاكيد وذهب
اخرون الى ان كل جملة لافادة معنى على حدة وانفرد المحشي الكشميري حيث قدم في الذكر على احتماله
كونه للتاكيد وبيّن طريق المغايرة ببيان ان كل قرينة مقيد بزمان غير زمان القرينة الاخرى فحمل
القرينة الاولى على الاستقبال بشهادة كلمة لا الداخلة على المضارع وحمل القرينة الثانية على الحال او
الماضي فكان المعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولست في الحال او في الماضي
بعابد لما عبدتم من الاصنام وحمل القرينة الثالثة وهي قوله ولا انتم عابدون ما اعبد على الاستقبال
بقرينة مقابلتها للقرينة الاولى المحمولة على الاستقبال وحمل القرينة الرابعة وهي هذا التركيب بعينه
على استغراق النفي وشموله لجميع الازمنة بناء على ان الجملة الاسمية تفيد الدوام واذا دخلت عليها
حرف النفي تفيد دوام النفي ثم قال ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ اي يجوز ان يكون القرينة
الثالثة تاكيدا للقرينة الاولى على طريقة ابلغ لان القرينة الاولى لنفي الاستقبال والقرينة الثالثة
تفيد دوام النفي في جميع الازمنة كما مر آنفا فتفيد ما افادته الاولى مع زيادة فكانت تاكيدا
لها على طريق ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان يكون تاكيدا للثانية على ابلغ وجه لان الثانية حملت بقرينة
المقابلة على نفي الاستقبال والرابعة محمولة على عموم النفي فيكون ابلغ منها ويرد على تجويزه ان يكون
قوله ولا انا عابد ما عبدتم محمولا على الماضي كما اشار اليه بقوله او في الماضي ان عابد اسم فاعل وهو
لا يعمل الا اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال فكيف يصح ان يكون بمعنى الماضي والحال انه انما يعمل اذا
كان بمعنى الحال والاستقبال الا ان يقال ان اعماله حال كونه بمعنى الماضي مبني على حمله على حكاية الحال
الماضية كما في قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه وقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون فكونها فرد وهو انهم
لم يكونوا ما قبل البعثة بعبادة الله تعالى وهذا الفرق يقتضي ان يعبر عبادتهم بلفظ الماضي و
عبادته بما يدل على الحال حيث لم يكن فيما مضى مشتهرا بكونه عابدا لله تعالى وفي الفرق المذكور نظر

لانهم

لان آدم لم يزل موحدا لله تع منزها له عن كل ما لا يليق بجلال ذاته مجتنبا عن اصنامهم يقف على
علامات شعائر ابراهيم ع م ومناسكه وحج البيت وهذه كلها عبادة واى عبادة اعظم من توحيد الله تع
ونبذ الاصنام وقد سمى الله تع معرفته عبادة حيث قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وقال المفسرون معناه الا ليعرفون فعبر عن المعرفة بالله تع بالعبادة وقد ثبت في الاحاديث
الصحيحة ان آدم كان يتحنث قبل البعثة في غار حراء والجواب ان جميع ذلك مسلم الا ان المراد
بالعبادة التي نفيت عنه ع م قبل البعثة هي اعمال الجوارح الواقعة على سبيل الامتثال
لاوامر الشرع فان العبادة قد يطلق على هذا المعنى والايمان والنية والاخلاص شروط
لصحة العبادة بهذا المعنى واياها اراد من قال فان فقيها واحدا متورعا اشد على
الشيطان من الف عابد **قوله** وقد اختلف في انه ع م هل كان متعبدا بالعبادة بهذا المعنى
قبل نبوته اولا فقال الرازي وجماعة من اصحاب الشافعي وابو الحسين البصري واتباعه ان
آدم لم يكن متعبدا بهذا المعنى واجابوا عن الطواف والتحنث وغيرهما من المكارم بانها ليست
بعبادة بهذا المعنى لانها جبلية غير مسبوقة باوامر الشرع وما امروا بها من قبله ولا امر قبل
البعثة فاذا لم يكن تلك الافعال عبادة بهذا المعنى لم يكن ع م متعبدا قبل البعثة فكان ما وقع
منه قبلها من قبيل الجري على العادة المستمرة العربية والمكارم الحسنة المجبولة من غير ان ينظر فيه
الى كونه طاعة لله تع او قربة على طريق الامتثال لاوامر الشرع قال الامام في تفسير سوره النبية
العبادة في الاصل هي التذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان ما وقع من المشركين من عبادة
الملائكة والمسيح والاصنام عبادة وليست بطاعة لانهم ما اطاعوهم لان الاطاعة عبارة عن
امتثال الامر وهم ما امروا المشركين بذلك ولكن في الشرع صارت اسما لكل طاعة لله تع اديت
على وجه التذلل ونهاية التعظيم فظهر بهذا انه لا بد في كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم
ولذلك قلنا ان صلوة الصبي الغير العاقل ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله
غاية التعظيم والثاني ان يكون الفعل مأمورا به ففعل اليهود ليست بعبادة وان تضمن نهاية

التعظيم لانه غير مأمور به انتهى معنى كلامه **قوله** وانما قال ما دون من اى فى الرؤية الثانية و
الرابعة وهما فى قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمراد بما اعبد فى الموضعين هو الله تعالى وان
اصل ما ان لا يطلق على اولى العلم واما كلمة ما فى قوله لا اعبد ما تعبدون وفى قوله ولا انا عابد
ما عبدتم فانها واقعة فى موقعها لان المراد بها فيهما الاصنام واجاب عنه بجوابين الاول ان الله
عبر عنه بلفظ ما الابانى يراد به نفس ذاته تعالى بل اريد به الوصف وهو الحق ولما حمل ما فى
ما اعبد على الحق حمل فى قوله ما عبدتم وما تعبدون على الباطل تحقيقا للتقابل والثانى انه
لما عبر عن المعبودات الباطلة بما على الاصل عبر عن المعبود بالحق ايضا به للمطابقة والمشاكلة
فان المقابلة تحسن ما لا يحسن حال الانفراد ثم اشار الى جواب ثالث بقوله وقيل انها
مصدرية لحصول انما يحتاج الى الاعتذار باحد الوجهين ان لو كان موصولة وليست كذلك بل هى
مصدرية فى الموضع اى لا اعبد عبادتكم اى مثل عبادتكم ولا بد من هذا التقدير لان الشخص
لا يفعل نفس فعل غيره ولكن يفعل مثل فعله وكذا الكلام فى اخواتها **قوله** وقيل الاوليان
بمعنى الذى فالمعنى لا اعبد الاصنام ولا تعبدون الله والاخريان مصدريتان والمعنى ولا انا عابد
مثل عبادتكم المبنية على الشك ولا انتم عابدون مثل عبادتى المبنية على اليقين والظاهر
ان مقصود القائل حمل هذه الوجوه الاربع على التأسيس ببيان التغاير بينها بهذا الوجه
ولا دخل لهذا الجواب اذ لا تعرض فيه لوجه التعبير عنه تعالى بكلمة ما فى الرؤية الثانية و
انما اخره المصنف من حيث ان له تعلقا بهذا الموضع ايضا **قوله** فليس فيه اذن فى
الكفر ولا منع عن الجهاد وان كان ظاهر العبارة يشعر بكل منهما فان قوله لكم كفركم بالله
يشعر بالاذن بهذا الكفر وهو غير صحيح لانه عم بعث للمنع عن الكفر فكيف ياذن فيه فلما قيل معنى
قوله لكم دينكم انكم لا تتركونه ابدا الا ان الله تعالى قال انكم تموتون عليه كان هذا الكلام فى تكملة لقوله
ولا انتم عابدون ما اعبد حيث كان بيانا لمحصل معناه فهو بهذا المعنى لا يكون مشعرا بالاذن فى الكفر
ولو كان المراد به الاذن فى الكفر لكان ذلك منعا عن الجهاد لان كونه مأمورا بالاذن لهم فى الثبات

على الكونه سبيلين منعه عنه فلما لم يكن المراد به الاذن لم يكن فيه دلالة على المنع من الجهاد ايضا وان
فسر الدين بالحساب كان المعنى لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع الى كل واحد منا من عمل صاحبه اثر البتة
والدين قد يستعمل بمعنى الدعاء كما في قوله ادعوا الله مخلصين له الدين ومعنى الاية على هذا لكم دعاؤكم
وما دعاء الكافرين الا في ضلال وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ويستجيب الذين امنوا ادعوني
استجب لكم دعائكم المأخوذة من اسلافكم ومن الشياطين ولي دعائي المأخوذ من الملائكة ومن
الوحي ثم يبقى كل واحد منا على دينه حتى يلقوا الشياطين والنار والقى الملائكة والجنة ولم يعد
تفسير الدين بالعبادة ولعل ما في النسخ من تحريف الناسخين
اظهارها اياك على اعدائك النصر في الاصل الاعانة يقال نصرت فلانا اذا اعنته على تحصيل مطلوبه
الذي يكون متعلقا به وجعل نصر الله تعالى اياه ح كناية عن اظهاره اياه على اعدائه فبالضرورة
يكون غالبا عليهم ولم يبق النصر على ظاهره ليظهر الفرق بينه وبين الفتح حتى يظهر عطفه عليه مع انه
لو ابقي على ظاهره لصح العطف ايضا لان النصر كالسبب للفتح ولا يمتنع عطف المسبب على السبب
فان قيل لا شك ان فتح مكة وسائر البلاد وقع بنصرة الصحابة من المهاجرين والانصار فما السبب
في اضافة الفعل الصادر عنهم الى الله تعالى حيث قيل نصر الله والجواب ان افعالهم مستندة الى ما
في قلوبهم من الدواعي والصوارف وتلك الدواعي والصوارف امور حادثة فلا بد لها من محدث
وليس هو العبد والا لزم التسلسل فلا بد ان يكون هو الله فيكون المبدأ الاول والمؤثر الابعد
هو الله تعالى ويكون المبدأ الاقرب هو العبد فمن هذا الاعتبار صارت النصرة المضافة الى الصحابة
بعينها مضافة الى الله تعالى وهذه الاضافة لتعظيم المضاف اي نصر لا يليق الا بالله ولا يليق ان يفعله
الا الله والمجيء حقيقة في الاعيان التي يتحرك بالة المشي ومجاز في المعنى والظاهر ان يقال اذا وقع
نصر الله وحصل الا انه عبر عن الوقوع والحصول بالمجيء للاشعار المذكور وتوضيحه ان الحوادث التي
قدر في الازل وجودها فالله سبحانه وتعالى قدر لحدوث كل واحد منها اسبابا معينة واوقاتا مقدرة
لا يحدث شيء منها الا اذا تحقق اسبابها وحضر اوقاتها فشبه كونها مربوطة معلقة بتلك الاوقات بكونها

متوجهة اليها بحيث تقرب منها شيئا فشيئا وشبه وقوعها عند حصوله وادنائها لمجيئها اليها فاطلق اسم
المجيء على ذلك الوقوع ثم اشتق منه لفظ جاء فكان الاستعارة تبعية ومثل هذا الكلام يقصد به تنبيه
المخاطب على قرب مجيء ما ينتظر مجيئه اليه وتوصيته بما يتعلق بمجيئه كقولك اذا جاء غائبك ما
فاصنع به كذا وكذا انما يقال لتنبيه والتوصية المذكورين فلذلك قال وقد قرب الفتح في وقته
وظهر في هذا التقرير ان هذه السورة نزلت قبل فتح مكة عدة لرسول الله صم ان ينصره على اهل مكة
وان يفتحها عليه مع ان كلمة اذا ظرف لمستقبل فلا يقال فيما وقع وجاء اذا وقع واذا جاء وقيل انها
نزلت بعد فتح مكة في سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر وروي انه صم عاش بعد نزول
هذه السورة سبعين يوما ولذلك سميت سورة التوديع وروي انه عاش بعد نزولها ستين
يوما مستديما للتسبيح والاستغفار وعن عايشة رضه انه صم كان عند نزول هذه السورة يكثر ان
يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وعن ابي مسعود لما نزلت هذه السورة كان صم يكثر ان يقول
سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الغفور وقال مقاتل انه صم عاش بعد
نزولها حولا ونزل اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعده ثمانين يوما ثم نزل اية الكلالة فعاش
بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسة وثلثين يوما
ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احد عشر يوما وفي رواية اخرى
عاش بعدها سبعة ايام والله اعلم بحقايق الاحوال قال النحويون اذا منصوب بسبح التقدير
فسبح بحمد ربك اذا جاء نصر الله فكانه تع يقول جعلت الوقت ظرفا لما تريد وهو
النصر والفتح وكثرة الاتباع والاسلام وملات ذلك الظرف من هذه الاشياء وبعثته اليك
فلا ترده الي فارغا بل املاه من العبودية لتحقق معنى تهادوا تحابوا وكانه صم قال
باي شيء املا ظرف هديتك وانا فقير فقال الله تعالى المغني ان لم تجد شيئا اخر فلا اقل من
تحريك اللسان بالتسبيح والحمد والاستغفار فلما فعل صم ذلك حصل معنى تهادوا فلا جرم
حصلت المحبة فكانه صم حبيب الله واعلم ان صفات الحق منحصرة في قسمين سلبية وثبوتية

والسلوب

والسلوب متقدمة على الايجاب والتسبيح اشارة الى التعرض للصفات السلبية لواجب الوجود وهي
صفات الجلال والتحميد اشارة الى الصفات الثبوتية له تعالى وهي صفات الاكرام ولما امره بالاشتغال بتوصيف
واجب الوجود بصفات السلبية والثبوتية ومعرفة جميع صفات كماله امره بعد بالاستغفار لان الاستغفار
فيه رؤية تقصير النفس وفيه رؤية وجود الحق وفيه طلب ما هو الاصلح والاكمل للنفس من حضرة واهب
العطايا وهذا الطريق اعني النزول من المؤثر الى الاثر اشرف طرقات ثم ان لهم طريقين شيرهم
منهم من يقول ما رايت شيئا الا رايت الله بعده ومنهم من يقول ما رايت شيئا الا رايت الله قبله
ولا شك ان النزول من المؤثر الى الاثر اعلى مرتبة من الصعود من الاثر الى المؤثر لان الاستدلال بالتبع
على الحس ولكون هذه الطريقة اشرف الطريقين قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالخلق
وهو النفس فذكر من حق الاشتغال بالخالق امرين احدهما التسبيح والثاني التحميد ثم ذكر
في المرتبة الثالثة الاستغفار وهو حالة ممزوجة من الالتفات الى الخالق والى الخلق وفيه
الترتيب ما ذكر آنفا **قوله** تعالى يدخلون في موضع النصب على انه حال من الناس ان جعلت الرؤية
بمعنى الابصار والعرفان وان جعلت بمعنى العلم كان مفعولا ثانيا لها افواجا حال من الضمير في يدخلون
والفوج الجماعة الكثيرة روي عن الحسن انه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها
على بعض فقالوا اما اذا ظفر باهل الحرم فليس لاحد به طاقة وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل
وعن كل من ارادهم بسوء ثم اخذوا يدخلون في الاسلام افواجا من غير قتال كانت تدخل فيه القبيلة
باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين **قوله** جماعات كثيفة الكثيفة الغلظ
وهو ضد الرقيقة والمراد بها هنا الكثرة اي فوجا بعد فوج **قوله** فتعجب اي قل سبحان الله والحمد لله
تعجبا مما اراك من عجيب انعامه وهو الغلبة على اهل الحرم فان الكلمة تقال عند التعجب عادة فصح
ان يفسر الامر بالتسبيح بالامر بالتعجب لذلك ولانها المقام مقام التعجب ولعل الوجه في اطلاق
هذه الكلمة عند التعجب كما ورد في الاذكار لكل اعجوبة سبحان الله هو ان الانسان عند وقوع هذه الامور
العجيبة الخارجة عن العادة امثالها يستبعد وقوعه وينقل نفسه منه كانه مستقصر قدرة الله تعالى
حو

فلذلك خطر على قلبه ان يقول من قدر عليها او جده ثم تدارك انه في هذا الزعم مخطئ فقال سبحان الله تنزيها
لله تعالى عن العجز عن خلق امر عجيب يستبعد وقوعه ليتيقن بانه تعالى على كل شيء قدير **قوله** او في فصل تسمية
الصلوة بالتسبيح من حيث انها لا تخلو عنه فكانه جزء منها فالتسبيح مجاز مرسل فيها وحمل اللفظ
على المجاز لما وجب ان يستند الى قرينة نقيته ايد هذا التفسير بما روي من انه عم صلى ثماني ركعات
يوم فتح مكة داخل البيت ثم قال بعضهم انه عم صلى به صلوة الشكر فصلاها يوم الفتح ثماني
ركعات وقال اخرون هو صلوة الضحى وقال اخرون صلى ثماني ركعات اربعة للشكر واربعة
للضحى وقد ورد لفظ التسبيح في القران بمعنى الصلوة حيث قال فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس **قوله** فنزهه قيل لرسول الله عم
ما المراد بالتسبيح في قوله تعالى فسبح بحمد ربك فقال تنزيها لله من كل سوء فانه تعالى منزه في ذاته عن
الامكان وما يتفرع عليه وفي صفاته كالجهل والعجز بل عالم بكل المعلومات قادر على كل ا
المقدورات وصفاته منزهة عن التغيرات وفي افعاله فان شيئا من افعاله لا يكون لجلب
نفع او دفع ضر بل هو مستغن عن كل الموجودات ومستول عليها بالاعدام والايجاد **قوله**
او فاثن على الله بصفات الجلال استشهاد الحمد من التنزيه لتناوله التوصيف بالصفات
الثبوتية والسلبية ذاتية كانت او فعلية الا انه خص الاستشهاد بالتوصيف بصفات الجلال
وهي صفات تقتضي كمال الذات ولا يكون لها اثار في خلقه مثل القدرة والارادة والعظمة
والكبرياء والملك والتقدس والعز والجبروت والعلم والسمع والبصر لا كالتخليق والترزيق
والاحياء والاماتة وامثالها وجعل الحمد بمعنى الشكر الذي يكون بمقابلة الفواضل الا
المتعدية وهي صفات الاكرام لئلا يخلو التقييد بالحال عن الفائدة ولا يكون تحصيل المعنى
فاثن مثنيا فان قوله بحمد ربك حال من المنوي في فسبح اي سبحه حامدا اياه معترفا بحمده
بعد التسبيح كانه يقول لا يتاتى لك الجمع بين لفظي التسبيح والتحميد في التلفظ فاجمعهما نية
كما انك يوم النحر تشرع في صلوة العيد معترفا انحر بعده فيجتمع لك ثوابهما فكذا الامر

هنا

هنا هضما لنفسك اشارة الى الحكمة الداعية الى امر النبي المعصوم من الذنب بالاستغفار
وهضم النفس كونها بانها بعدها قاصرة عن البلوغ الى درجة الكمال في المعرفة والعبادة وتقول
ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك ولما كان مراتب السير الى الله غير متناهية
كان لكل مرتبة من مراتب العرفان فوقه مراتب اخرى وعلى حسب تفاوت مراتب العرفان تتفاوت
مراتب العبادة والتذلل المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فاذا وصل العبد الى مرتبة من
العبودية ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر الله وهذا العذر
انما يحتاج اليه على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى واستغفره واستغفر الله لنفسك واما اذا قيل
ان معناه استغفر الله لذنب امتك فالامر ظاهر لانه تعالى امره بالاستغفار لذنب امته في قوله
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وههنا لما كثرة الامة كثرت ذنوبهم فصار الاستغفار
لهم اوجب واهم قوله كان توابا لمن استغفره من خلق المكلفين يعني ان كان ههنا للدلالة
على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها من خلق المكلفين ومن شأنه هذا فلا يقبل استغفارك وتوبتك
فلا يرد ان يقال ان الافعال الناقصة انما تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فكان يدل على ان ذلك
الثبوت في الماضي ولا يدل على انه في الحال والمستقبل فالمفهوم من الاية انه تعالى تواب غفار
في الماضي وكونه توابا في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال او في المستقبل ووجه سقوط
هذا الوهم على توجيه المص ظاهر معنى كونه تعالى توابا يكثر منه قبول التوبة ويبالغ فيه وفيه ايماء الى انه
يجب على ان العبد يكون مكثرا مبالغا في الاتيان بالتوبة قوله وانه نعي الى النبي النعي كالرعي
فعيل كالنقي معناه خبر الموت والنعي ايضا الناعي وهو الذي يأتي بخبر الموت يقال نعاه
ينعاه نعيا اتى اليه خبر الموت قوله ولعل ذلك اي ولعل الوجه في كون نزول هذه السورة
نعيا له ع م هو انها تدل على حصول النصر من عند الله وجعله اياه ع م غالبا على اعدائه وعلى
حصول الفتح ودخول الناس في الدين افواجا وذلك يدل على تمام امر الدعوة والتبليغ فيوجب
الموت لانه لو بقي بعد ذلك مشتغلا بالتسبيح والحمد والاستغفار فارغا عن امر الامة لكان

كالمعزول عن الرسالة وانه غير جائر ولان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الوقت ودنا الرحيل من
فنا هب للامر فيه تنبيه على ان العاقل يجب ان يستكثر التوبة اذا قرب اجله ولهذا سميت سورة
التوديع لما فيها من الدلالة على التوديع ولا بأس ان نذكر قصة فتح مكة على وجه الاختصار
روي انه لما كان صلح الحديبية وانصرف رسول الله صلعم اغار بعض من كان في عهد قريش على خزاعة و
كانوا في عهد النبي صلعم فجاء سفير ذلك القوم واخبر رسول الله صلعم فعظم ذلك عليه ثم قال اما ان
العارض ليخبرني ان الظفر يجي من الله تعالى ثم قال لاصحابه انظروا فان ابا سفيان يجي ويلتمس
ان يجدد العهد فلم يمض ساعة ان جاء الرجل ملتمسا لذلك فلم يجبه رسول الله صلعم ولا اكابر الصحابة
فالتجأ الى فاطمة فلم ينفعه ذلك ورجع الى مكة آيسا وتجهز رسول الله صلعم للمسير الى مكة ثم يروى
ان سارة مولاة بعض بني هاشم اتت المدينة فقال صلعم لها جئت مسلمة قالت لا ولكن كنتم
الموالي وبي حاجة فحث رسول الله صلعم بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها
حاطب بعشرة دنانير واستحملها كتابا الى مكة نسخته اعلموا ان رسول الله صلعم يريدكم فخذوا
حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل بالخبر فبعث رسول الله عليه السلام عليا وعمارا وجماعة
وامرهم ان يأخذوا الكتاب والا فاضربوا عنقها فلما ادركوها جحدته وحلفت فسل علي سيفه
وقال والله ما كذبنا فاخرجته من عقيصة شعرها واستحضر النبي صلعم حاطبا وقال ما حملك
عليه فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا احببتهم منذ فارقتهم لكني كنت غريبا في قريش
وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحموها لهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا
فقال عمر دعني اضرب عنق المنافق فقال صلعم وما يدريك يا عمر لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل
بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضي ثم خرج رسول الله وسار الى ان
نزل بمر الظهران في عشرة الاف من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد فقال
العباس بن عبد المطلب والله لئن دخل رسول الله صلعم وقال اخرج الى الان لعلي ادرك
حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلعم فيأتونه يستأمنونه

قبل ان

قبل ان يدخلها عليهم عنوة قال العباس فخرجت واني لاطوف فيه الاراك التمس ما اخرج به اذ سمعت
صوت ابي سفيان وحكيم بن حزام وورقاء وقد خرجوا يتجسسون الخبر فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف
صوتي فقال ابو الفضل فقلت نعم فقال ما لك فداك ابي وامي قلت ويحك يا ابا سفيان هذا والله
رسول الله صلعم قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله
لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى اتي بك رسول الله صلعم فاستامنه
فردفني فخرجت اركض به بغلة رسول الله صلعم كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عم رسول الله عليه السلام
على بغلة رسول الله صلعم حتى مررت بنار عمر بن خطاب فقال من هذا وقام الي فلما راى ابا سفيان على
عجز الدابة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله ۶م
وركضت البغلة وسبقته بما يسبق به الدابة البطيئة الرجل فنزلت عن البغلة ودخلت على رسول الله
ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه فقلت
يا رسول الله اني قد اجرته فجرى بين العباس وعمر رضه بحث طويل فقال رسول الله صلعم اذهب به يا عباس
الى رحلك فاذا اصبحت فائتني به قال فذهبت به الى رحلي فبات عندي فلما اصبح غدوت به
الى رسول الله صلعم فلما راه قال ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال لاظن
انه واحد ولو كان ههنا غير الله لنصرنا واغنى شيئا ثم قال يا ابا سفيان الم يان لكان تعلم اني رسول الله
فقال ان لي شكا في ذلك قال العباس قلت له ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
قبل ان يضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق واسلم ثم التمس ابو سفيان الامان لاهل مكة فقلت
يا رسول الله ان ابا سفيان الامان لاهل مكة فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا
قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن فقال وما يسع داري فقال من دخل المسجد فهو امن فقال
وما يسع المسجد فقال ومن القى سلاحه ومن دخل مسكنه فهو امن فخرج ابو سفيان من عنده صلعم مسرعا حتى
اتى مكة فصرخ في المسجد باعلا صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاء بما لا قبل لكم به قالوا فمه قال
من دخل دار ابي سفيان فهو امن قالوا ويحك ما يغني عنك دارك قال ومن دخل المسجد الحرام فهو امن ومن دخل

عنا

سكنه واغلق عليه بابه فهو امن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد الحرام حتى جاء رسول الله عم
ووقف على باب المسجد وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده
ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم فقالوا اخا كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء
فاعتقهم فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء وفي ذلك كان علي رضه يقول لمعوية لا يستوي المولى و
المعتق يعني اعتقناكم حين ملكنا الله تعالى في رقابكم ولم يقل اذهبوا فانتم المعتقون بل قال
الطلقاء لان المعتق لا يجوز ان يرد الى الرق والمطلقة يجوز ان تعاد الى رق النكاح واهل
مكة كانوا بعد على الكفر وكان يجوز ان يكونوا فيستباح رقهم مرة اخرى ولان الطلاق يختص
بالنسوان وفي القوا السلاح وافزعوا كي يكونوا كالنسوان فلا تشبهوا بهن وصفهم بما يوصف النساء
ثم اجتمع الناس للبيعة على الاسلام فجلس لهم رسول الله عم على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يأخذ
على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وكان
فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله عم بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلة
يقصر الصلوة ثم خرج الى هوازن وثقيف فهذه قصة فتح مكة شرفها الله
هلكتا وخسرتا فان التباب يستعمل بمعنى الهلاك كما في قولهم شابة ام تابة بمعنى ام هالكة
ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي في هلاك ويستعمل ايضا بمعنى الخسران ومنه قوله تعالى وما
زادوهم غير تتبيب اي تخسير بدليل انه قال في موضع اخر غير تخسير واصل معناه هو الخسران المؤدي
الى الهلاك وقيل المراد بيدي ابي لهب نفسه كما في قوله تعالى بما قدمت يداك اي نفسك ومنه المثل المعروف
لمن جنى على نفسه يداك اوكتا وفوك نفخ قيل مورده ان رجلا اراد ان يعبر البحر على زق قد نفخ فيه وشد
ولكنه لم يحسن احكامه حتى اذا توسط البحر خرج منه الريح فكاد ان يغرق فاتفق ان رجلا على زورق قد
مرّ بالقرب منه فاستغاث به فقال الرجل يداك اوكتا وفوك نفخ فكان مثلا يضرب للجاني على نفسه
وهذا التعبير شايع في كلامهم يقولون اصابه يد الدهر ويد الرزايا اي اصابه نفس ذلك فعلى هذا يكون قوله
تبت يدا ابي لهب دعاء عليه بهلاك نفسه قوله وقيل انهما خسرتا يعني قيل المراد باليدين نفس الجارحتين

الحقيقيتين

المخصوص بشيئين والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاك يديه ووصفنا بالدعاء بهلاك كلها المقصود به ما رمى
رسول الله صلعم حين ما انذره بالعذاب كانه قيل شلت يداه كيف قصد ان يرمي بهما مثل النبي المكرم
وهو يدعوه لينجيه من شقاوة الابد الى سعادة الدارين عن ابن عباس كان يكتم امره في اول المبعث
ويصلي في شعاب مكة ثلث سنين الى ان نزل وانذر عشيرتك الاقربين فصعد الصفا ونادى
يا ال غالب فخرجت ال غالب من المسجد ثم نادى يا ال مرة فاجتمعوا عنده ثم نادى يا ال
كلاب ثم قال يا ال قصي فقال ابو لهب قد اجتمع عندك قبائل قريش بطنا بطنا فما عندك
فقال ان الله تعالى امرني ان انذر عشيرتك الاقربين وانتم الاقربون اني لا املك لكم من الدنيا حظا
ولا نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد بها لكم عند ربكم فقال ابو لهب عند ذلك
تبا لك الهذا دعوتنا فاخذ حجرا ليرميه به فمنعه الله تعالى من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه وهو قوله
وتب فنزلت السورة **قوله** وقيل المراد بهما دنياه واخرته فاليدان على هذا مجاز مرسل من قبيل
اطلاق اسم السبب على المسبب كما اذا اريد بهما النفس الا انه حينئذ يكون من قبيل اطلاق اسم الجزء على
الكل **قوله** ولانه لما كان من اصحاب النار وكانت الكنية اوفق بحاله اي ادل عليها من اسمه وذلك
لان ابا لهب باعتبار معناه الاضافي يصلح ان يكون كناية عن حاله وهي كونه جهنميا لان معناه
باعتبار اضافته ملابس اللهب كما ان معنى ابو الخير واخو الحرب بحسب ذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب
واللهب الحقيقي لهب جهنم وهذا المعنى يلزمه انه جهنمي فثبت ان هذه الكنية باعتبار معناها
الاصلي الاضافي يصلح كناية عن كونه جهنميا انتقالا من الملزوم الى اللازم وانما اوفق
وادل على حاله التي هي كونه جهنميا فلذلك اختيرت الكنية على الاسم لان اسمه لا يدل على حاله والكنى
وان المراد بها المعاني العلمية وهي ذوات المسمى بها لكنهم يعتبرون فيها كثيرا المعاني الاصلية ايضا
ولهذا كانت الكنية اوفق بحاله اي ادل على كونه من اصحاب النار وهذا معنى قول صاحب التلخيص
في تعريف المسند اليه بايراده علما قد يكون لكونه كناية عن معنى يصلح له العلم فليرجع اليه **قوله** و
قرئ ابو لهب بالواو مع ان القياس بالياء لكونه مضافا اليه كما هو قراءة الجمهور ووجه القراءة

بالواو ان الشخص لما كان مشهورا بهذه الكنية صارت بمنزلة العلم فلم يتغير في شيء من الاحوال
لان الاعلام لا تتغير كما يقال علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان لذلك قوله وتبة
اخبار بعد دعاء يعني ان الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقتل الانسان ما اكفره والمعنى بيان
استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شان العاجز والله تعالى منزه عنه
والجملة الثانية اخبار وهي قبول دعائه وهو وقوع مطلوبه على سبيل التفاؤل في مثل قوله
وقد فعل والعادي في البيت يروى بالواو من عوى الكلب اذا صاح وبالدال من عدى
في المشي اي اسرع ولعل المراد بها الكلاب الكلبة وهي التي يأخذها شبه الجنون فيسري ضررها
الى من يعضه ووجه دلالة قراءة وقد تب على كون الجملة الثانية اخبارا بعد دعاء ان قد لا
تدخل على الدعاء فان قيل اذا دل الدليل على ان المراد بالجملة الثانية الاخبار بعد الدعاء
ينبغي ان يتعين ذلك وينقطع احتمال ان يكون كل واحد منهما اخبارا او لكن يراد بالاول
هلاك عمله وبالثاني هلاك نفسه كما اشار اليه بعد ثم الوجه في تجويز ذلك الاحتمال قلنا المراد
بالدليل دليل جوازه لا دليل تعينه بالمرادية بحيث لا يصح ارادة غيره في معنى قوله ويدل عليه
اي على جوازه ولم يجعل الجملة الثانية تكريرا الاولى للتأكيد لانه لو كان الامر كذلك لما تخلل
العاطف بينهما قوله او الاول اخبار عما كسبت يداه اي اخبار بهلاك عمله وانه محروم عما يترتب
عليه من المنافع والثاني اخبار بهلاك نفسه فانه هالك خاسر في الدنيا والاخرة وانما عبر عن عمله
باليدين لان اكثر الاعمال انما تحصل بمباشرة اليدين قوله نفي لاغناء المال عنه حين اي يجوز
ان يكون ما نافية عارية عن الاعراب بالمحل فعلى هذا يكون مفعول اغنى محذوفا اي لم يغن عنه ماله
شيئا وهو كلمته في جوابا عما كان يقوله ان كان ما يقوله ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي
بمالي واولادي ويتوهم من صدقه وفيه تحسير له وتهكم بما كان يفتخر به من المال والبنين ويجوز
ان يكون للاستفهام الانكاري ويكون في موضع النصب باغنى اي اي شيء اغنى عنه ماله حين
نزل الهلاك والبلاء فانه لا احد اكثر مالا من قارون وما دفع عنه الموت والعذاب

ولا اعظم

ولا اعظم ملكا من سليمان فهل دفع ذلك عنه الموت ولم يصرح في الاية ان المراد من الاغناء الاغناء
فيماذا قال بعضهم في عداوة الرسول عليه السلام فانه كان يعتقد ان يده هي العليا وانه يخرجه من مكة ويذله
ويغلب عليه اعتمادا على كثرة امواله واولاده وقال بعضهم بل المعنى انهما لم يغنيا عنه في دفع النار
ولذلك قال سيصلى نارا فانه يشعر بالهلاك بحيث يظهر معه عدم اغناء المال وما كسب ويؤيده
هذا المعنى ما روي عنه من قوله ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي واولادي
قوله وكسبه على ان ما في وما كسب مصدرية وقوله او مكسوبه على ان يكون موصولة او موصوفة
اي والذي كسبه او شيء كسبه والموصول وكذا الموصوف عبارة عن المكسوب فلذلك فسرها به
والكسب ايضا بمعنى المكسوب ثم انه يحتمل ان يكون المراد بماله رأس المال من اي نوع كان وبمكسوبه
ما اكتسبه باصل ماله من النتائج والارباح والاتباع ويحتمل ان يكون المراد بماله المال الذي ورثه
من ابيه وبما كسب الذي كسبه بنفسه ويحتمل ان يكون المراد بماله ما في يده من المال مطلقا وبكسبه ما
اكتسبه من ماله ومن ولده وقال ابن عباس ما كسب ولده وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسبا
في قوله عليه السلام ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وفي قوله عليه السلام انت ومالك لابيك قوله
وقد افترسه الاسد اي اهلكه وكان ذلك بدعاء رسول الله عليه السلام اراد ان يسافر الى الشام فقال لآتين محمدا
فلأوذينه فاتاه فقال يا محمد اني كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم التفل شبيه بالبزاق ق
وهو اقل منه اوله البزاق ثم التفل ثم النفث ثم النفخ في وجه رسول الله عليه السلام ورد عليه ابنته و
طلقها فقال عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا عنده فوجم لها اي اشتد
حزنه اي امسك عن الكلام لاجل تلك الدعوة وقال ما اغناك يا ابن اخي عن مثل هذه الدعوة
فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال
ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف
على ابني من دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فسلط الله الاسد والقى
السكينة على الابل فجعل الاسد يتخللهم ويشم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت

فيرجع العام الى اهله فما اكمل السبع بالراجع قد كان فكم بهذا الخبرة للسيد المتبوع والتابع فعلى
هذه الرواية احتمال ان يكون قوله تعالى تبت يدا ابي لهب اخبارا عن هلاك نفسه وقوله وتب اخبارا عن هلاك
ولده عتبة ويكون نزول هذه السورة متقدما على هلاكهما لكن لا ينافيه كون الاخبار الواقع فيها بلفظ
الماضي لان ذلك مبني على انه كان في معلومه تعالى انه يحصل ذلك **قوله** ومات ابو لهب بالعدسة بحمى
العدسة بثرة تخرج بالانسان وربما قتلت قال الامام هذه الآية تضمنت الاخبار عن الغيب
من ثلثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب وقد كان كذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع
بماله وولده وقد كان كذلك وثالثها الاخبار عنه من اهل النار وقد كان كذلك لانه مات على الكفر
روى ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل
بيتنا فاسلم العباس واسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب القوم ويكتم اسلامه وكان ابو لهب
تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم الا بعث مكانه رجلا اخر
فلما جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا في انفسنا قوة وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح
انحتها في حجرة زمزم فكنت جالسا وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ اقبل
ابو لهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة وكان ظهري الى ظهره فبينما هو جالس اذ قال الناس
هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال ابو لهب كيف الخبر يا ابن اخي فقال لقينا القوم
ومنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف ارادوا وايم الله مع ذلك قابلنا الناس لقينا رجال بيض على
خيل بلق بين السماء والارض فقال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت تلك والله الملئكة
فاخذني وضربني على الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود
فضربته على رأسه وشجته وقالت تستضعفه ان غاب سيده والله نحن مؤمنون منذ كثير وقد صدق
فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته ولقد تركه ابناه
ليلتين او ثلثا لم يدفناه حتى انتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة وعدواها كما يتقي الناس
الطاعون ويقولون نخشى هذه القرحة ثم دفنوه فهذا معنى قوله ما اغنى عنه ماله وما كسب **قوله**

وامرأته

وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن حتى يستدل به على وقوع التكليف بما لا يطاق بناء على انه لا شك

ان ابا لهب مكلف بان يؤمن بجميع ما جاء به عم من عنده تعالى ومن جملة ما جاء به من عنده تعالى قوله تعالى

سيصلى نارا ذات لهب فهو مكلف بان يؤمن بهذا القول ومضمونه ولو كان فيه ما يدل على

انه لا يؤمن لكان مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن وهو في المعنى تكليف بان لا يؤمن فيلزم تكليفه

بالايمان تكليفا له بان يجمع بين النقيضين وليس ذلك في وسع العبد وطاقته فاذا كان ابو لهب

مكلفا بالايمان واستلزام ذلك تكليفه بما ليس في وسعه ثبت بذلك وقوع التكليف بما لا يطاق

مع ان العلماء اتفقوا على عدم وقوعه استدلالا بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فانه يدل

على عدم وقوع ذلك وان لم يدل على عدم جوازه واما قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء للتعجيز

لا للتكليف وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ليس المراد

بالتحميل التكليف بما لا طاقة لهم به بل ايصال ما لا يطاق لهم من العوارض اليهم واذ قد

تبين ان التكليف بما لا يطاق غير واقع باتفاق العلماء فاعلم انهم اختلفوا في جوازه

فمنعه الحنفية والغزالي [illegible] والمعتزلة وجوزه الاشعري ومن تابعه ومن اراد زيادة

التفصيل في هذه المسئلة فعليه مراجعة علم الكلام والمراد بما لا يطاق اعم من ان كان ممتنعا في

نفسه كالجمع بين الضدين او ممكنا في نفسه خارجا عن قدرة العبد كخلق الاجسام واما ما يمتنع

بناء على ان الله تعالى علم خلافه واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة الفاسق فلا نزاع في وقوع

التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر الى نفسه **قوله** عطف على المستكن في سيصلى اى سيصلى

هو وامرأته وحسن العطف على المضمر المرفوع المتصل من غير تأكيده بالمنفصل الفصل بالمفعول

وصفته وطول الكلام بين المتعاطفين وام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان ابن حرب عمة معاوية

فكانت في غاية العداوة لرسول الله عم **قوله** يعني الحطب لنار جهنم جواب عما يقال انها كانت من بيت

العز والسعة فكيف يقال انها حمالة للحطب واجاب عنه بثلثة اوجه الاول ان ليس المراد بالحطب

الحطب المتعارف بل المراد به ما حملته من الاثام والاوزار بسبب معاداتها رسول الله عم وترغيبها

زوجها على ايذائه صلى الله عليه وسلم فيستعير الحطب لتلك الآثام لتشبيهها لها بالحطب الحقيقي في ان كل واحد منهما سبب
لايقاد النار واشتعالها اما الاوزار فانها توقد بها نار جهنم كما ان الحطب توقد به نار الدنيا
والثاني ان الحطب مستعار للنميمة فانها توقد بها نار الخصومة والحرب كما ان الحطب توقد به
نار الدنيا والحرب يطلق عليها النار قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله وعلى
التقديرين يكون قوله في جيدها حبل من مسد ترشيحا للاستعارة والاستعارة المرشحة
ما قرن بها ما يلائم المستعار منه وهو هاهنا الحطب الحقيقي وفيه ان يلزم حاملة الحطب
على جيدها بان يحمله حزمة ويحمله على ظهره بالحبل المرسل على الجيد والثالث ان الحطب على
حقيقته الا انها لا تحمله لمصلحة بينها حتى يقال انها في بيت السعة فكيف تحطب بنفسها بل
المراد انها لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب لاجل ان تلقيه بالليل في طريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتأذى به عند خروجه للصلوة وقرأ عاصم بالنصب على الشتم والذم اي
اذم حمالة الحطب ومن قرأ مرفوعا جعله نعتا لامرأته وجاز ذلك لان الاضافة
معنوية اذ الحمالة للمضي او خبر مبتدا محذوف اي هي حمالة **قوله** اي مما مسد قال الواحدي
المسد في كلام العرب الفتل يقال مسد الحبل يمسده مسدا اذا اجاد فتله ورجل ممسود
اذا كان مجدول الخلق والمسد ما مسد اي فتل من الحبال في اي شيء كان اي سواء كان ذلك
الحبل مفتولا من صوف الابل او الليف او الخوص او الحديد **قوله** او تصويرا لها بصورة
الحطابة الظاهر انه على تقدير ان يحمل الحطب على حقيقته لان التصوير المذكور انما يظهر
اي على تقدير ان تحمل حزمة الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون مع كونها في بيت
السعة والعزة والمقصود من تصويرها بصورة الحطابة تحقيرها وتعييرها بذلك الفعل الا
ايذاء لها ولزوجها حتى تنزجر من مثله او بيان ان حالها في نار جهنم يكون على نحو ما كانت في الدنيا
جزاء وفاقا لعملها فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجر الزقوم او الضريع وفي جيدها سلسلة
من النار كما انها في الدنيا على هذه الصورة **قوله** والظرف وهو قوله في جيدها في موضع

الحال

الحال في قوله وامرأته وقوله وقومه ان كانا معطوفة على المستكن في سيصلى فيكون في معنى الفاعل وقيل فاعل
الظرف لاعتماده على ذي الحال قوله او الجر اي في موضع الجر على ان يكون وامرأته مبتدأ وقيل فاعل الظرف
ايضا لاعتماده على المبتدأ   الضمير للشان او لما سئل عنه يعني
ان ضمير هو فيه وجهان الاول انه ضمير الشان لانه موضع التفخيم والتعظيم والشي بعد ذكره مبهما يفيد ذلك
فيكون مبتدأ والجملة الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان عبارة عن المبتدأ متحدا معه بالذات
استغنى عن العائد والثاني انه عائد الى المسؤول عنه المدلول عليه بالسؤال الصادر منهم قبل نزول
السورة قال الضحاك ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل الى النبي عم وقالوا قل له شققت عصانا
وسببت الهتنا وخالفت دين ابائك فان كنت فقيرا اغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان
هويت امرأة زوجناكها فقال عم لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة انا رسول الله عم
ادعوكم من عبادة الاصنام الى عبادته فارسلوه ثانية وقالوا قل له بين لنا جنس معبودك امن ذهب
او فضة فانزل الله هذه السورة فقالوا له ثلثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم
الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد قوله واحد بدل او خبر ثان
بيان لاعراب الاية على الوجه الثاني وهو ان هو مبتدأ وقوله الله خبره واما لفظ احد فيحتمل ان
يكون بدلا من قوله الله وان يكون خبرا بعد خبر والمشهور عند النحاة ان النكرة الغير الموصوفة لا تجعل بدلا
من المعرفة حتى لا يكون ما هو الانقص في الدلالة على الذات المرادة مقصودا بالنسبة دون ما هو الاتم فيها
توطئة لذكره واحد نكرة غير موصوفة فجعله بدلا من لفظ الجلالة يخالف لهذه القاعدة الا ان هذه
القاعدة لما لم تكن متفقا عليها فان ابا علي جوز ابدال النكرة غير الموصوفة من المعرفة مال المصنف
الى مذهبه وبنى كلامه عليه حيث جوز ابدال احد من لفظ الجلالة قوله يدل على مجامع صفات الجلال اي
المجتمع معها علما ان مجامع الكلم الفاعل من جامعه اي اجتمع معه او جمعه فان فاعل قد يجيء بمعنى فعل تعالى
س فوته وعاقبت اللص وكون الاحدية جامعة لجميع صفات الجلال وهي صفات السلبية عبارة عن كونه
واحدا في ذاته وصفاته وافعاله والوحدة في ذاته بان لا يكون منقسما الى ابعاض واجزاء خارجية ولا عقلية

والله تعالى يجب ان لا يكون كذلك لانه لو كان مركبا في الخارج لكان مفتقرا الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من
اجزائه غيره فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن في نفسه ومبدأ الممكنات يمتنع ان يكون ممكنا
في نفسه ولو كان مركبا في العقل لكان فيه ركنا للغير من ماهية ذلك الغير حتى يحتاج الى مخصص يميزه عنه
وذلك يستلزم امكان الواجب ايضا لان كل ماهية لها سواه تقتضي الامكان فلو كان تلك الماهية
للواجب لزم امكانه والوحدة في صفاته بان لا يكون له نظير ولا شبيه يضاهيه في شيء من صفاته
والوحدة في افعاله بان لا يكون له شريك في شيء منها فثبت ان الاحدية مستلزمة لكونه ليس بمركب
باحد انحاء التركيب اي لا تركيبا خارجيا ولا عقليا ولكونه ليس بمتعدد باحد انحاء
التعدد اي لا يطرء عليه التعدد لا بحسب صفاته ولا بحسب افعاله والاحدية بهذا المعنى تستلزم
كونه ليس بجسم لان كل جسم مركب في ذاته من الاجزاء وكونه ليس بمتحيز منقسم من حيث ان يمينه
مغاير ليساره وكونه بحيث لا يكون ماهية معروضة للتعين بان يكون غيره وراءه مشاركا له في
الحقيقة الواجبية وخواصها المقتضية للالوهية وممتازا عنه بحسب التعين العارض لهما
لانه لو كان كذلك لكان كل واحد منهما مركبا مما به المشاركة والممايزة وقد مر ان التركيب ينافي
الوجوب لذاته فثبت ان كونه احدا يستلزم كونه واحدا لا يتعدد فيه بوجه ما وانها جامعة
لجميع الصفات السلبية واما كون لفظة الله دالة على جميع صفات الكمال فلان الاله هو الذي
يستحق العبادة لذاته وقد مر ان العبادة اسم لكل طاعة تعد اديت على وجه التذلل ونهاية
التعظيم فلا يستحقها الا من يكون مستقلا في الايجاد والتربية بما يليق باحوال المخلوق في جسمانيته
وروحانيته وهذا الاستقلال لا يتصور الا ممن كان موصوفا بالقدرة التامة والارادة النافذة
والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وغير ذلك من صفات الكمال فاذا
تقرر هذا ثبت ان الاخبار عنه بقولهم بانه الله احد صح وجاز لفظة اسم مباين في الحمل لتوغله
بما هو فوق البشر اذ لا سبيل لهم الى معرفة كنه ذاته وانما الذي في وسعهم معرفته بصفاته الذاتية
والفعلية وبصفاته السلبية وبهذا الاخبار حصل معرفته بهذا الوجه لمن كان له قلب او القى

السمع

السمع وهو شهيد **قوله** ولعل ذلك اي ولعل وجه الفرق بين السور الثلث حتى وقع الاتفاق
على تفسير واحدة منها بقوله على عدم التفسير بوجه الثانية وقوى بطلان الثالثة **قوله** فلا يناسب
اى يجوز معنى ان يكون لكل واحد من المتاركة والمسالمة اى عدم والاتعاظ عند نفسه من غير ان يكون مأمورا به من
قبل الله تعالى المتاركة التي هي نفي الاتفاق وهو الخلاف كان كل طائفة من المتكلفين اخذ في شق وهو
الناحية من الجبل والموادعة المتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه ولفظ الموادعة فيما
عندي من النسخ معطوف بالواو والظاهر ان يعطف بكلمة او ويكون المعنى لان السورة من اولها الى
آخرها اما متاركة بان يكون قوله لكم دينكم ولي دين لحصول ما سبق وتأكيدا له والا فهو قوله لكم ولي
دين متعلق بالثبات والدوام المقرر وهذا الوجه هو الذي اختاره في تفسيره لعدم استلزامه
لكون الآية منسوخة باية القتال بخلاف الوجه الثاني فانه يستلزم ان يكون آخر السورة منسوخا بها
من حيث كونه دالا على الاذن في الكفر واما موادعة بان يكون المعنى من السورة الموادعة المستفادة
من قوله لكم دينكم ولي دين ويكون ما قبله تمهيدا لها واذا عطف بالواو يكون المعنى ان السورة متاركة
نظرا الى آخرها وهذا هو الوجه المرجوح عند المصنف من هذين الوجهين الذين ذكرهما في تفسير السورة وبناء
الكلام على الوجه المرجوح لا وجه له فالوجه ان يعطف بكلمة او واما ان المتاركة والموادعة لا يناسب ان
يقع لكل واحد منهما من عند نفسه ومن غير ان يكون مأمورا به من قبل الله تعالى فلانه ما ارسل لدعوة الخلائق
الى الايمان والطاعة في جميع ما جاء به من عند الله فكيف يليق به ان يقول لهم من عند نفسه انتم مني في شق
وناحية وانا كذلك في شق منكم لا اتعرض لكم ولا اريد ان ادعوكم واترككم وما تدينون ولانه كيف يليق
بالمكلف ان يحكم على احد ويقول له من عند نفسه انك ممن ختم الله على قلبه فلا يؤمن ابدا ولا تعبد الله وانما
يناسبه ذلك اذا بين الله تعالى ان الامر كذلك وامره ان يخبره بذلك واما ان معاتبة عمه وقرابته
بالغ في التغليظ والتهديد لا يناسب ان يقع منه من عند نفسه ولا بان يؤمر بذلك من قبل الله تعالى فلان العم
حرمته كحرمة الاب لان اب الرجل وعمه شقيقان من اصل واحد كما قال ع م عم الرجل صنو ابيه وكل من كان
في منصب الرسالة والدعوة الى الحق يجب عليه ان يكون معاملته مع عامة قومه باللطف واللين كما قال

تعالى لموسى وهارون عم فقولا له قولا لينا وقال لنبينا عم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا وجبت مراعاة اللينة مع عامة القوم فكيف بالعم كليا ممن هو على خلق عظيم ومبعوث رحمة للعالمين فلهذا السبب لم يقل قل لئلا يكون شافها لعمه بالشتم والتغليظ وان شتمه عمه بقوله تبا لك الهذا دعوتنا فكانه تعالى يقول اسكت انت وتخلق بما انزلت عليك واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فانا اشتمه واجيبه عنك فانزل قوله تبت يدا ابي لهب

روي ان ابا بكر كان يؤذيه واحد فبقي ساكتا فجعل الرسول عم يدفع ذلك عنه ويزجره فلما شرع ابو بكر في الجواب سكت الرسول فقال ابو بكر ما السبب في ذلك فقال لانك لما كنت ساكتا كان الملك يجيب عنك فلما شرعت في الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان فظهر ان الاية والحديث تنبيه من الله تعالى ورسوله على فريق في السفه كان الله تعالى ذابا عنه وناصرا له ومعينا واما هذا التوحيد بقوله تارة وبقوله بان يدعوا اليه اخرى يعني ان الحق في هذه السورة لما كان توحيده تعالى لم يلزم تصديرها بقل بل جاز فيها الامران وذلك لانه غير لازم في عدم تصديرها به ان يكون عم معتقدا ويتكلم به في نفسه ولا محذور فيه فلذلك جاز فيها الامران الا ان تصديرها به اظهر والكثر لان الدعوة الى التوحيد في المصالح المتعلقة بالنبوة بل هي اول المصالح التي امر عم بالقيام عليها هذا التقدير مراده في قوله ولعل ذلك الى اخره ويرد على ظاهر كلامه ان قوله بقوله به تارة هو اللازم في عدم تصدير السورة بقل ويفهم منه عدم التقدير يدل على وقوع الكلام من قبله عم ويفهم في قوله تبت معاتبة عمه فلا يتعين ان يلزم منه ان عدم التقدير يدل على انه عم لا مدخل له في هذا الكلام وانما يتلوه على انه كلام الله المنزل اليه وبينهما منافاة فليتامل واتفق القراء في احد الله الصمد فقراءة الجمهور بالتنوين وتحريكه بالكسر هكذا احدن الله الصمد وهو القياس لانه لما التقى ساكنان التنوين ولام التعريف في لفظة الله حرك اولهما بالكسر وقرئ احد الله بضم الدال بغير تنوين ووجه هذه القراءة ان التنوين نون ساكنة والنون تشبه حروف اللين في انها من حروف الزيادة فلما شابهتها اجريت مجراها فان حذفت لالتقاء الساكنين فانه

يقال

فيقال رمي القوم ويرمي القوم ويغزو القوم بحذف الياء لالتقاء الساكنين
فلذلك حذفت التنوين في احد الله الصمد لذلك ولهذا ايضا حذفت النون ان كنه
في الفعل المجزوم كقوله لم يك ينفعهم ايمانهم ولا تك في مرية وعن ابي عمرو احد الله الصمد
بالسكون وقطع همزة الوصل في غير سكت بينهما على اجراء الوصل مجرى الوقف لاستمرار
الوقف عليه وكثرته في الشعر وقرا ابي نقل الحركة والتنوين وقال ا ادركت القراء
يقرؤنها كذلك وصلا على السكون وقوله هو الله احد ثلثة الفاظ كل واحد منها
اشارة الى مقام من مقامات السائرين الى الله فالمقام الاول المقربين وهم الذين
نظروا الى ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هي هي فلا جرم ما راوا موجودا سوى الله لان الحق
هو الذي لذاته يجب وجوده وما عداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما
فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق سبحانه وكلمة هو وان كانت للاشارة المطلقة ومفتقرة
في تعيين المراد بها الى سبق الذكر باحد الوجوه او الى تعقبها بما يفسرها الا انهم يشيرون
بها الى الحق سبحانه ولا يفتقرون في تلك الاشارة الى ما يميز الذات المرادة عن غيره لان الافتقار
الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد ما يصلح لان يشار اليه وقد بينا انهم لا
يشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كان لفظة هو كافية في حصول العرفان التام
لهؤلاء والمقام الثاني مقام اصحاب اليمين وهو دون المقام الاول وذلك لانهم شاهدوا الحق موجودا
وشاهدوا الخلق ايضا موجودا فحصلت الكثرة في الموجودات فلا جرم لم يكن لفظ هو كافيا في الاشارة
الى الحق بل لا بد هناك من مميز به يتميز الحق عن الخلق فهؤلاء احتاجوا الى ان يقرنوا لفظة الله بلفظة هو
فقيل لاجلهم هو الله لان لفظة الله للموجود الذي يفتقر اليه ما عداه ويستغني هو عن كل ما عداه
فيتميز بها الذات المرادة عما عداه والمقام الثالث مقام اصحاب الشمال وهو اخس المقامات وهم الذين

يجوزون ان يكون واجب الوجود اكثر من واحد فوقع لفظة الاحد بما تقدم رد على هؤلاء و
ابطالا لمقالتهم فقيل قل هو الله احد **قوله** السيد المصمود اليه في الحوائج وهذا التفسير
نقله صاحب التيسير عن ابن عباس الا انه ليس فيه لفظ السيد وهو المناسب لما نقل
عن اهل اللغة ان الصمد فعل بمعنى مفعول كنقص وقبض بمعنى منقوص ومقبوض ماخوذ من
صمده اذا قصده وهو من باب نصر وقد روي عن ابن عباس انه لما نزلت
هذه الاية قالوا ما الصمد قال عم السيد الذي يصمد اليه في الحوائج ولا شك ان
من يقصد اليه في جميع المهمات ويرفع اليه جميع الحاجات يكون مستغنيا عن كل ما عداه وكاملا في جميع
صفاته وافعاله فهو غاية السيادة ونهاية رفعة الشان وعلو القدر فقوله السيد
تفسير الصمد وما بعده صفة كاشفة له قال السدي الصمد المقصود اليه في الرغائب المستغاث
به عند المصائب وقال ابو هريرة الصمد المستغني عن كل احد والمحتاج اليه كل **قوله** وهو
الموصوف به على الاطلاق قال حجة الاسلام الغزالي ومن جعله الله مقصد العباد
في مهمات دينهم ودنياهم واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد انعم عليه بحظ من هذا
الوصف لكن الصمد المطلق هو الذي يقصد اليه في جميع الحوائج وهو الله تعالى جل ذكره
وقال صاحب التيسير وفي قوله هذا الكلام على من يعظم من البشر انما هو على الاستعارة
لانه ليس لاحد من المخلوقين وان عظم شانه وعلت رتبته الا وهو موصوف با
بالنقص عاجز عن ابلاغ من يقصده غاية امله فالصمد في الحقيقة من هو ملجا كل
مستغيث به في نوازله من بيده ناصية كل من خليقته **قوله** وتعريفه لعلمهم بصمديته
فان العرب بل اكثر الخلق يعرف انه تعالى هو الذي يقصد اليه في الحوائج وان جميع ما سواه
مفتقر اليه كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
فلذلك جاء لفظ الصمد معرفا بخلاف احديته فانه لا يخطر ببال اكثر الخلق ان في الوجود

لا تركيب

لا تركيب ولا انقسام ولا تأليف فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه واحدا في صفاته بان لا تكون له نظير وشبيه
وفي افعاله بان لا يكون له شريك فيها وذلك لانهم لا يعرفون من الموجودات غير المحسوسات وكل محسوس منقسم فتبين
انهم لا يعرفون موجودا هو واحد في ذاته لا انقسام له اصلا فنكر لفظ لذلك **قوله** للاشعار الخ وجه الاشعار
ان قوله الله الصمد جملة اسمية طرفاها معرفتان فيدل على انه لا صمد في الوجود سوى الله تعالى كان مثل
زيد الامير قصر الجنس على زيد وقصر الصمدية على من اتصف بالالوهية ونفيها عمن سواه شعر بان من انتفت
الصمدية لا يستحق الالوهية وهذا المعنى انما يحصل بتكرير اسم الله وجعل الصمد خبرا عنه فانهم لما سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان معبوده من اي شيء هو اجيبوا بانه الذي يستقل بالخلق والايجاد من غير ان يكون موصوفا بالصفات الحقيقية كالعلم المحيط بجميع المعلومات والقدرة التامة والارادة النافذة
في غير ذلك من صفات الكمال ثم ابدل منه لفظ احد ليفيد انه منزه عن جميع انحاء التركيب والتعدد وعما
يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز وكونه حالا في المتحيز او محلا له ونحو ذلك ثم بين لهم ان الله هو الصمد
اي السيد المستغني عن جميع ما سواه القاضي لحوائج كل ذلك بمقتضى حكمته للاشارة الى انه ليس له شريك في
ملكه ولا ضد ولا ند فهو الواحد في ذاته وصفاته وافعاله وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولو قيل
هو الله احد الله الصمد من غير تكرير اسم الله تعالى لكان كل واحد من قوله احد والصمد خبرا بعد خبر على تقدير ان يجعل
ضمير هو راجعا الى المسؤول عنه ويكون لفظ الله خبرا عنه واما ان جعل قوله الله احد جملة مفسرة للضمير
الشان فهو اظهر في جعل الصمد خبرا بعد خبر للجلالة ويكون المعنى ان الشان ان الله تعالى متصف في الواقع بالاحدية والصمدية وعلى كلا التقديرين يكون الكلام خاليا عن الاشعار المذكور واذا كرر مع عدم الاحتياج
اليه لا بد ان يكون في ذلك نكتة والاشعار المذكور يصلح ان يكون نكتة تحمل عليه **قوله** لانه كالنتيجة للاولى
او الدليل عليها وجه الاول ان من له الوحدة في ذاته وصفاته وافعاله بان كان مبدع الكل وحافظه ومدبره
فلا جرم لا يصمد في الحوائج الا اليه فكونه صمدا متفرع على احديته ووجه الثاني ان من كان ملجأ لكل مستغيث لا بد
ان يكون في اعلى درجات الكمال منزها عن جميع وجوه النقصان فوجب ان يكون احدا **قوله** لانه لم يجانس حتى يكون له
من جنسه صاحبة فيتوالد بينهما وللحمار وان لم يكن في نوع الولد لكنه من جنسه فان القوة المولدة تكون وسيلة

الى توليد المماثل او المجانس فلا يكون وسيلة الى توليد المباين ونفي المجانسة يستلزم نفي المماثلة لان انتفاء
العام يستلزم انتفاء الخاص على الحصر نفي كونه تعالى والدا بعلتين الاولى ان الولد لا بد ان يكون من جنس
والده بمصاحبة مع من يجانسه ولا مجانسة فلا ولاد والثانية ان الولادة مبنية على الاحتياج
الى ما يعينه حيوة او يخلف عنه بعد وفاته ولا احتياج ولا فناء فلا ولاد ويتفرع عليهما نكلمه
افنى قوله او يخلف عنه لتقسيم احوال الوالد وقدم نفي كونه والدا على نفي كونه مولودا مع ان
المولودية سابقة على الوالدية فان الشخص يولد اولا ثم يلد فالابتداء على ان نفي كونه
والدا اهم بالنسبة الى نفي كونه مولودا من حيث ان الكفرة ادعوا ان له ولدا ولم يدع احد
انه والد فان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله فلهذا السبب بدا بالاهم فقال لم يلد ثم اتبعه بقوله ولم يولد
تعليلا لقوله لم يلد لانه لما وقع الاتفاق على انه لم يكن ولدا لغيره ثبت انه لم يلد غيره
قوله ولعل الاقتصار على لفظ الماضي وعدم التعرض بانه هل يلد في المستقبل ام لا مبني
على ان الحق في الاية تكذيبهم في قولهم ولد الله وان الملائكة بنات الله وان فلانا وفلانا
ابن الله وموجب للجميع انه تعالى ولد في الزمان الماضي فلذلك ورد عليهم وكذبهم بان قال لم
في الماضي ولو كان الحق بيان انه تعالى هل يصح ان يلد في احد الازمنة ام لا لم يصح الاقتصار
على لفظ الماضي وليس كذلك قوله وذلك لانه لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم يعني ان قوله ولم يولد
تنزيه له تعالى عن النقصان اللازم في كونه معلولا لغيره لو الوالد في كونه حادثا فان كل مولود حادث
معلول لوالده قوله اي ولم يكن احد يكافئه اشارة الى ان احد اسم يكن وكفوا خبره وله ظرف
لغو متعلق بكفوا لما فيه من معنى الفعل والظرف يكفيه رائحة الفعل اي لم يكن احد شبيها له و
يجوز ان يتعلق بيكن لانه فعل والاصح اختيار الاول حيث قال يكافئه قوله وكان اصله ان يؤخر
الظرف اي الظرف المعهود صدره بعده لانه صلة اي لغو وفضلة لا يفتقر اليه الكلام في تمامه
والظرف المستقر هو الذي يفتقر تمام الكلام اليه بان يكون خبرا فيه كما في قولك ما كان فيها احد خير منك فان

الظرف فيه مستقر لانه خبر كان واللغو ما يكون الكلام تاما بدونه كما في قولك ما كان احد خيرا منك فيها
فان الظرف فيه لغو لان الكلام تام بدونه فان قولك ما كان احد خيرا منك كلام مستقيم كان اسمه وخبره
وله في الاية ظرف لغو لان الكلام تم بدونه باسم كان وخبره والاصل في الكلام الفصيح ان يؤخر
الظرف اللغو عن فاعل الفعل ومفعوله لانهما مقصودان بالنسبة اليه وتقديم الاهم اولى
وافصح فيلزم تقديم اللغو قبيحا مخلا بالفصاحة لكونه خلاف الاصل لكنه يترك العمل بهذا
الاصل اذا عرض للظرف اللغو ما يجعله مهما بالنسبة الى الفاعل والمفعول ويقدم عليهما لكونه
اهم منهما نظرا الى ذلك العارض كما تقدم المفعول ونحوه على الفاعل اذا عرض له ما يجعله مهما
بالنسبة الى الفاعل فان المقصود في الاية ليس نفي ان يكون احد كفوا لشيء ما مطلقا بل المقصود نفي كونه
كفوا بالنسبة اليه تعالى ومصب هذا المعنى ومحوره هو الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحق
بالتقديم والمراد قوله ويجوز ان يكون حالا معطوف من حيث المعنى على قوله وكان اصله ان يؤخر
الظرف فانه معنى وله ظرف لغو فكان اصله ان يؤخر وتقدير الكلام على ان لا يكون الظرف
حالا في كفوا انه لم يكن احد كفوا كائنا شيئا فيكون له ظرفا مستقرا قائما مقام عامله ويجوز
ان يكون الخبر يكن وكفوا حالا لانه احدا لانه في الاصل صفة لاحد فلما تقدم عليه انتصب حالا
لامتناع تقدم الصفة على الموصوف وفيه ضمير يعود الى ذي الحال لان المراد منها نفي الاقسام
الامثال فان المقصود في قوله لم يلد ان ينفي عنه تعالى القسم المخصوص من اقسام المثل وهو الولد
وفي قوله ولم يولد ان ينفي عنه القسم الاخر هو الوالد وفي قوله ولم يكن له كفوا احد ان ينفي عنه
باقي الاقسام كالصاحبة والشريك فحصل بذلك تناسب تلك الجمل باعتبار المسند اليه
لكون المسند اليه في كل واحد من تلك الجمل قسما من اقسام المثل وتناسبها باعتبار المسند ظاهر
لان المسند فيها هو الانتفاء وبذلك يتحقق الجامع بين تلك الجمل لربط بعضها بالبعض بالعطف
وتوضيح المقام ان الجملتين اللتين لا محل لهما من الاعراب ولم يكن للاولى او بدلا منها او بيانا نا
لها وقد يكون بينهما كمال الانقطاع وذلك يكون باختلافهما خبرا وانشاء لفظا

وصفا او معنا فقط والثانی بانعدام الجامع بینهما واذا انتفی الامران فینتفی کمال الانقطاع
واذا لم یکن بینهما کمال الاتصال وکمال الانقطاع بل کان حالهما التوسط بین الکمالین الجملة الثانیة
مؤکدة للاولی ولا بدلا منها ولا بیانا لها واتفقتین خبریتین او انشائیتین وبینهما جامع
بان یکون المسند الیه فی احد الجملتین هو الیه فی الاخری نحو یشعر زید ویکتب ومناسبا له بان
یکونا اخوین او صدیقین او عدوین نحو زید شاعر وعمرو کاتب وبان یکون المسندان
ایضا متناسبین کالشعر والکتابة وکالاعطاء والمنع فی قولک زید یعطی ویمنع فانهما
متناسبان بالتضاد فحکم الجملتین العطف واذا لم یکن بین المسند الیهما تناسب نحو خفی
ضیق وخاتمی ضیق او کانا متناسبین لکن لم یکن المسندان متناسبین نحو زید شاعر وعمرو
طویل لم یجز العطف **قوله** وقرأ حمزة ویعقوب فی قراءة العامة کفوا بضم الکاف والفاء
وحمزة اسکن الفاء وابدل الهمزة واوا وقفا خاصة وابدلها حفص واوا مطلقا والباقون
بالهمزة مطلقا وقد تقرر ان کل اسم علی ثلثة احرف اوله مضموم فانه یجوز فی عینه الضم والاسکان
الا انه قوله وجعلوا لله من عباده جزءا **قوله** فان مقاصده محصورة فی بیان العقاید والاحکام
والقصص وقیل امهات مقاصد القرآن علوم ثلثة علم المبدأ وعلم المعاد وعلم ما بینهما اعنی الصراط
المستقیم وهذه السورة الکریمة کافلة لعلم المبدأ الذی هو ثلثه ما تکفل به جمیع القرآن فکانت
بهذا الاعتبار معادلة لثلث القرآن لما روی عنه صلی الله علیه وسلم والذی نفسی بیده انها لتعدل ثلث
القرآن **قوله** وفی عدلها بکلمة اعتبر الحق بالذات فخذ لما ای امهات علوم القرآن فان الحق بالذات
منها علم المبدأ وصفاته وما عداه فدایع الیه عن سهل ابن سعد جاء رجل الی النبی صلی الله علیه وسلم وشکا الیه
الفقر وقال اذا دخلت بیتک فسلم ان کان فیه احد وان لم یکن فیه احد فسلم علی نفسک واقرأ
قل هو الله احد مرة ففعل الرجل ذلک فدر الله علیه رزقا حتی افاض علی جیرانه روی عن
بعض الصحابة انه قال کنا فی تبوک فطلعت الشمس فی لها ضیاء وشعاع ما رأیناها
علی تلک الحالة قبل ذلک فتعجب کلنا من ذلک فنزل جبرئیل علیه السلام فقال له رسول الله صلی الله علیه وسلم مالی اری

الشمس

طلعت
الشمس اليوم بيضاء وشعاع لم ارها طلعت فيما مضى مثلها فقال ذلك ان معاوية الليثي مات
بالمدينة فبعث الله تعالى سبعين الف ملك يصلون عليه فهل لك ان اقبض لك الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى
عليه ثم رجع وروي انه قال فهل لك ان تصلي عليه ثم ضرب بجناحه الارض فازال الجبال
وصار عم كانه يشرف عليه فصلى هو واصحابه عليه ثم قال عم بم بلغ ما بلغ فقال جبرائيل عم
كان يحب سورة الاخلاص ويكثر قراءتها بالليل والنهار وفي مجيئه وقيامه وقعوده وروي
انه عم دخل المسجد فسمع رجلا يدعو ويقول اسألك يا الله يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد يقول يقول يقول ثلث مرات فقال غفر لك غفر لك غفر لك ثلث
مرات فان قيل لم قال في هذه السورة لم يلد وفي سورة بني اسرائيل لم يتخذ ولدا اجيب
بان النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من قال اتخذ ولدا تشريفا
كما اتخذ ابراهيم خليلا تشريفا فنفى الامرين في الايتين فقوله لم يلد اشارة الى نفي الولد
في حقيقة وقوله لم يتخذ ولدا اشارة الى نفي القسم الثاني **سورة**
الفلق بسكون اللام الشق يقال فلقت الشيء فلقا فانفلق وتفلق اي شققته فانشق وتشقق
وتشقق والفرق التميز والتبيين قال تعالى وقرآنا فرقناه اي بيناه بمعنى التبيين فيه
معنى الشق اذ به يصير كل منهما فرقة متميزة عن الاخرى اي بينه وامضى حكم بان كل واحد من لفظي
الفلق والفرق بتحريك العين فيهما فعل بمعنى مفعول اي بمعنى المفلوق عنه والمفروق عنه
وذلك انما يتحقق بان يكون الشيء مستورا ومحجوبا بآخر ثم ينشق الحجاب الساتر عن وجه المستور و
ينحل فيظهر ذلك المستور وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب المنكشف
بزواله مفلوق عنه ثم ان لفظ يبقى المفلوق عنه على عمومه لعدم تناهي المعدومات الممكنة وساترة
لجميع الممكنات والله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد فاظهر ما في علمه من المكونات
فكانت بالنسبة اليها مفلوقا عنها كأنها صارت مفلوقا عنها بسلخ ما عليها من الجلد كصبح صار
مفلوقا عنه بازالة ما عليه من ظلمة فظهر ان مفهوم المفلوق عنه عام لجميع الممكنات الا انه معقود

عليها بالتشكيل فانه اظهر وادل فيما نحن فيه من اصل كالعيون من الارض والجبال قال الله تعالى و
فجرنا الارض عيونا وان منها لما يتفجر منه الانهار وكالامطار من السحاب وكالنبات من الحب و
النوى والارض وكالاولاد من الارحام فان معنى المفلوق ما اظهر فيها بالنسبة الى المخلوق على وجه
الابداع قوله وتخصيصه عرفا بالصبح هذا العرف مبني على ان يكون نور الصبح وضوء النهار اصلا سابقا
يطرء عليه ظلمة الليل فتستره تارة فتنفلق عنه اخرى وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فانه يدل على ان ظلمة الليل اصل يغشاها ضوء النهار
عند طلوع النير فتصير كونها ليس لها باستتارها به آفاق وينسلخ عنها عند غروبه ويؤيد هذا المعنى
تقديم الظلمات في قوله وجعل الظلمات والنور على النور لما يشهد عليه العقل ايضا لكل وجهة
قوله وتخصيصه لما فيه من تغير الحال جواب عما يقال ان مقام الاستعاذة والاعتصام يقتضي
تعظيم المستعاذ به ولا شك ان تعظيمه على تقدير تعميم الفلق لجميع الممكنات اعظم واقوى منه
على تقدير تخصيصه بالصبح فان المعنى على الاول قل يا محمد اعوذ واعتصم برب جميع الممكنات ومكون
جميع الكائنات ولا يخفى ان الصبح احد الامور الداخلة في هذا العموم فيكون التعظيم فيه اتم فما وجه
التخصيص وحصول الجواب ان التعميم وان كان له مناسبة بهذا المقام الا ان التخصيص له وجه
آخر يناسب مقام الاستعاذة ايضا فان مقصود العائذ من الاستعاذة ان يتغير حاله بان يخرج
من ضيق الخوف والخشية الى فضاء الامن والسعة ويتخلص من وحشة الهم والحزن بنيل الفرج
والسرور وتخصيص الصبح ادل على ما هو المقصود لما فيه من تغير الظلمة وزوالها باشراق نور الصبح وتبدل
وحشة الليل وثقلته بسرور الصباح وخفته فان الليل ثقلة يكون الانسان فيه كالجسم على وضع
وهو الخشو الذي يقطع العقبة الى حم عليه فاذا طلع الصبح سيتبدل ذلك بالخفة والسرور
والنداء الجديد لكل مريض ومهموم فقه نوقت السحر روي ان يوسف عم لما القي في الجب وجعت
ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبرائيل عم باذن الله تعالى
يسليه ويأمره بان يدعو ربه فقال جبرائيل ادع انت واؤمن فدعا جبرائيل وامن يوسف عم

فكشف

فكشف الله ما كان به من الغم فلما طاب وقت يوسف قال يا جبرئيل وانا ادعوا ايضا دعوتي من انت
انت تسئل يوسف ربه ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد
نوع خفة في اخر الليل وروي ان دعائه في الجب كان هذا يا عدتي في شدتي ويا مونسي في
وحشتي ويا راحم غربتي ويا كاشف كربتي ويا مجيب دعوتي ويا الهي واله آبائي ابراهيم واسحق
ويعقوب ارحم صغر سني وضعف ركني وقلة حيلتي يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام
وفي وقت الصبح ايضا محاكاة لانقلاب احوال الناس في فاتحة يوم القيمة من حيث الخلق
في الليل كالاموات والدور كالقبور ثم منهم من يخرج من داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه
ومنهم من كان مديونا فيجر الى الحبس ومنهم من كان ملكا مطاعا فتقوم اليه المراكب ويقوم الناس
بين يديه فكذا الحال في يوم القيمة بعضهم مفلس عن الثواب عار عن لباس التقوى ومنهم
من عليه من حقوق الله تعالى وحقوق عباده ما لا طاقة له بتحمله فيجر الى الملك الجبار ومنهم من كان
عبدا مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا مطاعا في العقبى يقوم اليه البراق ولما اشتمل وقت
الصبح على هذا التغير والتبدل وكان حاكيا لاختلاف احوال الناس وتغيرها في فاتحة يوم
القيمة كان تخصيص الفلق به مناسبا لمقام الاستعاذة لاشعاره بان من قدر على التغيرات المدلول
عليها بالصبح يقدر ايضا على ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويحذر منه قوله ولفظ الرب ههنا
اوقع اي اليق وانسب واقوى جوابه عما يقال ما السبب في انه تعالى حين امر بالاستعاذة عند
افتتاح قراءة القرآن قال فاستعذ بالله وقال في موضع اخر وقل رب اعوذ بك من همزات
الشياطين وقال ههنا اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم الرب لا باسم الله مع ان اسم الله
هو الاشرف الاسماء فلم لم يقل اعوذ بالله بل قال اعوذ برب الفلق وما اجاب عنه بان الشر المستعاذ
منه في هذه السورة هو الشر المضاف الى عالم الخلق وهو عالم الحوادث من الاجسام والجسمانيات وانما سمي
عالم الاجسام والجسمانيات بعالم الخلق لان الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم وكذا عالم الخلق
مضار بدنية والاعاذة من المضار البدنية تربية فناسب بذكر ان يعبر عن المعيذ منها باسم الرب

فكانه جعل تربيته اياه لرقيه القدم وسيلة الى تربيته لرقيه بان يرقيه الى الزمان او كان العبد يقوب
التربية والاحسان دابك القديم فلا تقطعه ومانع قوله تعالى من شر ما خلق يجوز ان يكون موصولة
وعائده محذوف اى من شر كل ما خلقه مما يلحق الضرر وان يكون مصدرية اى من شر خلقه اى
مخلوقه تسمية للمفعول بالمصدر وقسم الشرور المضاف الى عالم الخلق الى الاختيارى
والطبيعى وقسم الاختيارى الى ما لا يتعدى اثره الى غير فاعله بل يلزمه كالكفر وسائر الاثام
اللازمة والى ما يتعدى اثره كالظلم سواء تعلق بالمال او بالبدن او بالعرض ويدخل فيه
افتراس السباع وعضها واكلها ولدغ الحيات والعقارب قيل اعظم ظلامه بغيبة الشفق
فيمتلى الارض ظلمة قال الجوهرى الغسق اول ظلمة الليل وقد غسق الليل غسوقا
اى اظلم والغاسق الليل اذا غاب الشفق وكل ما كان هو فقد غسق وغسق الجرح غسقا اى
سال منه ماء اصفر والغاسق ان ثم سمى الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والوقوب
هو الدخول تم اى لحيث يغيب عن العين يقال وقب يقب وقوبا اذا دخل و
تخصيصه اى مع اندراجه تحت عالم الخلق وقوله لتعميم شره آنفا وجه التخصيص
الاشارة الى تعظيم شره للكثرة وعسر دفعه فيه اما كثرته فلان السباع تخرج فى الليل من
آجامها والهوام من مساكنها وكذا السراق واهل النهب يسافرون مترصدين للفرصة يغتنمون
فيه وزعم عكرمة ان عفاريت الجن تنتشر فى تلك الساعة واما عسر دفع ما وقع منه من الشر
فلان ظلمة الليل ستر القاصد بالسوء فيتمكن من حصول غرة وغفلة منه فلا يتمكن من دفعه
بنفسه ولا بالاستعانة بغيره لان الغوث يقل فيه ولذلك لو شهر على انسان بالليل سلاحا فقتله
المشهور عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه يوجد فيه الغوث وقيل المراد به اى
بالغاسق اذا وقب هو القمر وسمى به لانه يكسف فيغسق اى يذهب ضوؤه ويسود ووقوبه دخوله
فى ذلك الاسوداد والكسوف ودليله ما روى انه صلعم اخذ بيد عائشة رضى الله عنها فاشار الى القمر وقال
استعيذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال الامام والذى فيه اى فى تسمية القمر غاسقا

وجهان

وجه اخر وهو انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهذا هو المراد في كونه غاسقا اذا وقب به
فهو المحاق والمخاسف نوره في اخر الشهر والمنجمون يقولون انه في اخر الشهر يكون منحوسا قليل
القوة لانه لا يزال ينتقص نوره الا ويزداد بسبب ذلك نحوسته ولذلك كانت تشتغل السحرة
بالسحر الذي يورث التمريض في ذلك الوقت وهذا مناسب لسبب نزول السورة فانها
نزلت لما سحر النبي عم لاجل التمريض واذا وقب منصوب باعوذ اي اعوذ بالله
في ذلك الوقت كذا **قوله** والنفث النفخ مع ريق وقيل انه النفخ فقط اي بلا ريق ومنه
قوله عم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الجوهري التفل
شبيه بالبزق وهو اقل منه اوله البزق ثم التفل ثم النفخ **قوله** وتخصيصه اي تخصيص النفث
في طرق السحر مقوماته والسحر باي طريق كان يفتتن الذي به فينبغي ان يستعاذ
في شر مطلق السواحر فما السبب في تخصيص السواحر باللاتي يعقدن عقدا وينفثن عليها و
تحصيل الجواب ان هاتين السورتين نزلتا لان يستشفي بهما رسول الله عم من شر السحر لكان
بالنفث في العقد فلذلك خص ذلك بالذكر روي ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي عم
فاخذت اليهود منه فلم يزالوا به حتى اخذ لهم مشاطة النبي عم وعدة اسنان من مشطه و
اعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم ثم
دسها في بئر لبني زريق يقال لها ذروان فمرض النبي عم وانتشر شعر رأسه ولبث ستة
اشهر وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينا هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما عند
رأسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما بال الرجل قال طب قال وما
طب قال سحر قال من سحره قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين
هو في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان والجف وعاء الطلع والراعوفة حجر في اسفل
البئر يترك هناك اذا احتفرت البئر ليجلس عليه في تنقية البئر اذا اريد تنقيتها زمانا فانتبه
النبي عم مذعورا وقال يا عائشة اما شعرت ان الله اخبرني بدائي ثم بعث رسول الله عليا وزبيرا وعمار

بن يكسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة
رأسه واسنان من مشطه واذا وتر معقود فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله تعالى هاتين
السورتين فجعل كلما يقرأ آية تنحل عقدة ووجد عليه السلام بعض خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة
فقام عليه السلام كانما انشط من عقال وجعل جبرئيل عليه السلام يقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد و
عين والله يشفيك والمعتزلة انكروا صحة هذه الرواية وتأثير السحر فيه عليه السلام وقالوا كيف يمكن القول
بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه
يفضي الى القدح في النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة
لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب ومعلوم ان ذلك غير
جائز وقال اهل السنة هذه القصة قد صحت عند جمهور اهل النقل وصحتها لا يستلزم
صدق الكفرة في قولهم انه مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا انه مجنون
ازيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بالم يجده في بدنه و
ذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه شيطانا ولا انسانا ولا جنيا
يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه وأما
تأثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه عليه السلام
يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت والاكل والشرب
ودفع الفضلات وتأثير السحر فيه من حيث بشريته لا يقدح في نبوته وانما يكون قادحا لو وجد
للسحر تأثير في امر يرجع الى الكلام يقدح كسر ثناياه يوم احد فيما ضمن الله له من عصمته والله
يعصمك من الناس قوله وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل فعلى
النفاثات هي جنس اللاتي تنفثن اي يغلبن على الرجال ويحولنهم عن آرائهم وعزائمهم
التي يضعوا على امضائها لا مطلق النفوس السواحر وشره هي غلبتهن على الرجال الفاطنين
لا وهم المحترزين عما لا ينبغي في سيرتهم الاخذين بالجد والاستبصار في جميع احوالهم فيغلبن

عليهم

النّ د

عليهم بانواع المكر والحيلة فان كيدهن عظيم ويؤيد هذا التفسير قوله عليه السلام يا معشر النساء
تصدقن فاني رايتكن اكثر اهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن اللعن
العشير ما رايت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احديكن والحازم الضابط
لامره المتصنع لسيرته شبهت عزائم الرجال وآرائهم بعقد الحبال فاطلق عليها اسم العقد و
شبه ابطال تلك العزائم بانواع المكر والحيلة بحل عقد الحبال بتليينها بنفث الريق عليها ليسهل
حلها فمعنى الاية اما انه تعالى لاجل استغراقهن في قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأي
الى رأي ومن عزيمة الى اخرى فامر الله تعالى رسوله بالتعوذ من شرهن فلذلك قال الامام الاكبر
الاجل محي ابن ادريس ان في رحمه انه تعالى دل شياطين خلقهن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين
وقيل في جوابه انه تعالى دل رياحين خلقهن لكم وكلكم تشتهي شم الرياحين قوله وافرادها
بالتعريف جواب ما يقال لم عرف النفاثات ونكر غاسق وحاسد مع اشتراك الجميع في كونه
مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاثة شريرة فعرف النفاثات تعريفا للاستغراق ليفيد الاستعاذة
من جميع افرادها وليس كل غاسق وحاسد شريرا فنكر قوله لاغتمامه بسروره تعليل لاختصاص
ضرر الحسد بالحاسد قبل عمله بمقتضى حسده اي لاغتمامه وحزنه بسرور المحسود بنعمته روي عن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لله در الحسد ما اعدله يقتل الحاسد قبل ان يقتل المحسود قوله و
تخصيصه لان العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ذكر للعلة لتخصيص كل واحد من الغاسق
والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان الشرور المضافة اليها مندرجة تحت شر عالم الخلق لانها
اما من قبيل الاجسام او الجسمانيات وجها مستقلا مناسبا له وتوضيح الوجه المذكور للتخصيص
الحسد بالذكر ان الحسد لما كان معظم الاسباب الحاملة للحيوان على اضرار غيره فانه يضر غيره غالبا طمعا
فيما عنده ويستكثر اتصاله وبقيته عند غيره كان الحسد بذلك كانه كل السبب في الحيوان واضراره فلذلك
لم يكتف باندراجه تحت عالم الخلق بل خص بالذكر واستعيذ من شره بخصوصه قوله ويجوز ان يراد با
بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى في الغاسق او بالليل المظلم اذا دخل ظلامه

في ضوء النهار و شر الليل وثانيا بالقمر اذ دخل في الكسوف ثم في النفاثات اولا بالسواحر وثانيا بالجنس
النفس ذا للات يبطلن عزايم الرجال ثم في الحسد بالكافر المتصف بالحسد اذا عمل بمقتضى حسده
وان رههنا الى تغير كل واحد في هذه الاوصاف الثلثة بتغير اخر فغير الفلق بما يحتوي على
حقيقة النور و بما يضاهيها النباتية والحيوانية فان الاشبه النورية كونها سببا لظهور الاشياء
كالنور فان القوة الغاذية النباتية تزيد بها النبات في الطول والعرض والعمق وكذا القوى
الحيوانية وهي الحولي الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فان كل واحدة منها سبب لظهور ما
يختص بها من الاثار في الحيوان فشبهت بالنور بذلك والجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور
وما يضاهيه هو الجمادات وفي النفاثات بالنباتات على سبيل الاستعارة التصريحية بان شبه
تزايدها في اقطارها الثلثة بجذب قوتها الغاذية النباتية بما ينفث في العقد الثلث
فكانه قيل النفاثات قواها فان القوة الغاذية النباتية هي التي تزيد في طول النبات وعرضه
وعمقه و شر قواها ايضا ما يترتب على طبايعها من المضرات وفي الحسد بالحيوان بان جعل كناية عنه
بناء على ان الحيوانية لازمة للحسد ومبنى هذه التفسيرات ان الانسان انما يتضرر عن الاجسام العنصرية
وهي اما جماد او نبات او حيوان فامر انه بالاستعاذة من كل واحد منها بالكلام على صدق فانه
انما يقصد غيره غالبا طمعا في ماله جواب عما يرد على تفسير الحسد بالحيوان فانه يفهم من التعبير عن
الحيوان بلفظ الحسد في مقام الامر بالاستعاذة من شر الحيوان ان منشأ شر الحيوان مختص في وصف حسده
وليس كذلك وتقرير الجواب ان باقي الاوصاف الذميمة والاخلاق الرديئة وان جاز ان يكون منشأ شر
الحيوان وحاملا له على الضرار بغيره الا ان غالبه ما يحمله على الاضرار هو الحسد فكان الحسد بذلك كانه كل الحامل
ولا حامل سواه ففي التنبيه على هذا المعنى اختير في السؤال اللفظ الشق المشعر بعلية الحامل فذكره واختلفوا
في انه هل يجوز الاستعاذة بالرقى والتعويذات ام لا فمنهم من قال انه يجوز واحتج عليه بما روي ان رسول الله ع م اشتكى
فو اتاه جبرئيل عليه السلام فقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك الله يشفيك وبما روي انه ع م قال من دخل على مريض لم يحضر
اجله فقال اسئل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك سبع مرات شفي وبما روي عن علي ان رسول الله ع م

كان

كان اذا دخل على مريض قال اذهب البأس رب الناس واشف انت الشافي لا شافي الا انت وبما روي
ان عثمان بن ابي العاص الثقفي قال قدمت على رسول الله وبي وجع قد كاد يبطلني فقال رسول الله ع م
اجعل يدك اليمنى عليه وقل بسم الله اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد سبع مرات ففعلت ذلك
فشفاني الله تعالى وبما روي ع م اذا سافر فنزل منزلا يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله
من شرك ومن شر ما فيك وشر ما يخرج منك وشر ما يدب عليك واعوذ بالله من اسد واسود
وحية وعقرب ومن شر ساكني البلد ووالد وما ولد وبما روي ان عائشة رض قالت كان رسول الله
ع م اذا اشتكى شيئا من جسده قرأ قل هو الله احد والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان
الذي يشتكي ومن الناس من منع الرقى لما روي عن جابر انه قال نهى رسول الله ع م عن الرقى
واجيب عنه بانه يحتمل ان يكون النهي عن الرقى المجهولة التي لا يعرف حقائقها واما ما كان له اصل
موثوق به فلا نهي عنه كذا في التفسير الكبير
وقرئ قل عوذ بحذف ربعة من النظم بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها لما كانت الاستعاذة
جوابا عما يقال لم اضيف لفظ الرب والملك والاله الى الناس خاصة وهو رب العالمين وملكهم
والههم وليس رب الناس خاصة ولم تعم الاضافة كما في السورة المتقدمة وتقرير الجواب بان الشر
المستعاذ منه في هذه السورة هي الوسوسة وهي لا تتعلق الا بقلب الانسان فلذلك خص من بين المربوبين
من يتصف بالوسوسة وهو الانسان باضافة كل واحد من لفظ الرب والملك والاله اليه بخلاف السورة
المتقدمة فان الشر المستعاذ منه فيها هو شر عالم الخلق فان الفلق والنفاثات والحاسد من
جملة عالم الخلق وشر عالم الخلق اضرار بدنية لا يتعدى الى القلب فلا يختص حينئذ بالانسان بل يعم
جميع ما له جسم وبدن فلذلك اضيف لفظ فيها الى ما يعم الانسان وغيره وهو الفلق فهو عليه السلام امر
في المتقدمة بان يستعيذ من مضار البدنية وفي هذه السورة من المضار القلبية الا انه ادرج
نفسه الكريمة فيما تقدم في جملة من يتضرر بشر عالم الخلق حيث لم يقل اعوذ بربي مع انه المناسب
لاسناد العوذ الى ضمير المتكلم وحده ولو وجه الامر بالعوذ اليه بخصوصه من حيث ان ما ينبغي للمربوب

الذي يخاف من ان يصيبه مكروه كان يستعيذ بربه بان يضيف ربوبيته الى نفسه ويقول يا ربي
اعوذ بك من كذا لكنه عدل عن هذا الطريق في السورتين بان اضيف الرب في الاولى الى الفلق
وفي الثانية الى الناس رعاية لجانب الشر المستعاذ منه او اشارة الى انه في الاولى يعم الانسان
وغيره وفي الثانية يخص الناس ولا يخص واحدا منهم بل يعمهم ولو اعتبر كل واحد من صفة الربوبية
والملكية والالهية من حيث كونها صفات الباري تعالى لكان المناسب تخصيصها بان
يقال ربي وملكي والهي لكنه اعتبر حال الشر المستعاذ منه وعمومه في السورة الاولى
لغير الانسان وخصوصه في الثانية بالناس وعدم اختصاصه ببعض منهم فجعل امر الاضافة
على حسبه فكانه قيل في السورة الاولى اعوذ من شر ما يضر بالابدان والاجسام من ربها
وفي الثانية اعوذ من شر ما يوسوس الى الناس من ربهم   فان الرب قد لا يكون ملكا
يعني ان الملك من عطف البيان ايضاح متبوعه اما بتعيينه او بتقليل الاشتراك
ورب الناس بالاضافة فيه ابهام وشيوع لانه قد يكون ملكهم وقد لا يكون كما يقال
رب الدار ورب المتاع وقال تعالى واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
فلا جرم بينه واوضحه بقوله ملك الناس ثم ان ملك الناس ايضا قد يكون الها و
قد لا يكون فبينه بقوله اله الناس وهو نهاية البيان وغاية التوضيح لان اله مفردا
ومضافا لا يجوز اطلاقه على غيره تعالى   وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة
وجه الدلالة ظاهر لانه كان رب الناس كان مولى نعمهم الظاهرة والباطنة وملكهم الغالب
عليهم والقادر على التصرف فيهم لان الملك هو الذي يفتقر اليه غيره ويكون هو غنيا عن غيره
والههم الذي يستحق العبادة لذاته لكونه في غاية التقدس ونهاية العظمة والكبرياء
كيف لا يكون حقيقا بالاعاذة قادرا عليها فانه اي الناظر يعلم اولا بما يرى عليه الباء في بما
يرى سببية لا صلة يعلم المجي بقوله ان له ربا بعده   حتى يتحقق انه غني عن الكل لانه
اذا ايقن ان كل وجود وكمال يتبع اصل الوجود انما هو فائض منه سائل من جزائه رحمته

التي

التي وسعت لكل شيء تحقق عنده انه غني عن الكل وملكهم   ويدرج عطف على قوله
يستدل يقال درج الرجل اذا مشى لما كانت صفة الربوبية مبدا معارف الناظر و
صفة الالوهية منتهاها يدرج في الاستعاذة بذات المستعاذ به الذي لا يدرك
بكنه ذاته بل انما يدرك بحسب اوصافه على حسب ما حصل له من معرفته بحسب الاوصاف فاستعاذ
بمن علمه بصفة الربوبية ثم بصفة الملكية ثم بصفة الالوهية كما يدرج في الاستعاذة
بمستعاذ بمن هو الوسيلة في حصول الاقرب ثم بالمتوسطة ثم بالقريبة تنزيلا للصفات
المتخالفة منزلة الذوات   اشعارا بعظم الآفة علة ليدرج بعد اعتبار كونه معللا
بقوله تنزيلا فافهم   وتكرير الناس يعني ان لفظ الناس المذكور ثانيا وثالثا
موضوع موضع الضمير لفائدتين الاولى ان عطف البيان انما يحتاج اليه ويؤتى
به في موضع الاحتياج الى الايضاح والاظهار   الاسم اولى في الاظهار والفائدة
الثانية ان في اظهار الاسم اشعار بشرف الانسان   ووجه الاشعار انه تعالى لم يكتف
بان نسبت صفة ربوبية وملكية والهية الى ضمير الانسان بل ذكر باسم الانسان في كل
واحدة منها فلولا ان الناس اشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بهذا الاسلوب
اي الوسوسة اشارة الى ان الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة والوسواس
بالكسر مصدر كالزلزال وسمي الشيطان باسم الوسوسة للمبالغة في اتصافه بها من قبيل رجل عدل
اي مبالغ في العدل حتى صار كانه عين العدل فكذا الشيطان مبالغ في الوسوسة حتى صار
كانه عين الوسوسة ويجوز ان يحمل الكلام على تقدير المضاف اي من شر ذي الوسواس والخناس
صيغة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع والتاخر وقيل هو الاختفاء لقوله تعالى فلا اقسم
بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها والخنس جمع خانس ... ومعنى انه صفة للوسواس او الوسوسة
والتخنس صفتان للشيطان على حسب حالتي الانسان كما ورد في الخبر ان الشيطان جاثم
على قلب ابن آدم فاذا غفل وسوس واذا ذكر الله خنس اي تاخر وولى قيل الخناس له

رئى كومى الحية يضعه على ثمرة القلب بمنيه ويحدثه بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب من
غيران يسمع صوته والوسوسة الدعوة الى الشر عن خفية واصل الوسوسة الصوت الخفي
وسميت دعوة شياطين الانس والجن الى الشر بالوسوسة لان شياطين الجن تدعوا الى
المعصية وتزيينها باخفا حضورها اما بان تغرّ العبد بسعة رحمة الله تعالى وعفوه او بان تخيل
اليه ان في العمر سعة فستتوب بعدما قضيت شهوتك منها او لانهم يدعوا الى المعصية
بكلام خفي يفهمه القلب من غيران يسمع صوته وكذا شياطين الانس تدعوا اليها باخفا جهة
كونها شرا وارادة المنافع والمصالح في مباشرتها واظهار انه ناصح لمن ذلك وفي الحقيقة
يريد المكر والخيانة او يجعله مغرورا بان يذكر له سعة العفو والرحمة او امكان التوبة بعد
مباشرتها وذلك كالقوة الوهمية شبه الشيطان بها من حيث انه يوافقها الانسان
في المعاصي واذا آل امره الى الانطاعة سولت خنس ولعرض عنه واخذ في المكر والحيلة
حتى يصرفه عنها كما ان القوة الوهمية توافق العقل في المقدمات فاذا آل
الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه بيان للوسواس او للذي
فيكون قوله والناس على التقديرين عطفا على الجنة فيكون الشيطان الموصوف بانه وسواس
خناس ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة
ويخنس تارة فشيطان الانس يكون كذلك وذلك لانه يلقي اليه بالحيل ويرى نفسه صورة
الناصح المشفق فان زجره السامع يخنس ويترك الوسوسة وان قبل السامع كلامه
بالغ فيه او متعلق بيوسوس فيكون من لابتداء الغاية اي يوسوس في صدورهم
من جهة الجن بان يلقوا اليهم مثلا ان الجن يضرون وينفعون ومن جهة الناس بان يلقوا اليهم مثلا
ان المنجمين والكهان يعلمون الغيب على ان المراد به ما يعم الثقلين فلذلك
بين بالجن والانس ولمستدل من عمم الناس بالثقلين بان الجن قد سمي رجالا في موضع
ونفرا في موضع اخر وقوما في ثالث قال تعالى وان كان رجال من الانس يعوذون برجال

من الجن

من الجن واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية و يا قومنا اجيبوا داعي الله وهي من الالفاظ
المستعملة في الناس فتبين بذلك ان اسم الناس يعم الثقلين وفيه تعسف
لان كونه اسما واقعا على القبيلتين بعيد من اللغة فان اهل اللغة يتفقون على ان الجن
والانس اسمان لجنس كل واحد منهما الحقيقة على صورة مباينة للاخرى وان اطلاق الحقيقتين
سميت جنا لاجتنانها اي لتستره على اعين الناس والاخرى انسيا لظهور افرادها
للبصر على ان الناس من الانس وهو الابصار قال تعالى آنس من جانب الطور نارا اي ابصر
فكما لا يطلق اسم الجن على بني ادم لانتفائه وجه تسمية الجن جنا منهم فكذلك ينبغي ان
لا يطلق اسم الناس على الجن بناء على ان وجه تسمية الناس ناسا منتف في الجن
واما اذا اريد بالناس في قوله في صدور الناس الناسي فح يمكن تقسيمه الى الجن والانس
لان مفهوم الناسي مشترك بينهما لان كل واحد منهما موصوف بنسيانه حق الله تعالى
قال الله تعالى ملك الناس لم يقرأ في المشهور هنا بالالف كما قرئ به في الفاتحة
لان معنى المالك هو الرب فيلزم التكرار هنا لاتحاد المضاف اليه بخلاف سورة
الفاتحة فان ما اضيف اليه لفظ غير ما اضيف اليه المالك فلا تكرار فيها واعلم
ان في هذه السورة لطيفة بالغة وهي ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور
بصفة وهي انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلثة انواع من الافات وهي الغاسق
والنفاثات والحاسد واما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلثة اوصاف
وهي الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة ومن المعلوم
ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم واكثر كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر
واوفر والمطلوب في السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الافات المذكورة به
وفي هذه السورة سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا ان في نظم

السورتين الكريمتين تنبيها على أن سلامة البلاد عن تلك الآفات
وإن كانت أمورا مقصودة ليست بتلك المثابة في الاهتمام و
المطلوبية

اللهم ثبت قلوبنا على دينك ونسئل العفو والعافية والمعافات
الدائمة في البدن في الدنيا والآخرة بفضلك ورحمتك يا ارحم
الراحمين آمين يا خير المسئولين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين

تمت

حاشية خلخالي على البيضاوي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

سورة النبأ

قوله اصله عن ما فحذفت الالف لما مرّ وادغم النون في الميم وما مرّ اشارة الى ما سبق منه رحمه الله
في سورة الصف ان لم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها تفرقة بينها وبين
كونها خبرا ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن الخبر يعني ليس المقصود ههنا معناه الحقيقي الذي
هو طلب العلم لتنزه المتكلم عز شأنه عن ان يحوم حول ساحة عزته ذلك انما المقصود ان يدل به
على تفخيم شأن ما يتساءلون عنه فان السؤال عنه يشعر بخفاء جنبه الموصوف بفخامته المانعة للعقول
من الوصول اليه بدون ذلك فلا يرد ما قيل انه لا يليق بشأن المتكلم جل جلاله عن ان يكون عظيم شيء بما
بما يخفى جنبه عليه والضمير لاهل مكة كونهم حاضرين محسوسين يصلح لارجاع الضمير اليهم
ولا حاجة في ذلك الى مضي ذكرهم كانوا يتساءلون في البعث روي ان النبي عليه الصلوة و
السلام لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون
بينهم ويقولون ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او يسألون الرسول والمؤمنين
عنه كما ان يكون تفاعل ههنا بمعنى فعل كما في قوله يتداعونهم ويتراءونهم كذلك قوله
او للناس يعني ان ضمير يتساءلون يجوز ان يكون راجعا الى الناس مطلقا اعم من مشركي اهل مكة و
غيرهم من المؤمنين ويكون سؤال المشركين للاستهزاء وسؤال المؤمنين لاستزادة الخشية و
الاستعداد لامر الآخرة بيان للشأن المفخم يريد ان قوله عن النبأ العظيم ليس بصلة يتساءلون
لانه اخذ صلته وهو عم بل صلته محذوف على طريق الاستئناف للبيان فانه لما قيل عم اي عن شيء
عظيم يتساءلون وما ذلك الشيء العظيم الذي يتساءلون عنه فقيل يتساءلون عن النبأ العظيم الذي
هو البعث وعم متعلق بمضمر يفسره قيل اي بمحذوف مبني بالمذكور قرينة للمحذوف
الا انه مفسر به تفسير استجارك في قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك لانه لا يمكن الجمع
هنالك لعدم الفائدة ويمكن الجمع ههنا اذ قولك عم يتساءلون عن النبأ العظيم مفيد بلا
شبهة اقول لا يخفى انه اذا قيل عن النبأ العظيم يكون تكرير يتساءلون لغوا محضا غير
مشتمل على فائدة اصلا ويشتمل كون احد الفعلين بيانا لشأن الآخر على الفائدة لا يجدي في
ذلك نفعا فان قيل يجوز ان يكون عن النبأ العظيم بدلا من قوله عم وح لا حاجة الى اضمار المتعلق

اصلا

اصلا قلنا كونه بدلا عنه يوجب تكرير حرف الاستفهام لان المستفهم بها اذا اعيد اعيد مع حرف
المستفهم بها فكان الواجب ان يقول اعن النبا العظيم كما في قوله بكم ثوبك ابعشرين او بثلاثين
ولا يجوز بعشرين بغير همزة وارتكاب حذفها ههنا كما فعله بعضهم بعيد لا يلتفت اليه
فان قيل لم لا يجوز ان يكون كلاهما صلة ليتساءلون المذكور من غير حاجة الى الاضمار ايضا قلنا
ان المجرورين بحرف واحد لا يجوز تعلقهما بفعل واحد بدون تخلل العطف بينهما اذ لا يقال
مررت بزيد بعمرو بل يقال مررت بزيد وبعمرو ويدل عليه قراءة يعقوب عمه دال
على صاحب الكشاف فانه جعل قراءة ابن كثير وجه الدلالة انه على تقدير الوقف يكون مقطوعا
عما بعدها فلا يجوز تعلقه به فلا بد من تقدير العامل فاذا اجرى الوصل مجرى الوقف كان
عم متعلقا بمقدر ايضا بجزم النفي والشك فيه هذا اذا كان ضمير يت لاهل مكة كافة
قيل كيف يتصور منهم الاختلاف في البعث فانهم كفار منكرون له جميعا والاختلاف
انما يتصور بالاقرار والانكار فاجاب بان الاختلاف كما يكون بالاقرار والانكار كذلك يكون
بجزم نفيه والشك فيه او بالاقرار والانكار هذا اذا كان الضمير للناس الاعم والمومنين
المقرين والمشركين قال بعض الفضلاء يرد هذا كلا سيعلمون فانه صريح في ان المراد ا
اختلاف الجاحدين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا اختلاف المومنين انتهى فيه
ان مدار الردع والوعيد هو التساؤل عن البعث سواء اتفقوا على الانكار او اختلفوا بالاعتقاد
والتردد او غيرهما كما صرح به المص الى الاختلاف وايضا كان اللائق ان يورد الوعيد ايضا مختلفا
بحسب مخالفتهم ويكون وعيد المنكر المصر اشد من وعيد المنكر الغير المصر على ما لا يخفى قيل ذلك
ان تغير الاختلاف بالاختلاف في الاستهزاء او استزادة الخشية واستعداد الموت اقول لا يخفى
ان قوله تعالى عم فيه مختلفون صريح في ان الاختلاف في المسؤول عنه نفسه وهو النبا العظيم والبعث
لا في الباعث على السؤال وهو الاستهزاء واستزادة الخشية فلا يجوز تغيير الاختلاف بما ذكره
ردع عن التساؤل سواء كان بمعناه او بمعنى السؤال وسواء كان السائلون كافرين او مومنين
على ما صرح به بعضهم ووعيد عليه اي انهم سيعلمون ان ما يتساءلون عنه كان واقعا وحقا فتكذيبهم
او عدم تيقنهم او اتيانهم بما يشعر بعدم اليقين كان خطا وخسرانا اشد يعني ان التراخي والبعد الزماني

الذي هو مدلول ثم لا يصلح ارادته ههنا فهي للبعد في المرتبة تنزيلا له منزلة البعد الزماني
والحق الاول ومنع للاول في الثاني ووجه كونه للتأكيد كونه للاشارة الى ان معاقبة اقوى وقيل
الاول عند النزع اي سيعلمون عند النزع حقيقة ما سألوا عنه وخطأهم في انكارهم وخزيهم بكشف
السرائر وثانيا هذه نتائج اعمالهم وذوق ثمرة منها والثاني في القيامة بنيلهم وادراكهم جزاء
اعمالهم وجزاء عدم تبعيتهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم فاذن يكون ثم مستعملا في معناه الحقيقي
الذي هو التراخي الزماني ويحتمل ان يكون المراد بيان ان الوعيد الثاني اشد فالاول للبعث
والثاني للجزاء يعني سيعلمون البعث ثم سيعلمون الجزاء عنده فثم في يكون مستعملا ايضا في معناه
الحقيقي عن بعض ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون ويحتمل ان يكون الخطاب للالتفات
فلا يحتاج الى الحذف ليستدلوا بذلك على صحة البعث وبيندفع انكارهم اياه بانكار قدرته تعالى
عليه وترددهم في قدرته عليه فان من يقدر على هذه الاشياء العجيبة يقدر على البعث ايضا فانه
اختراع مثلها بل هو اهون منها ويحتمل ان يكون تذكيرا بحسب صنعه الدالة على كمال القدرة الكاملة
ليتأثروا من وعيده كل تأثير ويخافوا في الغاية اي انا جعلناها كالمهد للصبي اي الارض
لما لم يكن مهدا حقيقة بل كانت مشبهة به فحمل المهد عليها يكون حملا للمشبه به على المشبه فيكون التشبيه
بليغا مصدر اي المهاد مصدر بمعنى البسط يقال مهدت الشيء مهدا اذا بسطته يسمى به
ما يمهد للصبي لينوم عليه تسمية للمفعول بالمصدر والجبال اوتادا اي كالاوتاد ففيه
ايضا تشبيه بليغ روي ان الله تعالى لما خلق الارض مدها حتى بلغت في الطول والعرض ما
شاء الله وجعلت تميد اي تميل فوضع عليها الجبال واول جبل وضع ابو قبيس
ذكرا وانثى ايماء بمعنى ذكورا واناثا مع افادة الطباق واشارة الى المضمون بين الزوجية ومراعاة
الحكمة فيها فلو قال ذكورا واناثا لتوهم ان المعنى بيان الكثرة والاقتدار عليها قطعا عن
الاحساس والحركة اي قطعا للعوائد الحيوانية في احساساتها وحركاتها استراحة لها وازالة لكلالها
الحاصلة في احساساتها وحركاتها فحينئذ في القول بان السبات النوم او خفيفه فلا يفيد بل لا يصح جعل
السبات مفعولا ثانيا للجعل مع كون مفعوله الاول النوم لان المعنى الا يجعل النوم نوما فلذا جعلوا
المراد بالسبات غير معناه الحقيقي اما بان يتجوز في قطع الاحساس والحركة اللازم للنوم واما بان يتجوز
للموت المشبه بالنوم في انقطاع الحس والحركة معه ولو جعل السبات بمعنى النوم الخفي يكون مفيدا

يعني

يعني جعلنا نومكم نوما خفيفا غير ممتد فيختل به امر معاشكم ومعادكم وفيه مدح لخفة النوم وحث
تخفيفه وفيه ان الغافل كما لم يجعل النوم لذاته لم يجعل ايضا نومهم نوما خفيفا انما نومهم على هذا هو
الخفيف بل جعل النوم المطلق نوما خفيفا على ان نجعل الخفي بمعنى الخفيف الغير الممتد بعيدا
جدا فلا يرتكب فيه تصحيح الكلام وقيل ايضا الاستراحة وجعل ان الراحة فهي صفة القوى والقطع
صفة النائم لانه ينقطع عن الاحساس والحركة بسبب النوم فلا يصح جعلها مفعولا له للقطع ولا
للجعل الا بتقدير ارادة استراحة القوى الحيوانية انتهى وانت خبير بما فيه فان القطع عن
الاحساس والحركة على ما قرر انما هو للقوى الحسية والقوى البدنية كما ان الاستراحة لها فيصح
جعل الاستراحة مفعولا له للقطع والجعل ايضا من غير تكلف   لانه احد التوفيين
معتبر في قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن
الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا او ظاهرا فقط   ومنه
المسبوت اي وقيل السبات للنوم المسبوت للميت لانه مشتق من السبات فان اشتقاقه انما
هو من السبت   واصله القطع ايضا فيه بحث والمراد   وقت معاش لمكان المعاش
مصدر عاش ولا يمكن حمله على النهار قال وقت معاش يتقلب ويتحرك فيه لتحصيل الحوائج
التي لا بد منها في العيش وابقاء الحياة يتعذر او يتعسر التقلب لتحصيلها في ظلمة الليل
وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات معوان بحركاتها المختلفة لحصول ما تعيشون
به وكاسباب ووسائط في تربية المواليد التي تحتها وبلوغ كل منها الى كماله المقدر له الغاية في
علوه في طبقاته السبع العلى ولا يعتريها الخلل من حركاتها ولا يؤثر فيها مرور الازمان عليها
حتى تختل ولا يترتب عليها في بعض الازمان ما هو الغاية في بنائها قيل ذكر سموات محكمات ليأمن
المتقلبون لتحصيل المعاش تحتها عن ان يسقط منها عليهم ما يجعلهم متلاشين كالغبار ولا يخفى
ما فيه هذا الوجه في غاية الوهن والركاكة   وجعلنا سراجا وهاجا حمل المفسرون الجعل
ههنا على الجعل البسيط المتعدي الى مفعول واحد هو السراج كما في قوله وجعل الظلمات والنور
وجعلوا وهاجا صفة له وقيل يجوز ان يكون المراد بالسراج الشمس فانه احد معانيه على ما في القاموس
وح يكون الجعل متعديا الى مفعولين هما كما في اخواتها ولا ينافي تنكير المسند اليه لانحصاره

نه فرد اقول الظاهر انه لا يلزم الحصار معنى في جملة مسندا اليه على ما يدل عليه قوله كما جعل الشمس ضياء
والقمر نورا بالغة لحرارة المستفادة من صيغة المبالغة والمراد الشمس اي المراد
من السراج الوهاج الشمس اذا اعصرت السحائب اذا فرقت ان تعصرها الرياح اراد ان السحاب
ما لم تكن عاصرات بل هي معصرات فلا يصح جعل همزة الافعال للتعدية بل هي للحينونة كما في احصد
الزرع من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب اراد ان مطلقا الرياح ليس مبدأ الانزال
الماء انما المبدأ له هو الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب فالهمزة ايضا للحينونة قوله او الرياح
ذوات الاعاصير على ان يكون صيغة اسم الفاعل للنسبة والاعاصير جمع اعصار بالكسر هي ريح تثير الغبار
وترتفع الى السماء كأنه عمود ويقال هي ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق وانما جعلت
مبدأ دفعا لما يقال من انه اذا كان المراد بالمعصرات الرياح وهي ليست مبدأ الانزال الماء فما وجه
قوله تعالى وانزلنا من المعصرات فاجاب بان الرياح لما كانت تنشئ السحاب وتدر اخلافه صح
جعلها مبدأ له بهذا الاعتبار وقيل بعد فعه ان من بمعنى الباء والاخلاف جمع خلفة بالكسر وهي
حلمة ضرع الناقة ويؤيده اي يؤيد كون المراد بالمعصرات الرياح انه قرئ بالمعصرات
فان ما به ينزل الماء هو الرياح دون السحاب يقال ثجه وثج بنفسه اي جاء متعديا
ولازما ومنه افضل الحج العج والثج اي افضل اعمال الحج العج والثج ومثاجيج الماء مصابه
تاييد لكون ثجاجا بمعنى منصبا كما في الحديث قال حبة لغد وعيش مغدق غامه و
ندامى كلهم بيض زهر والمغدق الناعم والغدق الماء الكثير والندامى جمع الندمان يقال
نادمني فلان ندامى ومنادمة اي جالسني وبيض حسان وزهر ازهر اي ابيض مشرق الوجه والزهر
في الاصل البطن الا انه نقلت حركة الراء الى الهاء في الوقف يصف انه غر طيب الزمان والمكان وكرم
الاخوان او لفيفا اي والالفاف جمع لفيف كالاشراف جمع شريف او لف جمع لفا
فيكون الالفاف جمع الجمع كالاخضار جمع خضر جمع خضرا بحذف الزوائد هي الميم والتاء
المكررة قال الزمخشري الالفاف جمع لا واحد له كالاوزاع والاخياف فان الاول للمجاورات
والثاني للمختلفة ان يوم الفصل اي يوم الفصل بين الناس ويفرق بين السعدا والاشقيا
وبين كل طائفة من الفريقين باعتبار تفاوت مراتب الاخلاق والاعمال في علم الله
في حكمه المراد بالحكم القضاء النافذ كما فسره هو به قال صاحب الكشف في نفس تقدير الله وحكمه
قبل المراد بحكم انه تعلق الارادة في الازل ثم قيل وهذا مبني على ان يكون تعلق الارادة كالارادة

ازليا

اولیا اما لو كان حادثا فلیس للنبوة الا علم وانت خبیر بما فیه بلغ ای حد الابوقت به الدنیا وتنتهی عنده هکذا اذ الکل فی ایضا فیلون اول الیوم من ایام الاخرة او عنی ینتهی الدنیا والاخرة بعضهم بیوم القضاء بین الخلق و بعضهم بیوم الثواب والعقاب وهو فی الیوم الاخر الذی وجب الایمان به ویؤیده کون الیوم ینفخ بیانا له او بدلا عنه فان نفخ الصور بایصال الارواح الی الاجساد والاتیان الی المحشر انما یکون فی الاخرة فظهر فساد ما قیل انه نهایة ایام الدنیا والاخرة الیوم الاخر واخر مخلوق آت الدنیا لانه لا خلق بعده من الانسان فی علی انه منافی لما ذکره ذلك القائل وتبیین هذا بقوله لما ذکره ما یستدل به علی صحة البعث بحیث لا یبقی لاحد شبهة فیه هاصار المقام مقام ان یسئل عن میقاته فکان سائلا قال ای وقت میقاته فاجاب بقوله ان یوم الفصل کان میقاتا علی ما لا یخفی وان فی ایضا ما الحق بعض الفضلاء ان الدنیا تنتهی عند النفخة الاولی لا عند یوم الفصل و بعضهم مقطعة ایدیهم وارجلهم فیه تقتضی ان یکون فیه لوقا فیکون افواجا تغلیب اذ لا یتصور الاتیان بلا ارجل وید الا ان یراد المراد قطع بعض الارجل والایدی فلا یتصور الاتیان مع الکون منکوسین یسحبون علی وجوههم ولا یتصور الاتیان مصلوبین علی جذوع النار اقول ان هذا انما تقتضی ان یکون لو صحة العقل لشبهة وفیها المقالة علیها اشکال فانه من تیقن ان الله تعالی عز شانه قادر علی صنع تلك العجائب واحیاء الموتی لا یبقی له شك وشبهة فی انه قادر علی الاتیان علی الوجه الا و صانع المذکورة فانها لیست ممتنعة بالذات حتی لا یصلح تعلق القدرة بها بل هی امور ممکنة فی ذواتها صالحة لتعلق القدرة بها علی انه یتصور الاتیان مع عدم الایدی والارجل بالسحب علی البطن وغیرها ویتصور الاتیان ایضا مع کونهم منکوسین یسحبون علی وجوههم روی انه قیل لرسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم حین نزل قوله تعالی ونحشرهم یوم القیمة علی وجوههم کیف یمشون علی وجوههم قال علیه الصلوة والسلام الذی امشاهم علی اقدامهم قادر ان یمشیهم علی وجوههم واما الاتیان حین کونهم مصلوبین علی جذوع النار فیتصور بان یحرکوا الی الارض او نحو الهواء و تحرك الجذوع معهم علی ان الاتیان لا ینحصر فی الاتیان بنفسه بل یشتمل ما یجره ایضا ثم شوهم بالقفاة بالتشدید وهم النمامون والخیلاء بالضم والکسر مع فتح الیاء الکبر فمعنی المتکبرون الخیلاء المتعظمون لاجل الکبر

حال يتأول ما ورد لتأكيد مع المتكلم صدقه   وفتحت السماء قرئ بالتخفيف وفتحت تفتح في جملة
حذفت اعتمادا بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كقوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك
الحجر فانفلق اي فيبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا وقيل
هو معطوف على فتأتون وليس بشرط ان يتوافقا في الزمان وقيل هما متوافقان بمعنى فان
كلا من المعطوفين يكتسب من معنى الآخر فانه عطف الماضي على المضارع الدالة على انها واقعة
البتة لان المخبر صادق وكون المعطوف عليه مضارعا لأشعر بانها حكاية للحال الآتية لتبين
الحالتين العظيمتين نزول هوة السمع كما في قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم الآية   فصارت من كثرة الشقوق   اشارة الى ان السماء ذات شقوق لا تصير ابوابا
حقيقة فلا بد من التأويل اما بتشبيه الكل بالابواب او بتشبيهها بالمنافذ لكثرة الشقوق او
بتقدير المضاف   في الهواء كالهباء كقوله تعالى فكانت هباء منبثا   مثل سراب السراب
ما يرى سرابا فالسراب تشبيهها بالسراب في انها صورة لا حقيقة لها وقيل ولك ان تريد با
بالسراب ما يتخيله العطشان يعني تجري الجبال جريان الماء وتسيل سيلا تراها كالسراب فيتزايد اضطراب
متعطشي المحشر وغلبة شوقهم الى الماء اقول فعلى هذا الايضاح نظيره اعني قوله تعالى و
فتحت السماء فكانت ابوابا ان المقصود من تسيير الجبال هو ازدياد اضطراب المتعطشين
في اهل المحشر وغلبة شوقهم الى الماء لا عدم بقاء حقيقتها وهيئتها التي كانت عليها وايضا
يأباه قوله فكانت هباء منبثا على انه لا حاجة الى ازدياد اضطراب متعطشي اهل الجبال
كونه بل يحصل هذا بالسهولة في ذلك بان يجعل ما يجري من سيل الجبال عليه بزعمه سرابا حقيقة مرصادا
موضع رصد او رصدا بالسكون مصدر بمعنى الترقب جمع كجمع راصد وهو الحارس
يرصد فيه خزنة النار الكفار اي يحرسونهم ويحفظونهم فيه لكونه مأواهم لقوله تعالى للطاغين
مآبا   ليحرسونهم من فتحها في مجازهم عليها لقوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا   فانه الموضع الذي يقيم فيه الجبل تقيم النوى او
تعلفه حتى يسمن ثم ترده الا القوت وذلك يكون في الربيع يوما   او مجدة في ترصد
الكفرة يعني يحتمل ان يكون مرصادا بمعنى مجدة وبالغة في الترصد على ان يكون مبالغة الراصد
كالمطعان كثير الطعن بالرمح مبالغة الطاعن   وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيم

السنة

ان علة كانه قيل كان في علم الله لاجل ان جهنم كانت مرصادا يرصد فيه الكفار للتعذيب ومأوى لهم
لطغيانهم وان للمتقين مفازا وحدائق فلا بد في علم الله ليجزي كل عامل بعمله وينال بما خلق له
وهو ابلغ لان اللبث لا يقال الا لمن شانه اللبث بخلاف اللابث فانه اسم قال الزجاج
لبث الرجل فهو لابث ويقال هو لبث بمكان كذا اي صار اللبث شانه   وهو واستعماله
لا يستفاد التتابع من لفظ الحقب زمانا ولا من لفظ احقاب   الا ان متعاقبا اجزاؤه بعضها لبعض
ليمهد به ما يتلوه من عدم التعارض بين الايتين لجواز عدم تناهي الاحقاب بترادفها وتبعية بعضها
بعضا فلا وجه لما قيل ان لفظ الحقب لا يقتضي التتابع وكانه حمله عليه تبادره من اطلاق لفظ
الاحقاب   او لو صح ان الحقب لاشارة الى منع ان المراد من الحقب ههنا ذلك لجواز ان يكون
المراد الزمان الغير المحدود على ما قال الجني رحمه الله من انه ليس للاحقاب عدة غير الخلود
فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار مثل قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ونقول صاحب الازهار عن الزجاج في تفسيره انه قال قد يوهم يغفر من كان كافرا
ولا يشرك مع ذلك قلنا لا كافر الا مشرك لان الكافر اذا كفر بنبي فقد زعم ان الايات التي بها ثبتت
نبوته فيجوز ما لا يجوز الا لله لغير الله فيكون مشركا وكذا لو كذب حكما من حكم الله تعالى واعتقد
خلافه فظهر فساد ما قيل انما يسلم لو لم يشع حمل الخلود على الدهر الطويل انتهى ولعله لم يوفق
بين لفظ الخلود وبين ما يدل على الخلود حيث حمل بعض المفسرين لفظ الخلود في مثل قوله تعالى
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها على الزمان الطويل فظن ان الخلود مطلقا يجوز حمله
على الزمان الطويل نعم لو جعل قوله ولا يذوقون يعني ان توهم دلالة لابثين فيها احقابا على خروجهم
منها انما يكون على تقدير انفصال يذوقون عنه وعدم ارتباطه به اما اذا كان مرتبطا به بان يجعل حالا
من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون فلا اذ لا يكون المعنى على الاول لابثين فيها احقابا
حال كونهم غير ذائقين سوى الحميم والغساق وعلى الثاني لابثين فيها لا يذوقون في الاحقاب سوى
الحميم والغساق ويكون الاحقاب على التقديرين ازمنة لذوق الحميم والغساق فاللازم حينئذ ان يكون
اللبث الذي مع ذوق الحميم والغساق في الاحقاب ولا يكون بعدها ولا يلزم منه ان يكون مطلق اللبث
في الاحقاب لجواز تبدل عذابهم من ذوق الحميم والغساق بجنس اخر من العذاب وكانوا لابثين فيها

بعد الاحقاب معذبين بذلك الجنس في العذاب ابدا ويبدل ذلك الجنس بجنس اخر ايضا وهكذا ابدا بمعنى لابثين فيها حقبين اي ضيقين قليلا الرزق لا يذوقون تفسير له اي موضح وكاشف لمعناه فيكون صفة كاشفة او النوم بقول الرب منع البرد البرد اي اذهب البرد النوم اي لا يذوقون فيها النوم منقطعا عن احساس عذابها وستر لها بالغفلة عنها وقيل الزمهرير اي لا يذوقون فيها ما يريح عنهم حر النار واحترقهم به الا الزمهرير الذي يحرقهم ببرده مثل النار رواه وهو مستثنى من البرد استثناء منقطعا كان الحميم مستثنا من الشراب كذلك الا ان اخرها يعني كان الانسب ان يذكر فيليه قوله او يقدم على الحميم حتى يكون على ترتيب المستثنى منه لكنه اخره من الحميم ليتوافق رؤوس الآية المذكورة في هذه السورة من قوله الم نجعل الارض مهادا الى قريب من الاخر فظروف دها قيل ليتوافق في قافاوفاقا وقيل ايضا وما ذكره من القول في معنى البرد الاول والحمل عليه غير بعيد اي لا يذوق افواههم من حر العطش والالتهاب حالا لا يقلعه وفيه ما فيه مثله من عدم تطابق النظريتين فان عدم ذوقهم الشراب ليس عذابا ولسامة حال لهم في نفسه بل الملحق منه عدم فوزهم بما يسكن عطشهم فالمناسب حمل البرد على ما يدفع به حر العذاب الحاصل لبثهم فيها كما فعله المفسرون ليطابق النظيران وايضا هو حال من لا يبقى له انما هو من شدة العطش الحاصل من شدة الحر المورث لعدم الري وليس هو عدم الري في نفسه يسود ولا للعطش حرارة كما لا يخفى جزاء وفاقا لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا بنفسه او وفاقا اما صفة الجزاء بتقدير مضاف او يجعله بمعنى اسم الفاعل او مفعول مطلق لفعل مقدر هو صفته وفقه كذا قال صاحب الكشف اي بمعنى وافقه فيصير المعنى على الاول صادقه الاعمال موافقا وذا الصحاح وفقت امري تفق بالكسر فيهما اي صادفته موافقا وكذلك التوفيق فالمعنى جزاء اجزاء صادفه الموافقة بيان لما وافقه هذا الجزاء وهذا الجزاء لشارة الى اللبث في النار وعدم ذوق غير الحميم والغساق يعني ان ما وافقه هذا الجزاء هو عدم ايمانهم بالبعث وبانهم محاسبون وتكذيبهم وانكارهم الكتاب فانه لا ذنب اعظم من الشرك فلا عقوبة اعظم من النار وقيل وهم كون العذاب الابدي موافقا للكفر في الايام القليلة ان الانتفاع بالاخرة معلق باعتقاده والعمل في الدنيا فاذا انكروه لم يعملوا اصلا فجزاؤهم الحرمان الابدي من منافعه وعدم حيلتهم عن تعذيبه انتهى اقول لا نعم كون الانتفاع بالاخرة معلق باعتقاده والعمل له

في الدنيا فان ذرية المؤمنين لقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم بل ذرية المشركين عند بعضهم
يدخلون الجنة وينتفعون بنعيمها مع عدم الاعتقاد والعمل سلمنا لكن اللازم منه عدم انتفاع
غير المعتقدين اياه وغير العاملين له وذلك لا يوجب عذابهم الابدي فان المجنون ومن لم يبلغ اليه دعوة
الاسلام لم يعتقد الاخرة ولم يعمل له اصلا مع انهما لا يعذبان على ما ذهب اليه اهل الحق لقوله تعالى وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا وكون انكار البعث لازم رجاء الحساب والتكذيب بالآيات كفرا وجه اخر
مستقل قد ذكرناه ولا دخل للتعليق فيه اصلا مطرد شايع في كلام الفصحاء لا يريدون
منه غير هذا المعنى وهو بمعنى الكذب هو مصدر كذب بالثلاثي صدقتها وكذبتها والمرء
ينفعه كذابه دليل لكون الكذاب المحقق بمعنى الكذب فانه فيه محمول على هذا المعنى وانما اقيم
مقام التكذيب يعني ان المقام مقام التكذيب فانه المصدر المذكور للمذكور الا انه اقيم الكذاب
بمعنى الكذب مقامه ليدل به على ان الكافرين كذبوا في تكذيبهم وانكارهم الايات فانه
حينئذ يكون مفعولا مطلقا اما لكذبوا الثلاثي المقدر المدلول عليه بمصدره فيكون المعنى كذبوا
باياتنا فكذبوا كذابا او لكذبوا المذكور باعتبار تضمنه معنى كذبوا الثلاثي فان تكذيبهم
الحق يستلزم كونهم كاذبين فيفيد المعنى المذكور ضمنا وعلى التقديرين يكون دالا على
انهم كذبوا في تكذيبهم والمكاذبة عطف على الكذب اي وهو بمعنى المكاذبة على
ان يكون مصدر باب المفاعلة نحو ماريته مراء وقاتلته قتالا وهو في المفاعلة اما محمول على حقيقته
فيكون التقدير كذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة ويكون قولهم فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين
وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهما مكاذبة تفسيرا وبيانا له واما على المجاز والمبالغة
فيكون المعنى كذبوا باياتنا مكاذبين مبالغين في الكذب مبنيا على قوله فكان بينهما مكاذبة فيه
بحث لان المكاذبة كما اخبر هو شان المفاعلة مقابلة الكذب الحقيقي بالكذب الحقيقي ولو جوزنا و
سلمنا مقابلة الكذب الاعتقادي بالكذب الاعتقادي بان يقابل كل منهما ما هو كذب في
اعتقاده بما هو كذب في اعتقاد الاخر واما تسميته مقابلة ما هو صدق في اعتقاد كل منهما
باعتبار انه كذب في اعتقاد الاخر مكاذبة فبعيد جدا اقول ان المكاذبة مقابلة الكذب
بالكذب اعم من ان يكونا حقيقيين او اعتقاديين او كان في اعتقاد قائله او في اعتقاد الاخر

وصدقه في اعتقاد القائل لا يتلفظ ذلك ممن يدعي الانحصار في الاولين جعلية نسبية   مبالغة
المبالغتين فيه المغالبة ان يقصد كل واحد من الاثنين الغلبة على الاخر في المعنى المقصود لهما فغلب
احدهما وكل منهما مغالب للاخر   وعلى المعنيين اي الكذب والمكاذبة قوله ويؤيده اي
كونه حالا انه قرئ كذابا فانه حال ايضا   ويجوز ان يكون اي الكذاب للمبالغة كما في قولهم
رجل كذاب موغل في الكذب ونقيض الاسلوب حيث قال في الاول وهو جمع كاذب وفي الثاني ان يكون
للمبالغة ولم يقل او مبالغة التكذيب يدل على ان الراجح المعتبر هو الاول ويجوز وعليه بناء الثانية
كما لا يخفى   وقرئ بالرفع على الابتداء فالنصب بالاضمار على شريطة التفسير   فان
الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط فكتابا بالمعنى احصاء او احصينا بمعنى كتبنا او حال
او مفعول للمقدر اي ما كتبناه حصيناه كتابا   والجملة اعتراض فايدته توكيد للوعيد السابق
بانه لا حجة لاحق بهم لان معاصيهم الموجبة لذلك معلومة له تعالى مكتوبة مضبوطة عنده حتى
والاوجه عندي ان كل شيء منصوب بالعطف على اسم ان واحصيناه كتابا عطف على خبره والجملة تبيان
كون الجزاء المذكور موافقا لاعمالهم لان الجزاء الموافق انما يكون بصدور اعمال موجبة للجزاء عنهم وعدم
فوتها على المجازي وقرئ الرفع للعطف على محل اسم ان وليس هذه الجملة اعتراضا اقول ان كون الجزاء
موافقا لاعمالهم قد تبين وظهر بذكر اعمالهم من انكار البعث والحشر وتكذيب الايات على ما بينا انفا
ولا حاجة في ذلك الى ضبط تلك الاعمال بل لا دخل له فيه اصلا ولعله لم يفرق بين كون الجزاء موافقا و
بين تحققه وصدوره من المجازي فاعتبر في الاول ما هو المعتبر في الثاني على ان تحققه وصدوره عن
المجازي يتوقف على معرفتها وعدم فوتها حين الصدور ولا يتوقف على ضبطها في الصحف قبله كما
لا يخفى ثم قوله ان الكلام تمثيل لصورة ضبط الاشياء في علمه تعالى بضبط المحصي المجد المتقن
للضبط بالكتابة والا فهو تعالى يستغني عن الضبط وهذا التمثيل لتفهيمنا والا فالاقتضاء في علمه
تعالى اجل واعلى من ان يمثل بشيء اقول هذا يفضي الى القول بعدم خلق اللوح المحفوظ وضبط
صور جميع الاعمال والاشياء فيه ويفضي الى انكار الحفظة الذين هم الكرام الكاتبون لافعال العباد
والى انكار خلق المنقش في اللوح المحفوظ مع ان النصوص الدالة على خلقها والاحاديث الواردة
فيها الغير القابلة للتاويل اكثر من ان تحصى وصار كل منها لشيوع علمها من ضروريات الدين فلا يكون انكار شيء
منها

منها وتحقيق للحقوق وان كان غنيا في ذاته عن الضبط وخلق اللوح والقلم والحفظة بل عن جميع
المخلوقات الا انه حكيم في خلقها وخلق جميع ما سواه حكم ومصالح لا يعلمها ولا يحصيها ففي ضبط الاعمال
له حكم ومصالح لا نعرفها ويجب علينا الايمان بها انتهى اقول اذا كان الانضباط لعلمه ثم الجزاء على
وفق ما بين التي لا يكون هذا التمثيل غير مطابق فكيف يتصور التفهيم به والحق ان كلامه تعالى جرى على
من الخطوم وتعبير غير ذوي البصائر مسبب عن كفرهم بالحجج وتكذيبهم بالآيات فان سبب
ما أتيه جنسهم لهم ولبثهم فيها وعدم ذوقهم غير الحميم والغساق هو كفرهم بالحجج وتكذيبهم
بالآيات اي كفرتم بالحجج وكذبتم بالآيات فذوقوا هذا العذاب وليس لكم عندنا سوى المزيد
من انواع العذاب فيه وقيل والظاهر انه مرتبط بقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما
وغساقا اي اذاقوا الحميم والغساق ويقال لهم ذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وهي
الجمل بينهما اعتراضية اقول هذا الاحتمال الاظهر عنده لرفعه من الوجه الاول عنده وانما
لم يجعله ولكني اخترناه اعتراضا بل جعله معطوفا لم يمكنه جعل فذوقوا مسببا عن المعطوف عليه
مع عدم مدخلية المعطوف فيه وبيانه عليه ان ذوقهم الحميم والغساق لا يصير سببا لامرهم بذوق فيهما
ولا للزيادة عليها ولا للقول بالامر وعدم زيادة غير العذاب انما السبب في ذلك كله هو الكفر
فقط وجعل الفاء في مجرد الربط من غير سببية يأباه قوله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا
نسيناكم الآية وقوله تعالى فذوقوا العذاب بما كنتم تعملون الآية وظهر ايضا ان الذوق يكون
بعد الامر فالحق ما ذكره المصنف رحمه الله ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة فان خطابهم
وامرهم بالذوق مع غيبتهم بحال الاهتمام بامرهم بالذوق كما تشكوا الى الملك من احد غائبا
ثم تقبل عليه اذا حميت في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي الحديث ان هذه الآية
اشد آية فان مجيئها بالالتفات الدال على المبالغة وبكلمة لن الدالة على ان ترك الزيادة كالمحال
الذي لا يدخل تحت الصحة يفيد ان الغضب قد تبالغ فيه كيف لا وهم لما يطلبون بذلك تحولا طلب
فيه الا كلمة لن توهم مخاطبتهم به ارحم الراحمين وجعل هذا الامر مسببا عن افعالهم وفيه بالالحق
من التحسر على ما فاتهم وتوبيخهم وعدم الاخلف فيه بانه لا يزيدهم ابدا الا عذابا انتهى اقول
في جعله هذا الامر مسببا عن افعالهم اعتراف منه لما كان ينكره حيث كان الجملة مرتبطا بقوله لا يذوقون قوله

ثم قيل يحتمل ان يكون المراد به استمرار صحيح في القرآن على اهل النار فانه اذا بلغهم هذا الوعيد ولم يكفوا منه
فقد قبلوا العذاب الابدي في مقابلة الكفر فلا عذر لهم يوم القيمة في الحكم عليهم بخلود النار واقول
ان كونهم كانوا بانكار البعث والحشر وتكذيبهم الايات تقدم خوفهم من هذا الوعيد على تقدير بلوغه اياهم في
الدنيا انما يكون لتكذيبهم اياه فكيف قبلوا العذاب الابدي في مقابلة الكفر وانما يكون القبول منهم
اذا صدقوا بالوعيد ولم يكفوا منه فهل هذا الا الجمع بين النقيضين   فوزا اي موضع فوز
على ان يكون مفازا مصدرا ميميا او اسم مكان والفوز الظفر والنجاة والمراد بالمتقين ما يقابل الطاغين
المشركين اي ان للمتقين خاصة ظفرا بما يطلبون في الجنة او نجاة من النار التي هي ماب للطاغين لا
نجاة لهم منها ابدا   بدل الاشتمال او البعض فالاول على تقدير كون مفازا فوزا على احد معنييه
فان الظفر بالجنة والنجاة من النار مشتملان عليه والثاني على تقدير كونه موضع فوز فان موضع الفوز
هو الجنة وبساتين ذوات الاشجار المثمرة منها   ن فلكت ثديها في الصحاح فلك ثدي
الجارية تفليكا وتفلك استدار   لدات هي جمع لدة وهي المستوية في السن فان كلهن بنات
ثلث وثلثين وكذا ازواجهن وقال بعضهم ان الجنة كلهن بنات ستة عشر ورجالهن ابناء ثلاث
وثلاثين   وكاسا دهاقا الكاس الزجاجة اذا كانت فيها خمر قال الزجاج الكاس الاناء
اذا كان فيه الشراب فاذا لم يكن فيه لم يسم كاسا   لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا من الكلام بخلاف اهل
الدنيا فانهم اذا شربوا خاضوا في الباطل   وقرئ بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة على ان يكون
كذابا مصدر فعال او فاعل اما على قراءة التشديد فهو بمعنى تكذيبا كما مر   اذ لا يكذب بعضهم
بعضا بيان لوجه قراءة التشديد الذي هو الاصل عنده فيكون وجه قراءة التخفيف بالمعنيين مسكوتا
عنه اعتمادا على انه قد الذهن اليه فيكون ويمكن ان يقول عبارة القاضي اذ لا يكذب بالتخفيف علة
للجميع اذ ينتفي الكذب بنفي المكاذبة والتكذيب ايضا لان المكذب ان كان محقا فقد كذب من يكذبه
وان كان مبطلا فقد كذب حيث كذب اخوه نعم الوجه هذا لو كان عبارة القاضي اولا يكذب احدا
وبعضهم واما المذكور فيأباه حيث يتبع بعضا اذ لا يكذب مستدركا لا فائدة له اصلا اذ ينتفي الكذب
ينتفي الجميع ولا حظ لتعلقه بالمفعول في ذلك اصلا   جزاء من ربك هو مصدر مؤكد منصوب
بمعنى ان للمتقين مفازا كانه قال جازى المتقين بمفاز اجزاء التفضل منه اذ لا يجب عليه شيء رد على

المعتزلة

المعتزلة القائلين بانه يجب على الله تعالى اثابة المطيعين لان المطيعين بطاعاتهم يستحقون الثواب
والاخلال به وترك اثابتهم قبيح ممتنع عليه تعالى فيجب عليه اثابتهم ولان تكليف العباد لا لغرض
ونفع عبث لا يليق بالحكيم والنفع لا يعود اليه تعالى لتنزهه عنه ولا الى العبد في الدنيا لانه مشقة
بلا حظ فيكون عائدا الى العبد في الاخرة وهو ايضا واجب عليه تعالى لئلا يلزم نقض الغرض ووجه الرد
على ما بين في موضعه ان الاثابة والعطا انما هو لمحض التفضل والاحسان عليهم لا لاستحقاقهم
بالطاعات لذلك فان الطاعات التي كلفوا بها لا تكاد في النعم الدنيوية التي اعطاهم لكثرة النعم
وعظمها وحقارة تلك الطاعات وقلتها بالنسبة اليها وما ذلك الا كمن يقابل نعم الملك الوهاب
عليه بالدعاء بتحريك انملة فكيف يحكم العقل باستحقاقه للثواب والجائزة للاثابة عليه تعالى ولا
لان التكليف بلا غرض وعلة غائية عبث غير جائز على الحكيم بل هو لاشتماله على حكم ومصالح ليس
عبثا فهو جائز منه غير واجب عليه تعالى فان فيه ضرر الكافرين ونفع المؤمنين والاول تفضل على الابرار
والثاني عدل بالنسبة الى الفجار حتى قال حسبي يقال احسبه فلانا اي اعطيته ما يكفيه حتى
قال حسبي الواو لاهل السموات والارض هكذا في الكشاف والظاهر ان المراد باهل السموات الملائكة
وباهل الارض الانس والجن وانحصار الاهل فيهم معلوم من الشرع فلا يتوجه ما قيل ان هذا انما يتم اذا
لم يكن ملك بينهما اهل وفيه اضافة جزاء المتقين الى ذاته وعبر عن ذاته بالرب تكريما لهم واشعارا لهم
بانه لا يزال يربيهم ولم يضف جزاء الطاغين تبعيدا لهم من الاكرام واشارة الى انه ليس له
بجزائهم ذلك الاهتمام اقول هذا مناف لما سبق من قول الكشاف في قوله النعم ويؤيده
بالحديث فانه صريح في ان له تعالى كمال الاهتمام بجزائهم وترك الزيادة كالمحال الذي لا ياخذ لما تحت
الصحة واعترف به هناك هذا القائل ايضا اي لا يملكون خطابه في الاعتراض عليه دفع لما يتوهم
من منافاته لثبوت الشفاعة فان اهل السموات والارض ان لم يملكوا ولم يقدروا ان يخاطبوه فلا تثبت
الشفاعة لانها تكون بمالكية الشفيع خطابه ودعائه الى مغفرة المشفوع فيه ووجه الدفع ان المنفي
عنهم هو مالكيتهم الاعتراض عليه باثابة او عقوبة فلا ينافي ثبوت الشفاعة فيه وذلك لان الحمل على نفي
مالكية خطابه تعالى ان يطلبوا منه ان يخاطبهم للطف من اول خطابه بالقهر او بالعكس اقول
ومن المعلوم بالضرورة ان المالك للخطاب ليس الا من صدر عنه الخطاب واتصف به فمالك خطابه تعالى لا يكون

الا هو والذي يخاطبه لطفه تعالى وقهره لا يصير بالكلية حظه تعالى ولا يطلق عليه ذلك اصلا فلا حاجة
الى نفيه اصلا كما ان التشفيع الذي للمغفرة لا يصير بالكلية للمغفرة ولا يطلق عليه ايضا المالك على ان
عدم كون العاصين المشفع فيهم مخاطبين بالقهر حتى ان الغافلة تخرج لحيث تؤيد لانهم مملوكون
له على الاطلاق فلا يتوجه عليه اعتراضا يعني انهم مملوكون له تعالى ذواتهم وصفاتهم وما لهم فتصرفه
تعالى فيهم باثابة المطيع وعقاب العاصي او بالعكس بل كيف تصرف في ملكه وحقه فلا يتجه اصلا ان يعترض عليه
بانه لم اثيب العاصي او اعاقب المطيع فان الحسن كان خلافه ففيه القبيح والظلم لان القبح انما يتصور
اذا وجب عليه تعالى شيء فيكون خلافه قبيحا وقد عرفت انه لا يجب عليه شيء وما الظلم انما يتصور اذا كان لاحد حقا
عليه تعالى او كان له ملك ماله بان لا يحق حقه او يأخذ ملكه واما اذا لم يكن له حق عليه ولا يملك شيئا حاله بل
كان هو وجميع ما له ملكا لله تعالى فهو المستحق ان يعترض عليه بتصرف في ملك الغير بغير اذنه فان
هؤلاء الذين هم افضل الخلائق اي اكثرهم علما للاحاطة علمهم بما كان في الاعصار الاول وبما يكون
في الازمنة الاتية وبالامور الغائبة عنا في الحال ولان الملائكة افضل بهذا المعنى لا ينافي كون البشر
افضل منهم اكثرية الثواب على ما ذهب اليه الاشاعرة نقلا وعقلا او رده بعضا لا يوقف على المصنف له
من انه بعد عن الحق ومال الى طريقة الاعتزال كصاحب الكشاف فان كون الملائكة افضل الخلائق طريقة
المعتزلة الا ثوابه اشارة الى ان لنا الذات مرجعا لا يتصور لتنزهه وتعاليه عن ان يكون
مرجعا لشيء اذ انما يتصور مرجعيته لثوابه او امره او غير ذلك كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك اي الى امره او موعده او ثوابه على ما قالوا وحينئذ انما احتيج الى حذف المضاف لان رجوع كل
احد الى ربه ليس بمشيته بل كل احد يرجع لا محالة انما المعلق بالمشيئة الرجوع الى ثوابه فان العبد
مختار في الايمان والطاعة ولا ثواب الا بارتكابهما بالاختيار اقول هذا مناف بظاهره لما
ذهب اليه الاشاعرة من ان لا فاعل للافعال العباد هو الله تعالى وان جميع الكائنات فعله لا اختيار ولا
قدرة للعبد فيها فلا يمكن ان يرتكبها بالاختيار بل هو في ذلك كالمجبور فان المشيئة التي اوجدها
الله فيه لعدم اقدامه وليس المشيئة دخل سوى المقارنة مع فعله تعالى ثم حينئذ انما قدر الثواب ولم يأخذ الرجوع
الى الذات الرب لان للكافرين ايضا رجوعا اليه لكن لعذابه فيه ما مر ان الرجوع الى ذاته تعالى جعله مرجعا غير
متصور وايضا هو مناف لقوله تعالى للطاغين مآبا فانه صريح في ان مرجعهم انما هو جهنم ومعنى رجوعهم

اليه

اليه تعالى حيث وقع رجوعهم الى عقابه او موعده او غيرهما كما ان رجوع المؤمنين اليه رجوعهم الى ثوابه
او امره او موعده او غيرهما   وقربه لتحققه وقوعه لما يقال ان العذاب اذا كان في الآخرة فهو بعيد
فما وجه قربه ووجه الدفع ظ فيرد الحاجة الى توجيه التقريب به لو كان يوم ظرفا مستقرا اي قريبا كائنا يوم
ينظر المرء اما لو كان ظرفا لغوا للتقريب فلا حاجة اليه لانه في هذا اليوم قريب بلا فصل بينه وبين المرء قول
او اجعل يوم ظرفا مستقرا كما ذكره كان مفيدا للاول ذلك اليوم قريبا ايضا فيكون في تقييد العذاب بالقرب
وتوضيعه بيمنه تقوية الانذار وتقريب حينئذ مجيء المنذر به واما اذا جعل ظرفا لغوا للتقريب فلا فانه يجوز
ان يكون مجيء هذا اليوم بعد الازمنة من زمان الانذار فلا يكون لذكر التقريب فائدة في هذا المقام على
العذاب يكون تحققه زمان ينظر المرء ويكون المرء متصفا به فلا معنى لكونه قريبا منه   ولان مبدأه
للموت عطف على قوله لتحققه اي قربه لكون مبدأه الموت وهو قريب ما يبدي به علماء التقريب يكون قريبا
يرى ما قدمه من خير او شر الظاهر انه تفسير لما قدمت يداه على الاحتمال الراجح عنده من كون ما موصولة
يشعر بذلك ما يأتي من التعرض للتفسير عند كون ما استفهامية وعدم التعرض عند كونها موصولة وقيل
ليس تفسيرا بل هو حاصل المعنى   والمرء عام يتناول المؤمن والكافر والمؤمن ينظر ما قدمت يداه
من خير والكافر ينظر ما قدمت يداه من شر فان قيل وعلى هذا كان المناسب ذكر ما يقوله المؤمن عنده فلم حذف
قول الكافر بالذكر فيه قوله ويقول الكافر الآية قلنا لان ذكر قول الكافر هو دلالة على غاية ٥
الخيبة ونهاية الخسران فحذف قول المؤمن دلالة على غاية البهجة ونهاية الفرح بحيث لا يحيط
به الوصف قال قتادة ان المرء هو المؤمن قال الامام يدل عليه قول الكافر يا ليتني كنت ترابا
فلما كان هذا بيانا لحال الكافرين وجب ان يكون الاول بيانا لحال المؤمنين قال صاحب الكشف
لا يخفى ما فيه من الضعف فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير اي ان كان المراد بالمرء الكافر
يكون لفظ الكافر في قوله تعالى ويقول الكافر اسما ظاهرا واقعا موضع الضمير فان هذا الموضع
هو موضع الضمير الراجع الى المرء اقيم الظاهر مقامه لزيادة الذم فان في لفظ الكافر دلالة على بطلان
ما قدمت يداه ولحقاد الحق به وقيل لحشر سائر الحيوانات للاقتصاص عن ابي هريرة رضي الله عنه بلغ
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيمة حتى يقاد الشاة الجماء من
الشاة القرناء   فانهم يتمنون ان اراح الكفار عن ابدانهم جعل النزع مخصوصا بالكفار

والنشط بالمؤمنين رعاية للمناسبة فان النزع جذب بشدة فيليق بالكفار والنشط جذب برفق فيليق
بالمؤمنين   غرقا اي اغراقا في النزع يقال اغرق في القوس اذا بالغ في نزعه وطلب ففيه
الدلالة على المبالغة في النزع الموجبة لعدم الرفق واليه الاشارة بقوله فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان
قبيل الاغراق نوع من النزع فغرقا اسم بمعنى اغراقا او مصدر بحذف الزوايد وقول احتمالهما وعلى
التقديرين يكون مفعولا مطلقا او يكون المفعول به محذوفا   او نفوسا غرقة في الاجساد
عطف على قوله ارواح الكفار وغرقا بمعنى غرقا بالتحريك صفة مشبهة مفعولا به للنازعات اي فانهم
ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم او نفوسا غرقة في الاجساد عطف على قوله ارواح الكفار وغرقا
بمعنى غرقا بالتحريك صفة مشبهة مفعولا به للنازعات اي فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم
او نفوسا غرقة في الاجساد متعلقة بها كمال التعلق لسبيل الشهوات بحبها بعيدة عن عالم الملكوت
غير قابلة للارتقاء اليه وهي نفوس الكفار والنفس جوهر مجرد متعلق بالبدن تعلق التدبير
والتصرف فيه تعلقها به بواسطة الروح الحيواني وهو بخار لطيف سار في البدن ونزعها قطع تعلقها
بالبدن باخراج الروح منه وبهذا التحقيق ظهر فساد ما قيل من انه لا تقابل بينها وهما متحدان فهو
ويسبحون في اخراجها اي اخراج ارواح المؤمنين حمل السبح ايضا مخصوصا بالمؤمنين لما فيه من
الدلالة على حسن السلوك وملايمتها عند الدخول في الابدان لاخراج الارواح   فيسبقون
بارواح الكفار اشارة الى ترتيب السبق بالارواح عما ذكر فوقه وكذلك قوله فيدبرون
بان يهيؤا احوالها ودالي ما اعد لها اشارة الى ان ملائكة العذاب والثواب غير ملائكة الموت فيدبيرهم
امر عقاب الارواح وثوابها ليس الا بان يهيؤا حالها لادراك الالام واللذات دون التعذيب   بلغ
والاثابة اذ هما بتدبير ملائكة العذاب   او الاولين اي النزع والنشط لهم اي لملائكة الموت
والباقيات لطوائف من الملائكة فيكون التدبير للتعذيب والاثابة   يسبحون في مضيها
اي يسرعون اي لما حمل الباقيات على طوائف اخر غير ملائكة الموت لم يكن حمل السبح على السبح في اخراج
الارواح فحمله على السبح في مضيها اي سرعة في امضائها فيسبقون الى ما امروا به من التعذيب
والاثابة فيدبرون امره اي امر ما امروا به من كيفيته وهما الابدال فانه فوق ما قيل والاظهر
فيدبرونه   بان يقطع الفلك انما قال ذلك مع ان النجم لا يقطع الفلك بل يتحرك بحركة الفلك
تبعا له

تبعا له نظرا الى الحس فانا نراه انه يتحرك فيه ويقطعه ولذلك قوله ويسبح في الفلك قوله
كاختلاف الفصول فان من حركة الشمس يحصل الفصول الاربعة المختلفة وتظهر مواقيت
العبادات ومن حركة القمر الشهور والسنة قوله ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب
قسرية فانها بحركة الفلك الاعظم فان حركته الارادية من المشرق الى المغرب فهو باحاطته
على سائر الافلاك المكوكبة وتسلطه عليها مع ان حركاتها الارادية من المغرب الى المشرق
يقهرها ويقسرها في المشرق الى المغرب وحركاتها من برج الى برج ملايمة لكونها ارادية لها
سمي الاول نزعا والثانية نشطا لما في معنى النزع من الشدة والمنافرة وفي معنى النشط
الوفق والملايمة قوله او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة اي حين فارقت عن الابدان
وقطع تعلقها لخروج الروح فانها تذهب وتفارق من الابدان غرقا اي ذهابا شديدا
او مفارقة شديدة من اغرق النازع في القوس حتى القوس اغرق النازع في القوس للتوقف
منها فتنشط اي تخرج خروجا روحانيا وتوجه الى عالم الملكوت وهو عالم العقول المجردة
فتسبح فيها اي تترقى في الملكوت من درجة ومرتبة الى اخرى بسرعة فتسبق الى حضاير القدس
والتنزه عن النقايص وهو مقام القرب من الله او حال سلوكها اي حال المجاهدة
والرياضة فانها تنزع من الشهوات اي تفارقها وتنشط اي تخرج وتترقى بسبب النقايص الى
عالم القدس فتسبح في مراتب الارتفاع فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات لما دونها من
النواقص فهو بالكسر بتقدير المدبرات قبيل اسم فاعل او مفعول فيه ان اشتاق بغيره فتسبق
الى الكمالات وايضا ينبغي على تقديره المدبرات بلا تغيير وما يقتضي منه العجب ما قيل في تغيير
حال المفارقة اي حال كمال الاستغراق ويلايمه مقابلته بحال السلوك او حال الموت قوله
فتدبر او انظر لهنا اسناد التدبير اليها لانها من مبادئه وانما حذف اي المقسم عليه وهو
لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيمة وهو منصوب به اي بما حذف وهو
لتبعثن ونصبه لفظي او محلي واعترض عليه بان البعث متاخر عن النفخة الاولى لانه يكون
بعد النفخة الثانية وبينهما اربعون سنة واجيب بان يوم النفخ الاولى الى فيها الا سانه
يوم ممتد اطول من اربعين سنة من السنين التي تكون في زمان حياتنا يقع فيه النفخ الثانية

حال ان الراجفة فانه يستلزم كون زمان الرجف ومتابعة الرادفة واحدا

ايضا ويدل على ذلك جعل تتبعها الرادفة واحدا وتنوينه للجواب ولكن تقدير المحذوف فيما يأتي
ونحو يوم ترجف فاعل المحذوف موضع المجرور وجعل تتبعها الرادفة صفة للراجفة لجعلها في حكم
النكرة يكون التعريف للعهد الذهني نحو ولقد أمرّ على اللئيم يسبني اقول فعلى هذا يكون
المقسم عليه اولا وبالذات اتيان يوم الرجف ومجيئه ويكون اتيان متابعة الرادفة مقسما عليه
بتبعيته مع ان الاولى هو العكس لان المقام يقتضي ان يكون المقسم عليه ما كان منكرا والمنكر
فيما سبق ليس الا البعث هذا اذا كان فيهم البعث مع النفخة الثانية على ما هو الواقع واما اذا كان
بعدها على ما صرح به هذا القائل فلا يكون مقسما عليه اصلا لا بالذات ولا بالتبعية بل يكون
مسكوتا عنه مع ان الكلام كان فيه او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها
اشارة الى ان فاعل الرجف حقيقة هو الاجرام واسناده الى الواقعة والنفخة الاولى مجازي
كاسناده الى سببه مثل في القاموس الراجفة النفخة الاولى والرادفة الثانية خلا وجلا قيل
يريد ان التعبير بالراجفة مجاز من قبيل جعل سبب الرجف راجفا اي ابصار اصحابها
ذليلة وذلك لان القلوب لا ابصار لها انما الابصار لاصحابها وذلة الابصار بكسرها
وتعاقبها وعدم رؤيتها ما كان لها رؤيته ولذلك اضافها الى القلوب اي ولاجل ان لهاس
ذلة الابصار حاصلة من خوف اضاف الابصار الى القلوب مع ان الخاشية ذوي ابصار ليشعر
بحصولها منه لان محل الخوف انما هو القلب فيندر ولك ان تريد بابصارها بصائر القلوب اي
صارت البصائر ذليلة لا تدرك شيا فكنى بذلتها عن عدم ادراكها لان عزة الابصار انما
هي بالادراك والله اعلم اقول يرد عليه ان البصيرة لا ادراك لها كما ان القلوب لا بصيرة
لها انما الادراك والبصيرة كلاهما لاصحاب القلوب وهي النفوس مع ان القلوب الموصوفة بانها واجفة
غير النفوس كما لا يخفى ونعم ما قال والله اعلم لقوله عليه السلام من العلم ان تقول لما لا تعلم الله اعلم
يقولون ائنا لمردودون في الحافرة فيتوجه ان سبب رجفة القلوب وذل اصحابها هو
انهم يقولون انكارا هذا القول الظاهر ان سبب رجفة القلوب وذل اصحابها يوم وقوع الواقعتين
هو مشاهدتهم مقدمات عذابهم لما كانوا لا يرجون الحشر وكذبوا بالايات تكذيبا لا هذا القول فقط
على النسبة كقوله عيشة راضية يعني ان الطريقة محفورة فاطلاق الحافرة عليها بناء على جعل صفة

الجو قالو

اسم فاعل للنسبة اي طريقة منسوبة الى الحفر كما في قوله تعالى عيشة راضية فان العيشة مرضية واطلاق
الراضية باعتبار جعلها منسوبة الى الرضى   او تشبيه القابل بالفاعل بان تشبيه الطريقة
بالماشي في كون منهما يتوقف عليه الحفر فاطلق اسم المشبه به على المشبه   وقرئ في الحفرة
بمعنى المحفورة يعني ان اطلاق الحفرة على الطريقة ليس باعتبار دخول الحفر عليها على ما هو المتعارف
في الصفة المشبهة بل باعتبار تحققه ووقوعه فيه فالصفة المشبهة واسم المفعول ههنا
متحدان في المعنى المقصود بهما كما في المنقطع والمقطوع   وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
اذا كنا على الخبر قرئ هؤلاء انا مستفهما واذا بتركه فالظاهر ان الخبر في مقابلة الانشاد اي على جعل جملة
خبرية متعلقة بمردودون ويكون المعنى أئنا لمردودون في الطريقة الاولى من الحيوة بعد
صيرورتنا عظاما بالية   واما قراءة الباقين بالهمزة على الانشاد فاذا متعلق بمحذوف
تقديره اذا كنا عظاما نخرة نرد ونبعث قيل فيكون في تقديره اذا كنا عظاما نخرة فيكون
جزاؤه الاستهزاء بعد الاستفهام انكارا وقوله فهي بمعنى النخرة البالية ايضا وفرق قوم بينهما
وقالوا النخرة البالية والناخر المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر اي تصوت   وهي
ابلغ لان صيغة فعل للمبالغة قال الزجاج الناخر اجود والاكثر لانها الفواصل ونخرة جيدة
ايضا قيل الاظهر ان ناخرة مغير نخرة للازدواج بما قبلها وما بعدها فيتحد القراءتان
معنى ويكون كلاهما مشتركا في المبالغة وانت خبير بما فيه فان الدال على المبالغة انما هو
الهيئة فاذا تغير انتفت الدلالة كما لا يخفى   كرة خاسرة فيه كرة خبر تلك وهو مبين
لاسم الاشارة كما ان الصفة مبنية ولابد من الترجمة من ذكر الصفة والمعنى تلك الكرة كرة خاسرة
ذات خسران او خاسر اصحابها فلا بد من التاويل قال صاحب الكشف منسوبة الى الخسران
او خاسر اصحابها   والمعنى انها ان صحت يعني ليس معنى القول صحتها وتحققها في
الواقع واتصافهم بالخسران حين تحققها على ما هو مدلول اذ الا انهم منكرون لها بل المعنى انها
الاخرة فاذا في تقدير ان صحت   متعلق بمحذوف اي مرتبط به لا تستصعبوها يعني
لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة في قدرته فما هي الا صيحة واحدة
هل اتاك استفهام تقرير وترغيب وذلك في بعض واصله اظهر   اليس قد اتاك

حديثه فيتسلى على تكذيب قومه له الى اخره الظاهر ان الحديث الذي كان في وقت النداء والامر
بالذهاب والقول هو اراءة الاية الكبرى والتكذيب واخذ النكال فما يترتب عليه هو
تسلية النبي عليه السلام على تكذيب قومه اياه بانه كذب موسى عليه السلام ايضا وتهديد الكفرة
على تكذيبهم النبي عليه السلام بانه يصيبهم مثل النكال الذي اصاب من هو اعظم منهم فظهر
بطلان ما قيل او ليسهل عليك دعوة قريش وقبائل العرب ولسعي في اتمام التبليغ اذا تعلم
ان موسى امر بدعوة من هو كم شبه وبغي من تولوهم واتم امره انتهى وكانه جعل اذ ناداه الى اخره
خبر الحديث بناء على بعض ما منه وتكلم عليه بعض الى   اذ ناداه ربه متعلق بالحديث اي الحديث
الواقع في هذا الوقت وهذا بناء على اعتبار الامتداد في هذا الوقت بحيث يسع اراءة الاية الكبرى
واخذ النكال كما في يوم ترجف فانه في ما امتد فيه ان بعض العقبة وهو اراءته الكبرى لم يكن
في هذا الوقت على التقدير اذكر اذ ناداه هذا ما وعدناك   قد قرئ بالتنوين في سورة طه من انه اسم
يصرف ولا يصرف وهو كثنى بمعنى مرتين من الطي مصدر للنداء او التقديس اي ناداه
نداءين او قدس مرتين على ارادة القول اي فقال اذهب   وقرئ ان اذهب اي
ناداه بهذا الطريق وبلفظ اذهب لان في النداء معنى القول فلو التقدير قال له اذهب
وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واصله تتزكى قلبت التاء زايا وادغم
الزاي في الزاي   اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة تعليل لكون المضاف المقدر في الى
ربك المعرفة ويؤيده قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء بالله   وهذا
كالتفصيل لقوله فقولا له قولا لينا فانه دعوة في صورة عرض ومشورة لكما يعقد الوصول
لضيقه هل لك ان تتزكى نبا   اي فذهب وبلغ يعني ان الفاء فيه مرتبط فاداه بما قبله انما هو
على هذا التقدير في الكلام تقديره فذهب اذهب   فانه كان المقدم فتعقيب التبليغ
به وهو الموافق لما في الواقع والاصل بخلاف اليد البيضاء فانها كالتبع له لانه عليه السلام
كان يتبع الحية بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك وبما قررنا ظهر ان جعل التقدم والاصالة
كلاهما وجها لكونها كبرى سهو اذ لا دخل للتقدم في الكبروية   فانهما باعتبار دلالتهما
كالاية الواحدة فان كلا منهما دال على اثبات دعوى الرسالة قال المحشي رحمه الله في سورة طه
عند قوله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة سفار شريف

ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير لان الدنيا وما فيها تصغر دونه قاضي انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهي قوله ذلك اشارة الى اخبار الله بحصول هذه الجنات وقوله تلك اشارة الى الجنات واخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا والفوز الكبير هو رضى الله لا حصول الجنة كذا امام

قوله وعملوا الصالحات دليل على ان الطاعات غير الايمان لانه عطفها على الايمان والعطف دليل على المغايرة وقال معاذ بن جبل العمل الصالح الذي يكون فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص حدائق ان كل عمل يعمل فانه يحتاج الى اربعة اشياء الى العلم قبل شروعه فيه والا يكون ما يفسده اكثر مما يصلحه والى النية عند شروعه والا فلا يوجر عليه لقوله عليه السلام لا اجر لمن لا نية له والى الصبر بعد شروعه فيه والا يكون تقصيره اكثر من توفيره والى الاخلاص عند تسليمه الى الله والا فيرد عمله عليه ولا يقبل منه [illegible]

عن ابن عباس رضي الله عنه قال للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة سنة وكان العلم افضل من العمل بخمسة اوجه الاول العلم بغير عمل يكون والعمل بغير علم لا يكون والثاني العلم بغير عمل ينفع والعمل بغير علم لا ينفع والثالث العلم نور كالسراج والعمل متنور منه والرابع العلم مقام الانبياء كما قال عليه السلام علماء امتي كانبياء بني اسرائيل والخامس العلم صفة الله والعمل صفة العباد وصفة الله افضل من صفة العباد تفسير تيسير وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم وكذا اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انا عليم احب عليما وقال حسن رحمة الله عليه مداد العلماء يوزن يوم القيمة بدم الشهداء فيترجح مداد العلماء على دم الشهداء وكذا قال النبي عليه السلام كن عالما او متعلما او سامعا ولا تكن رابعا فتهلك قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال العلم بالله لان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل فعلم من هذا ان العلم اشرف من العبادة ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم والا يكان عمله هباء منثورا زبدة الواعظين

عند قوله تعالى قد جئناك بآية من ربك وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى
ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية او لو جئتك
بشيء مبين   فجمع السحرة هذا على تقدير كونه ساعيا ساعيا في ابطال امره   او جنوده
على تقدير كونه مرعوبا مسرعا في مشيه قيل مقتضى التقدير الاول ان الواقع عقيب التكذيب
والعصيان جمع السحرة وعلى الثاني ان جعله نكالا عقيب حشر الجنود حين تبع موسى عليه السلام
بني اسرائيل عنه فنادى في المجمع اي المقام الذي اجتمعوا فيه   بنفسه او بمنادي فعلى الاول
يكون المنادى الى ما هو له وعلى الثاني يكون الى السبب الامر ويكون قوله تعالى فقال انا ربكم الاعلى
في تقدير فقال يقول فرعون انا ربكم الاعلى   اعلى من كل من يلي امركم وفي بعض النسخ
انا ربكم الاعلى كل من يلي امركم فالتقدير على من كل من يلي امركم او اضمر التفضيل لا بنصب المفعول
اخذا منكلا لمن رآه او سمعه الضمير للاخذ يقال نكل به تنكيلا اذا جعله نكالا وعبرة
لغيره كذا في الصحاح فقوله في الآخرة ليس متعلقا بقوله منكلا اذ الآخرة ليس دار العبرة
بل بقوله اخذ فان اخذه في الآخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق فعبرة في الدنيا لمن رأى
الاخذ او سمعه وسمع الاخذ بالاحراق يكون بالاخبار الانبياء عليهم السلام   او على
كلمته الآخرة اي آخرة قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون   او للتنكيل على
ان يكون النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم مفعولا له للاخذ   فيهما اي في الآخرة والدنيا
اشارة الى ان الاضافة في معنى الظرف قوله اولهما اي لاجل الكلمتين اشارة الى ان الاضافة للسبب
ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله اي نكل الله به نكال الآخرة والاولى واد بالمؤكد
مضمون الجملة السابقة اعني قوله فأخذه الله كما في صبغة الله ووعد الله على ما صرح به المحشي رحمه الله
فانه قال في الاول انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وفي الثاني انه مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في
معنى الوعد وصرح به صاحب الكشاف ايضا فلا ينافي افادته ما لا يفيده فعله فان في ما قيل المؤكد
ما لا يفيد الا ما يفيد فعله حتى لو زاد فيه فائدة ولو باضافة الى شيء خرج عن التأكيد بالاسم فليس بمؤكد
فلو كان نكالا للآخرة مصدرا مؤكدا لنكل ولعله غفل عنه مقدر بفعله على حال الخفي   لمن
كان من شأنه الخشية سواء كانت الخشية له بالفعل او لا وذلك للتنبيه الذي لا يخشى بالفعل ويكن

من شدة الخشية فتسقط عن ذلك   أأنتم اشد خلقا الخطاب لمنكري البعث اي انتم اصعب
خلقا وانشاء بعد الموت ام السماء   او ثخنها الذاهب في العلو وهو بقدر مسير خمسمائة
عام   سمكها اي جعلها متينة الاجزاء في الحقيقة فسواها اي قاربها وفيه ان البنا ورفع
السمك قد اغنيا عن هذا   فجعلها مستوية اي ملساء غير خشنة يرتفع بعض اجزائها و
وينخفض الآخر   من الكواكب والتداوير وغيرها من المتممات والافلاك الجزئية والتدوير جسم
كري مصمت مركوز في ثخن الفلك الجزئي بحيث يماس سطح المحدب والمقعر والكواكب السيارة السبعة
غير الشمس على رأي مركوزة في التداوير لكن تدوير فلك   منقول من غطش الليل بعد
نقول من اللازم الى التعدية بالهمزة   وانما اضاف اليها اي اضاف الليل الى السماء مع ان الليل
ظل الارض لانه يحدث بحركات فلك السماء بحركة الشمس ويجعلها مواجهة لبعض الارض فيصير
مضيئا وهو نهارها فتحدث الظلمة في البعض المقابل وبه تظهر النجوم في صفحتها فتحدث ولا يبعد
ان يقال فيه ان اضافتهما الى السماء لانهما او لا يظهر ان في السماء انتهى كون الليل ليلا غير واقع
يريد النهار اي يريد بالضحى النهار لا الضوء كما يلائم ليلها وانما عبر عن النهار بالضحى
لانه اشرف اوقاته وطيبها فكان احق بالذكر في هذا   والارض بعد ذلك دحاها قال
ابن عباس رضي الله عنه خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن
سبع سموات ثم دحى الارض بعد ذلك فهذا الابيات في قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم
استوى الى السماء وظهر فساد قيل هذا بيان في قوله خلق لكم الاية ولا يمكن التوفيق بانه خلق
اصل الارض قبل السماء ودحي بعده لان خلق الارض بعد الدحو   ومرعاها وهو بالكسر الكلا
ويجي الارض محل لموضع الرعي يعني انه منقول ههنا عن معناه الاصلي ولا يناسب حمله
عليه لانه يتحقق بخلق الارض فقط لان وجهها موضع الرعي قبل حاجة الى اخراج انما المحتاج
اليه بعد خلقها هو الكلا وايضا ما يذكر في المتعارف بعد الماء الكلا فلا وجه لما قيل يمكن حملها
عليه لان للرعي مكان مضمر اذ قطن الارض اخرج بوجوهها   او بيان للدحو لان الدحو هو
التمهيد للسكنى وهو اخراج الماء والكلا الذي لا بد منهما للسكنى فيتوقف الدحو للسكنى والسكنى
لا يتأتى الا بالماء والمرعى كذا قاله انتفع وفيه ان هذا ليس بيانا للدحو بل هو بيان للباعث
على الدحو

على الوجه وما لا يدل على ان ما في الكشاف مطابق لما ذكرنا ولا يلائم ما ذكره اصلا على ما يظهر بالرجوع
اليه اثبتها او تادا لها حتى تستقر ويستقر عليها وقرئ الارض والجبال بالرفع الى اخره
على الابتداء وقراءة النصب بالاضمار على شريطة التفسير اى دحى الارض وارسى الجبال
قوله وهو مرجوح لان العطف على فعلية فلا مناسبة بين المعطوف والمعطوف عليه
وفى جهة العطف تحقق المناسبة بينهما بخلاف النصب فانه عطف للفعلية على الفعلية
اى يعلوا على سائر الدواهى اى تغلب عليها كلها او بعضها قال الجوهرى
كل شئ كثر فتراكم حتى علا وغلب فقد طم يقال فوق كل طامة طامة ومنه سميت
القيمة طامة انتهى فلا وجه لما قيل ان المراد بالطامة كونها غالبة على كل من يدفعها
ولا يمكنه دفعها وحينئذ وصفها بالكبرى مفيد بخلاف ما اذا اريد غلبتها على سائر
الدواهى فان وصفها بالكبرى حينئذ غير مفيد وكان قد نسيها من فرط الغفلة
او طول المدة اى وكان قد نسى جميع اعماله المدونة لكمال الغفلة او طول المدة
فلم كلا منهما سبب نسيان الجميع واما كونها كثيرة وعدم وفا الحافظة بضبطها فليس
سببا لنسيان الجميع بل هو سبب لعدم ضبط الجميع وبينهما بون بعيد فلا وجه لما
قيل ومن وجوه نسيان ما سعى كثرته وعدم وفا الحافظة بضبطه او انه
خطاب للرسول اى لمن يراه من الكفار قيل الاولى جعله خطابا لكل احد فيرجح الى قراءة الصيغة
الغيبة فيه انه على قراءة الغيبة يكون المرئى الجحيم وعلى قراءة الخطاب لكل احد لا يتمشى ذلك
الا بجعل الضمير الخطاب رابطا للموصول وهو كما ترى فوله على ان فيه ضمير الجحيم اى لمن
تراه الجحيم وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر بعنى فاذا جاءت
الطامة الكبرى يرى الانسان عمله او ما بعده يحتمل ان يكون معطوفا على قوله محذوف
فيكون التفصيل للمفصل وهو فان الطاغى الجحيم ماواه الى اخره جوابا فى زيادة اما لم يفد
الا زيادة المبالغة وتحقق الترتب فى الثبوت على كل تقدير على ما فى الكشف وان يكون
معطوفا على قوله تعالى يوم يتذكر فيكون الجواب محذوفا اى فاذا جاءت الطامة الكبرى وقع
ما لا يدخل تحت الوصف على ما ذكره العلامة رحمه الله فقوله تعالى فاما من طغى يكون تفصيلا

لم يدل عليه   وهي فصل اي مجرد من الاعراب او مبتدا لم يقصد به المقصود خبره المأوى
والجملة خبر ان قوله مقامه بين يدي ربه يعني ان اضافة المقام الى الرب لادنى ملابسة لتنزهه
تعالى عن المقام   لعلمه بانه مرديه اي لعلمه بان الهوى واتباع الشهوات مهلك قوله
اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء لان الذكر من الفائدة ولا التبيين من العلم
فان ذكرها لا يزيد الاعتبار ووقتها مما استأثره الله بعلمه اي استبد به وتوقف لقوله الى ربك
منتهاها   وقيل فيم انكار لسؤالهم اي هذا امر عظيم لا ينبغي ان يسئل عنه   من
اشراطها اي علاماتها جمع شرط بالتحريك وهو العلامة   وقيل انه متصل بسؤالهم
اي يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم اي في شيء ومرتبة انت من علمها   والجواب مبتدا
خبره الى ربك منتهاها قوله وهو لا يناسب تعيين الوقت يعني ان انذارك لمن هو خائف عن
هولها لا عن وقتها فلا يناسب هذا الانذار تعيين الوقت قيل وجه عدم المناسبة انه بتعيين
الوقت ليستبعد المخوف بينه وبين الساعة ويعتمد على انه يستدرك ذنوبه بخلاف ما اذا
اذا ابهم فانه يزيد خوفه باحتمال كمال القرب اقول فعلى هذا يكون خوفه بالحقيقة من قربها
لا منها وهو مناف للتفسير والظاهر المفسر ايضا كان المناسب حينئذ ان يقول وهو ينافي
تعيين الوقت   ومن نون منذر بالتنوين والاعمال على الاصل وهو عدم الاضافة
لانها مجرد التخفيف غير مفيدة معنى   لانه بمعنى الحال لعله اراد بالحال ما يقابل الماضي
فيشمل المستقبل المشترك معه في صيغة المضارع ايضا واخراج الماضي لقوله يخشاها اذ
لا معنى لكونه عليه السلام منذرا في الماضي لمن يخشاها بعده قال الزجاج المعنى انما انت في حال
انذار من يخشاها وفيها كمستقبل ايضا فاندفع ما قيل فيه لو قيل لانه بمعنى الحال يخشاها والفعل
انه للاستمرار لان النبي عليه السلام انما هو منذر في الماضي والحال والمستقبل واندفع ايضا
ما قيل عليه بقوله وحينئذ كون الاصل الاعمال محل بحث لان اسم الفاعل والمفعول اذا كانا
للاستمرار لهما حيثيتان ماضوية يضاف باعتبارها معنى وحالية واستقبالية يعمل باعتبارها
ويضاف لفظا انتهى   اي عشية يوم او ضحاه اي ضحى يوم العشية اشارة الى
ان ليس للعشية ضحى واضافته الى العشية لملابسة بينهما وهو اجتماعهما في يوم واحد

[illegible] لقوله

سورة عبس

قوله لقوله الا ساعة من نهار في قوله كأن لم يلبثوا الا ساعة من نهار فان كون الساعة عشية
كانت او ضحى من نهار واحد يقتضي كون المراد هنا ما ذكره   ولذلك اي وللتنبيه على
ان المراد ما ذكر اضاف الضحى الى العشية فان ضحى العشية يكون في يومها الجلا فما لو لم يضف
فانه احتمل ان يكون العشية من يوم والضحى من يوم آخر فيتوهم الاستمرار من ذلك الزمان الى مثله
من يوم الآخر   وعنده صناديد قريش جمع صنديد وهو السيد الشجاع على ما في القاموس
ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي اي اتيت مكانا واسعا وصادفت
سعة على ما في القاموس وقوله بمن متعلق بمحذوف اي رحبت بمن عاتبني   وان جاءه   بلغ
علة للفعلين او لعبس ومعناه عبس لان جاءه الاعمى واعرض لذلك وحذف اللام منه ان جاء للقياس
المستمر لا لكونه مفعولا له لانه ليس فعلا لفاعل الفعل المعلل   على اختلاف المذهبين
اي مذهب البصريين ومذهب الكوفيين في تنازع الفعلين فيه او لوية اعمال الاول او الثاني
وقرئ أأن جاءه بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك فيوقف على
الاول في القراءتين وقف على عبس وتولى ثم ابتدأ   كالالتفات فيه قوله وما يدريك فانها
ايضا لزيادة الانكار على من صدر منه كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا
حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة   وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره
اشارة الى ترجيح الوجه الاول من وجهي ذكر الاعمى وضعف الوجه الثاني الذي اقتصر عليه
صاحب الكشاف وضعف ما افاده القول بان من الاخير بان الانكار يعني ان الاعراض عنه لم
يكن لكونه اعمى وذكره لا لاجله بل كان الاعراض لتزكية غيره على ما يومي عليه قوله وما يدريك
لعله يزكى فانه يشعر بان مترقبه ثم كان التزكي وكان حريصا عليه ولم يكن دائرا على حال
الاعمى بان المترقب وهو التزكي او مثله وهو الايقاظ والانتفاع به مرجو منه ولو كان دريا به
لما اعرض عنه لانه احق بالرأفة والرفق فتلو قوله وفيه ايماء دفع لا بداء قوله يزكى على ان يكون
الضمير للاعمى لانه كان زكيا عن الآثام حيث انبعث اتيانه بالاسلام وكان مجدا في متابعة النبي عم
وجه الدفع ان التعبير عما يكتسب من التعلم بقوله يزكى للتعريض بانه كان لتزكية غيره لا لافادة
تزكيته انتهى وفيه بعد كونه من تحريف الكلم عن مواضعها انه لا يلائم ما ذكره المص اصلا وايضا

السلام لا يمحي الاثام المكتسبة بعده وان كونه مجرد المتابعة لم يعصمه عما فعله قبل التعليم
وقرئ عاصم بالنصب جوابا للعل الجاري مجرى الاشياء الستة في تقدير ان بعدها او
جعله بمعنى التمني لبعد المرجو   تتعرض له بالاقبال قيل وتقبل عليه بوجهك وتميل اليه
تعالى اما من استغنى فانت له تصدى تقديم المعمول فيه وفي عنه تلهى للمحافظة
على رؤس الاي قيل قدم معمول تصدى للاهتمام به لانه منشأ العتاب لا اصل التصدي
وكذا الحال في عنه تلهى وذلك التصدي بحكم الانسان حريص على ما منع فالعتاب للاخراج عن
مقتضى البشرية بالكلية اقول هذا غريب بلا عربية فان اهتمامه وحرصه عليه السلام على اسلامه
لم يكن عن هوى النفس ومقتضى البشرية بل لاجراء امر الله واحتمال الباس على عدم تزكيته
بالاسلام على مكابدة   وقرئ نافع تصدى بالادغام اي بادغام التاء في الصاد بعد قلبها
بالصاد لقرب مخرجيهما   وقرئ تصدى بضم التاء اي تعرض وتدعى الى التصدي والمعنى
يدعوك داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه   ان عليك الا البلاغ وليس
عليك تزكيته بالاسلام   ولعل ذكر التصدي والتلهي يعني ذكر التصدي في المستغني
وذكر التلهي في الفقير دون الاشتغال في الاول وعدمه في الثاني للاشعار بان العتاب على اهتمام
قلبه بالغني لان التصدي هو الاقبال والميل واعرض عن الفقير لا على اشتغاله بالغني وعدم
اشتغاله بالفقير اذ ليس الاول ارتكابا بما لا ينبغي والثاني تركا لما ينبغي ومثل من
وصفه الله بالخلق العظيم وما ارسله الا رحمة للعالمين لا ينبغي له ذلك المذكور من الاهتمام
بالغني والتلهي عن الفقير   ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله قيل الاول اذا
كان النزول في اثناء الاعراض عن التصدي والثاني اذا كان بعد انقضائه وفيه ان كون النزول في
اثناء الاعراض غير واقع والانكار عليه السلام تصدى للفقير وتلهى عن الغني ولم يرده احد و
الاظهر ان المراد بالردع عن المعاتب عليه ان لا يفعله مرة اخرى كما هو المتعارف فيه بمثله ما يماثله
في كونه اعراضا عن الفقير وميلا الى الغني في اي امر كان   والضميران للقرآن او العتاب المذكور فان
كلا منهما موعظة اما القرآن فظاهر واما عتابه عليه السلام فباعتبار انه عليه السلام بجلالة شأنه
وعلو مرتبته اذا عوتب بذكر لحظة الى ذلك التصدي في التلهي فما بال غيره ولعظم الحادثة عظم
الكتب

الكتب ووصفها بتلك الاوصاف العظيمة فهي تذكرة وموعظة لمن حين قيل ولما كانت الجملة
للدعوة الى الاسلام اوقف كونها تذكرة مثبتة في الصحف محل حث على ان المقام يأبى عن الحمل
عليها كما لا يخفى   صفة للتذكرة الى اخره فقوله فمن شاء ذكره معترضة بالفاء فقول ان
صاحب الكشاف منع كون الاعتراض بالفاء   او سواد جمع سفير مشرفة وتعتبره هو
السفير المصلح بين القوم   جمع ساتر مثل كتبة وكاتب من السفر وهو الكتابة وهذا على
تقدير كونها بمعنى كتبة او السفارة وهو الاصلاح بين القوم وهذا على تقدير كونها بمعنى
السفراء قوله دعاء عليه باشنع الدعوات لان القتل منتهى شدائد الدنيا وقطايعها
وتعجب من افراطه في الكفران اي كفران نعم الله   بيان لما انعم عليه خصوصا بخلاف
ما يجي من قوله انا صببنا الماء فانه ليس مخصوصا به بل عليه قوله متاعا لكم ولانعامكم قوله
والاستفهام للتحقير اي ليس المقصود به طلب العلم على ما هو حقيقة الاستفهام بل الدلالة على حقارة
المسؤول عنه كانه لحقارته خفي جنسه فيسئل عنه كما مر نظيره في سورة النبا   ولذلك
اي ولكون المقصود منه الدلالة على التحقير اجاب بقوله من نطفة خلقه فانها حقيرة با
باعتبار جنسها وقذرة لونها   فقدره اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى ان تم
خلقته   فوهبه الرحم اي فمها   او ذلل له الخير والشر اي سهل له الطريق
الذي يجب سلوكه من طريق الخير والشر بان اقدره ومكنه وكون الاقتدار على المراد نعمة
ظاهر فقوله وعو تكن ليس السبيل اشر من النعم لانه لو لم يكن مؤهلا لاكتساب الخير لم يستحق المدح
او الثواب بالاعراض عنه وفيه ما فيه   وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه
سبيل عام يعمه وغيره بخلاف ما لو قيل سبيله فانه باختصاص سبيل لما اجابه وهذا يعم
التوجيهين كما شعر به قوله وفيه على الخير لح فلا وجه لما قيل انه مخصوص بالتوجيه الثاني ثم
فيه وجه الاشعار ان سبيل الشر ليس سبيلا بل وقع فيه للضلال فالسبيل المضاف مخصوص
بسبيل الخير اقوى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا
الضالين   ثم اماته فاقبره يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره
لم يقض بعد من لدن ادم الى هذه الغاية يعني الابتداء والانتهاء مستفاد من قوله

الماضي وعموم الانسان وشموله لا وجه لما قيل والمراد لم يقض او لا زمان تكليفه الى زمان اماتته
ما امره   ما امره الله باسره حملا لما يقض ما امره على رفع الايجاب الكلي الى السلب
الجزئي كما حمله صاحب الكشف عليه ولم يحمله على السلب الكلي لعموم صحته اذ ما من انسان الا وقد
قضى امرا ما فلا وجه لما قيل يمكن ان يكون المراد بما امره شيئا مما امره فيكون سلبا لقضاء امر ما فيبقى
سلبا كليا فيكون الكلام في الانسان المبالغ في الكفر   اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية
اراد بالذاتية ما يكون من شأنه له الذات ويكون حصولها وبالخارجية ما يقابله فلا يرد ما قيل في كون
تسمية الخزفي والامانة والاقبار ذاتية خفاء كونه شرد على تقدار النعم المتعلقة ببقائه بعد
تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه غير ملائم لتفصيل النعم ان يتبع   استيناف مبين لكيفية
احداث الطعام كانه قال المأمور بالنظر بعد الاتيان به كيف احدث هذا ولم يكن له اثر فاه
فاجيب بقوله انا صببنا الماء صبا الاية   وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه
اي من طعامه بتكرير الى فيه اي فلينظر الانسان الى انا صببنا الماء وهو بدل الاشتمال لان الماء
سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه   اي بالنبات قيل ويحتمل ان يكون المراد شق
عيون الارض فيكون الاول صب الغيث والثاني اجراء الانهار فيه انه يأباه ترتيب الشق
على صب الماء بكلمة التراخي وايضا ترتيب الانبات بقوله تعالى فانبتنا فيها الاية على مجموع
الغيث والانهار على ما يقتضيه هذا الحمل لا يلائم ما سبق من قوله تعالى وانزلنا من المعصرات ماء
ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا المشعر باستقلال الغيث في ذلك كما لا يخفى قوله بالكراب
تقول كربت الارض اذا قلبتها للحرث صيغة للمثنو الكراب على البقر كذا في الصحاح   والمعنى الشق
الى نفسه اسناد الفعل الى السبب قيل كما يحتمل هذا يحتمل ان يكون المراد بالشق خلقه تشبيها بالخلق
بالكرب وفيه فيه   مستعار من وصف الرقاب تقول رجل اغلب بين الغلب اذا كان غليظ الرقبة
فهو بالحقيقة صفة الرقبة ووصف الرجل به وصف بحال المتعلق فلا وجه لما قيل اي من وصف اصحاب
الرقاب فانه يقال رجل اغلب اذا كان غليظ الرقبة فالموصوف بالغلب صاحب الرقبة دون الرقبة
مرعى وهو موضع الرعي انبات الكلا كانبات الحدائق عبارة عن ابرازه واظهاره من الارض قيل لا يخفى
ان الانبات للرعي لا للمرعى فالمراد بالمرعى الرعي انتهى يأباه قوله لانه يؤم وينتجع فان الانتجاع وهو طلب

الماء والكلاء وكذا المنتهى للمرعى انما هو الموضع قوله وصفت بها مجاز الام وضح لحديثه اذا

اصابه والتمتع والنفحة لما لم تكن مستمعة فلا يتاذ وبالصاخة حقيقة فيصخون لها اى يستمعون

لها لانها الحينهم يوم يفر المرء من اخيه يفر منها بين فر قابيل من ابويه ابراهيم ومن صاحبته

نوح ولوط ومن ابنه نوح وهو بدل من اذا جاءت قوله بل من ابويه جعل الاب معطوفا

على الام او لا ثم جعل المجموع معطوفا على الاخ لعدم ظهور كون الاب احب عند المرء من الام

وذكر المرء تغليب يشمل المرأة او هي متروكة على المقايسة قيل لعلم حالها بطريق الاولى لانه

اذا فر المرء مع ذكوره فهى اولى فيه انه هذا انما يصح اذا كان فرار المرء من هو لا خوفه منهم وليس

كذلك من اسفار الصبح اسفر الصبح اضاء ولا يناسب جعلها من سفرت ناقة مسفرة ذات حمرته

شيا على القهوبة فيكون وصف للوجوه بالحمرة على ما قيل لان الحمرة كثيرا ما تكون من النار وقد

قيل ان حمرة العين عند الغضب من النار الموقدة على الافئدة وفى الحديث انه احمر وجنتاه

عند الغضب مستبشرة اى مسرورة بشرت به بالفتح والكسر لان الثوب

اذا اريد رفعه لف بيان للعلاقة التى بها استعمل فى معناه المجازى من اللزوم والمانع من حمله

على الحقيقة لون الشمس كرويا مصمتا غير منبسطة فلا وجه لما قيل ولا مانع من حقيقته

فذهب ابن طه فعلى هذا يكون اللف على حقيقته وان كان وهميا كما قال ابصر خربان فضاء

فانكدرا وله تقضى البازى ان البازى كسر كسر لطاير جناحيه ضمهما الى انفه والخربان

جمع خرب محركة وبه ذكر الحبارى البيت للعجاج يمدح عمر بن معمر التيمى يريد انه تقضقض

مثل تقضى البازى لانه ابصر خربان فضاء فانقض الى اصطيادها تعالى واذ الجبال سيرت

اى اذهبت جمع عشراء كالنفساء جمع نفاس مهملة اى بلا راع مع انها انفس مال

واعز عند اهلها او السحاب تشبيها لها بالنوق فى الحمل وقرب زمان وصفه واستعاره

اسمها لها او ملئت يفجر بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا وينبغى ان يعلم ان البحر هو

الماء المراد فى قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا هو الماء وهو المحكى عليه وملوه عبارة عن تكثيره وكماله

تكثير البحر الواحد بلم بانضمام ما عداه من البحار عليه فملا البحار كلها يكون بعوده بحرا واحدا فظهر

فساد ما قيل تفجر البعض الى البعض لا يوجب امتلاء جميع البحار بل يخلو بعضها وظاهر النظم

صهوبة شعره ضرب الى الحمرة

عورة الشمس

تقعقع سر

ام[illegible] اي كانه محي البحر على مقره فخبطه ثم قيل فالاظهر ان تفجر فيها المياه النافعة
لاهل الارض [illegible] بعطلها فيمتلئ جميع البحار او يراد بجعل البحار مملوءة تسويتها الارض
المستوية [illegible] كما كانت الثانية وف والاول اوجعل المياه لاهل الارض فيها الا
يمتلئ جميع البحار   او كل منها بشكلها الشكل بالفتح الشبه والمثل اي يقرن الصالح
بالصالح في الجنة والطالح بالطالح في النار وقيل يقرنون في الموقف بقرن طبقات الانبياء ثم
الامثل فالامثل وقيل يمكن ان يراد ان كل نفس يقرن بما يجانسه فلا يمكن الفرار في الخصم
اتوب كون لكل نفس واخص ببنت الانتفا قتلها او لحوق العار بهم من اجلهن لانهم
يانفون ان يكون بناتهم تحت رجال دونهم لعظمائهم وانتر فهم والعل لسفلتهم قوله
تبكيتها لوائدها كتبكيت النصارى يعنى ان الظاهر كان السوال عن الوائد عدل عنه الى السوال
الموؤدة تبكيتا للوائد بالسوال عنها وجوابها كتبكيت النصارى بالسوال عن عيسى ع م
بقوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين الى قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول
ما ليس لي بحق   اي خاصمت في نفسها وسالت الله او قاتلها وقتلت على الاخبار
عنها يعنى كان الظاهر على القراءة الاولى قتلت بالخطاب وعلى القراءة الثانية قتلت بالتكلم
فانه لو حكى ما خوطب به حين سئلت لقيل قتلت بالخطاب واذا حكى كلامها حين سئلت
لقيل قتلت بالتكلم فالغيبة بنا على الاخبار عنها لا حكاية ما خوطب به حين سئلت ولا
حكاية كلامها حين سئلت   تفرق بين اصحابها من المؤمنين والكافرين تلك الصحف
اما صحف الاعمال وهي صحف تطوى على ما روى عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت
الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده مكتوبا فيها في جنة عالية وتقع
صحيفة الكافر في يده مكتوبا فيها في سموم وحميم والتطاير التفرق   ونفس
للعموم دفعا لما يتوهم ان كل نفس يعلم ما احضرت لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا فما
معنى علمت نفس ووجه الوضع ظاهر   كقولهم تمرة خير من جرادة فان وقوع تمرة مبتدا
باعتبار تخصيصها بالعموم واستفادة العموم من نفس وقوعها في حيز النفي لكون علمت بمعنى لم
يجهل على ما قيل بعيد غاية البعد فلا يليق بابلغ الكلام   وهي ما سوى النيرين وهما الشمس

والقمر

والقمر سميا به لكثرة نورهما لخلاف سائر الكواكب فان الكواكب الخمسة المسماة بالمتحيرة
يكون لها رجوع الى الجهة التى كانت تتحرك اليها وذلك بسبب التداوير التى تلك الكواكب
مركوزة فيها فان التداوير لما لم تكن محيطة بالارض تكون حركة النصف الاعلى فيها مخالفة
لحركة النصف الاسفل فى الجهة اذ كان حركة العلوى الى المشرق كان حركة السفلى الى المغرب و
بالعكس فحركات الافلاك التى تلك التداوير مركوزة فيها اذا وافقت حركة النصف الذى
فيه الكوكب كان الكوكب مستقيم سريع السير بمجموع الحركتين واذا خالفت وزادت حركة النصف
المكوكب من التداوير على حركة الفلك يكون الكوكب راجعا عن الصوب الذى كان يتحرك اليه بمجموع
الحركتين فالشمس لما لم يكن لها تدوير على الراى الاصح لم يتصور لها الرجعة والقمر لما كان
حركة فلكه الحامل للتدوير سريعا وحركة التدوير بطيئا لا يتصور زيادة حركة تدويره على حركة
فلكه الحامل فلا يتحقق الرجعة فيه ايضا وتسمية الخمسة بالمتحيرة لتحيرها فى سيرها رجعة واستقامة
واقامة اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس وذلك لصغر حجمها بالنسبة
الى حجم الشمس واما القمر فهو وان كان صغير الحجم بالنسبة اليها جدا لكنه قريب الينا فيرى عظيما لا
يختفى تحت ضوئها وتسمى السبعة سيارة لكون سيرها محسوسة بينة بخلاف سائر الكواكب المسماة
بالثوابت اى اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم يعنى ان اسناد التنفس الى الصبح ههنا
ليس على حقيقته اذ لا تنفس له لكنه لما كان اقبال الصبح واضاءة غبرته مستلزما لاقبال
روح ونسيم جعل الروح والنسيم نفسا له مجازا وباعتباره اسند التنفس اليه قال الامام ويجوز
ان شبه النهار الذى غشيه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذى يتخلص واذا تنفس يجد راحة
فالصبح لما تخلص من الظلام كانه تخلص من كربته وهو استعارة لطيفة والغبرة لون الارض والمراد
ههنا السواد الضعيف الذى يكون فى اخر الليل مخلوطا بضوء النهار مغلوبا له فانه قاله
عن الله بيان لكونه قول الرسول فان قول الرسول يكون قول المرسل كقوله شديد القوى يقوى
على اداء الخوارق فانه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا
جاثمين فهو يقوى على اداء القرآن المجيد وتبليغه منه تع عند الله ذى مكانة فالتعبير بذى
العرش للدلالة على عظم منزلته ومكانته عليه السلام عنده تعالى فان حال المكانة على حسب حال المتمكن

و ... ذي الشرف وثم كثيرا اتصاله بما قبله اعني مطاع على ما ذهب اليه صاحب
... مطاع في ملائكته يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه وبما بعده اعني امين اي امين
على الوحي عند ذي العرش على الوحي وقوي ثم تعظيم للامانة وتفضيل لها على سائر الصفات لان ثم
يفيد التراخي في الرتبة كما بينه الكثرة بثمة بها وبها نا قال عليه ما لا يفعله
وقد استدل بذلك المعتزلي صاحب الكشاف فقال وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكانة جبريل عليه السلام
وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد عليه الصلوة والسلام اذا
اذا وازنت الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه وما صاحبكم بمجنون انتهى
لا نقول فضلهما والموازنة بينهما كيف وقد قال تعالى في حق نبينا عليه السلام في اخر الحاقة انه
لقول رسول كريم والمراد به نبينا عليه السلام ولقوله تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون
واعترف صاحب الكشاف ايضا وقال تعالى في حق النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا و
داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وطاعة الملائكة لنبينا عليه السلام ظاهر قال له ملك
الجبال انا امرت ان اطيعك وقال عليه السلام انا امين في السماء وامين في الارض فاجراء
تلك الصفات على جبريل عليه السلام في هذا المقام لا يدل على انتفائها عن نبينا عليه السلام
بل يدل على عظم شان نبينا عليه السلام وانه بلغ المكانة وعلا المنزلة عند ذي العرش بان
جعل الرسول بينه وبينه مثل هذا الملك المقرب المطاع الامين والله اعلم والضاد
من حافة اللسان الى اخره ... معرفة مخرجهما مما لا بد منه للقارئ وكان اكثرهم لا يفرقون
بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب فتعرف مخرجهما اذ به يتبين الفرق
تذكير لمن يعلم اشارة الى ان المراد بالعالمين العقلاء فقط اذ لا تذكير لغيرهم
لانهم المنتفعون بالتذكير بيان فتذكير من لم يشأ الاستقامة ملحق بالعدم
الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم اي ليس مشيئتكم الاستقامة فعلكم ومشيئتكم بل هي فعل الله
وبمشيئته وفي ذلك ان المشيئة لو كانت فعل العبد وبمشيئته لتسلسل المشيئات لا الى نهاية
وفيه الدلالة على ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه فله الفضل
والحق عليكم باستقامتكم اذ لو لم يشأ مشيئة استقامتكم لم تشاءوا الاستقامة منه فلم
تستقيموا

ملكوته
ملائكة سما

فتستقيموا فاستقامتكم منه قوله فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا ... في سورة التكوير فلا حاجة ههنا الى التعرض كبعثر فانه بسم وضم اليه الراء ...

ونظيره بحثر لفظا فانها البعث والبحث ضم اليها والاثارة وهي بمعنى ويجوز ان يراد

بالتاخير التضييع لانه يلزم التاخير وذكر الكريم للمبالغة في المنع ودفع لما يقال ان ذكر ما

ما غرك الكاذب والغرور ووصف الكرم لا يكون سببا للاغترار فكيف الجمع والمطابقة بينهما متناسب

الاعضاء اي في القدر واللون والشكل اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت

يقال عادل والتعديل جعل البنية معتدلة تعدل على فلان بفلان تسوي بينهما كذا في الصحاح

والقاموس وقيل شرطية ثابتة في موضع الجزم وعلى الاول في موضع الجر صفة لصورة

وركبك جوابها والظرف صلة عدلك يعني هذا لا يجوز لان الظرف صلة ركبك لانه

لا يجوز تقديم معمول الخبر على حرف الشرط وقيل بل هو صلة مضمر لانه استفهام والاستفهام لا يعمل

فيه ما قبله واجيب بان التقدير ضعيف لكنه ما يقال في حقه اي صورة ما شاء ركبك قوله

سورة الانفطار

وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها اي على تقدير كون الظرف صلة ركبك وكون ما مزيدة لتحقيق

لما يكذبون بيوم الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم ليجازوا به فقوله

فقوله وان عليكم لحافظين معترض لما هو الراجح عنده من كون المراد من الدين الجزاء دون الاسلام قيل

والاستبعاد للتكذيب لان كتابة الاعمال لا تحصل اثرها لو لم يكن جزاء وبعد ما عليه ان كتابة الاعمال

في الواقع لا تصير سببا للاستبعاد عن تكذيب الجزاء والاسلام فانهم ينكرونها ايضا

بيان لما يكتبون لاجله يعني ان سبب كتابة الاعمال وحفظها هو اثابة الابرار بما عملوه من

الاعمال الحسنة المكتوبة بالنعيم وعقاب الفجار بما عملوه من الاعمال القبيحة المكتوبة بالجحيم

قيل يعني تعليل لحفظ الكاتبين موكلين عليهم وفيه ما فيه معناه وما يغيبون

عنها قبل ذلك والواو على هذا للعطف اي يصلونها يوم الدين وما يغيبون عنها قبل

ذلك اليوم اذ كانوا يجدون سمومها في القبور لقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا

ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وعلى الاول للحال حقا والامر

يومئذ لله الامر واحد الامور لا واحد الاوامر وعن قتادة في تفسيره ليس احد يقضي شيئا

الا انه   على البدل من يوم الدين او الجر بمحذوف اى هو يوم الدين والنصب
باضمار يدكر او الموجز لان الدين تدل عليه او باضمار اذكر قال الزجاج هو مبنى على الفتح لاضافته
الى قوله لا يملك لانها تضاف الى غير المتمكن قد يبنى على الفتح وان كان في موضع رفع او جر قال
ناس فاجتمع طفيف اى حقير تقليل للتسمية قال الزجاج انما قيل للفاعل مطفف لانه لا يكاد
يسرق الا الشئ اليسير والمكيال الا الشئ الحقير الطفيف   واخذوا بالسنين هو جمع سنة بمعنى
القحط وانما ابدل على يعنى ان المكان لمن واكتالوا مما يعدى به لكن ابدل على مكانها
للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس   او اكتيالا يتحامل فيه عليهم عطف على قوله
لما لهم اى ابدل على لمن لما ذكر او للدلالة على ان اكتيالهم يتحامل فيه عليهم فقوله اكتالوا
متضمن بمعنى التحامل فباعتباره عدى بعلى وفى الاساس تحاملت الشئ حملته على مشقة
وتحامل على فلان لم يعدل   ولقد جنيتك اكموءا وعساقلا تمامه ولقد نهيتك
عن بنات الاوبر الكمؤ جمع كمئ وقد يجمع كموء الكماة على غير قياس هو نبات يقال له
بالفارسية سماروغ والعسقول جمع عسقول او عسقول هو الصغير من الكماة وبنات الاوبر
كماة صغار كثير الوبر على لون التراب ردى الطعم يضرب بها المثل فقال ان بنى فلان بنات
اوبر فيظن ان فيهم خيرا ولا خير فيهم   فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله يعنى ان هذا
الحمل يخرج الكلام المقابل لما قبله عن مقابلته فقوله ان المعنى بيان وعلة للاخراج وبيانه ان المعنى
فى هذا المقام على ما يستفاد من الحديث المذكور بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع فما قبله لما
كان بيان حالهم فى الاخذ ينبغى ان يكون هذا بيانا لحالهم فى الدفع فيقابل ما قبله فلو جعل الضمير
بلغ المنفصل تاكيدا للواو المتصل ويكون راجعا الى المطففين افاد الكلام معنى الانفصال لظهر
لما يؤدى به تقديم الفاعل المعنوى على عامله فيكون مفاده بيان حالهم فى المباشرة بانهم هم المباشرون
للعقود دون غيرهم وظاهر ان هذا المفاد ليس مقابلا للمفاد ما قبله من بيان حالهم فى العمل هكذا
ينبغى ان يفهم هذا المقام وقد زل فيه الاقدام   وسيدعى اثبات الالف دليلا اخر
على جعله للمنفصل تاكيدا للمتصل وقال صاحب الكشف فى عدة دليلا لان خط المصحف كثيرا ما
يخالف المصطلح عليه   وفيه انكار وتعجيب من حالهم يعنى ان الهمزة الداخلة على ان فيه

للانكار

للانكار والتعجب ونفي ظن البعث عن المؤمنين وتجهيلهم مع كونهم عالمين بالا...
الجاهلين لعدم عملهم بمقتضى علمهم ويؤيده القراءة بالجر فانه للبدلية ...
بقيامهم على القبور فهذا الانكار اقوله مبالغة المنع في التطفيف بعظم ... والا
الانكار والتعجب دالا على كمال قبحه وذكر الظن دال على التجهيل ووصف اليوم بالعظيم ووصفه الناس
فيه لله دال على العظام ما يتجوزونه ان الحكمة اقتضت ان لا يهمل ذرة فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والتعبير عنه برب العالمين دال على انه مالكهم فوجد لا يمنع
عنه الظالم القوي ولا يترك حق المظلوم الضعيف ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم
دفع لما يستبعد من كون الكتاب بهذا الكتاب بان المراد من المفروف ما يكتب او الكتابة على ان لا يكون
الكتاب بمعنى ما يكتب او الكتابة وقال الامام اي لاستبعاده في كون احد الكتابين في الاخرى بانه
يوضع كتاب الفجار في الكتاب الذي هو الاصل المرجوع اليه في تفصيل احوال الاشقياء او بان ينقل
من كتاب الفجار الى ذلك الكتاب المسمى بالسجين فيكون يكون ان يكون جعل الكل ظرف لجزء ويرده
كون السجين كتابا لجزء من الاعمال الفجرة كما لا يخفى اي مسطور بين الكتابة المسطور
المكتوب لعقوده وكتاب مسطور وفي القاموس رقم الكتاب عجمه اي بينه فالمرقوم وهو المسطور بين
الكتابة فكلاهما تفسير للمرقوم على ما يدل عليه قرينه في قوله او معلم فلا وجه لما قيل في تفسير الكتاب
بالمسطور والمرقوم بين الكتابة لا بالمكتوب لئلا يكون وصف الكتاب بالمرقوم وصفا للشيء بنفسه
او معلم يعير اخر للمرقوم وفي القاموس الترقيم العلامة الكتاب لانه سبب للحبس
او لانه مطروح فيه على الاول تسمية للمسبب باسم السبب وعلى الثاني تسمية للحال باسم المحل قوله
والتقدير ما كتاب يعني ان السجين اذا كان اسم مكان لا يصح حمل كتاب مرقوم عليه فلا بد من تقدير مضاف
اما في سجين او في كتاب مرقوم ليصح الحمل بالحق او بذلك اي بذلك اليوم صفة مخصصة وذلك
على الاول لان التكذيب بالحق يعمه او موضحة وذلك على الثاني فان المكذبين لعدم قيام الناس بهم المكذبون
ليوم الدين او ذامة وذلك على الاحتمالين يعني ليس صفة موضحة للمكذبين لكونهم معلومين ولا مخصصة
غيره لهم لانه لم يرد تمييزهم عن غيرهم بل هو مرفوع او منصوب وصف به للذم كقوله حمالة فلا انه في التعلق بحيث
متجاوز عن النظر قائد في التقليد اي متجاوز عن النظر والتعلم عجايب صفة الدلالة على كمال قدرته

وعلى ذا المتعال به على اقتداره تعالى على الاعادة غالى في تقليد الجهلة ومن تبعه حتى جهل قدرته
تعالى وامر الاعادة وعلمه تعالى او امر معرفة الحجج المتوقفة التي لا بد في الاعادة منها اثيم ومستقر عليه
اي جعله غير عالم بانه لا بد منه وذلك فالحجة حمل الكافر بالانبيا ولا يخوف ذو فان المفهوم منه ان عليه ليس
قادرا على انه لا بد منه وذلك بل علمه متعلق بذلك وهو ظاهر   منهمك في الشهوات من الادراك
وهو الحيوة والنجاحة والمخدجة اي الناقصة وقيل المخدجة المنتجة لما لا ينفع فيه وغير ما فيه بحيث اشتغلت عما ورا ها
اي من اللذات التامة الغير الفانية الاخروية وحملته على انكار تلك اللذات   قال اساطير الاولين
اي اباطيل حكاها الاولون   فلا ينفعه شواهد النقل وهو الآيات كما لا ينفعه دلائل العقل من عجائب
صنعته وبدائعه الدالة على كمال قدرته وعلمه   ردع لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول
يعني ليس ذلك اساطير الاولين بل غلب على قلوبهم حب المعاصي بسبب انهماكهم في ذلك الحب حتى صار ذلك الحب
بالغلبة صدأ وسخا على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق بالباطل اي صارت معرفة الآيات الحقة والاساطير
الباطلة كالعمى عليهم لا يهتدي اليهم واصله فعموا عن معرفة الحق والباطل لكنه عكس مبالغة وتعدية الفعل
بعلى لتضمنه معنى الخفاء كما في قوله تعالى في سورة القصص فعميت عليهم الانباء يومئذ وما قيل ويقال
عمي عليه الامر التبس فالمعنى عمي عليهم الحق والباطل فعلى هذا فان كثرة الافعال سبب حصول الملكات اي
الكيفيات النفسانية الراسخة   وقرئ حفص بل ران باظهار اللام لتغاير كلمتي اللام والراء قال
الزجاج الادغام اجود لقرب مخرج اللام من الراء وغلبة الراء على اللام قوله جعله تمثيلا لاهانتهم الى اخره اي
مثلت حالهم في اهانتهم عند الله وانزال السخط عليهم بحال من يحجب ويمنع عن الدخول على الملوك
فانه لا يحجب منهم الا الاولياء المهانون عندهم   ليدخلون النار ويصلونها فسر اسم الفاعل بالفعل
المجهول ليوافق ما قبله من قوله لمحجوبون وحينئذ يعطف ما بعده من قوله تعالى عليه والكلام فيه كما مر في
نظيره من ان المرقوم المسطور البين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وعليين فعيل من
العلو سمي بذلك اما لانه سبب لارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة او لانه مرفوع في السماء السابعة
حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما   يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه على ان يكون
يشهد من الشهود وهو الحضور او من الشهادة والظاهر ان حفظه بعد حضوره او الحفظ الخارجي
دون العلمي فانهم   على الارائك جمع اريكة بمعنى السرير في الحجلة والحجلة حجرة بيت يزين بالثياب

بالثياب

بالثياب والاسترة والستور للعروس   ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات هي جمع متفرجة
بفتح الراء محل التفرج   روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة من
ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم من ينظر الى وجهه غدوة
وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة قيل ولا ينامون فيكون النظر كناية عن سلب
النوم لان النوم للفتور وكلال في القوى وليس ذلك في الجنة انتهى وفيه بعد لكونه من تحريف
الكلم عن مواضعها اذ لا يلائم كونهم على الارائك كما لا يخفى ثم فيه وحينئذ نقول لما اوهم سلب
سلب النوم ضعفهم كما هو لاهل الدنيا نفاه بقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم يرد
عليه ان سلب النوم عنهم اذا كان لعدم فتور القوى وكلالها في الجنة لا يكون لهم ضعف
ايضا اذ الضعف ايضا يكون بفتور القوى وكلالها   اي مختوم اوانيه من
الاكواب والاباريق بالمسك مكان الطين فان الختام هو الطين الذي يختم به على رأس الصحائف
ولعله تمثيل لنفاسته اي ليس المراد حقيقته لان الختم للصيانة عن الخيانة ولا خيانة
في الجنة قال الامام يحتمل ان يكون الختم على حقيقته بان يختم عليه تكريما له بالصيانة على ما جرت به
العادة من ختم ما يكرم ويصان   او الذي له ختام اي مقطع يعني يحتمل ان يكون المختوم
من ختم الشيء بمعنى بلغ اخره اي الذي انقطع وانتهى الى ما لجه اذا شرب فالختام على هذا
بمعنى المقطع والمنتهى   تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اي في ذلك
الرحيق او النعيم فليرغب الراغبون لا في شراب الدنيا او نعيمه وفيه تقديم الظرف
للاهتمام   على تعيين بعضها كما سميت تسنيما الى اخره يعني ان التسنيم في الاصل مصدر
سنمه اذا رفعه سميت تلك العين به لارتفاع مكانها فانها تأتيهم من فوقهم على ما روي
انها تجري في الهوى فتنصب في اوانيهم ورفعة شرابها بالنسبة الى سائر اشربة الجنة
او الحال اي جاريا على ان يكون حالا موطئة   فالكلام في الباء مثله في يشرب بها
عباد الله من انها زائدة او بمعنى من او صلة الالتذاذ والامتزاج اي يشرب ملتذا ممتزجا بها
المقربون   نسبوهم الى الضلال قال الامام اي هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب
ثواب لا يدرى هل له وجود ام لا   وما ارسلوا عليهم حافظين اي المشركون على المؤمنين

سورة الانشقاق

يجفوا اي الهم فلا يحسن منهم ذلك قوله هل ثوب اي جوزوا والثواب قد يستعمل في المكافات
فان الامام والاولى الحمل على التهكم   لقوله يوم تشقق السما بالغمام هو السحاب الابيض وفيه
ملئكة العذاب وكان ذلك اللذ واقطع حيث جا العذاب من موضع الخير فان السحاب الابيض مظنة
الخير   بيشق من المجرة هو ما يرى في السماء كالسحاب الممتد وعند المتجلين انها نجوم صغار متقاربت
بحيث لا يميز الحس بينها فيرى كالسحاب   اي انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقه يعني
اذن السماء للانشقاق تمثيل على منوال قوله قالتا اتينا طائعين   بان زال جبالها
واكامها جمع اكمة بفتحتين او ضمتين هو التل   واذنت لربها في الالقاء والتخلية
يعني ان الالقاء والتخلية وان نسبا الى الارض فهما فعل الله وبقدرته وانقادت هي
لتاثير قدرته حين اراد هي بخلاف المد فانه لم يسند اليها فلا حاجة الى ذلك فلا وجه
لما قيل والاستعداد ايضا   وتكريره لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة
يعني ان انشقاق السماء مع ساير الافعال المنسوبة اليها وبسط الارض وساير ما نسب
اليها لما كان في وقت واحد كان المناسب عدم تكريره اذ الموهم لتعددهما لكن كرره ليشعر
باستقلال كل منهما بنوع من القدرة فان القدرة التي بها الانشقاق ممتازة للموتية عن التي
بها المد فان قدرته تعالى وان كانت صفة واحدة لا تعدد فيها اصلا لكن لها باعتبار
ظهورها وتعلقها بالمقدور مراتب متفاوتة غير متناهية لا يقف عند حد ومرتبة
بخلاف قدرة مكلواه فانها واقفة عند حد ومتناهية الى العجز فعبر المص عن تلك المراتب بالانواع
فلا يتوجه عليه ان قدرته تعالى واحدة لا تعدد فيها اصلا فضلا عن التعدد النوعي قيل ويحتمل
ان يكون للتنبيه على اختلاف الزمانين وباباه كونهما يوم النفخ على ما مر غير مرة
او الاكتفاء بما مر في سورة التكوير والانفطار من قوله علمت نفس ما قدمت من خير او شر
سهلا لا يناقش فيه اي لا يستقصي حسابه ولا تعرض عليه بما يسوؤه ويشق عليه واصل
المناقشة من نقش الشوكة اذا استخرجها من جسمه   الى عشيرته المومنين او اهله في الجنة
من الحور يعني ان الاهل هيهنا اما بمعنى العشيرة او بمعنى الزوجة وفي القاموس اهل الرجل عشيرته
واهل الرجل زوجته فلا وجه لما قيل لا وجه للترديد بل الاهل من الجمع بلا تردد وقيل

نقل بمناه

نفس مبياه لا عنقه الا اخره وكذلك يوتى كتابه بشماله من وراء ظهره قوله يتمنى الثبور ويقول
يا ثبوراه اى ربولك لا مايدعوه ولا يناله فائدة فوق ما قيل ان كلا من التمني والنداء توجه مستقر
فالمناسب ان يكون يتمنى الثبور او يقول يا ثبوراه   لن يرجع الى الله وذلك لانكاره البعث بعد
الموت لغروره الباطل اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم وعدم رجائه للرجوع والمجازاة باعماله
قبلو ولن يرجع الى العدم اى ظن انه لا يموت وكان غافلا عن الموت غير مستعد له وانت خبير بانه
ايجاب لما بعد لن اى بلى يحور   تعالى فلا اقسم اى اذا كان ان يكون فلا اقسم
او اذ يحور فلا اقسم   يقال وسقه فاتسق واستوسق نظيره في وقوع قوله من الوسيقة
وهي من الابل كالرفقة من الناس فاذا سرقت طردت معا قوله حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لا
لاختها او يستفعل مطاوعين افتعل استوسع واتسع   قال مستوسقات لو يجدن سائقا او له
ان تنافل يقال لقا والملايى جمع قلوص النوق اب به والنقنق الظليم وهو ذكر
النعام   الشرح فعن بمعنى بعد كلمة قولهم ساد ذكابر اعز كابرا اى بعد كابر
وهو كما طابق غيره يقال ما هذا بطبق هذا اى لا يطابقه   او هي اى القيمة وما قبلها من الدواهي
من انشقاق السماء وبسط الارض والقائها ما في جوفها وتخليتها   على انه جمع طبقة بمعنى المرتبة
باعتبار اللفظ اى باعتبار وحدة لفظ الانسان وان كان بمعنى الكثير   او طبق من اطباق السماء
هذا وما قبله على تقدير كون الخطاب للرسول عليه السلام يعني يصعد يا محمد طبقا من السماء بعد طبق ليلة
المعراج وهذا اشارة للنبي عليه السلام بصعوده الى السموات بعد هذه ملكوتها واجلال الملئكة
اياه فيها   بمعنى مجاوز الطبقة وذلك على تقدير كونه صفة كما فعله صاحب الكشاف او مجاوزين
له وذلك على تقدير الحالية سيما مأخذ الكشاف ذلك مخصوص بما اذا كان ضمير ذي الحال للانسان وترك مثال
كونه للنبي او للنفس او مجاوزا له او مجاوزة على المقابلة وهذا على تقدير التنزل وعدم تجويز كون
مجاوزا محمولا على الاخرى واما اذا جوز فالمتروك مثال للنفس فقط ويمكن ان يكون ترك الاخير
بناء على انه مبني على قراءة الكسر التي هي شاذة قليلة وما قيل انه سقط عن قلمه او مجاوزة فان قراءة
التركيب بالكسر تستدعيه   بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة يعني هم منحفوا الكفرة
قيل ويكتم والله اعلم بما يضمرون في انفسهم من ادلة كونه حقا فيكون المراد المبالغة في عنادهم وتكذيبهم

على خلاف علمهم انوف بآباه قوله فما لهم لا يؤمنون وقوله بل الذين كفروا ان ادلة الحقيقة تستلزم
اعتقاد الحقيقة وهو يستلزم الايمان على ما لا يخفى   والمراد من باب وآتي منهم فالمستثنى
داخل في المستثنى منه   مقطوع او ممنون به عليهم على ان يكون من المن بمعنى القطع او من المنة
شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات يعني ان البرج في الاصل بمعنى القصر فاطلاق

سورة البروج

البروج على بروج النجوم باعتبار تشبيهها بالقصور في كونها منازل وامكنة تنزلها السيارات
من الكواكب السبعة ويكون فيها الثوابت   سميت بروجا لظهورها ماخوذ من التبرج
وهو اظهار المراة زينتها ومحاسنها للرجال   وتنكيرهما للابهام في الوصف على ان يكون
التنوين للتعظيم   او المبالغة في الكثرة على ان يكون التنوين للتكثير   او النبي عليه السلام
وامته لقوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قوله او امته وساير الامم لقوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس   قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل كما في قوله
والشمس وضحاها قد افلح من زكيها اي لقد افلح وحذفت اللام لطول مضيه   كانه قيل
انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود يعني ليس المراد من قتل اصحاب الاخدود
الدعاء عليهم بل المراد به بيان حالهم وكونهم ملعونين مستحقين لما جرى لهم ليقاس عليهم كفار
مكة في تلك الحال وكونهم ملعونين مثلهم مستحقين لانتقال فيهم قتل قريش كما قتل اصحاب
الاخدود فيكون ذلك كناية عن كونهم ملعونين وذلك لما ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين
على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم فيجب كون الجواب ذلك المحذوف المدلول عليه بهذا
على ما بينا لينطبق على ما لاجله ورود السورة   ونحوهما بناء ومعنى الحق
والاحقوق بتقديم العطف على الوبط   نقره بالمنشار لعدم رجوعه عن دينه
فانكفيت السفينة اي انقلبت فتقاعست اي تاخرت ان تقع فيها فاقتحمت اي رمت
نفسها من غير روية وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس الاخرة وذلك
لان الخمر لما كان حلالا لهم فتناولها الملك فسكر فوقع على اخته فلما اصبح اندم وطلب المخرج
فقالت اخته المخرج ان تخطب الناس وتقول ان الله احل نكاح الاخوات ثم
تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب   وقيل لما تنصر نجران اي دخل في دين النصارى

اهل نجران وهو بلد باليمن وذو نواس كان رجلا يمنيا ملكا لذو ابة كانت تنوس على ظهره اي تتحرك
حول وحمير على وزن درهم ابو قبيلة من اليمن فاحرق في الاخاديد من لم يرتد نقلا من خبرهم
بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا
وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثني عشر ذراعا صفة لها بالعظمة و
كثرة ما يرتفع به لهبها يعني ان عظمة النار يكون بارتفاع لهبها وارتفاع لهبها يكون بكثرة ما توقد
هي به ولما كان ما توقد به الاخدود حطبا كثيرا وابدانا كثيرة وصفها بذات الوقود ويفيد عظمة
على حافة النار اي جانبها ومكان قريب منها قوله الاستثناد على طريقة قولهم ولا عيب
فيهم الخ اي هو على طريقة نفي عيب ما هو الفضيلة والشرف في الواقع عيبا ومنكرا واطلاقهما
عليه ومنه قال شاعر وما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا اي ما انكروا منهم الا ما
هو اصل الشرف والسيادة وهو الحلم عند الغضب لانه على طريقة في تقدير الايمان عيبا وتنزيله
منزلته فلا معنى لما قيل يرد ان الشرع يعرف ان الفلول المذكورة فضيلة لهم بخلاف الكفرة
فانهم اعتقدوا الايمان عيبا فالاستثناد فيما حكم عليهم لا يحتاج الى تقدير كون الايمان عيبا
والفلول جمع فل بفتح الفاء وهو الكسر في حد السيف والكتائب جمع كتيبة وهو الجيش والقراع
الضرب بالسيف للاشعار بما يستحق ان يؤمن به يعني لم يكتف بالايمان بالله وذكر تلك
الاوصاف العظيمة وقرر ذلك للاشعار بما يستحق بان يؤمن به تعالى ويعبد لاجله بلوهم
بالاذى على العموم على ما يشعر به قوله وفيه المراد يعني الاذى فتنوا اعم من اصحاب الاخدود
والمؤمنين اعم من المطروحين في الاخدود فالاية تذييل للكلام السابق وتوكيد لمعنى قوله
قتل اصحاب الاخدود العذاب الزايد في الاحراق وذلك لان صيغة التفعيل للمبالغة بلغ
ذلك الفوز الكبير اي الظفر بالجنة الفوز الكبير واما الظفر بالدنيا ونعمها ففوز صغير
لصغرها وصغر ما فيها بالنسبة اليه فان البطش اخذ بعنف فيكون وصفه بالشدة
مفيدا لتضاعف عنفه يبدئ الخلق ويعيد كقوله يبدئ الخلق ثم يعيده ومن كان كذلك
كان قادرا على الاطلاق وكان بطشه شديدا لاقتداره العظيم لا يمتنع عليه مراد من افعاله
وافعال غيره يعني انه يقتضي العموم ولكونه تعالى قادرا على جميع ما يريده وفاعلا له فايمان الكفار

وطاعة العاصي لو كان مراده تعالى لكان فاعلا لما موجدا اياه وليس فليس وهذا رد على المعتزلي
القايلين بان الله تعالى يريد ايمان الكافر وطاعة العاصي وليس فاعلا له بل الايمان والكفر
والطاعة والعصيان فعل العبد وبقدرته ولذا قال فيه صاحب الكشاف وانما قيل فعال
لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وما حاق بهم اى احاط لا يرعوون عنه
لا يمتنعون يقال فيح كف عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هولاء فانهم قد سمعوا قصة
فرعون وقومه ونكالهم في الاخرة والاولى وما اصابته ثمود من هلاكهم فكان ينبغي بهم ان
يكفوا عن التكذيب ويرجعوا عنه لئلا يصابوا بمثل ما اصابهم فلما لم يرجعوا عنهم فحالهم اعجب
قيل الاظهر ان الاضراب من قصة فرعون وثمود الى جميع الكفار يعني جميع الكفار في تكذيب
ولم يكن نبي فاد عنا في تكذيبهم اقوى يا باه ما سبقه من قوله هل اتاك حديث الاية فان فيه
التكذيب وما يترتب عليه مما حاق بهم فلو كان الاضراب الى جميع الكفار يبقى هاذه الحديث
مما اصابهم مستدركا فلا يكون لتخصيص حديث الجنود بالذكر حينئذ وجه وايضا على ما ذكره
هو الترقي او دفع الاضراب او الافلاك عطف على الظلام والمراد الجنس في النجم
على ان اللام للجنس دون العهد او معهود بالثقب على ان يكون اللام للعهد عبر عنه اولا
بوصف عام يعني ان الطارق على ما فسره لا يخص النجم الثاقب بل يعمه وغيره فالتعبير عن النجم
الثاقب عند الاقسام به بالوصف العام ثم يفسره بوصف يخصه تفخيم لشانه بان كنه امره
مما لا ينكشف بذلك الوصف بل لا يبلغ اليه افكار الخلايق ويحتاج الى تعليم الخلايق فهو
شيء عظيم الشان والاقسام به اقسام عظيم كقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون
عظيم وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وهي لغة هذيل يجعلون لما
بمعنى الا يقولون نشدتك بالله لما فعلت اى الا فعلت لما ذكر ان كل نفس وجه لاتصاله
بما قبله بيانه انه تعالى لما ذكر على التوكيد القسمي ان كل نفس عليها حافظ يكتب اعمال العباد دقيقها
وجليلها خيرها وشرها اعلم ان ذلك الحفظ وكتابة الاعمال ليجزى بها في العاقبة فاتبعه توصية
الانسان بالنظر والتفكر في مبدئه ونشاته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على رجعه
واعادته وجزائه باعماله فيعمل ليوم الجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته تعالى

سورة الطارق

بلغ

من الاملاد

خلق

خلق من ماء دافق وينبغي ان يعلم ان الانسان الذي انكر الكفار كونه معادا هو هذا الهيكل المحسوس
المركب من اللحم والعظم فهو المحكوم عليه بامكان العود في هذا الموضع وقد يطلق على جوهر مجرد عن
المادة المتعلق بذلك الهيكل تعلق التدبير والتصرف وهو المشار اليه بانا وذهب اليه
الحكما ايضا وجمهور المتكلمين لما نفوا الجواهر المجردة مطلقا انكروه وقصروا الانسان في الهيكل
خلافا للصوفية والغزالي والراغب وللمصنف فانه صرح في مواضع عديدة بالنفوس المجردة
وظاهر ان كون الانسان بمعنى الهيكل المحسوس مخلوقا من ماء دافق لا ينافي وجود جوهر متعلق به
تعلق التدبير والتصرف فظهر ضعف ما قيل (عصام) ان هذا شاهد قوي على ان الانسان هو الهيكل
المحسوس كما ذهب اليه جمهور المتكلمين   وماء دافق بمعنى ذا دفق يعني ان صيغة الفاعل
هنا للنسبة فان الدافق بمعنى الصاب هو الرجل والماء مصبوب فهو كاللابن والتامر
والمراد الممتزج من الماءين في الرحم وبذلك الامتزاج صار ماء واحدا ولذلك قال الله تعالى من ماء
ولم يقل ماءين   ولو صح لان اشارة الى ما طعن به الملاحدة خذلهم الله من ان النطفة انما
تتولد من فضل الهضم الرابع وهو الهضم في العروق بعد الهضم في المعدة وتنفصل من جميع الاعضا
فتاخذ من كل عضو طبعه وخاصيته حتى تستعد لان تتولد منها مثل تلك الاعضا فان كان المراد
ان معظم اجزائها يتولد هناك فهو ضعيف لان معظمها انما يتولد في الدماغ وان كان المراد ان
مستقر النطفة هناك فضعيف ايضا لان مستقرها اوعية المني وهو عروق يلتف بعضها
بالبعض عند البيضتين   فان الدماغ اعظم الاعضا في توليدها الاه دفع لما قالوه بعد منع
صحته على ما يشعر به كلمة لو يعني ان ما قالوه الاه غير صحيح فانه ناشي عن محض التوهم وكلام الله
المجيد لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولو تنزلنا عن ذلك وفرضنا صحة كونها متولدة
من فضلة الهضم ومنفصلة عن جميع الاعضا وكون مقرها العروق الملتفة عند البيضتين لكن (الا) ان لك
بيض ٨٨ ان الدماغ اعظم الاعضا معونة في توليدها وله خليفة في ذلك وهو النخاع وهو خط ابيض في جوف
الفقار ممتد الى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهي اي الصلب والترائب اقرب
الى اوعية المني من غيره فلهما زيادة مدخل في توليدها وقرب بمقرها بالنسبة الى ساير الاعضا و
لذلك خصا بالذكر من بينها   والضمير للخالق يدل عليه خلق فجي الفعل مجهولا والاضمار قبل

التوكيد ثانيا للدلالة على ان الكلام في باب دفع العناد اي بالقول آخرا بالمبدئ والمعيد بل
اقول ان الذي تعرفون عندكم وللشاهد وتعرفونه من الخالق هو القادر على الاعادة ومجيئه
بان في اللام وتنكير الخبر للدلالة على رد بليغ على انكار مبالغ عنهم بانه لا حشر ولا نشر
قوله وهو ظرف لرجعه ولا يمنعه الفصل بالاجنبي لانه يتعدى بالتأخير قدم مراعاة للفواصل
على ان الظرف يتسع فيه ما لم يتسع في غيره ولا يجوز كونه ظرفا لقوله لقادر لانه تعالى قادر في كل
الاوقات على الرجع فالتخصيص والتقييد ينافيه وقال صاحب الكشف والحق ان الفاصل
غير اجنبي لانه اما معمول او عامل على المذهبين   من ينفعه نفعه اي من لا ينفعه نفعه
ممتنع بها في الرجوع والمجازاة بالضمائر والاعمال الخفية   ما يتصدع عنه الارض
اي يتشق عنه الارض   او الشق بالنبات والعيون عطف على ما يتصدع اي الصدع
اما اسم بمعنى ما يتصدع عنه وهو النبات او مصدر بمعنى الشق فانها منشقة بالنبات
والعيون حتى يكونا في المرجع بمعنى الرجوع لا بما يرجع فيه فان ما ذكره الشيخ ليس
تفسير الرجع بل بيان لكون السماء ذات رجوع قال بعض الافاضل المناسب في هذا المقام
ترك العيون فان وصف السماء والارض عند الاقسام بما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر في
الوصفين للايماء الى انها الاذ نفعها من شواهد وهو الترتيب التعبير عنه وعن المطر بالرجع
وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور وجه ما ذكر في مواقع في التنزيل لا في تشققها
بالعيون اقول الظاهر انه وصفهما عند الاقسام بالوصفين للايماء الى كون الخالق قادرا على
رجع الانسان كقوله أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها
اخرج منها ماءها ومرعاها وايضا هو المفاد بقوله انه على رجعه لقادر دون الرجوع قوله
اي القرآن وجعل الضمير لحديث الحشر وتفسير الفصل بالقطع اي حديث الحشر قول مقطوع
كما قيل مما يأباه قوله انهم يكيدون كيدا الا ان يجعل الكيد كناية عن الانكار ونحوه
وهو كما ترى قوله فانه جد كله اي لا لين ولا رفق فيه   والتكرير وتغيير البنية
اي تكرير الامر بالامهال وتغيير البناء بان قال فمهل وامهل لزيادة التسكين يعني ان الظاهر
هو التكرير في اللفظ ايضا لكن غير للدلالة على الزيادة فانه اوكد من التكرير قوله

امهلهم بدل من مهل والفاء فيه للتفريع فان كيده تعالى للكفرة لهم يوجب الامر بالمهلة كما لا
يخفى والاستدراج هو ان يؤتى بالمعاقبة لا بالعقوبة قليلا قليلا   نزه اسمه عن الالحاد فيه
بالتاويلات الزائغة الالحاد في الشيء العدول عما هو الحق فيه وفي القاموس لحد في الحرم ترك
القصد فيما امر به والزائغة هي المائلة عن الاستقامة   اطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء بعينهم منه
ان اطلاقه لا على هذا الوجه جائز   وذكره لا على وجه التعظيم قال الامام انه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته
عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب قيل لا يبعد ان يراد بالاسم الاثر
اي سبح اثاره بل الاعلى عن النقصان فان اثره دال عليه كالاسم فيكون منعا عن عيب المخلوقات ويرد عليه
ان من الاثار والمخلوقات ما هو غاية في النقص والعيب كالكفر والشرور وهي كلها مخلوقات الله تعالى عند اهل الحق
والظاهر انها لا يجب تنزيهها بل يجب لكونها نقصا وعيبا ودلالتها عليه تعالى لا ينافي كونها في انفسها نقصا
وعيبا كما لا يخفى وهو الجاري في الالفاظ الموضوعة   خلق كل شيء اخذ العموم من حذف المفعول ويندرج
فيه افعال العباد ايضا فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه هذا المعنى يناسب كون الموصول
صفة للرب لاشعاره بالترقي المعتبر في توصيفه فان الرب من يبلغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا واولى حمله الكل في
فهو بان لم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكامه اتساق ودلالة على انه صادر عن عالم وانه صنع حكيم
اذ كون خلق كل شيء دالا على صدوره عن عالم وانه صنعة حكيم مما لا نقاش فيه   فوجهه الى افعاله طبعا و
اختيارا اي وجه كل واحد من الاجناس والانواع والاشخاص الى افعاله طبعا فيما له افعال طبيعية واختيارا
فيما له افعال اختيارية   بخلق الميول للافعال الطبيعية والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات للافعال
الاختيارية   احوى حال من المرعى وتأخيره لمحافظة على رؤوس الاي [illegible] على لسان جبريل ام
بان يقرا جبريل عليه السلام ما يوحى اليه من الوحي فيحفظه ولا ينساه   او سيجعلك قاريا بالهام القراءة
وذلك بان يلقي في قلبه ويعرفه كيفية القراءة واخراج كل حرف من مخرجه وذلك لا ينافي صيرورته عليه السلام
قاريا بواسطة جبرائيل عليه السلام وبلاغ المعجزة اليه وقراءته عليه السلام فانه لا يقتضي قوله بالالهام عدم مدخلية
شيء في ظهوره فاسد وما قيل صيرورة الرسول قاريا من الالهام بلا واسطة جبرائيل خلاف ما عليه اهل الدين
ولم يقل به احد   فلا تنسى اصلا لا بتمامه ولا ببعضه مع انك امي لا تدري ما الكتاب وما القران
ليكون ذلك اية اخرى غير الايات والمعجزات التي لك قبله وكم والله اعلم ان يكون نفي النسيان مضمونه

يحتمل   ذاك

سورة الاعلى

اى لا يغفل عنه حتى انه فى اثنائه فقيه وعد بتوفيقه بالتزام الاحكام ونهى له عن الغفلة عن
القرآن فى معاملاته اقول هذا المعنى مما لا يحتمله الترتيب بالفاء على الاقراء وهو ظاهر
وقيل نهى عن الالف للفاصلة كقوله السبيلا قال صاحب الكشف فى سورة الاحزاب
عند قوله فاضلونا السبيلا وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الاى كقوله
فى الشعر وفايدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف قيل
ان الف الفاصلة لا يكتب بالياء والحكم بان خط المصحف هنا مخالف لرسم الخط لا يقبل
من غير ثبت انتهى ويمكن ان يقال ان ساير الفواصل لما كانت مكتوبة بالياء راعى الموافقة
فى ذلك ايضا اواد لحق المراعاة بان نسخ تلاوته سبيل لما يصحح النسيان فان التلاوة
وتكراره يوجب الحفظ والبه الاشارة فى قول صاحب الكشف فى معنى النهى فلا تغفل قراته وتكراره
فتنساه فلا يتوجه ما قيل ان النسخ لا يوجب النسيان فضلا عن نسخ التلاوة وظهر ايضا دما
فرع عليه بقوله فكانه ان دا الى قوله فلا تنسى على معنى فلا تترك قراءته او نفى
النسيان راسا فان القلة تستعمل للنفى كما يقال قل رجل يقول كذا اى ما رجل يقول كذا قيل
نفى النسيان راسا مما يابى صحة ما روى الا ان يقال المراد بنفى النسيان نفى النسيان التام وهذا
نسيان فى وقت القراءة لا نسيان بالكلية انتهى ولا يبعد ان يقال ان وقوع ما روى يحتمل
ان يكون قبل وحى قوله سنقرئك فلا تنسى على ان يكون السين للاستقبال الاقراء ويدل على هذا
ما رواه مجاهد والكلبى ان النبى عليه السلام كان اذا نزل عليه جبريل عليه السلام لم يفرغ من اخر الاية
حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باولها مخافة ان ينساها فانزل الله سنقرئك فلا تنسى
فلم ينس بعد ذلك شيئا وعلى هذا عدم كون الاية دليلا لذلك القايل لا يضر المقصود كما لا يخفى
ما ظهر من احوالكم وما بطن من احوالكم واقوالكم فيعلم ان توكيد المضمون الكلام ابتغى
مفتتح السورة واللاحق لاستنها ها لانها محتوية على الامور الدنيوية والاخروية قوله
او جهرك بالقراءة مع جبريل عليه السلام فهو كالتعليل لما ورد عليه قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى
ولهذه النكتة اى تضمن التيسر هنا معنى التوفيق قال نيسرك لانيسر لك
مع ان التيسر يكون لما يؤتكيه بعد ما هيئت لك الامراى ذكر الناس بعد ما استقل او
حم لك

ثم لكمال الوحي والدين وحفظه فان نحض اعداده عليه عليه السلام للطريقة اليسرى اى
نوحفظ الوحي او الدين لا يتاتى التذكير لعل هذه الشرطية انما جاءت اه جواب
لما يورد ويقال ان النبي عليه السلام كان مامورا بالذكرى نفعت او لم تنفع فما معنى اشتراط
النفع وحاصله انه عليه السلام لما كان حريصا على ايمانهم قد استفرغ وسعه وجهده في تذكيرهم وكرره
عليهم وما زاد هذا البعض منهم الا عتوا وطغيانا وهو يليه عليه السلام من ايمان ذلك البعض فكان
يتحسر ويتلهف بذلك فقيل له عليه السلام فذكر ان نفعت الذكرى يعني لا تتعب نفسك
بعدم نفع تذكيرك في ايمان البعض ولا تترك التذكير لاجله انما ذلك اذا كنت مايوسا من كلهم
بل ذكر فانه تنفع فيمن يخشى الله وهذا مثل قوله تعالى وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من
يخاف وعيد واعرض عنهم او لوم المذكورين جواب ثان على السوال المذكور وتقريره ان هذا
اى الاشتراط انما هو بحسب الظاهر ومعناه ذم المذكورين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير
الذكرى فيهم كما تقول للواعظ المكلفين ان سمعوا منك قصدا الى انه محال ان يكون او
للاشعار بان اه جواب ثالث ومعناه ظ قيل ولك جواب رابع لعله اقرب وهو ان
المراد ان التذكير ينبغي ان يكون بما يكون فيها المتذكر التذكير فينبغي تذكير الكافرين بالايمان لا بالفروع ٤
وتذكير تارك الصلوة بها اقول معنى اشتراط النفع هو وجوب التذكير المطلق معه وعدمه
عند عدمه ومعاذ كره هو وجوب التذكير في ضمن فرد نافع فلو كان كذلك كان حق الكلام ان يقال فذكر
ما ينفع من الذكرى وايضا لا يلايم ما العقوبة من قوله سيذكر من يخشى كما لا يخفى وهو يتناول
العارف والمتردد وذلك بدليل ما يقابله من قوله تعالى ويتجنبها الاشقى الاية فان الناس في امر المعاد
على ثلثة اقسام قسم قطع بوقوعه وقسم جوز وقوعه ولكنه لم يقطع بالنفي ولا بالاثبات وقسم اصر على
انكاره والاولان ينتفعان فيها المعبر عنهما بمن يخشى بخلاف الثالث فانه المتجنب الاشقى او الاشقى
من الكفرة لتوغله في الكفر كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة على ما قيل انها نزلت فيهما ثم لا يموت
فيها ولا يحيى ثم ههنا للتفاوت في الشر وبعد مرتبة ما بعدها عن ما قبلها فان التردد بين الحيوة والموت
اشد وافظع من الصلى فيكون كيلا ان يكون لا يموت ولا يحيى كناية عن عدم النجاة لان النجاة انما يكون بالعود الى دار
يموت فيها العاد ويحيى في النظم اقرب الى هذا المعنى كيف واللايق بالمعنى المشهور ثم لا يكون ميتا فيها ولا حيا

فتاموا قوله انه بهذا لا يحتمل ابلغ الكلام وكون النجاة بالعموم دارفيها الموت والحيوة لا يصح كما
لا يخفى وايضا لا يلايمه التراخي المفاد بثم قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعاصي وهو قال الزجاج ومعنى تزكى تكثر
بتقوى الله وازكي انما الكثير بقلبه ولسانه فانه تطهر من الكفر وهو انما يتلقى بمجموع الذكرين كى سه
او مراد بالذكر اي بذ وذكر اسم ربه اي كبر تكبير التحريم فلا تفعلون ما يبعدكم عن الاخرة
اشارة الى ما ضرب عنه وهو المدلول عليه بقوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى والخطاب
للاشقين على الالتفات من الغيبة الى الخطاب اي انتم ايها الكفرة تؤثرون الحيوة الدنيا وتصرفون بها و
تطمئنون بها وتعرضون عن الاخرة بالكلية ولا تفعلون لها شيئا ما يبعدكم فيها وضمير الجمع لارادة
الاستغراق في الاشقى بكون الالف واللام له او للكل اي للكل هذا اي انتم يا اشقياء بني آدم
تؤثرون الحيوة الدنيا وترجحونها على الاخرة في السعي به كما قال بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة
فلا تفعلون ما يفلحكم ويبعدكم عن الاخرة فان الشقي عن الدنيا اكثر في الجملة بيان لما يصح كون الخطاب
للكل فان نعيمها ملذ بالذات فلا ينفك لذته عنه بخلاف نعيم الدنيا فانها تنغص سريعا
الاشارة الى ما سبق من قد افلح الى قوله وابقى فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة فلذا
اشار اليه بخصوصه بكون معناه وارد فيها ودون غيره روي ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة
واربعة كتب انزل على ادم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث عليه السلام خمسون وعلى اخنوخ هو ادريس
عليه السلام ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحايف والتورية والانجيل والزبور والفرقان
تعالى هل اتاك اي قد اتاك يا محمد الداهية التي تغشى الناس بشدايدها يعني يوم القيمة
لم يفسرها او لا بيوم القيمة لتحصيل الوجه كونه ما سيأتي كما في سورة الحاقة حتى تحصيل الوجه ما سيأتي الغاشية
ولا يخفى ضعفه لامكان تحصيله بالقيمة او الناس او النار عطف على الداهية اذ ليس ما تشاء وبالشدايدها
بل بذاتها فقيل لا حاجة في اطلاق الغاشية على النار الى جعلها داهية لتغشيتها وجه ضعف مثناه
يومئذ وجوه يومئذ خاشعة هو مبتدأ لتخصيصها بوصف خبرها متصل او خاشعة ولا بأس بتنكيرها لافادة
التركيب من غير حاجة الى التعريف كما ذكره كيف انتفى ان عطف وقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الاية على ما صرح به
الشيخ الرضي وغيره تعمل ما تتعب فيه يعني في الاخرة ما تتعب فيه على ان يكون عاملة وناصبة ظاهرها
متقابلين او عملت ونصبت في الاعمال اي عملت في الدنيا ونصبت في الاعمال على ان يكون الماضي يعني

سورة الغاشية

وقوله

وقوله لا تنفعها يومئذ اشارة الى دفع ما يقال ان عاملة ناصبة اذ كانا ناظرين على وجوه وقد
تقيدت بيومئذ فكيف يصح كونهما ماضويين اذ لا معنى لكونها يوم القيمة عاملة ناصبة في
الدنيا ووجه الدفع انه على منوال اذا انتسبنا لم تلدني لئيمة اي ظهر لهم يومئذ انها كانت خاشعة
عاملة ناصبة في الدنيا بما لا ينفعها يومئذ وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا هذا اذا كانت خاشعة
ايضا ماضوية واما اذا كانت استقبالية فلا ان يجوز في تعلق يومئذ بها ويصح المعنى كما لا يخفى
اي متناهية في الحر في القاموس حمي النار اشتد حرها فمعناه حينئذ اذا وصفت بالحمى كان معناه
بلوغها الى نهاية الحرارة   بلغت اناها في الحر الان الاخر والنهاية اي بلغت غايتها ونهايتها
في الحر كقوله بين حميم آن في القاموس ان الحميم انتهى حره   وليس طعام هو لاد الزقوم والضريع
طعام دفع لما يقال من ان هذا مناف لما في سورة الحاقة ولا طعام الا من غسلين يعني ان المعذبين طبقات
لكل منهم جزء مقسوم   او المراد طعامهم مما يتحاماه الابل يعني ان المراد ان لا طعام لهم اصلا
لان الضريع مما يتحاماه ويتعافاه الابل فضلا عن الانسان وكيف يكون ذلك طعاما والمقصود من الطعام
اما الاسمان وافادة القوة او الاشباع واماطة الجوع وهما منتفيان عنه وذلك كما تقول ليس لفلان
ظل الا الشمس تريد نفي الظل على التوكيد وفيه بيان ان المراد بالضريع طعام يتحاماه الابل
اي يجتنبه الابل فيكون مجازا مرسلا وفي كميتا ان يكون نفي العشبية انتهى ولا يخفى عدم مناسبة
للكلام السابق   يا مخاطبا والوجوه يعني ان ما قيل على هذه القراءة اما للمخاطب العام او للغيبة
وليس بمعنى للمخاطب كما زعم بعضهم قوله نظر اعتبار اي نظر تامل فيها وفي خلقها وفي القاموس
نظر اليه تامل بعينيه فحمله بهذا المعنى لانه المنفي عنهم المفيد في هذا المقام واما مجرد الابصار
فقد كان حاصلا لهم غير مفيد اياهم في دعوى ظهور المطلوب بمجرد الابصار يكون غير مطابق للواقع فلا
وجه لما قيل ولما كان تحمله على الابصار ويكون فيه دعوى ظهور المطلوب بحيث يظهر بمجرد ابصار هذه
المخلوقات   باركة للحمل اي مستناخة له منقادة لمن اقتادها بازمتها لا تعاند ضعيفا ولا تمانع نخ
صغيرا   طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وفي القاموس ناء نهض بجهد والاوقار الاثقال يعني
الحكمة في خلق طول اعناقها اقتدارها على النهوض بالاحمال الثقيلة فان الاعناق وعليها الرؤوس
مع تلك الاثقال كالقرسطون يجعل فيه الثقل ويجعل في اقصاه مقدار يسير فيوازن ذلك الثقيل بالمعاونة
الطول فيه   فلذلك خصت بالذكر اشارة الى دفع ما يقال ان من الحيوانات ما هو اعظم من الابل اعجوبة

كالفيل والمنافع في الحيوانات كثيرة فلم خصها بالذكر مع السماء والجبال والارض مع ان المناسبة بينها اكثر
وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة اي لان الابل اسم للسحاب كالغمام والقرينة الغمامة
مع السماء والجبال والشجر اكثر لمناسبتها من السحاب بالابل   والمعنى ان رده الى وجه اتصال قوله
افلا ينظرون الى قوله كيف سطحت بما قبله   ولذلك عقب به امر المعاد اي ولاجل كون المعنى ما ذكرنا
من النظر في المخلوقات البسيطة والمركبة لتحقيق كمال قدرة الخالق وعدم امكان اقتداره على البعث عقب به
امر المعاد اي اورده عقيب امر المعاد فان ما تقدم في السورة امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فان
ذكراه عليه السلام في امر المعاد   فلا عليك ان لم ينظروا بيان المعاد انما   وعن الكسائي بالسين
على الاصل فان اصله من السطر وهو التسلط يقال سيطر عليه اي سلط عليه   بالاشمام اي باشمام الصاد
والسين فيكون الحرف الحاصل من الاشمام بين الصاد والسين   لكن من تولى وكفر يعني ان الاستثناء
منقطع اي لست بمتولي عليهم لكن من تولى منهم فان معه الولاية والقهر فهو يعذبه وكون المقهور مغايرا
لغير المقهور مصحح للاستثناء وان كان ذات المقهور من جملة ذوات غير المقهورين فاستثناؤهم في هذه الجملة كقوله
تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن اي المختلفون في قتل عيسى عليه السلام لا يتبعون لكنهم يتبعون الظن
فالاستثناء فيه منقطع فان الظان غير العالم اذ كان المثبت لهم الظن هو المسلوب عنهم العلم فاندفع ما قيل
في كون الاستثناء منقطعا اشكال لان المستثنى المنقطع هو المذكور بعد الا غير مخرج من متعدد قبله لعدم دخوله
فيه مخالف له في الحكم وليس من تولى وكفر خارجا عن قوله عليهم وليس حكمهم مخالفا له انتهى   وقيل متصل
فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط فكأنه قيل لست عليهم بمسيطر اي بمسلط بالقتل والجهاد الا من تولى
وكفر فانك تتسلط عليهم بالجهاد   وكأنه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الاخرة بيان
لوجه ارتباط قوله تعالى فيعذبه الله العذاب الاكبر بما قبله وعطفه عليه على تقدير كون الاستثناء متصلا
وقد جعله وجه الارتباط على تقدير كونه منقطعا قيل ولا يبعد ان يراد بالعذاب الاكبر القتل وسبي النسا
والاولاد فيكون اشارة الى ان هذه الامة اكثر عذابهم في الدنيا هو الا ما كان في الامم السابقة انتهى ولا يخفى
عدم مناسبته لهذا المقام   وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى فيكون الاستثناء متصلا ايضا
ويؤكد الاول انه قرئ الا على التنبيه اي يؤيد كون الاستثناء منقطعا هذه القراءة فانه لا اخراج فيه بل
هو ابتداء الكلام ومن شرط وجوابه فيعذبه الله كقولهم من قام فيضربه زيد اي فهو يضربه زيد اي من يقوله ويكونه
فهو يعذبه لانه قبلها قوله في ديوان فانه كان دوان   ثم الثانية للادغام اي قلبت الواو الثانية ياء   قوله
ثم ادغمت الياء في الياء قال الزجاج وادغمت الياء في الواو وانقلبت الواو ياء لانها سبقت بسكون قوله

في تقوم

في تقديم الخبر للتخصيص والمبالغة اي ليس رجوعهم الا الينا وحسابهم ليس الا علينا ويزيد المبالغة
ذكر ضمير المتكلم مع الغير اذ فيه كمال التعظيم وكلمة ثم للتراخي في الرتبة فان كون ايابهم اليه تعالى وكون
حسابهم عليه لا يترتب بينهما زمانا بل هما مقترنان وان كان الاياب والحج وتبقى زمانا

كقوله والصبح اذا تنفس يؤيد كلا من التفسيرين اما تأييده الاول فظاهر واما الثاني فلان
مناط القسم هو التنفس الذي قيد به القسم   وتنكيرها للتعظيم يعني ان الفجر كان
تعريفها كما في نظايرها مما اقسم به الا انه نكرها للتعظيم   ومن فسرها بالعناصر فانها
شفع فانها اربعة والافلاك فانها وتر لانها تسعة او سبعة   او يوم النحر فانه العاشر و
عرفة فانه التاسع   وقد روي مرفوعا اي وقد روي تفسير الشفع والوتر بيوم النحر وعرفة
او بغيرها اي بغير المذكورات   فلعله افرد بالذكر من جنس الشفع والوتر باحد
المذكورات مع ان الشفع والوتر يدلان على انواع كثيرة ويصدقان عليها فلعل ذكر احد هذه
اما لانه اظهر في الدلالة على التوحيد كالافلاك والعناصر والبروج والسيارات او اظهر
مدخلا في الدين كشفع الصلوة ووترها او اظهر مناسبة لما قبلها كيوم النحر وعرفة المناسبين
لعشر ذي الحجة   او اكثر منفعة موجبة للشكر عطف على قوله اظهر دلالة وعلة اخرى
للافراد يعني ان افراد احد هذه الامور بالذكر اما لاظهريته دلالتها على احد المذكورات
او لاكثرية نفعها الموجب للشكر فان نفع الافلاك والعناصر وكذا البروج الاثني عشر
والسيارات السبع في امر المعاش والدين اكثر من ما عداها وكذا نفع الصلوات في امر الدين اكثر
من سائر العبادات لقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر وقوله عليه السلام
الصلاة عماد الدين الى غير ذلك وكذا منفعة يوم النحر وعرفة كما قيل ولعل بعناية ما هو اكثر
منفعة موجبة بالقياس الى غيرها مما لم يذكر سهو نشأ من قلة التدبر   كالحبر والحبر فانهما
بمعنى العالم قيل واحد احبار اليهود   ووفور النعمة فلان لكل من المتعاقبين نعمة اخرى
اي يسري فيه على ان يكون الفعل مسندا الى المكان على طريق المجاز العقلي   وقد حذفه
نافع وابو عمرو بالوقف اي لا يحذف ان الياء الذي حاله ان لو وقف بان يحذف في الكسرة اكتفاء بمراعاة روس
الآي ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب لا في الوصل ولا في الوقف وذلك لانها لام الفعل والفعل
لا يحذف منه اللام في الوقف نحو هو يقضي وانا اقضي   وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف

سورة الفجر

الاطلاق وهو ثلاثة الالف والواو والياء نحو اداهم بانه قرأ الشعر لاطلاق الصوت كما في قوله اقلي
اللوم عاذل والعتابا وقولي ان اصبت لقد اصابا ويقال والقوافي واصابن بابدال التنوين ياعاذله
عن الالف فيهما   حلف وذلك على تقدير كون الاشارة الى القسم او المحلوف وذلك على
تقدير كون الاشارة الى المقسم به   يعتبره ويؤكد ما يريد تحقيقه قال الامام دل الاستفهام
على التاكيد كمن ذكر حجة بالغة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى من كان ذا لب علم ان الحلف
بهذه الاشيا التي فيها عجايب دلايل على التوحيد والربوبية حلف عظيم يعتبره ويؤكد به ما
يريد تحقيقه من المقسم عليه   كما يسمى عقلا ونهية فانه يعقله عن القبائح وينهاه عما لا ينبغي
ومنع صرفه للعلمية والتانيث فانه اسم قبيلة او بلدة   ذات البنا الرفيع
قال الامام قيل ذات لانهم كانوا اهل البنا الرفيع وكانوا يعالجون الاعمدة فينصبونها
ويبنون فوقها القصور قال تعالى وصفهم اتبنون بكل ريع اية اي علامة وبنا رفيعا
او القدود والطوال على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان
اذا كان طويلا وكان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها
فيلقيها على الحي فيهلكهم   والضمير لها لو جعلت اسم القبيلة اشارة الى وجه تانيثها
منصوب او مرفوع اعني الذين او هم الذين وعلى الاول مجرور وهو تمثيل لارصاده العصاة
يعني ان ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حال كونه تعالى حفيظا لاعمال العباد مترقبا
لها ومجازيا عليها على النقير والقطمير ولا محيد للعباد عنه ان لا يكون مصيرهم الا اليه بحالة من قعد
على طريق السابلة يترصدهم ولا اغناء لهم عن العبور اليه ثم استعمل ههنا ما كان مستعملا هناك
كانه قيل انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعي لها يعني ان الله تعالى مترقب لاعمال الانسان
وحفيظ لها لا يهمل مثقال ذرة خيرا كان او شرا للمجازاة في الاخرة بالاكرام والانعام او بالاهانة والعقاب
لقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
فلا يريد الانسان الا السعي في الدنيا لامر الاخرة خيرا كان او شرا فاما الانسان فلا يهمه امر الاخرة بل هو غافل
عنه ومهمه الدنيا فقط فيحسب لقصور نظره وسوء فكره ان اكرامه تعالى اياه بالجاه والتوسعة في المال
والدنيا واهانته بالفقر فيها مع ان التوسعة قد تفضي الى قصد الاعدا والفقر يؤدي الى الكرامة الادنى
كما قررنا الدفع ما قيل ان قوله فلا يريد الا السعي لها لا يتم على اصل الاشاعرة انما هو على مسلك الاعتزال

الذي

الذي سلكه الزمخشري لان الله تعالى يريد ما يفعل العبد من المعاصي لكن لا يرضى به ولا يجري في ملكه الا ما يشا
وهو خبر للمبتدا الاول ليوازن اشارة الى ان طرفي ما قبلان ما كلمة تفصيل ولابد الا متعددا
ومن شرط موضوعها التوازن بين الفقرتين والتقابل بينهما فانه كان بعد الاول اسما فلو يجب
بعد الثانية ايضا الاسم نحو قولك اما الكافر فكفور واما المؤمن فشكور وان كان شرطا فشرطا
نحو قولك اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسيت فهو مسيء اليك واما الاسم بعد
الاول والشرط بعد الثانية فلا توازن بينهما كما في الاية وتقرير الدفع ظ ولذلك ذمه
على قوله اي ولاجل كون التقتير مؤديا في بعض الاحيان الى كرامة الدارين والتوسعة مفضية
الى مقصد الاعلى والاسنى لكنه حب الدنيا ذمه في توليد ميوان قوله ربي اكرمني عند اكرام الرب
اياه وانعامه صادق ولا تحثون اهليهم على طعام المسكين فضلا من غيرهم قدر مفعول يحضون
اهليهم لانه المتعارف في الحث فان ارادة الخير للاهل اكثر من ارادته للغير دكا بعد دك اي
التكرير للاستيعاب لا للتاكيد كقولك حسبته بابا بابا اي بابا بعد باب مثل ذلك بما يظهر
دفع لما يقال انه لا معنى لاسناد المجيء اليه تعالى فانه من خواص الاجسام كفعله ويروث
الجحيم اي المراد بمجيئها اظهارها وفي الحديث يؤتى بجهنم فيحتمل ان المراد بمجيئها معناه
الحقيقي اي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله يعني لو لم يقدر المضاف لناقض هذا
ما سبقه من يومئذ يتذكر فان فيه اثبات التذكر ونفيه بقوله وانى له الذكرى يناقضه دفع الثاني قف
بتنزيل ذكره منزلة العدم لعدم ما يترتب عليه كما قيل بعيد لا حاجة الى ارتكابه على ان المحق
بيان تحسره عند مشاهدة حالة القبيحة ونزمه عليها لعله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا الاية وعلى ما وجهه يكون خاليا عنه بل عن الفائدة مطلقا تدبر واستدل به
على عدم وجوب قبول التوبة اي ليست التوبة من حيث انها توبة واجبة القبول كما زعم المعتزلة
بناء على وجوب الاصلح عليه تعالى عندهم اذ لو وجب قبولها لوجب قبول هذا التذكر فانه توبة وليست
بمقبولة لعدم ترتب المنفعة التي من لوازم قبولها قال بعض الفضلاء ان الاستدلال به على عدم
قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانه انما
يكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله يقول ياليتني قدمت لحياتي الاية اقول ان معنى التوبة ليس

الا الندم على الذنب والعزم على ان لا يعود اليه قال صاحب المواقف حقيقة التوبة الندم على
معصية من حيث هي معصية مع عزم ان لا يعود اليها اذا قدر عليها وهذا التذكر اذا كان حين
ظهور القيمة وظهور ايات قدرة الله واثار قهره وظهور جهنم يكون مع ندم على الذنب كمعصية
وعزم على عدم العود اليها ان قدر البتة ولم يعتبر احد فيه معنى التوبة كونها في الدنيا نعم النافعة
منها ما يكون في الدنيا لحيوتي هذه على ان يكون اللام للاجل او وقت حيوتي على ان يكون
اللام للتوقيت وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله كما ادعاه صاحب
الكشف في بناء على اصول المعتزلة من ان هذا ابين دليل على ان الاختيار كان في ايديهم معلقا
بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب اهل
الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر وبيان الرد ان كونهم متحسرين على الطاعة لا ينافي كونهم
مجبورين عنها فان المجبور عن الشيء قد يتمنى ويتحسر ان كان ممكنا فيه وكذا الشيء يقال مكنني
الله من الشيء اذا اقدره عليه يعني ان المجبور عن الشيء يتحسر عليه اذا كان قادرا عليه
في الجملة سواء كان بالتاثير او بالكسب الذي ذهب اليه اهل الحق وهو مقارنة قدرة العبد
وارادته للفعل من غير ان يكون هناك تاثير او مدخل في وجوده سوى كونه محلا له فان
المجبور بسبب انه وجد في نفسه قدرة مقارنة لافعاله وظن انه بتاثير قدرته يتحسر بفوت
الشيء المجبور عنه وبهذا الظن ضل كثير من المعتزلة المبتدعة او الثاني اي لا يعذب
احد من الزبانية مثل ما يعذبونه اي لا يعذب احد من الزبانية احدا عذابا مثل عذاب
هذا الانسان وكذا في الوثاق قيل ولك ان تريد بالاحد الواحد الحقيقي فان الاحد
من اسمائه انتهى ولا يخفى بعده اذ لا وجه لتوسيط التعبير عنه بالاحد بين التعبير عنه
بالرب في قوله ربك ويعقوب على بناء المفعول فالضمير للانسان الموصوف فالعذاب وضع
موضع التعذيب لانه بمعناه كالسلام بمعنى التسليم كما وضع العطاء موضع الاعطاء
في قول القائل وبعد عطائك المائة فالمصدر الذي هو العذاب مضاف الى المفعول به و
كذا الوثاق وضع موضع الايثاق على ارادة القول اي يقول الله تعالى للمؤمن عند
الموت او عند البعث على ما ذهب اليه بالحياة اما بنفسه اكراما له او على لسان ملك

او الآمنة

او الآمنة عطف على قوله اي اطمأنت   لا يستفزها خوف اي لا يقلقه ولا يحركه وقد قرئ بها
ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة   الى امره او موعوده بالموت اي ارجعي الى
امره بالموت وارجعي الى موعوده بالموت الظاهر انه اراد بالامر عالم الارواح المجردة والجواهر
القدسية وبالموعود دار الثواب على ما يشعر به ملكيانه وقيل ارجعي الى امره وامر ولا يخفى عدم مناسبته
للمقام بوجه   ويشعر ذلك بقول من قال ان وجه الاشعار انها اذا كانت بالموت راجعة فكانت
بالحيوة والتعلق بالابدان خارجة عما ترجع اليه ولا يكون ذلك الخروج الا بوجودها قبل الابدان
وهذا يؤيد كون المراد بالامر الارواح المجردة   راضية بما اوتيت من النعيم المقيم قيل
الاظهر راضية عن ربك مرضية عنده او في الفخر انه لا يناسب المقام وفي القاموس رضي عنه
ضد سخط   مرضية عند الله لاطمينانك بذكره واستغنائك به عن غيره   فان الجواهر
القدسية كالمرايا هذا ايضا يؤيد ما ذكرنا من كون المراد بالامر الارواح المجردة والجواهر القدسية
سورة البلد مكية
او اخلعي في اجساد عبادي التي فارقت منها هذا ان المراد بالنفس الروح الذي
به الحيوة وكان الرجوع بالبعث   قيده بحلول الرسول فيه بان جعل القيد حالا من هذا البلد
اظهارا لمزيد فضله الضمير للبلد الحرام يعني ان له فضلا في نفسه على ما يدل عليه اقسامه
تعالى به وحلول الرسول الذي هو على عظم الشرف والحرمة على ما يفيده التعبير عنه عليه السلام
بانت فانه نظير قولهم انت مجرد مزيد فضله فذكر حلول الرسول فيه وبتقييد القسم اظهار
لمزيد فضله ويأبى لفظ المزيد احتمال ارجاع الضمير الى الرسول كما لا يخفى   واشعارا بان شرف
المكان بشرف اهله فهذا اي شرف المكان من حيث انه مكان من شرف المكين فشرف المكين في حلوله
فيه شرف له   وقيل حل مستحل تعرضك فيه والحل من الحلال او استحل معترضه يعني انك
مع عظم حرمتك مستحل تعرضك يعتقدك فيه كاستحلال تعرض الصيد في غيره ولا فرق بينك مع
عظم حرمتك وشرفك وكونك في البلد الحرام وبين الصيد الذي لا شرف له اصلا وكونه في
غير البلد الحرام   فهو وعد له بما احل له عام الفتح من القتل والاسر فانه عليه السلام قتل بن
خطل وهو متعلق باستار الكعبة فحذو معنى الاستقبال كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
وذلك لان الاحوال المستقبلة عند الله حاضرة من هذه   كما في قوله والله اعلم بما وضعت

اي باي شيء وصفته يعني موصوفا بالجبيت ان فان ما للابهام فيها يفيد في مقام المدح تفخيما
لا يكتنه بكنهه قيل يمكن ان يكون زائدة لانه عدول عن المولود الى ما هو بمعناه لرعاية الفاصلة ومفهوم
المولود مولود والده احد لا من ولد احدا قوله سلمنا ان فيه عدولا من المولود الى ما يصح كونه معنى مقصودا
هيهنا فقط لكن ان المتحقق من المولود المقسم به هو ذات المولود لا مفهومه وذات المولود من ولده
احد لا ما ولده احد   وهو تسلية الرسول عليه السلام بما كان يكابده من قريش اي يتعب ومقاساة
مشقة كان الرسول عليه السلام يتعبه ويقاسيه من قريش   يقول اي في ذلك الوقت اي وقت
الحساب وقيل اي في وقت الاعتذار وضعفه ظاهر   سمعة اي رياء   حين كان ينفق اي
يحسب ان لم يره احد حين كان ينفق ما ينفق رياء ومفاخرة او معاداة للرسول عليه السلام والجار به
من ذلك   او بعد ذلك الحين اي يحسب ان لا يجده احد بعد وقت الانفاق لا على ما ينبغي فيسئله
عن الايادي التي اسرفها ويحاسبه عليه   يعني ان الله يراه فيجازيه او يجده الا ان اي يراه حين الانفاق
فيجازيه او يجده بعد ذلك الحين فيحاسبه عليه   طريق الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع
فالمعنى على الاول الم نبين له الطريقين العاليين وتسمية الثديين بالنجدين لانهما كالنجدين
للبطن وهو كالغور   اي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة يعني ان شكر تلك الايادي
انما هو اقتحام العقبة فكان الواجب عليه بعد معرفة طريق الخير والشر ان يقتحم العقبة وينفق
ماله على هذا الوجه شكرا لها الا انه لا يشكرها ويهلك ماله لنيل الرياء والفخر وهوى النفس
قيل الاول فلا اقتحم العقبة فشكر تلك الايادي اقول لا دلالة فيه على انتفاء شكرها
بل يوهم خلافه على ما لا يخفى فالاولى ما ذكره المص موافقا لما في الكش   لمعارضتها فسر بها
من الفك والاطعام والجامع هو صعوبة السلوك فان الاول صعب على البدن والثاني على النفس
على ما قال لما فيهما من مجاهدة النفس والقصد المراد بالجامع ووقوع لا موقع لم وقع لما اورد
على قوله تعالى فلا اقتحم من ان لا الداخلة على الماضي اذا لم يكن بمعنى المستقبل نحو لا فعلت بمعنى
لا تفعل وللدعاء فانها ايضا للاستقبال ولم يكن موضوعا غير مذكور بالفعل نحو تلك لا في جواب
من يقول لك اخرجت اي لا اخرجت وجب تكريرها فما لها لم تكرر في الكلام الافصح وحاصل
الدفع ان التكرير الواجب اعم من ان يكون في اللفظ او في المعنى وههنا من قبيل الثاني فان المراد
بالعقبة لما كان متعددا كان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا   ووقوع

لا موقع

لا موقع لم اي في كونها للنفي الماضي ههنا   فانها لا يكاد تقع الا مكررة علة لاختصاص حسنها في
كون المراد بالعقبة متعددة اي لو لم يكن المراد بها ههنا متعددا لم يحسن وقوعها موقع لم فانها لا
يكاد الا مكررة وقيل في الجواب ولما ان الجواب راعى المستقبل اي لا يقتحم العقبة وانه خبير بانه في
لا يكون ملايما لما فرع عليه من قوله الم نجعل له اه   معناها انك لم تدرك صعوبتها اي صعوبتها
على النفس وثوابها عند الله   لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة والافضل الوقت
فهو مقدم عليها لاشتراط ساير الطاعات به   ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة وذكر الكفار
بالضمير شان لا يخفى وهو بعد درجتهم في الشرف والفضل لايمانهم وتوصيهم بالصبر على طاعة الله
وتواصيهم بالرحمة واستحقاقهم بذلك كمال الايضاح   مطبقة من اوصدت الباب اذا
اطبقته واغلقته فالنار الموصدة نار مغلقة الابواب لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم
غروب الشمس
من لحوق وفي القاموس اوصد النار اطبقه واغلقه كاصده   تلا طلوعه طلوع الشمس
اول الشهر او غروبها ليلة البدر حمل التلو على معنى التبعية وجعل تبعية القمر اياها باعتبار طلوعه
وخروجه من الافق والمتبوع اما طلوعها او غروبها في اول الشهر فان الشمس اذا طلعت من الافق
الشرقي اول النهار يطلع بعده القمر الخارج من تحت شعاعها فيرى بعد غروبها هلالا او غروبها وذلك
في ليلة البدر وهو الليلة الرابعة عشر من الشهر فانه في تلك الليلة يكون في مقابلة الشمس ويكون
البعد بينهما بقدر نصف دور الفلك فاذا كانت الشمس في النصف الفوقاني من الفلك كان القمر
في النصف التحتاني منه فاذا زالت الشمس من النصف الفوقاني وغابت في الافق الغربي
يطلع القمر من الافق الشرقي واما صاحب الكشاف فقد جعل تبعيته اياها بمعونة المقام في الاضاءة
فان القمر في ذلك تابع للشمس واخذ من نورها وكذا قال في تفسير اذا تلاها طالعا عند غروبها
آخذا من نورها ثم قال وذلك في النصف الاول من الشهر فان كل ليلة من ليالي النصف الاول من
الشهر يأخذ القمر قدرا من النور واما في النصف الثاني منه فيتفاوت بالتدريج ما اخذه بالتدريج
وبما بينا ظهر انه لا وجه لما قيل ان فيه ردا على الزمخشري حيث قال اذا تلاها طالعا عند غروبها
آخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر ووجه الرد ان طلوع القمر اول الشهر عقيب طلوع
الشمس الا انه يصير مرئيا بعد غروبها اخذا في الغروب عقيب غروبها وفي ليلة البدر يطلع عقيب

غروب الشمس بجملته كأنه حمل الطلوع في كلام الزمخشري على الخروج من الافق مع ان مراده
كونه فوق الافق وغفل عن النصف ولم يأخذ الآخر كما هو على ما هو دأبه وعادته قوله
فيغطي ضوءها اي ضوءها الذي في وجه الارض زال مواجهته اياها فانه لا يغطي ضوءها في وجه
القمر على ما مر   ولما كانت واوات العطف نوائب الى آخره دفع لما اورد هاهنا من ان الواو
الواو الاول ان كانت عاطفة يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين وهما فعل القسم والباء الجارة
اذ التقدير اقسم بالشمس وضحاها فهو كقولك مررت امس بزيد واليوم عمرو وقد جعلت
الواو نائبة عن مررت وعن الباء ولا يجوز جعل الضعيف نائبا عن قويين وان كانت قسمية
يلزم اجتماع الاقسام المتعددة على جواب واحد وهو مما لم يجوزه الخليل وسيبويه وجواب اختيار
الشق الاول منع كون العطف على معمولي عاملين مختلفين وانما يلزم ذلك لو كانت هي نوائب عن
العاملين وليس كذلك بل هي نوائب عن احدهما وهو واو القسم الجارة بنفسها النائبة مناب
فعل القسم فهو من قبيل عطف معمول عامل واحد على معمولين له كما في قولك ضرب زيد عمرا
وبكر خالدا وكونها نائبة عن فعل القسم يعرف من وجوب طرح فعل القسم فلو لم تكن نائبة منابه
لما وجب الحذف معها وقوله الجارة بنفسها رد لما يفهم من كلام صاحب الكشاف من كونها جارة
بنيابة الباء حيث قال فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما
لارادة معنى الوصفية فان ما يستعمل في الصفات فاذا اردت ان تسأل عن صفة زيد تقول
ما زيد والجواب انه فقيه او طبيب واذا اردت ان تسأل عن ذاته من هو والجواب انه زيد
كأنه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناها فانها لعظمتها
وغاية ارتفاعها من الارض بلا عمد يدل بناؤها على وجود بانيها وكمال قدرته فاختيار الموصولة
المستعملة في الصفات هنا لارادة ما يدل عليه صلتها من كمال قدرة الباني فلا وجه لما قيل الاولى
ان يقول كأنه قيل ومن بناها لانها الوصفية المقصودة وما ذكره من الزوائد ليس بمقصود بقوله
او ما بناها انه من لوازمه انتهى على ان الوصف المقصود لو كان ما ذكره لكفى في افادته من بناها
ولا حاجة لذلك الى ما الاجنبي   وكذا الكلام في قوله والارض وما طحاها الى آخره اي وكذا الكلام
في اختيار الموصول على من في هذا القول فانه لارادة الوصفية فكأنه قيل القادر الذي بسطها

والحكيم

والحكيم البالغ الحكمة الذي سواها   وجعل الماء مصدرية كانه قيل لا حاجة الى هذا الكلام
اصلا انما الاحتياج اليه اذا كانت ما موصولة وليست بموصولة بل هي مصدرية كما
ذهب اليه الفراء والزجاج فاجاب بقوله وجعل الماءات الى اه واجيب على التجرد بان الفعل
كما ينسب الى الفاعل ينسب الى الآلة ايضا   يخل بنظم قوله فالهمها الى آخره فان ضمير الفاعل
في قوله فالهمها لله تعالى والفاء للترتيب فلا يجوز ونفس وتسويتها فالهمها الله اذ لا ترتيب
بين تسوية نفس والهام الله   الا ان يضمر اسم الله الى آخره وح يندفع كلام المحذورين
اما الاول فظاهر واما الثاني فلان التسوية ح يكون فعل الله كما ان الالهام فعله فيجوز ترتيب
الهام الله اياها على تسويته اياها بالفعل على الحقيقة في حواشيات في النظم من حيث انه يلزم وعطف
الفعل على الاسم كان مراده العطف على ما هو اسم في اللفظ ايضا لعدم فاعله وان كان في صورة
على الفعل فاضمار اسم الله يرفعه ايضا قيل وقوله الا ان يضمر لا يصلح خللا النظم فالاولى ان يلحق
قوله لتجرد الفعل عن الفاعل قول قد عرفت وجه الاصلاح فلا تغفل   والهام الفجور
والتقوى افهامهما الى آخره ليس المراد ههنا بالهامها خلقهما فيها على ما يقتضيه قاعدة خلق
الاعمال بل المراد افهامهما والتمكين من الاتيان بهما بدليل تعقيبه بالفلاح والتزكية والتدسية
الى ذي النفس الدال على انه متمكن بقدرته الكاسبة من احديهما ومن ثم قيل ان الظاهر
ان التمكن داخل تحت التسوية وكونه تحت الالهام بعيد عن الافهام انتهى فيه ان دخوله
تحت تسويتها خلاف الواقع اذ تسويتها ايجادها وجعلها مستعدة لكمالاتها الفائضة
عن المبدأ   انماؤها بالعلم والعمل رد على من خص التزكية بالعمل وجعله منشأ لعدم
كون قد افلح جواب القسم لاختصاصهما بالعملية التي هي ادون من النظرية التي هي التحلية
بالفضائل والكمالات او على صاحب الكشاف فانه ايضا حيث قال والتزكية الانماء والاعلاء
بالتقوى   وحذف اللام للطول دفع لما يوهم كون الجواب غيره فان كونه جوابا يستلزم كونه
مع اللام   وكانه لما اراد بيان لما يصح كونه جوابا   اقسم عليه اي على تكميل النفس
بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته فان بناء السماء وطحي الارض وتسوية النفس
والهامها فجورها وتقواها يدل على وجوده وعلى كمال القدرة والعلم والحكمة الباهرة ومنها العلم

وجوب ... لا يتأتى من غير الواجب تلك الافاعيل   الذي هو اقصى درجات القوة النظرية
اه هي التي بها تستعد وتستكمل النفس عن ما فوقها من المبادي والعملية هي التي بها تتصرف فيما
تحتها من الابدان قوله واصله طغيى فقلبت الياء الثانية واوا كما في تقوى فان اليا
فيه منقلب عن الضاد ايضا   بسبب طغيانها حملها اياها على التكذيب وحملها صاحب الكشف
للاستعانة حيث قال هي مثلها في كتبت بالقلم   او بما اوعدت وعلى هذا يكون الباء صلة مثل
قوله تعالى كذبت به قومك   من عذابها ذي الطغوى بيان لما اوعدت اي ثمود به وان ادى الى
عدم انتظام الكلام في بدون تقدير ذي اذ ما اوعدت به في قوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب
اليم هو العذاب لا الطغيان   لقوله فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية تاييد للوجه الثاني و
يؤيد الوجه الاول تعالى فكذبوه فعقروها قال صاحب الكشف وهذا لا يؤيد الوجه الاول فقط لان
التكذيب بالعذاب تكذيب للصالح عليه السلام   قلب يا واوا تفرقة بين الاسم والصفة
اي قلب ياؤه واوا لانه اسم لا صفة فان الفرق بين فعلى الاسم وفعلى الصفة عندهم بقلب الياء
واوا في الاسم وتركها على حالها في الصفة   او هو من سار اي عاونه على قتلها وفي لفظ
القتل تنبيه على ان العقر بمعنى القتل   وان افعل التفضيل اذا اضيف صلح للواحد
والجموع والمراد بالجمع غير الواحد فيشمل التثنية يقال هذان افضل القوم وهؤلاء افضلهم
ولكن ذلك عند اضافته الى المفضل عليه لما يتضح لذكر المفضل عليه بالفعل من
الذي يجب فيه عدم المطابقة تثنية وجمعا   اي ذروا ناقة الله واحذروا
يعني منصوب بتقدير ذروا او حولوا واحذروا عقرها بيان لمعنى المراد من ذروا ناقة
الله لا انه بيان ناصب اخر فلا معنى لما قيل اه يعني منصوب بتقدير ذروا او احذروا
ثم قيل ويمكن ان تقدر وعظموا ناقة الله وسقياها او الزموا ناقة الله وسقياها انتهى وانت
خبير بانهم بمجرد ترك تعظيمها او التزامها لا يستحقون العذاب حتى يوعد بتركه وبابد عنه ايضا
في الايعاد ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم   فلا تذروها اي فلا تمنعوها
عن سقياها اي نصيبها من الماء وقيل شربها   فاطبق عليهم العذاب حتى الدمدمة بينهم
يعني ان ربطه اه التسوية بهم انما هو بتقدير احد هذين الامرين   وثمود بالاهلاك

عطف

عطف على الوامة يعني ان الضمير لاحد الامرين   يغشى الليل او النهار ولولا الواو لئه
بظلامه يعني من قوله والليل اذا يغشاها او من قوله يغشى الليل النهار او من قوله
غاسق اذا وقب   ظهر بزوال ظلمة الليل على ان يكون من الجلاء بمعنى الصقل وذا الموسى
جلا السيف والمرآة جلوا وجلاء صقلها او تبين بطلوع الشمس على ان يكون من التجلي بمعنى
التبين   والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى بيان للموصفية المرادة من ما
الموثرة على من وقد مر غير مرة قوله خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد وبنا
على ما قيل ان الله تعالى لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر والانثى والخنثى وان
استشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة   اي مساعيكم
لشتات مختلفة اي تخالف وتباين سعي بعضكم سعي الاخرة فاجزاء المرتب على بعض المساعي
يكون مباينا لجزاء الاخر ويرتبط به التفصيل الذي بعده قيل ويمكن ان يريد بالاختلاف
كون البعض طالعا لليوم المتجلي والبعض طالعا لليل الغاشي وبعضها مستعانا بالذكر
وبعضها مستعانا بالانثى فيكون تشديد المناسبة بالقسم اقوى فيجب ان يكون عدم المناسبة لما
بعده ويوفق معه انما المرعي لان ما ذكره كان نظايره   وهي ما دلت على حق يعني
ان كون الكلمة حسنى باعتبار حقية مدلولها فما مدلوله حق فهو حسنى سواء كان كلمة التوحيد
او غيرها وفسرها بعضهم بكلمة التوحيد   فسنهيئه للخلة اي الخصلة توضعها باليسرى
باعتبار كونها مودية اليها   او تردى في حفرة القبر اي سقط وهو ايضا من الردى
لكن بمعنى السقوط والاول بمعنى الهلاك   للارشاد الى الحق بموجب قضايانا
او بمقتضى حكمتنا يعني ان كون الارشاد لازما انما هو بواسطة سبق القضاء عليه وعدم
تخلف المقضي او لانه يقتضيه الحكمة والمصلحة لا ان الارشاد لكونه لطفا واصلح واجب
على الله تع كما زعم صاحب الكشاف وغيره فقوله ان الارشاد الى الحق واجب علينا ولا يجب
عليه تعالى شيء كما بيناه مرارا   او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل
يعني ان ههنا مضافا مقدرا هو الطريقة اي ان علينا بيان طريقة الهدى وقد بيناه
كقوله تعالى على الله قصد السبيل فانه صريح في انها على الله بيان الطريق وقد فوته المص به

عرضا لليل

لا الارشاد فلا دلالة فيه اصلا على كون الارشاد الى الحق واجبا عليه تعالى وبما قررنا ظهر
انه لا معنى لما قيل ولا يخفى ان قوله على الله قصد السبيل لا يتم الا بملاحظة الارشاد اي
على الله الارشاد الى قصد السبيل كما ان قوله ان علينا طريقة الهدى لا يتم بدون ملاحظة
الهدى الى الارشاد فالاولى ان لا يقدر المضاف بل يقال وان علينا للهدى الى قصد
السبيل كقوله على الله قصد السبيل اي الهادي قصد السبيل ولعله غفل عن مقصود المحشي
وكونه جوابا اخر عما تمسك به صاحب الكشاف او ثواب الهداية للمهتدين اي فنعطي
ثواب الهداية للمهتدين الراشدين بارشادنا اياهم الى الحق فاندفع ما قيل لا داعي
الى التخصيص بل الظاهر او ثواب الهداية للمهتدين وعقاب الضلالة للضالين
او فلا يضرنا ترككم الاهتداء اي ان لنا كل ما في الدنيا والاخرة بانفرادنا
ونستقل في حصول كل منهما فلا يضرنا ترككم الاهتداء بنا ان فاتنا شيء لا في امور الدنيا ولا
في امور الاخرة اذ ليس حصول شيء منهما منوطا بهدايتكم حتى يكون ترك الهداية مضرا
او منقصا لذلك الشيء وقيل فلا يضرنا لانه لا حاجة لنا اليه او لانا قادرون على الانتقام
منكم بما نريد وفيه انه مما عليه عدم الضرر كما لا يخفى ثم قيل والاولى فلا ينفعنا ال
اهتداكم كما لا يضرنا اضلالكم وفيه انه غير ملايم لقوله فاما من اعطى الى قوله فسنيسره
للعسرى اذ الملايم بيان عدم انتفاع الاهتداء بالنسبة اليه كما لا يخفى ومفهوم
ذلك ان غير الاتقى المشرك وذو المعصية لا يجنبها اه دفع لما اورد على قوله تعالى وسيجنبها
الاتقى من ان المفهوم المستفاد منه مخالف للحصر المستفاد من لا يصلاها الا الاشقى فان مفهومه
وهو عدم تجنب غير الاتقى وجواز دخول الفاسق الغير الكافر فيها مخالف لما سبق من حصر الصلي
في الاشقى وحاصل الدفع ان الدخول لا يستلزم الصلي اذ الصلي هو اللزوم وعدم الخروج لان الدخول
اعم في ذلك والعام لا يستلزم الخاص فالمفهوم غير مخالف للحصر السابق لقوله يتزكى اه
فانه من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة فدل يكون بدلا
من يؤتي او حالا من فاعله على ان معنى لا ايتاء المال صرفه في مصارف الخير فانه بدل
من يؤتي او حال من فاعله فعلى الثاني يكون محله النصب وعلى الاول يكون صلة للذي فلا يكون

له محل

له محل من الاعراب لان الصلة بمنزلة بعض الاسم ولان الاعراب انما يصلح للجمل التي يجوز قيام
المفرد مقامها وهو لا يصح قيام المفرد مقامه   استثناء منقطع والمستثنى منه هو
النعمة اي ما لاحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه فهو مفعول له في المعنى قوله لا مكافاة
نعمة تأكيد للاستثناء   وعد بالثواب الذي يرضيه قيل هذا على تقدير جعل ضمير يرضى
الى الاتقى والاحق برعاية نظم الكلام جعل الضمير للرب اي لا يؤتي ماله الا لطلب رضاء
ربه ولسوف يرضى ربه عنه اقول يأباه صيغة الاستقبال او كلمة سوف لقوله تعالى
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك الاية ولكون سوف لمجرد التاكيد مع كونه بعيدا
لا يحسم الاباء   ووقت ارتفاع الشمس اشارة الى ان المضاف محذوف ليناسب
قوله والليل اذا سجى   او الذي فيه كلم موسى ربه حيث قال حين حشر الناس ضحى لا
تخف والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا فله شرافة ومنزلة ليست لغيره من
اجزاء النهار   ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا فان المراد بالضحى
فيه هو النهار بقرينة مقابلته بالبيات التي هي الليل فمقابلته بالليل قرينة كونه
بمعنى النهار قيل ووقع في المؤيد الضحى في مقابلة البيات التي في الليل كله وههنا وقع
مقابلا لليل المقيد بوقت اشتداد ظلامه فههنا ينبغي ان يراد بالنهار وقت اشتداد
الضوء كان المناسب ههنا لكن ان يراد النهار مطلقا وفيه ان المقابل الذي اقسم الله به
هو الليل المستمر في معناه والتقييد بالظرف لا يوجب استعماله في غيره وقد مر مثله في سورة
لا اقسم بهذا البلد على ان اخذ الاشتداد في سجى بعيد   سكن اهله او ركد ظلامه يعني
سجى سكن والليل لا يوصف بالسكون حقيقة فاسناد السكون اليه مجازي باعتبار سكون اهله
او سكون ظلامه وعدم تغيره بالاشتداد والتنزل قيل ويجوز ان يوصف الليل بالسكون على الحقيقة كما في قوله
الله الذي جعل لكم الليل سكنا   وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وذلك
لان الليل عبارة عن انقطاع نور الشمس وزواله عن وجه الارض والنهار وجوده والاصل في
الاشياء الممكنة العدم فتقديم النهار ههنا فالاقسام به اولا ثم بالليل مع ان الاصل والموافقة
لما تقدمه تقتضي تاخيره لشرف الوجود على العدم واما تقديم النهار في سورة الشمس حيث

سورة والضحى

قال والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشيها لما كان ظاهرا انه باعتبار تجليها الشمس
وايضاح اشراقها فكانه في تتمة قوله والشمس وضحيها لم يتعرض له المص خلا بورد ما قيل تقديم
النهار وقد وقع في السورة المتقدمة ايضا حيث قال والنهار اذا جلاها والليل اذا
يغشيها فكانه غفل هنالك عما تنبه له هنا فاخر النكتة عن موضعها اللايق بها
اي ما قطعك قطع المودع فان حقيقة التوديع لا يتصور هنا   وقرئ بالتخفيف
قال ابن جني هو قراءة النبي عليه السلام وحسن هذه القراءة باعتبار الموافقة بين الكلمتين
كانه قيل ما تركك وما قلاك وقد جاء المحقق في بعض الاشعار ايضا كما قال سيبويه استغنوا
عن وذر وودع بقولهم تركوا وانه بعض التصريف اما قولنا ماضي يدع ويذر اما
محمول على الاكثرية او باطل   كانه لما بين انه تعالى ما ودعه بيان لوجه اتصال هذا القول
بما قبله ظاهر   او نهاية امرك خير من بدايته يعني ان الاخرة والاولى بمعنى النهاية
والبداية فوجه اتصاله بما قبله ظاهر   فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال
ولا ينقطع الارتقاء في وقت بخلاف بداية امرك فان الارتقاء لم يكن في بعض الاوقات
واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا قال ابن الحاجب ان اللام مع المبتدا
كقد مع الفعل وان مع الاسم فكما لا يحذف الاسم والفعل ويبقى ان وقد كذلك لا يبقى اللام
بعد حذف الاسم ورد بان ان وقد يؤثران في المدخول عليه مع التوكيد بخلاف هذه اللام
لان مقتضاها ان يؤكد مضمون الجملة لا غير وهو باق وان حذف المبتدا   وجمعها مع
سوف مع انها للتاكيد وسوف للتاخير ولا معنى لتاكيد التاخير للدلالة على ان العطا
كاين لا التاكيد التاخير قال ابو علي الفارسي ليس هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقايم
بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احد نوني التاكيد فكانه قيل وليعطينك
وكذلك اللام في قوله وللاخرة   تعالى فاوى اي فاواك حذفا لتوافق او به اوى له
وتاوت الطير وتاويت تجمعت روي ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة اشهر
وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته
وذلك ايواؤه   تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل فيطمئن

قلبه

سورة الم نشرح

قلبه وينشرح صدره فان التحدث بها شكرها قيل او موجب لتسلي قلبك وقلب الفقراء ومقوي لجانب الرجا فيه ان التسلي والرجا قد حصلا من تقويه ما انعم عليه ولا حاجة في ذلك الى التحدث فالوجه ما قاله المص قوله فكان حاضرا غائبا فان مناجاته للحق كان بجهة تجرده وروحه المقولة المتنزهة عن المقارنة والحضور عند الخلق ودعوة الخلق الخلق كان ببشريته التي كان عليه السلام بها مماثلا للخلق وحاضرا عندهم فله عليه السلام كمال سعة الصدر حيث كان محيطا بالغيب والشهادة ولما كان الصدر وعاء القلب الذي فيه الروح الذي هو مظهر النفس الناطقة تجوز بشرحه وتوسعته عن احاطته بعالمي الغيب والشهادة والجمع بينهما او يوم الميثاق كقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ولعل اشارة الى الخ وما سبق يعني ان حمله على ظاهره مما يبعده العقل فلعل المراد غير الظاهر مما لا يأباه الحمل عليه مثل ما سبق انفا على ان يكون المراد من انشراح القلب تغيره من حال الى حال ومن غسله ازالة الجهل منه ومن ملاه ايمانا ايداع الحكم فيه ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته فان انكار نفي الانشراح نفي لنفي الانشراح ونفي نفي الشيء اثبات لذلك الشيء للمبالغة في الاثبات من حيث ان نفي احد النقيضين موجب لاثبات النقيض الآخر ضرورة امتناع ارتفاع النقيضين معا قيل لان الاثبات بابطال النفي كالدعوى باقامة البينة ولا يخفى ما فيه ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك اي لاجل ان معنى الاستفهام انكار نفي الانشراح واثباته عطف عليه ووضعنا عنك وزرك رعاية لجانب المعنى فكانه قيل شرحنا لك صدرك ووضعنا عنك وزرك فتناسب المعطوف والمعطوف عليه عباءك هو بالكسر الحمل والمستفاد نقله من انقاضه الظهر وهو صوت الرجل هو من كلام المعبر قيل النقيض لا يختص بصوت الرجل بل يعم المفاصل فلا حاجة الى الاستعادة من نقيض الحمل لامكان حمله على نقيض مفاصل الظهر وانت خبير بان المتعارف عند حمل الثقيل الخ نقيض الرحل وايضا فيه مراعاة حفظه عليه السلام كما لا يخفى وهو ما ثقل عليه من فرطاته اي الذي حمله على النقيض قوله هو ما ثقل عليه من تقصيراته او تجاوزاته عن الحد مما يصح ان يعاتب

عليه يقال افرط الاعرابي جاوز الحد وفرط في الامر قصر به وضيعه   واي رفع مثل ان
قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة متى ذكرتا في الشهادة والاذان والاقامة والتشهد
والخطبة وجعل طاعته طاعته لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وصلى عليه في ملئكته
وامر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه لقوله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وخاطبه بالالقاب مثل رسول الله ونبي الله
وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فكانه قيل رفعنا لك فيفهم ان ثمة مرفوعا ثم قيل ذكرك
فاوضح ما علم مبهما وكذا في الم نشرح لك صدرك وقيل يحتمل ان يكون اللام فيه وفي عديله
لام العلة كما في قولك فعلت ذلك لاكرامك فالمعنى ورفعنا لتشريف ذكرك
والم نشرح لهدايتك صدرك   والمعنى ههنا ان مع في المصاحبة للمبالغة
دفع لما يتوهم من انه لا معنى للمصاحبة والمقارنة المفادة بان مع بين العسر واليسر
المتنافيين   او الاستيناف وعده هو مصدر وعد فالمراد بالاستيناف ابتداء الكلام
وكونه غير مكرر دون جواب السوال   وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين
اي على هذا المعنى الذي ذكرنا من ان العسر مشفوع بيسر اخر قوله عليه السلام روي
انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب
عسر يسرين   فان العسر معرف اه بيانه لما صح به كون العسر الواحد مشفوعا
بيسر اخر توضيحه ان العسر معرف بلام العهد او الجنس وهو لا يتعدد واما على طريق
تعريف العهد بان يكون المراد منه العسر الذي كانوا عليه فهو هو لا غيره فهو كقولك ان مع
زيد مالا ان مع زيد مالا واما على تعريف الجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما
اليسر المنكر فهو للفرد الغير المعين من الجنس فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما يريد
بالاول   فانصب في العبادة شكرا لما عددناه بيان لوجه اتصاله بما قبله قوله
ولا تسئل غيره هذا مستفاد من تقديم الجار والمجرور وتعلق فانه القادر وحده على اسعافه
فارغب اليه بالسوال ولا تسئل غيره   وعن الطيف سريع الهضم الغذاء اجابة بما الجم
وقوامه والدواء ما يداوى ويعالج به   من امن الرجل امانة فهو امين وامانته ان

يحفظ

سورة التين

يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه او المأمون فيه على ان يكون فعيلا بمعنى مفعول
ويكون المأمون بالحقيقة من يدخله وهو مأمون فيه فتحقيقه امنا يقتضي كونه مأمونا فيه فهو اولى
كما في الكشاف فان مأمون الغوائل على ما لا يخفى بان خص بانتصاب القامة لا مكبا على
وجهه واجتماع خواص الكائنات من المجردات والماديات فانه بروحه ونفسه المجردة
خواص المجردات وما هو لها وبجسمه وبدنه خواص الماديات فله الغيب والشهادة فهو مجمع
البحرين ومظهر العالمين فيه نظائر ساير الممكنات فانه العالم الكبير والنسخة الجامعة وفيه
قال علي رضي الله عنه دواك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تبصر وتزعم انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر بان جعلناه من اصحاب النار اداني الفوات فليس
يعني ان اسفل مفعول رددناه اما بواسطة الحرف او بدونها فعلى الثاني يكون هو اسفل حوزه
اسفل جعله من اصحاب النار فانهم اسفل من كل قبيح ولا احد اسفل منهم ويقابلهم من هو
في اعلا عليين وعلى الاول الحرف اليها قيل اسفل على التوجيه الاول حال وعلى الثاني منصوب
بنزع الخافض قوله وقيل اذل العمر فيقوس ظهره ويكل سمعه وبصره وينقص كل شئ منه
فيكون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منقطعا ليس المراد به ما هو المشهور الذي اعتبر فيه
المخالفة للمستثنى منه في الحكم بل المراد به ما يدفع التوهم الناشئ عن سابقه وهو توهم ان ذكر المؤمنين
للمشركين في لود الحال قوله لا ينقطع ولا يمن على ان يكون من المن بمعنى القطع او من المنة
وهو على الاول يعني قوله فلهم اجر غير ممنون على الاول وهو محمول اسفل سافلين على اصحاب النار والمردودين
اليها وجعل الاستثناء متصلا لا يصح كونه حكما للمستثنى كما في الكشاف بل هو حكم مرتب على الاستثناء ومقرر له
فان كونهم خارجين عن المجعولين من اصحاب النار والمردودين اليها انما هو باعتبار ان لهم اجرا غير ممنون قوله
دلالة او نطقا اي شئ يدل على تكذيبك بالدين او ينطق بتكذيبك به بعد ظهور هذه الدلائل الدالة
على صدقك دلالة قطعية وهو ما اشارة الى ما مر مما يتضمنه قوله خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين وقيل ما بمعنى من فمعنى هذا يكون التكذيب نطقا فقط فما الذي يحملك على هذا الكفر
الذي هو تكذيب الدين الحق وانكاره فان تكذيب ما هو الحق كذب اي اقرأ القرآن فان الامر بالقراءة يقتضي
المقروء مفتتحا باسم او مستعينا يعني ان الجار والمجرور متعلق بمضمر هو حال عن ضمير اقرأ وان البا اما

سورة العلق

للملابسة او للاستعانة   اى الذى له الخلق او الذى خلق كل شئ يعنى ان خلق اما منزل منزلة اللازم
فيستغنى عن المفعول او مقدر ومفعوله كل شئ او لا خالق لشئ غيره والى الاشارة ايضا بقوله
الا له الخلق   ثم افرد ما هو اشرف واطلقه ايماء الى ما هو الحق وعليه الاشاعرة من كون الانسان افضل من الملئكة
مطلقا وقيده صاحبه بجعله اشرف خلائف الارض رعاية لما عليه المعتزلة من كون خواص الملائكة افضل من البشر
مطلقا   وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة يعنى ان المقصود من القراءة العبادة فالامر
بالقراءة وجوبا امر بالعبادة ووجوب بالحقيقة والاحد الوجوب مترتب على صفة الله تعالى بخلق
الاشيا فما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا كالانسان ادل على وجوب العبادة   او الذى
خلق الانسان عطف على قوله الذى خلق كل شئ واشارة الى توجيه آخر لقوله الذى خلق
فابهم اولا ثم فسر تفخيما اه بيان لما يصح كون الانسان مفعول الخلق يعنى ذكر خلق
الانسان ثانيا لان الانسان فى معنى الجمع فان جميعه مخلوق له تعالى وهذا بيان لما يصح ايراده
جمعا واما الباعث فهو مراعات الفواصل والمراد من الانسان المعنى الجميع فلا بد ان يكون
هذا جمعا ليطابقه   نزل اولا ما يدل اه اختلفوا فى اول ما نزل الله تعالى على النبى عم
قال اكثر المفسرين هو فاتحة الكتاب وقال بعضهم هو سورة يا ايها المدثر وقال
بعضهم هو سورة اقرا باسم ربك الى قوله ما لم يعلم او الى قوله وربك الاكرم او الى قوله
من علق والمص رجح الاخير لكونه دالا على اول ما يجب على المكلف معرفته من وجود ذاته تعالى
وصفاته العلى وقبل اه معنى كلام المص نزل فى اول السورة ما يدل على وجوده وصفاته
وثانيا ما هو من الاعمال حيث قال ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى وانت خبير بعبد
كلام المص عن هذا المراد   او الاول مطلق غير مقيد بان يكون لتبليغ الاحكام او فى
الصلوة   ويحلم من غير تخوف فان الحلم عنهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم
النعمة وارتكابهم المناهى واطراحهم الاوامر وقبول توبتهم والتجاوز عنهم مع عدم التخوف
غاية فى زيادة الكرم قوله بل الكريم وحده على الحقيقة فصيغة التفضيل للمبالغة فقط
اذ لا يشاركه الغير فى الكرم   وقد قرا ابن زبير علم الخط بالقلم   واشار   بلغ
اولا الى ما يدل على معرفته عقلا وهو خلق الاشيا كلها وخلق الانسان من علق ثم نبه على ما يدل

سيما

سمعا في تعليم الخط وتعليم الانسان ما لم يعلم فان كونه معلما سمعي   لدلالة الكلام عليه اي الكلام
السابق واللاحق على ما يدل عليه قوله لطغيانه فان الكلام السابق دل على انه تعالى خلق الانسان
من العلقة ثم علمه ما لم يعلم فرفعه من حضيض الخسة الى بقاع العلم والرفعة وكذلك اللاحق وهو
التعليل بقوله ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فيبعد ربحه قوله ما لم يعلم ما يصح ان يكون
كلا ردعا له وقيل خلقنا الانسان من علق وعلمناه ما لم يعلم ليشكر تلك النعمة الجليلة فطغى
وكفر كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقيل كلا بمعنى حقا لعدم ما يتوجه اليه قوله
ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد يعني ان الرؤية لو لم تكن بمعنى العلم
حتى تكون من افعال القلوب بل كان بمعنى الابصار لم يجز كون فاعله ومفعوله ضميرين را   جعلين
الى امر واحد اذ هو من خصائص تلك الافعال فلا يجوز ان يقال ابصرتني ويجوز علمتني
تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان اي ان الى ربك ايها الانسان لا الى غيره الرجوع
بالموت والبعث فترى جزاء عاقبة طغيانك   ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في
تقبيح النهي فانه يكون نهيا للعابد عما خلق له العبادة لا لخصوصية اخرى والدلالة
على كمال عبوديته المنهي حيث لا يعرف الا بكونه عبدا   وجواب الشرط محذوف
وهو الم يعلم بان الله يرى   الواقع موقع القسم لاي فما هو جوابه فهو جواب الشرط
الاول والمعنى اخبر فلما كانت الرؤية سببا للاخبار عن المرئي اجرى الاستفهام عن
الرؤية مجرى الاستخبار عن متعلقها   وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى
فجعل ضمير كان للعبد وضمير كذب للذي ينهى وجعل الم يعلم بان الله يرى كلاما مبتدأ منفصلا
عما قبله وجعل جواب الشرطين محذوفا وهو فما اعجب من ذا ولا يخفى بعد هذا التوجيه
بحسب اللفظ   وقيل الخطاب في الثانية للكافر فليس تكريرا للاول   فانه تعالى
كالحاكم الذي حضره الخصمان بيان لما يصح كون الخطاب في الثانية للكافر مع كونه في الاولى
والثالثة للنبي عليه السلام واقتضاء النظم ايضا له   ولعل ذكر الامر بالتقوى في
التعجب والتوبيخ اه دفع لما يتوجه على المعنيين الاخيرين من ان بناء الاول على التعجب عن نهي
العبد عن الصلوة او الامر بالتقوى وبناء الثاني على التوبيخ على نهيه عنهما مع ان المذكور

سابق هو النهي عن الصلوة فقط ولا تعرض فيه للامر بالتقوى فالمناسب ان لا يذكر الامر
بالتقوى في التعجب والتوبيخ ايضا لمناسبة سابقة وجه الدفع ان النهي عن الامر بالتقوى مراد
فيما سبق ايضا لان الناهي كان ينهى عنهما معا الا انه اقتصر على ذكر الصلوة لانه اي المذكور
من الصلوة امر من العبد للغير بالتقوى ودعوة بالفعل ايضا فان المشاهدة للصلوة تدعى
اليها فنهي الصلوة نهي للامر بالتقوى ايضا   او لان نهي العبد اذا صلى وجه اخر للدفع
بيانه ان المذكور سابقا ليس معناه النهي عن الصلوة بل معناه النهي حين الصلوة فيحتمل
ان يكون نهيه لاجل الصلوة ولاجل غيرها من عامة احوال غلبة الصلوة وجميعها لما كانت
محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وتكميل غيره بالدعوة فنهيه في تلك الحال كان عن العبادة
والدعوة معا فذكر الامر في التعجب والتوبيخ لوافقه وبناء عليه فتامل   تعالى لئن
لم ينته اللام موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته ولم ينزجر لنسفعا بالناصية وكتبه
في المصحف بالالف على حكم الوقف فان القياس بناء كتابة الاخر على الوقف
والاكتفاء باللام بيان لما يصحح ايراد لام العهد في الناصية وترك اضافته الى ضمير
الناهي مع ان المراد ناصيته   وانما جاز لوصفها اشارة الى ما تقرر ان النكرة
لا يجوز كونها بدلا عن المعرفة الا بالنعت لئلا يكون المبدل انقص من غير المقصود من كل وجه
فان النعت كالجابر لما فيه نقص النكارة نقل عن ابن الحاجب انه قال حالت ولم جمع
بين الناصية ناصية كاذبة خاطئة واقتصر على احدهما واجيب ان الاولى بدل
للتنصيص على ناصية الناهي والثانية ذكرت تنبيها على علة السفع ليشمل بظاهره
على كل ناصية بهذه صفتها   على الاسناد المجازي للمبالغة كقولهم نهاره صائم   بهذه
وليله قائم والمبالغة فيه ان الكافر يبلغ في الكذب والخطا كانما ظاهران من ناصية
على نحو قولهم وجهه يصف الجمال وهو في الاصل الشرط جمع شرط هو الرذال
والادنى   كعفريت واحد عفاريت والعفريت من كل شيء المبالغ يقال
عفرية عفريت وعفرية عفرية كذلك الصحاح وفي القاموس رجل عفر وعفرية
كامن   واصلها زبانية فحذف الياء وعوض التاء عنها فعيل زبانية

تحمه

سمعا من تعليم الخط وتعليم الانسان ما لم يعلم فان كونه معلما سمعي
له لانه الكلام عليه اى الكلام

سورة القدر

فخمه باضماره من غير ذكره اذ ذكر التفخيم ثلاثة اوجه احدها انه جاء بضميره من غير ذكر اسمه الظاهر وثانيها انه اسند انزاله اليه تعالى بان عبر عن المسند اليه بضمير الجمع المبني على تعظيم وجعل التعبير بضمير الجميع وجها والاسناد وجها اخر كما قيل اجمالا باعتبار اللفظ وثالثها انه عظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر الاية ولما كان قدر ذلك الوقت وشرفه لكونه خيرا من الف شهر لا باعتبار ذاته كان تعظيمه تعالى اياه في الحقيقة بهذا القول فقط دون التعبير عنه بليلة القدر فاندفع ما قيل بل عظمه اولا بالتعبير عنه بليلة القدر وزاد بالتعظيم ما زاد بقوله وما ادراك الاية   وقيل انزلناه في فضلها فهي لا حاجة الى التوجيهات وينبغي ان يعلم ان القران بمعنيين احدهما الكلام المنزل للاعجاز بسورة منه اي السورة التي وقع الاعجاز بها اي جزء منه اي سورة كانت وهو بهذا المعنى جزئي حقيقي غير شامل لكونه المجموع من حيث هو مجموع وثانيها الكلام المنزل للاعجاز بسورة من جنسه في البلاغة وعلو الطبقة فيتناول كل القران وكل بعض منه وبناء ما قيل على المعنى الثاني ان المنزل لفضل تلك الليلة هو هذه السورة لا الكل   والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة ولو كانت في اوتار العشر الاخير من رمضان بان قيل انها السابع والعشرين لم يكن لمن يريدها حاجة الى احياء ليال كثيرة فلعل مراده كونها فيها على الاكثر الاغلب فيكون المراد من الاخفاء الاخفاء في السنة كلها او اكثرها   وتسميتها بذلك لشرفها وقيل لانه سبب لوقوع القدر وقيل لان الطاعات لها في تلك الليلة قدر وشرف قوله او لتقدير الامور فيها نص على الواحدي ان القدر بمعنى التقدير وهو جعل الشيء على مقدار غيره من غير زيادة ولا نقصان   يفرق فيها اي يبين   بيان لما فضلت فيكون استينافا كانه قيل لم كانت خيرا من الف شهر فاجيب تنزل الملائكة الاية وقيل لكنه ان يكون صفة شهر خير من شهر بفضيلة ليلة القدر فيه ان هذا قول تنزل الملئكة

والروح في غير تلك الليلة ولم يشتهر في لسان الشرع بل لم يقل به احد فضلا عن ان يشتهر
وايضا يأباه ضمير فيها لحسب الظاهر ثم قيل ويحتمل ان يكون المراد تنزلهم لادراكها او لتبشيرهم
في الهاء الليلة وهي معززة لا بنية للسبب وانت خبير بان تفضيلها على تلك المدة
ليس لظلمتها كقوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد بالخصوصية لذلك الوقت فذلك
الوقت كما يكون لاهل الارض يكون لاهل السماء ايضا وتنزلهم اشار الى
ثلاثة اوجه تنزل الملائكة على الاول والثالث كتنزل الملائكة على ملائكة كل سماء
وعلى الثاني على ملائكة ما فوق سماء الدنيا ما هي الا سلامة بيان هي
مبتدا خبره مقدم عليه مثل تميمي انا ولذلك حمله على الاختصاص اي لا يقدر
الله فيها الا السلامة هكذا ذكره الكشاف ايضا يعني ان حصر السلامة على تلك الليلة
انما هو بهذا الاعتبار قيل والاظهر ان لا يفعل الله فيها الا السلامة لان حصر كل امر
في السنة فيها ما لم يقل به النص ولا صاحب الكشاف بل الحق عند الاكثرين ان كونها ليلة
القدر باعتبار ان تقدير الامور فيها اكثر من سائرها اي وقت مطلعه اي
طلوعه يعني ان المطلع مصدر فلا بد من تقدير الوقت وقرئ الكسائي بالكسر
على انه كالمرجع فيكون مصدرا على خلاف القياس اذ القياس الفتح فلا بد من تقدير الوقت
ايضا او اسم زمان فح لا حاجة لا تقدير الوقت وقوله حتى متعلق بتنزل
على ان الا غاية لحكم التنزل بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر او كان
مكثهم في محل تنزلهم الى طلوع الفجر وقال صاحب الكشف فانه متعلق بالسلام على
التفسيرين بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بغير الاجنبي غير مستحسن ولا يجوز
ان يكون هي مبتدا وحتى في موضع الخبر لانه لا فائدة فيه ان كل ليلة بهذه الصفة

بلغ
سورة لم يكن

فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله بيان لما يصح كونهم كافرين مع ايمانهم بنبيهم والحادهم
في صفاته تعالى باثبات الولد المستلزم لافتقاره الى ما يعينه او يخلفه عنه مع امتناع
الحاجة والفناء عليه ومن للتبيين اي لا للتبعيض على ما زعم البعض لان
اهل الكتاب كلهم كانوا بالالحاد في صفات الله تعالى قبل مجيء محمد عليه السلام

او الوعد

او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول عليه السلام فانهم كانوا يقولون قبل مبعث النبي عليه السلام
لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية
والانجيل وهو محمد عليه السلام فانه مبين للحق بيان لما يصح اطلاق البينة على احدهما
لان البينة بمعنى المبين او معجزته يعني يجوز ان يراد البينة بمعنى الحجة اي الحجة فاطلاقها
عليها لا يحتاج الى تكلف من ملاحظة كونها مبينا للحق فانها حجة واضحة معجزاته للخصم
اما الرسول عليه السلام فباخلاقه قال الغزالي رحمه الله ان مجموع الاخلاق الفاضلة كان بالغا فيه الى
حد الاعجاز واما القران فباعجازه والكتابة لمن طلب منه المعارضة به بدل من البينة
بنفسه وذلك اذا كان المراد من البينة المعنى الرسول عليه السلام او بتقدير مضاف اي
وحي رسول من الله وذلك اذا كان المراد منها القران صفته وذلك اذا كان رسول بدلا او خبره
وذلك اذا كان مبتدا والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا بيان لما يصح نسبة تلاوة
الصحف اليه مع كونه اميا وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتيه قيل ولا يبعد ان
يقال فيها كتب قيمة بيان وكشف للمطهرة فالمراد المطهرة عن الاعوجاج والخطا فيها اي
لاشتمالها على المكتوبات المستقيمة الناطقة بالحق على ما دل لفظه فيها الاستلزام تطهرها عن
الخطا مطلقا وهو ظ عما كانوا عليه اي من دينهم على ما مر من الاحتمال الاول فهو متعلق
منفكين او عن وعدهم بالاتباع على ما مر من الاحتمال الثاني وقوله بان آمن بعضهم او تردد في
دينه بيان لتفرق اهل الكتاب والانفكاك عما كانوا عليه او قالوا به وافراد اهل الكتاب
بعد جمعهم كان قبل المذكورين بقوله من المشركين واهل الكتاب كانوا متفقين على اتباع الرسول
الموعود فانفكوا عن دينهم واختلفوا فيه ويقتضي ذلك بيان حال المشركين وتفرقهم بعد مجيء الرسول
ايضا فلم افرد اهل الكتاب فاجاب بقوله للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم
بحقيقة المجيء كان غيرهم من المشركين الغير العالمين بحقيقة المجيء اولى بذلك التفرق فان قلت
افرادهم للاختصاص بقوله وما امروا في كتبهم الا ليعبدوا الله قلت هذا الاختصاص
لا يقتضي افرادهم لجواز ان يقول وما تفرقوا الا من بعد ما جاءتهم البينة وما امر الذين
اوتوا الكتاب الا ليعبدوا الله فيكون مقتضى الجمع في البين والاختصاص كلاهما

موديتين اى في كتبهم بما فيها ببيان لصلة الامر وما هو المامور به فان ليعبدوا الا
بمعنى صلة الامر لتحويه باللام دون اللام وقيل اللام بمعنى ان اى الا بان يعبدوا الله
ويؤيده قراءة الا ان يعبدوا الله دين الملة القيمة يعني موصوفا القيمة فحذف
والاكتفاء في الصيغة اضافة للشي الى صفته واما اضافة الدين الى الملة فلما بينهما من
الفرق الاعتباري قال محي السنة رحمه الله اضافة الدين الى القيمة وهو نفسه لاختلاف اللفظين
وانث القيمة ردا لها الى الملة فان الشريعة من حيث انها مطاع دين ومن حيث انها تملى
وتكتب ملة قيل ليس هذا كى تقدير الملة بكانيه لهذه القراءة وذلك الدين القيم فهو اضافة
العام الى الخاص كشجر الاراك والتصريح بما فيه او كان اللائق بل اللازم ان يقول دين الملة
بدون القيمة على ما لا يخفى وذلك اشارة الى المذكور من عبادة الله تعالى بالاخلاص و
اقامة الصلوة وايتاء الزكوة اى يوم القيمة او في الان اى معنى كون
الذين كفروا في نار جهنم انهم يصيرون اليها يوم القيمة لا ما هو المتبادر منه من كونهم
فيها حال الكون الذى هو في الدنيا او المراد المتبادر على تنزيل ملابستهم لما يوجبها
منزلة ملابستهم لها اى الخليقة يعني البرية من برا الله الخلق البشر وغيره
وقيل من البرى بمعنى التراب فالبرية البشر وكونهم شرا اما باعتبار الاعمال
او باعتبار المصير والمقام قوله اتصاف بما يليق وكانه قيل هو جزاؤهم
ذلك اى المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه ففيه الاشارة الى ان مجرد الايمان
والعمل الصالح لا يمكن الوصول الى المرتبة القصوى التي هي رضا الله فان رضوان
الله اكبر من جميع ما وعد الله المؤمنين من الجنات وما فيها وانما الوصول اليه بالخشية
التي هي من خصائص العلماء العارفين بجلال كبريائه تعالى وان الايمان والاعمال الصالحة
ليسا مما يوثق عليه بخلاف الجاهلين المفاخرين باعمالهم الصالحة المعتمدين عليها
الجاعلين اياها سببا للفوز بالسعادة القصوى مع انهم لذلك قد يستحقون
في النار الطبقة السفلى ولذلك قال الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء
قال سيد الطائفة الجنيد البغدادي رحمه الله الرضا يكون على قدر قوة العلم والرسوخ

في المعرفة

سورة اذا زلزلت

في المعرفة وبما قررنا ظهر بطلان ما قيل ان الاظهر ان في ذلك اشارة الى ما يترتب عليه الجزاء والرضوان من العمل الصالح والايمان على انه على هذا لا يجوز لقوله ذلك لكل مخفي دينه كثير فائدة على ما لا يخفى فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير وقد ظهر وجهه مما قررنا انفا اضطرابها المقدر لها اشارة الى ما يصحح الاضافة في زلزالها بوجوه ثلاثة عند النفخة الاولى فانه يكون عندها ولقوله ويقول الانسان ما لها فان الظاهر انه يكون عندها ايضا فيحمل قوله واخرجت الارض اثقالها على اخراج الدفائن وعند ارادة الثانية يحمل على اخراج الاموات على ما يشعر به كلمة او في قوله او الاموات وعلى هذا الاضافة الى الجبل لوقت وقتا واحدا ممتدا وليس الفعلال المضاعف اي ليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف واما قولهم ناقة خزعال للتي تظلع وقسطال للغبار فنادران واما بهرام وبسطام فعجميان واما القهقار فلغة ضعيفة وفي الصحاح القهقر الحجر الصلب وكان احمد بن يحيى وحده يقول القهقار وقيل المراد بالانسان الكافر لانه كان منكرا للبعث فان المؤمن يعلم ما لها فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون تحدث الخلق اشار الى ان المفعول الاول محذوف لعدم الاهتمام بذكره او المقصود ذكر تحديث الارض في ذلك اليوم تهويلا بلسان الحال بان يحدث الله فيها احوالا دالة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها فتخبر بما عليها مروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها بان تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا او مصدر اي غير تابع بالبدلية وان انتصب بمضمر هو اذكر بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار اشارة الى ان الايحاء لها ليس على حقيقته بل هو اما بمعنى احداث الله فيها ما يدل من الاحوال على الاخبار بهذا اذا كان تحديثها بلسان الحال او بمعنى الانطاق بالاخبار وبهذا اذا كان التحديث بالنطق ولسان المقال قوله اذ يقال حدثته كذا وحدثته بكذا يعني ان التحديث كما يتعدى الى المفعول الثاني بنفسه كذلك يتعدى اليه بالباء فالباء الاولى البدلية عن الاخبار فكانه قيل يومئذ تحدث

باخبارها بان ربك اوحى لها   واللام بمعنى الى فان المتعارف تعدية الايحاء بالى
دون اللام او على اصلها على ان يكون لام الاجل دون التعدية بان يكون الايحاء الى الملئكة
في شان الارض وتحريكها واخراجها ما في جوفها من العصاة لتشغلها منها   من مخارجهم من
القبور الى الموقف لجواز ارادة النفخة الاولى فلا يحتاج الى اعتبار الامتداد في الوقت
واليوم بحيث يسعهما   متفرقين بحسب مراتبهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه
فزعين فقوله ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب دفع لما يرد ههنا من ان حسنات
الكفار محبطة بالكفر وسيئات المؤمنين مغفورة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء
بمثاقيل الذرة من خير وشر وتفصيل الدفع منع للمقدمتين اما الاولى فلان الاحاديث
قد وردت في حق حاتم ان الله تعالى يخفف عنه العذاب لكرمه وكذا في حق ابي طالب
وغيره فلحسنات الكافر نوع اثر في تخفيف العذاب الا انه لا يثاب بها وذلك
لا ينافيه واما الثانية فلانه ما ذهب اليه اهل السنة والجماعة فان تكفير الصغائر
عندهم باحد امرين اما بالتوبة او بمشية الله تعالى ان شاء غفر وان شاء لم يغفر فله
اثر في نقص الثواب الا انه لا يعذب بها وهو لا ينافيه وايضا الموازنة معتبرة
ومقتضاها ما ذكرناه وبما قررنا اندفع ما ذكره بعض الافاضل ان كون حسنات
الكافر مؤثرة في تخفيف العذاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا فان حبطه وجعله هباء بلا اثر يجوز ان يكون باعتبار الثواب
دون تخفيف العذاب او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقيا لقوله
اشتاتا يعني ان هذه الاية تفصيل لناس المتفرقين وهم فريقان السعداء
والاشقيا فلا عموم في الاية فلا يلزم ما ذكره قيل فحينئذ لا يراد الجزاء بل الرؤية
لان كل احد يرى كتابه لا يغادر شيئا فيرى الذنب المغفور فيسر ويرى العمل
المحبط فيتاسف فيه ان هذه الرؤية لا تصلح سببا للسرور في العبور على ما لا يحبط
وايضا يجوز ان لا يكون لبعض حسنة اصلا فلا يتاسف بالحبط وان لا يكون لبعض ذنب
اصلا فلا يسر بالغفران   او بالعاديات فانها تعلق بالالتزام على الضابحات

لان الضبح

لان الصبح لازم للعدو فان العاد بآصباحات فكانه قيل والذي [illegible]
التي تورى النار اي تخرجها وذلك بحك حوافرها على الحجارة الحادة فالقدح الصك
والانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة وفي القاموس الزند الذي يقدح به النار والسفلى
به زندة انتهى وكان من عادة العرب اذا ارادوا نارا ان يجمعوا عودا على عود ويسحقوا
الفوقاني على التحتاني فيخرج النار قوله تغير اهلها على العدو يشير الى ان الاغارة
بالحقيقة انما هو لاهلها فان الاسناد الاغارة اليها للايذان بكونها عمدة في اغارتهم فيجيء
في تلك الوقت اه وجه تخصيص اشارة لتعيين تلك الوقت ظهوره فيه لا قبله من الليل و
يؤيده قراءة فاثرن بالتشديد اي اظهرن غبارا على ما في الكشاف فقلاوة لما قيل
وقيل ان يكون الضمير للعدو فلاوة للاقتصاد على الوقت فوسطن اي
دخلن في وسط الجماعة في تلك الوقت او بالعدو او بالنقع ملتبسا في الاول
بمعنى في او بالنقع اي المتلبسات به مجازا على الملابسة وجوز صاحب
الكشاف في كونها للتعدية حيث قال اي وسطن بالنقع الجمع او فوسطن ملتبسات
جمعا يشهد على نفسه بظهور اثره عليه فلا يمكن ان لا يشهد فضلا عن
عن انكاره وقيل وقيل ان يجعل من الشهود بمعنى انه كفور مع علمه بكفرانه والعمل السوء
مع العلم به غاية المذمة فيه انه لا يلائم المقام فان الاخبار عن الانسان بانه كفور والاقدام
عليه وتاكيده بان واللام صريح في ان المقصود بيان تحققه ووجوده فيجعل التشهيد في
الشهادة يلائمه ويكون كالدعوى واقامة البينة عليها وعلى ما حمله يكون الملحق بيان كونه
سوء مذموما في الغاية ويأبى عنه بقدر على ما بينا ولاحقه ايضا اذ الملحق فيه بيان
كونه بخيلا فقط لا كون البخل مذموما في الغاية قوله ان ترك خيرا اي مالا قال
بعض العلماء لا يقال للمال خير حتى يكون كثيرا او من مكان طيب روي ان عليا رضي الله عنه دخل على
مولى له فقال الا اوصي قال لا لان الله تعالى قال فان ترك خيرا وليس لك مال كثير
شديد لبخيل اي ممسك بخيل انقلاقه عليه يقال فلان شديد ومتشدد اذا كان بخيلا ممسكا
فالشديد يجوز ان يكون بمعنى مفعول كانه شدد وان يكون بمعنى فاعل كالمتشدد كانه

سورة القارعة

صدره جمع محصله في الصحف او مبين قال الراغب التحصيل اخراج اللب من القشور
كاخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن قال تعالى وحصل ما في الصدور اي اظهر
ما فيه وجمع كاظهار اللب من القشر وجمعه او كاظهار الحاصل من الحب قوله وتخصيصه
لانه الاصل اي لكل عمل خيرا كان او شرا فان اعمال الجوارح ما لم تخطر بالقلب لم يصدر عنها
وقد يكون من الاسرار الخفية التي يحاسب بها ولا يكون للجوارح مدخل فيها واما ما قيل اذا
ان الاعمال بالنيات فلا دخل له اصلا اي اذا اريد ما ذكرنا قوله عالم بما اعلنوا وما اسروا
فمجازيهم اشار بقوله فمجازيهم الى فائدة تقييد علمه تعالى بيومئذ اعني ان علمه يومئذ
هو العلم الموجب للجزاء المستدعي له والا فعلمه محيط بهم ازلا وابدا وانما قال
ما ثم قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين فان شانهم حال كونهم في القبور الموت
وعدم الفصل وشانهم حال كونهم مبعوثين الحيوة والعقل سبق بيانه
في الحاقة حيث ذكر ان القارعة الحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بال
بالانفطار والانتشار وان اصل التركيب في الحاقة ما هي اي اي شيء هي على التعظيم
لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها هو في كثرتهم
وذلتهم بيان لوجه شبههم بالفراش والفراش جمع فراشة وهي التي تطير وتتساقط
في السراج وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم يكون ويجوز
ان يكون نصبه باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه عليه السلام الى معرفتها
اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يرد لكل ما هي كالصوف ذي الالوان فشبه
الجبال به لكونها الوانا لتفرق اجزائها بيان لوجه شبهها بالمنفوش
بان ترجحت مقادير انواع حسناته الظاهر انه جعل الموازين جمع موزون وهو
العمل وان ثقلها بترجح مقادير انواع الحسنات دفعا لما يقال ان الاعمال
اعراض والثقل صفات الاجسام وقد يدفع بوجه اخر وهو انها تجسم في النشأة الاخرة
بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه يؤتى بالاعمال
الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان

ذات

ذات رضا يرضا بها صاحبها بان يكون صيغة الفاعل للنسبة كاللابن والتامر وفي بعض
النسخ بدل قوله اي مرضية او مرضية فيكون من اسناد الفاعل الى المفعول فامه
النار تسمى الهاوية اما لان اهلها يأوون اليها كما يأوي الولد الى امه والهاوية من
اسمائها سميت بها لغاية عمقها وبعد مهويها روى ان اهل النار يهوى فيها سبعين خريفا
نقلا ماهية والاصل ماهي ادخلها السكت للاستراحة والوقف ويحذف
عند الوصل وحقها ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز
اثباتها مع الوصل التباهي بالكثرة اي التفاخر بها وهو ان يقول هو لاخي اكثر
وهولا لخي اكثر عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم لان زيارة
القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهولاء عكسوا
حيث جعلوا زيارة القبور سببا للمزيد القسوة والاستغراق في حب الدنيا والتفاخر في الكثرة
فكثرهم بنو عبد مناف اي غلبوهم بالكثرة وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم
من امر الدين للتعظيم والمبالغة فان في الحذف ايهاما وتخييلا لما غنيهم من امرهم ما غنيهم
وللتهاون بانه بلغ الى حيث لا يملي ببيانه وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول كما
تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل قوله او الاول عند الموت او في القبر
والثاني عند النشور فالتراخي زماني اي لو تعلمون ما بين ايديكم قيل المراد بالعلم
هاهنا هو علم الشيء نفسه لا علمه على صفته علم الامر اليقين اشارة الى ان اليقين
بمعنى المتيقن لا اليقين نفسه وقوله كعلمكم ما تستيقنونه بيان لعلم الامر المتيقن واشارة
الى فائدة الاضافة يعني لو تعلمون ما بين ايديكم مثل تيقن الامور التي تستيقنونها
ولم تعلمها هممكم لشغلكم ذلك اه لانه محقق الوقوع فانهم يرون الجحيم البتة سواء
علموا ما بين ايديهم اولا فلا يصلح ان يكون جوابا للو لان جوابه معلق بعلمهم بما بين ايديهم
اي الرؤية التي هي نفس اليقين اراد ان العين بمعنى النفس كما في قولك جاء زيد
نفسه وعينه فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين تعليل لكون الرؤية عين اليقين وفي
دون ما عداها من العلوم فان الادراك في باطن المشاهدة والرؤية فوق سائر الادراكات فانها احق

سورة التكاثر

بان يكون عين اليقين دون ما عداه وبما قررناه ظهر اندفاع ما اورده من ان علم اليقينيات
الاوليات دون المشاهدات كما قررنا في محله   والخطاب مخصوص اي في لتشتمل قوله
تعريفه وهي تنقص من الخطاب في الحكم ورزقهم   كقوله قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق فانه صريح في ان الرزق الطيب لا يسئل عنه وكذلك
قوله تعالى كلوا من الطيبات   وقيل يعمهما اي الخطاب والنعيم ويؤيده ما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع بعض اصحابه اكلوا رطبا وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسئلون عنه يوم القيمة ظل بارد ورطب طيب وماء
بارد   اقسم بصلوة العصر لفضلها لقوله والصلوة الوسطى وقوله عليه السلام
من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اي سلب عنه اهله وماله وقيل بقي فردا
بلا اهل ومال   بعصر النبوة لظهور فضله على ساير الاعصار ولذلك لم يتعرض له قوله
او بالدهر اي الزمان لاشتماله على الاعاجيب فان الامور العجيبة تحدث في مروره
والتعريض عطف على اشتماله يعني اقسم بالدهر لتعريض بنفي الخسران الذي يضاف وينسب
اليه عنه فان الناس يضيف المكاره والنوايب اليه ويحيل شقاوته وخسرانه عليه في اقسم الله
به الدال على شرفه تعريض باستفادة تلك الامور عنه وعدم اضافتها بها   فانهم لخسروا الاخرة
بالدنيا قيلا وتقول او بالخسران في تجاراتهم الحقيقية لعدم رعايتهم شرايط الصحة وآداب
البيع والشراء فيه ان هذا الخسران لا يصلح للاقسام عليه والوعيد به فان الذين امنوا وعملوا
الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فلا يكون لهم ايضا في تجاراتهم الحقيقية هذا الخسران
قال الامام في الاية وعيد شديد لانه حكم بالخسران على جميع الناس الا من كان اتيا بالايمان
والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وايضا يجوز ان لا يكون لبعض الكفار مثلا
تجارة حقيقية اصلا فيكون هو والذين امنوا سيان في عدم الخسران فلا يكون لتخصيص الاستثنا
وجه   او ما يبلوا الله به عباده كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الى قوله و
بشر الصابرين الاية   وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة فان في هذا العطف
دلالة على بلوغ الخاص الى مرتبة حتى كان بها من الاندراج تحت العام الا ان يخص العموم بما يكون

مقصورا

الزنخ

سورة الهمزة

مقصورا على كماله فنه التواصي بتكميل الغير فلا يكون مندرجا تحته وقوله اما ذكر السبب
اى صريحا وهو مجموع الامور الاربعة قيل ضمنا وقد ذكر سبب الخسران ايضا ضمنا وهو
عدم الحق وعدم الصبر كما لا يخفى انتهى ولعله لم يفرق بين السبب وسببية فجعل الاول كالثاني
اكتفاء ببيان المقصود فان المقصود بيان ما فيه الفوز بالحيوة الابدية السعيدة لا
السرمدية فان الابهام من جانب الخسر كرم فانه كالاخفاء وعدم جعله سببا للتاثير
عليه عن العقاب بخلاف الاظهار وبنا فعله يدل على الاعتياد ففيه حسن مقابلة
الهمزة واللمزة بالحطمة لانه لما وسم بهذه التسمية وبما يدل على الوصف والتمكن نوله
فيها بهذه الصفة فيحصل التعادل بين الفعل والجزا فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر
المتعود وقيل يقتضي بالحطمة فانها اطلقت على النار وليس الحطم عادة بل طبيعتها
انتهى فيه ان كونه طبيعيا لا ينافي كونه عادة اذ العادة على ما في القاموس الديدن والشان
والخاصية وهو يعم الطبيعي وغيره وان رجع الى ذلك فنه نعبر الحطم فلا تغفل قوله بدل
من كل او بعض منه وجعل عدة العدة ما بها للحوادث وهو الذخيرة تركه خالدا اى
ابقاه او جره خالدا فاحبه لانه حب على الحقيقة كونه مخلدا او حب المال
اغفله عن الموت اه وعلى هذا حسبانه اياه مخلدا مجاز اه ثم عمله يجوز لا يظن الموت لان المال
سبب حسبان خلود نفسه وعمله ومبنى التوجيهين على حسبان خلود نفسه وظن بقائه في
الدنيا مخلدا وفيه اى في قوله يحسب ان ماله اخلده تعريض بان المخلد في الحيوة الابدية
الاخروية والنعيم المقيم من الجنة هو السعي للآخرة والعمل الصالح واما المال فما اخلد احدا
في الحيوة الابدية والنعيم المقيم لكونه فانيا غير مخلد والمخلد لا يكون الا ما له الخلود
ردع له عن حسبانه قيل الاظهر انه ردع عن الهمزة واللمزة فيه ان الاظهر كان ذكره
هناك على ان حسبانه بالردع اليق واحق كما لا يخفى ومن ثم كان الحطم اى الكسر
في مقابلته مع الهمزة لطيفة اخرى لان الهمزة من معنى الكسر في الاعراض
وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد اه قيل اولان اطلاعها على الافئدة التي هي خزينة وكنز
للودايع يستلزم الاطلاع على جميع البدن بطريق الاولى وفيه ان الاطلاع عليها على

سورة الفيل

تقديركونها خزينة ومحلا للودايع يستلزم الاطلاع على الامور المخزونة والمودعة فيها
واما الاطلاع على غيرها   اذا الهلوه اى اغفلته وكنى من الحنيني وهو الشوق
والمقاطر جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق يدخل فيها ارجل المحبوسين   و
وانهم لم يشهد تلك الواقعة ففى القاموس وقع الحرب صدمة بعد صدمة والاسم الوقيعة
والواقعة   لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال اه قال الامام
الاشياء لها ذوات ولها كيفيات والكيفيات هي التي يسميها المتكلمون وجه
الدليل واستحقاق المدح انما يحصل برؤية الكيفيات لا برؤية الذوات ولهذا قال
تعالى اولم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها   فانها من الارهاصات من
الرهص وهو اساس في الاصل من الجدار والمراد من الارهاص ان يتقدم على دعوى النبوة
ما يشبه المعجزة كاظلال الغمام له عليه السلام وتكلم الحجر والمدر معه وقيل الارهاص
هو الرصد يسمى امورا غريبة وقعت للنبي عليه السلام لان كلا منها مما يترصد بعث هذه   بعد
نبوته والاشرم مشقوق الانف القليس بضم القاف وفتح اللام والياء الساكنة   نبوته
على وزن فعيل   فقعد فيها كناية اى قضى حاجة روى انه لطخ بالعذرة
قبلتها وعبا جيشه اى هياه والهرولة الحركة التي بين المشي والعدو
وقرئ الم تر بسكون الراء   لما فيه اى في كيف معنى الاستفهام المقتضي للتصدير
في تعطيل الكعبة اخلاؤها عن الزوار فانه كان كيدهم الاول وتخريبها وهو
كيدهم الثاني   بان دمرهم اى اهلكهم   وهي الحزمة ففى القاموس الحزمة
بضم ما حزم اى ضبط وشد   في تضاميمها اى جمعها كعباديد وشماطيط
في الصحاح العباديد الفرق من الناس الذاهبون في كل وجه والشماطيط القطع المتفرقة
لانهم لم جمع والتانيث على المعنى   او الاسجال فهو الارسال وذلك يكون
العذاب مرسلا كقوله وارسلنا عليهم الطوفان الاية   او من السجل وهو معناه
من جملة العذاب اه كان السجل علم للديوان الذي فيه عذاب الكفار فذلك من جملته و
كعصف ماكول الحب كما يقال فلان حسن اى حسن الوجه حذف المضاف اليه واقيم
المضاف

للضمان مقامه لكونه معلوما   او كتبن اكلته الدواب وراثته فيه تقطع اوصالهم
قيل بتفرق اجزا الروث اظهار التقبيح حالهم وشومالهم   والفا لما في الكلام من
معنى الشرط كانه اذا كان متعلق فليعبدوا فلم دخلت في التعقيب بين العامل و
ومعموله وايضا ليس للفا متعلق فاجاب بقوله الفا   او بمحذوف مثل اعجبوا
على ان يكون اللام في لايلاف لام التعجب اي اعجبوا لذلك وقيل فعلنا هذا اهلاك اصحاب
الفيل لايلاف   او بما قبله كالتضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذي
قبله تعلقا لا يصح الا به على ما في الكشاف   تعبث بالسفى ولا حقاف الا بناد
والعبث اللعب والمطوف الزجر   وصغر الاسم للتعظيم وكانه قيل قريش عظيم
قيل والاوجه ان التصغير على حقيقته لانه اذا كان القريش دابة عظيمة والقريش
مع صغر حجمه جعل قريشا فهو لا محالة قريش فيه ان جعل القريش قريشا لم يكن لمناسبة
الحجم بل كان لصفة الاكلية وعدم الماكولية ووصف الغلبة وعدم المغلوبية وهذان
الوصفان كما يوجدان في تلك الدابة على وجه الكمال كذلك يوجدان في قريش على وجه
الكمال فلا معنى للتصغير الا التعظيم   بالرحلتين متعلق باطعمهم قوله
او التخطف في بلادهم اي السلب فيه   الحاقا بالمضارع يعني ان حذفها حقيق
بالمضارع اذ لم يصح عن العرب ربت بحذفها عن الماضي للحاقه بالمضارع قوله
ولعل تقديرها حرف الاستفهام سهل امرها فان الهمزة الاخرى بعدها يكون ثقيلة فحذف
وارايتك بزيادة الكاف تاكيد المعنى الخطاب في التا لم يزيد ايضا وللخطاب قوله
ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم فان ذلك مبتدا اشارة الى الذي
يكذب بالدين وقوله يدع اليتيم اه خبره ولما كان دفع اليتيم وعدم الحض الداخل جعلا
علما للتكذيب بالدين واقعين من بعض المكذبين دون من عداهم فالظ ان المراد بالذي
يكذب بالدين هو ذلك الدافع المعين الباعث وان كان يحتمل العموم فاندفع ما قيل فيه
بحث لانه اذا كان هو من لوازم الجنس فكيف يريد وقوعه عن بعض افراد الجنس ان المراد
باللفظ المحكوم عليه العهد دون الجنس انتهى على ان الشي علامة لطبيعة لا يستلزم كونه

سورة الإيلاف

سورة الماعون

لازم الملك الطبيعة كالتخلي بالفعل فانه علامة للاخذ ولا يلزم وانما جعل المنع
بالمعروف والاقدام على ايذا الضعيف علما للتكذيب بالجزا وللاسلام ليؤذن
بان الانهماك في الشرة والغلظة بمكان ينبغي ان يحترز المؤمنون عن امثالها الا انها شيء
من اوصاف الكافرين المكذبين بيوم الدين لعدم اعتقاده بالجزا تعليل لما
سبق من دفع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين يرون اهل اعمالهم
ليروهم الثنا عليها بيان لما افاده صيغة المفاعلة واشارة الى انها مأخوذة
من الافعال وانما قال ليروهم الثنا دون ان يقول ويريهم الناس ثناهم كما بهم
قال صاحب الكشاف فان المرائي لا يقال الا لمن يرى الناس اعماله حرصا على ثنا الناس
او ما يتعاورونه في القاموس يقال اعتور والشيء اذا داولوه فيما بينهم و
كذا تعوروه وتعاوروه ولذلك رتب عليها الويل اي ولاجل كون السهو
عن الصلوة والرياء ومنع الزكوة احق بكونها من ضعف الدين والموجب للذم
والتوبيخ رتب على هذه الامور الويل فانه شدة العذاب او طبقة من طبقات
جهنم فعلى هذا يكون المراد بالمصلين غير المكذب بالدين واما وضع المصلين
موضع الضمير يعني اذا حمل الفاعل السببية يكون المراد بالمصلين المكذبين
بالدين وكان الظاهر ان يقول فويل لهم فوضع المصلين مع الضمير للدلالة
على معاملتهم مع الخالق بالسهو في صلوتهم والرياء ومنع الزكوة ومنع الخلق
بدع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين وينبغي ان يعلم ان المراد بالمصلين
في المامورون بالصلوة اذ ليس المكذب مصليا ومقيما للصلوة ففي الاية دلالة
على صحة قول الشافعي رضي الله عنه ان الكفار مخاطبون بفروع الشريع
وقرئ انطيناك الانطاء هو الاعطا بلغة اهل اليمن روي انه عليه السلام كتب
لوا مرا انطوا الثبجة اي اعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من رذالته
فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر من اللسان والجنان والاركان
واخر البدن والبدن بضم البا وسكون الدال جمع بدنة محركة وهي ناقة او بقرة
تنحر بمكة

سورة الكافرون

نحر عليه سميت بذلك لانهم كانوا يسحونها والبدن ايضا السمن بالضمتين والمحاويج
جمع محواج بمعنى كثير الحاجة   فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة قيل و
مقابلة هذه السورة مع السورة المتقدمة انما يتم اذا اريد بالكوثر الاسلام فيكون ان مقابلا
لمن يكذب بالدين وقد يكون التخصيص الذى يفيده تقديم المسند اليه انا اعطيناك فى كمال
الوضوح كيف وقد كان بين اظهر قوم غالين فى التكذيب انتهى اقول وقد يكون وجه
تخصيص الخطاب به عليه السلام وتخصيص مقابلته بالمكذب بالدين فى كمال الخفاء على انه
لا يبقى على هذا التوبيخ على التكذيب بالدين كثير مجال كما لا يخفى   اى من ابغضك لبغضه
لك اشارة الى انه من ترتب الحكم على المشتق من علية ماخذ الاشتقاق واما انت فتبقى ذريتك
اشارة الى ما يفيده تعريف المسند وضمير الفصل فى الحصر وان ما نسب اليه عليه السلام من انقطاع النسل
وانقطاع حسن ذكره وانا وفضله ليس بذلك والقربان ما يتقرب به الى الله
يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله انهم لا يومنون فلا يتنفى امره عليه السلام بهذا القول
جوازه لكل مسلم لكل جماعة من الكافرين   روى ان رهطا الرهط من ثلاثة او
سبعة الى عشرة او ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امراة   اى فيما تستقبل
رد لمن جعله للماضى ولمن جعله للحال   لان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى
الاستقبال يؤيده ان لن تاكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل فى لن ان اصله لا ان فوله
اى فيما تستقبل لانه فى قران لا اعبد اى هو قرينه فلا بد من جعله للاستقبال لتوافق القرينتان
وفيه رد لمن جعله للحال   اى فى الحال او فيما سلفت يعنى يحتمل الحال والماضى فلا تخصيص
بالماضى ووجه تخصيصه بالماضى كما فعله صاحب الكشاف حيث قال اى وما كنت قط
عابدا فيما سلف ما عبدتم يعنى لم تعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى
فى الاسلام كونه ادخل فى نفى رجاء الكفرة اتباعه عليه السلام دينهم وعبادة الهتهم
اى وما عبدتم فى وقت جعله للماضى ولم يجوز الحال ايضا ليوافق قوله ما عبدتم
على ما يظهر من تفسيره ما اعبد بما انا عابد ليوافق ولا انا عابد وزاد قوله فى وقت
اشارة الى منع التعبير بالاسمية من عدم الاختصاص بزمان   ويجوز ان يكونا

تاكيد على طريقة ابلغ فان كون الجملة الاسمية الغير المختصة بشي من الازمنة
تاكيد المناحيض بالاستقبال ابلغ في تكريره في هم اطماعهم لعله اكد عليه السلام
وتوافقه معهم في عبادة الهتهم في شي من الازمنة قوله وانما لم يقل ما عبدت
ليطابق ما عبدتم بمعنى ان قوله ولا انتم عابدون ما اعبد قرين لقوله ولا انا
عابد ما عبدتم وكان الظاهر ان يقول هنا ما عبدت كما قيل هناك ما عبدتم
ليطابق القرينتان وهو لم يكن مولوفا العبادة الله فيه رد على صاحب
الكشف حيث قال وهو لم يكن ليعبد الله في ذلك الوقت فانه لم يذهب
اليه احد من الفريقين اما الاشاعرة فلانهم قالوا كان عليه السلام قبل بعثته متعبدا
بشريعة ابراهيم عليه السلام وعليه اصحاب الشافعي رضي الله عنه وظاهر كلام احمد
رحمه الله انه كان متعبدا بكل ما صح انه شريعة لنبي قبله ما لم يثبت نسخه لقوله تعالى
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده واما المعتزلة فلما قالوا ان وجوب
النظر في ايات الله وادلة توحيده ومعرفته عقلي لا سمعي وهذا يقتضي انه
عليه السلام كان قبل البعث يعبد الله عز وجل لان المراد الصفة كانه قال
لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وذلك لما تقدم مرة انه قد تستعمل في الصفات
فانك اذا اردت ان تسأل عن صفة زيد فتقول ما زيد فيجاب بانه فقيه
او طبيب فلما كان صفة معبود الكفار البطلان وصفة معبوده عليه السلام
الحقية فكانه قال لا اعبد الباطل اه ولا يلزم كون ما استفادة من دخول ما هنا كما
فلا وجه لما قيل واظهر كانه قال لا اعبد معبودكم ولا تعبدون معبودي
لان الصفة المستفادة من كونها تعبدون ونظايره هو المعبود لا الباطل والحق
وقيل ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا انتم عابدون عبادتي وكذا
في الاخيرين فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد فان الاخبار
عنهم بانهم لا يتركون كفرهم ليس اذنا وتقريرا لهم بدينهم اللهم الا ان
فسر بالمتاركة بان يقال المعنى تكفوا عني واكف عنكم ففيه المتاركة وتقرير

لل

سورة النصر

كل من الفريقين الاخر على دينه والمردة جمع مارد وهو الخارج عن الطاعة وفي القاموس
المارد هو البالغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف   اظهاره اياك
على اعدائك وفي القاموس اظهره عليه غلبه   وفتح مكة هذا بناء على ما ذكره من ان
الاكثر ان السورة نزلت قبل فتح مكة واما اذا كان بعده فيشكل لان اذا تدل على
الاستقبال وان الفتح بعده قال صاحب الكشف فلا بد ان يجعل شيئا منه مستقبلا مترقبا
باعتبار ان فتح مكة كان ام الفتوح والاسلام لما يكمل بعده كان من هذا مترقبا باعتبار
ما يؤول اليه وان كان متحققا باعتبار نفسه وهذا امر لا بد منه تصحيحا للنظم وقيل
في الجواب ان اذا بمعنى اذ وهو في القرآن كثير وقيل مما يختلج في القلب ان المناسب
لقوله يدخلون في دين الله افواجا ان يحمل قوله والفتح على فتح باب الدين عليهم انتهى
ويؤيده ان فتح باب الدين عليهم وعلى غيرهم كان ببعثته عليه السلام ودعوته العامة
وعدم دخولهم في الدين كان لعدم مجئ نصر الله اياه عليه السلام لا لانسداد
باب الدين وقيل المراد جنس نصر الله وهو مستقيم ايضا بلا اشكال   جماعات
قوله كثيفة يريد الكثرة اي جماعات جماعات وهوازن قبيلة من قيس على ما في
الصحاح   فتعجب لتيسير الله لما كانت العادة جارية بالتكلم بسبحان الله في مقام
التعجب جعل الامر بالتسبيح امرا بالتعجب   حامدا له اشارة الى ان الباء في
بحمد ربك للحال اي تعجب لتيسير الله وفتح ما قبل ما لم يخطر ببال احد حال كونك
ملتبسا بالحمد قيل والاشبه ان يراد تنزهه عن العجز في تأخير ظهور الفتح واحمده
على التأخير وصفه بان تعاقب الامور من عنده ليس الا لحكمة لا يعرفها الا هو
فيه ان هذا العجز اذا لم يكن مما كانت الظلمة يقولونه فظاهر انه لا يمكن خطوره
بلغ
بقلب المؤمن فلا يناسب المقام الامر بالتنزيه عنه على ما لا يخفى   وتقديم
التسبيح ثم الحمد على الاستغفار